

الجزء الثاني من اخترتك أنت

سارة سيف الدين  
*Nobian Sara*

رواية

لا أعثر  
أمامك



روايات  
سرا

# لأنك الملاذ

الجزء الثاني من اخترتك أنت

بقلم

سارة سيف الدين

**Nobian sara**

جروب كلام روايات

[/https://www.facebook.com/groups/KalamRewiat](https://www.facebook.com/groups/KalamRewiat)

مراجعة لغوية / هبة أمين

## الفصل الأول

نقطة مرارة كمان على مشروبي  
دوبها يا ساقى حسب مطلوبى  
طعم الحياة مش برضه فيها وفيها؟  
ليالى وردي ونهارات خروبي؟  
عجبي!!

### رباعيات جاهين

البداية دومًا الأكثر ألمًا ويومًا بعد يوم يتداخل النسيان، لنتناسى ما شعرنا به حينها، نبتعد عن عوامل الضغط أيًا كانت أملًا في نسيان أسرع، والنتيجة المزيد من التذكر، كيف لا وأنت تحاول الهرب منه طوال الوقت وهذا كفيل بأن يبقى عقلك يقظًا لذات الحدث الذي تريد الهرب منه.

ويظل الألم يستشري داخلك، وكأنك تلقي بنفسك في أتون الوجدع عن طيب خاطر وتبقى تلوم وتنهر وتسب تلك الذكريات التي لا تنفك تعود وتضربك بقوة الحياة التي تصورها ستبدأ إذا بها تنتهي وبأسوأ الطرق وأكثرها إيلامًا.

لا زال لا يصدق أنها نطقت تلك الكلمات، كلمات لا تغادر أذنيه كلما وضع رأسه على وسادة أو جلس وحيدًا، شيطانه يعذبه بها، يكررها على أذنيه باستمرار فيزداد الغضب والحنق داخله، فقرر الابتعاد خوفًا من أن يخسر كل شيء في لحظة. ترك لهم المكان بل البلاد وغادر في صمت، دون حتى أن يبلغ أحدًا.

وهل يستحق أحد؟!

جاهين قرر أن يهتم لجاهين فقط.

ومر شهر، يقف في الشرفة وحيدًا كما فضل أن يفعل منذ وصل إلى هنا، أفكاره وأحزانه يتلاطمان، لا يعرف أي كفة سترجح، لذا كان يجب أن يبتعد، يبتعد عنهم ليعرف كيف يفكر، لن يكون أبدًا الرجل الذي ينهار بسبب فتاة.



- أختك دي هتولد امتى وتريحننا؟!!!  
وعاد الصراخ ثانية لتردف ضاحكة وهي تسخر من نفسها:  
- تريحننا، ده أنا طيبة أوي.

توقعت منه أن يشاركها الضحك كعادته، لكنه اكتفى بالنظر إليها مع بسمة باهتة على شفثيه، فانزوت بسمتها هي الأخرى، وتيقنت أن استعادة جاهين القديم لن تكون بتلك السهولة برغم عدم معرفتها بعد ما سبب تبدله هكذا، ولكنها حتمًا ستعرف.

تركته تلبى نداء ابنتها، رن هاتفه ودون النظر علم أنه هو، الوحيد الذي يصبر على الاتصال به، هو لم يكن يريد أن يعاقبه أو يدخله في تلك الدائرة، لكنه لا يستطيع أن يفصل بينهما، الغضب الذي بداخله يسع الجميع ولهذا ابتعد فلم لا يتركه لحاله حتى يهدأ؟.  
تجاهل الرنين حتى انقطع، وقرر الخروج لبعض الوقت.

.....

التم شمل الفتيات الثلاث في غرفة بسمة غلفهن الصمت، وكل عقله يسبح في همه.

ردود الفعل المتوقعة تلوح في الأفق، صحيح أن الأيام التي مرت خفتت من وطأة الأمور عليهن لكن آثارها لازالت توتّي ثمارها.  
بسمة نالت خصامًا مزدوجًا من أمها وأخيها، ولا تعلم متى سينهيان هذا العقاب، ومها نالت جفاءً لا تعلم سببه من بسام، يتجاهل وجودها بل يتجنب رؤيتها منذ ما حدث ويشغل نفسه بالعمل كل يوم، ونانا تخشى أن تفقد كل شيء بسبب تهور صديقتها.

ماذا لو تم طردهن من هنا ونجحت سميحة في مساعيها، الفائز الوحيد من كل هذا سميحة، نظرتها الساخرة الشامتة لهن كلما رأتهن، تخيفها.  
دارت ببصرها على وجهي الصامتتين جوارها ليلتوي فمها قائمة بصوت ساخر

وهي ترفع ذراعيها في الهواء:

- يا شماااااااااا أبله ظاظا فينااااااااااا.

وبرغم الهم ضحكنا، ضحكنا لم تعبر عن السعادة، وإنما تنفيسًا لما يعتمل في الصدور، نانا لازالت قادرة على السخرية من أي شيء يدور حولهن.

بخطوات هزيلة، ووجه حمل همًا، وقف أمام باب الغرفة التي هجرها صاحبها ولم يكتف بهذا بل قرر أن يهجر ساكني هذا المنزل فلم يجب اتصاله قط. وضع كفه على بابها وكأنه يرجو وصلاً انقطع، يهمس معاتبًا:

- كده برضو يا جاهين طب أنا ذنبي إيه؟!

التفت برأسه ينظر لغرفتها، زم شفتيه وتلبسه الغضب في لحظة، لا زال لا يصدق أنها فعلت هذا به وبجاهين بل وبالعائلة كلها. اقترب أكثر ليتصلب جسده فجأة حين سمع ضحكاتها مع الفتاتين، لم يهتم بأي شيء ليهرع إلى غرفتها دافعًا بابه لتنتفض الفتيات ومن الجيد أن مها لم تكن خلعت حجابها بعد أما نانا فلم تهتم كثيرًا، لتعقد بسمه حاجبيها:

- في إيه؟!!

حدجها بنظراته قائلاً بغيط بالغ:

- بتضحكوا!! إيه فرحانين بخططكم اللي بتتجح؟! تبادلن النظرات لتقول نانا بدهشة:

- خطط إيه؟!!

تجاهلها ونظر لمها والغضب هو المخالط لأنفاسه وليس حروف كلماته فقط:

- مش مصدق، لا يمكن تكوني زي ما قال.

وبرغم كلمات لم تكن واضحة لكن تأثيرها على مها كان أكثر وضوحًا، ففي لحظة اغرورقت عيناها بالدموع لتقرر الفرار من هنا، وتبعثها نانا لتترك المجال لبسمه فهي من أوقعت العائلة في تلك المشكلة وهي من عليها حلها. عقدت بسمه حاجبيها:

- في إيه؟!!

اقترب منها تسبقه سهام سخطه:

- في إيه؟! بتضحكي، مش فارق معاك اللي عملتيه فينا!!

كتفت ذراعيها:

- فسخت خطوبتي لا أول ولا آخر واحدة تعملها.. انتو اللي قلبتوها دراما.  
زفرات متقطعة أطلقها قبل قوله:

- دراما!! تخسريني أخويا وأكثر حد وقف جنبي، تدمري اللي طول عمره  
وعمرى كنا بنحافظ عليه، العيلة دي، وتقولي دراما!! بس هقول إيه ما أنت  
مش هتفهمي لأنك عشتِ عمرك كله من غير عيلة، ومتأكد إنك هتندمي.  
وكان لجملته الأخيرة السابق في إثارة غضبها هي الأخرى:  
- متساالش بقى وسط كل الكلام الكبير ده مين السبب في إني عشت من غير  
عيلة.

لوح بذراعه في الهواء:

- ارحمينا بقى.. ماهو علشان الغل اللي جواك ده بتخربيهها، عايزة تدمريلي  
العيلة اللي اتحرمت منها، ده انتقامك اللي مش عارف هيوصل لحد فين!!  
صفق بكفيه ليضيف ساخرًا:

- برااافو.. بجد برافو، فاضل إيه تاني لسه ماعملت هوش انتقامك الجاي من  
مين؟! مني أنا، ويا ترى بمساعدة مها ولا جهود خاصة.  
أطرقت رأسها للحظة محاولة العودة لهدونها فهي تعلم جيدًا أن عليها تخطي  
كل ذلك.

عادت تنظر له:

- بعيدًا عن أي شيء، أرجوك بلاش مها، دي زي الإزاز هتتكسر بسهولة،  
بلاش تنذيهها.

ارتكنت بسمة ساخرة على شفثيه:

- لو في أي حد هيتنذي فأكيد كنا وبسببك، أنت ضيعت كل حاجة وصلتلها،  
رجعتيني لنقطة الصفر، مش أنا بس كلنا.

ظلت ترمقه بصمت فلا كلام سيجدي نفعًا، التفت مغادرًا غرفتها وقبل أن يغلق  
بابها قال:

- حتى لو ندمت برضو مش هتعرفي ترجعي اللي خسرتيه.

- مش هندم.

قالتها بعنادٍ واضح ليرمقها بنظرة حنق أخيرة صافقًا بابها خلفه.  
زفرت هي الأخرى تنفت عن غضبها، تعود وتجلس على فراشها بذات  
العصبية، هل سيبقى الحال هكذا طويلًا؟!.

أليس من المفترض أن يدعم أخته، لكن متى كان بسام لها داعمًا؟! حتى أمها  
لم تكن لها دعمًا سيبقى عليها الاتكال على نفسها وما ترغب.  
تعالى رنين هاتفها لتمسك به ترمق الاسم ببسمة، لا تصدق أنها عادت لتسمع  
صوته من جديد، حلم طفولتها ومراهقتها قد عاد، ولن تسمح لأحد أن يحوله  
لكابوس لها.

- أيوة يا معاذ.

- يا قلب معاذ.. يا اه كل ما تردي عليا بحس إني بحلم.

تنهيدة غادرت شفيتها، تستلقي على فراشها:

- تصدق وأنا.

- طيب إيه؟!.. مش يالا بقى خلينا نتجوز يا بوسي.

- معلىش يا معاذ لازم نصبر شوية، الدنيا مقلوبة عليا هنا زي ما فهمتك،

ماحدث هيوافق على الموضوع ده دلوقتي، الدنيا تهدي الأول وترجع الميه  
لمجاريها مع ماما وأخويا وأكيد ساعتها هنقدر نتجوز.

- خلاص اللي تشوفيه المهم بقى نتقابل علشان في حاجات كتير عايز أفهمها،  
هنفضل مقضيها تليفونات كده.

ضاقت عيناها للحظة، أحقًا ستفعل؟!.

هي كبرت الآن وتعدت مرحلة المراهقة التي كانت تدفعها دفعًا للمغامرة ومع

ذلك كانت تخشى جدًا الخروج معه، والآن وقد كبرت وتعلم أن هذا لا يليق

أستفعلها?!.

- بوووسي.. أنتِ روحتِ فين؟!.

- معلىش يا معاذ بلاش حكاية نتقابل دي.

- نعاااااام، لالااااااا، تأجيل جواز وقلنا ماشي كمان مش هشوفك، كسبت إيه أنا  
بقي.. انسي يا بوسي لازم نتقابل. ده حتى في التليفون هما كلمتين وبتقفلني.. لا  
بقي خلاص أنا هقول لماما ونتجوز.

اعتدلت جالسة لتزفر:

- معاذ اهدى بقي.. صبرت أربع سنين اصبر شوية كمان.

صمت بعد جملتها تلك، نعم صبر أربع سنوات، عانى فيهن الكثير، أو عليه أن  
يعاني المزيد؟!!

ليس لديه أي نية لهذا.

- يعني مكفكيش الأربع سنين دول يا بوسي عايزة تزوديهم عليا مش كفاية أنت  
بس اللي كنت فاهمة ومقررة وأنا اللي كنت ضايع ولا فاهم اختفيتِ ليه ولا  
بسبب مين، ده أنا كنت هتجنن يا شيخة.

مطت شفيتها لتقول ما كانت تتجاهله:

- يا سلام ما أنت كنت عايش حياتك يا أخويا مع ست نرمن بتاعتك، ده أنا  
شوفتك بعيني.

وكانها رأت انتفاضته مع كلماته:

- ايبيه؟!.. شوفتيني؟!.. امتي ده وفين وشوفتِ ايه؟!!

- ما علينا هبقي احكيلك بعدين، سلام بقي أحسن احنا طولنا أوي.

استمتعت لنداءاته المتكررة كي لا تقطع الخط لكنها فعلتها وهي تضحك، تشعر  
أنه لم يتغير كثيرًا وكان تلك السنوات الأربع لم تمر عليه أبدًا.

غادرت مكانها لتقف أمام المرأة، مرت سنوات، لابد أن ملامحها تغيرت كما

تغيرت ملامحه ولكنها تعي أن أيضًا داخلها تغير، أصبحت أكثر هدوءًا فيما

يخصه، لكنه كما هو، لازال معاذ المتهور الذي يريد أن يحقق ما يريد ولا يهم  
النتيجة.

وعادت الذكريات تراحم رأسها لترفع من وتيرة دقات قلبها، وضعت كفها على

صدرها تبتسم بحبور، ولكن ليس طويلًا فسرعان ما يظهر في الصورة لتنزوي

بسمتها وتعود تلك الغصة المؤلمة لقلبها والتي لا تعرف سببها حتى الآن.

جاهين، ابتعد وسافر دون أن يودع أحدًا، ولا أحد يعلم متى سيعود، لكنها تعلم أنه حتمًا سيعود على الأقل من أجل العمل، لن يترك كل شيء لمجرد أنها تركته، وكم تخشى من عودته، إحساسها ينبؤها أن القادم حين يعود لن يكون هينًا أبدًا.

عليها أن تُعجل بأمر خطبتها لمعاذ قبل عودة جاهين، ولكن كيف ستفعل هذا.. كيف؟!!

وقف أمام بابها الذي أغلقه، تلاحقه أنفاسه في محاولة للتهديئة.. كم يكره عندها واستكبارها، بسمة لا تعترف بخطأ قط، وعليها أن تتعلم هذا.. أغلق عينيه وقلبه يأخذه لكلمات أخرى نطقت بها أخته..

"أرجوك بلاش مها... بلاش تنذيتها"

التفت لنهاية الممر حيث درجات السلم التي توصله لها، لم يستطع أن يمنع نفسه عن ضربات الشك التي ضربت قلبه، أكان الأمر كله خطة وانتقام من عائلته وعمته، أشارت مها فيها بالفعل؟..

هز رأسه رفضًا، خوفًا، أملًا..

أعمى هو كي لا يدرك، وهل كان جاهين أعمى كي لا يدرك؟! ولهذا لا يستطيع أن يمنع نفسه عن التفكير، قلبه يدافع بقوة وعقله يقاوم بشدة..

والتأرجح بينهما يرهقه، عليه أن يصبر، حتمًا سيجد الثغرة التي إما أن تثبت اتهاماته أو تنفيها، وعليها أن تتحمل لو كانت تحبه كما تقول..

أما هي فجلست على فراشها تبكي، نظرات الشك التي تملأ عينيه تقتلها، أحقًا يشك بها؟!!

ألم يحبها؟! ألم يتعرف عليها بعد؟! ألم يفهم ما الذي يمكنها فعله وما لا يمكنها فعله؟!!

وطبيعتها تمنعها من أن تغضب، تتذمر، تلوم..

حاولت الحديث معه من قبل فكان رده مقتضباً واعتذر لها بسبب الأجواء بالمنزل ومدى افتقاده لجاهين، فلم تكرر المحاولة منتظرة أن يتخطى كل هذا، لكنه وكأنه يريد أن يتخطاها هي نفسها.

ستخسره؟!!!

الكلمة التي تمزق قلبها وتؤلّمها، هي لم تهناً به بعد، أفسدته بتلك السرعة، وبسبب من؟!!

مسحت عبرات وجهها لتجلس نانا جوارها تلوم كعادتها:

- افضلي أنت بس عيطي كده وخلص.

رمقتها بغیظ:

- عايزاني أعمل إيه؟!!

- أي حاجة، بدل قعدتك دي، ماتروحي تكلميه، اعمليلك أي منظر، يا هبله البعد

بيولد الجفا، الزقيله هو دلوقتي محتاجك أكثر من أي وقت تاني زعلان من بوسي واخذ جنب ومش لاقى جاهين فين بقى الصدر الحنين اللي هيطب عليه يطمئه، إن في حد بيحبه وعايز يبقى جنبه.

هزت رأسها بيأس ولا زالت عبراتها تهطل بصمت:

- أنت ولا فاهمة حاجة، ده شاكك فيا، نظرته دي بتوجع قوي.

- اوووف... يا بنتي اعقلي بقى، نظرة إيه وبتاع ايه، سيبك من كل ده، امسكي

فيه بإيدك وسنانك يا مها، احنا ما صدقنا وقعنا مع حد يرحمنا من الفقر وذلّه.

أدارت ظهرها وهي تزفر بحنق، الكلام مع نانا لا فائدة منه، ومع غضبها هي الأخرى من بوسي تشعر أنها وحيدة جداً.

تلوي نانا شفيتها اعتراضاً تسب أختها بسرّها.

التفتت تطالع هاتفها الذي انقطع عنه الصوت، فأصبح كقطعة خردة لا فائدة

منه، شهاب تجاهلها تماماً الفترة الماضية وحتى الآن لا تعلم لم فعل هذا؟!!

وكان كان له غرض ما وفشل في الوصول له فألقاها بطول ذراعه.

ترم شفيتها وهي تسب وتلعن فيه وفي نفسها.

.....

وقف يطالع المكان بابتسامة راضية، لن يستسلم لحزنه أو غضبه بل عليه أن يستمر، أن ينجح، أن يحقق ما يريد دون مساعدة منهما. لطالما فكر في الانفصال، وارتباطه بأخيه يعطله ولكن ها هو الأخ الذي فعل له الكثير هو أول من مزق تلك الروابط دون أي شعور بالندم.

هز رأسه يطرد تلك الأفكار التي تعكر دوماً صفو يومه، يستمع لكلمات المهندس شريكه الجديد في المكتب الهندسي الذي تم الانتهاء من ديكوراته وأصبح جاهزاً للعمل به.

تجاوره زينة التي لم تستطع إلا أن تشعر بالأسف من أجله، هذا الرجل الذي كان صاحباً ومديرًا لشركة عملاقة عليه التعامل الآن مع هذا المكتب الصغير، وإلى الآن لم تفهم السبب سوى أنه تعنت أم لا تدري لم تعامل أبناءها بتلك الطريقة؟ ولم يكن خفيًا عليها محاولاته في تجاهل ذلك الشعور برغم قصر معرفتها به، إلا أنها تعلم حاله حين يقاوم ما يضايقه أو يفرح بحق. قال سامر مهنئاً:

- تمام يا باشمهندس مروان، هایل.

اتسعت بسمة مروان قائلاً:

- إن شاء الله تكون فاتحة خير علينا كلنا.

أشار لغرفة المكتب أمامه قائلاً:

- ده هيبقى مكتب حضرتك وأنا الأوضة اللي جنبه على طول وأستاذة زينة بقى هتبقى هنا.

مدت عنقها لمكتبه لتجده أكبر من مكتب سامر، تمط شفيتها قائلة:

- وبتاعك أكبر ليه؟!!!

بُهِت الرجل لكلماتها ليحدها سامر بنظرته ففتححت قائلة:

- لا يعني أقصد ما شاء الله بتاعك كبير.

قال سامر بدلاً منه:

- لأنه مش مكتبه لوحده في مهندسة زميلة هتيجي تشتغل معاه.

مهندسة.. زميلة.. ولتاء التأنيث وقع غير سار في أذنيها، ولكنها قالت العكس:

- بجد.. أحسن برضو أهو نونس بعض.

هز سامر رأسه بيأس، تلك الفتاة لن تتغير، أردف مروان:

- هي على وصول، وإن شاء الله تكون شراكة خير.

- إن شاء الله، هنستى في المكتب لحد ما تيجي، تعالي يا زينة.

قالها سامر بحزم لتتبعه إلى غرفة مكتبه الجديد، كان فارغًا إلا من مكتب جديد

وضع عليه حاسوبه الشخصي، مع مكتبة صغيرة لا تحوي أي شيء من

الكتب بعد.

استقر على كرسيه، نظر لها وبدا على وشك إصدار أوامر جديدة:

- زينة.. ممكن نبقي عمليين في الشغل، بطلي تعليقاتك اللي مالهاش لازمة دي.

خفضت بصرها وقد ارتسم الضيق على ملامحها ولم تعقب، فأضاف:

- وحكاية نونس بعض دي، اسمعي عايزة تصاحبها براحتك لكن في اللي

يخصك أي كلام عني أو عن اللي حصل معايا مش مسموح، فهماني طبعًا.

وإن كان ضايقها بكلماته الأولى فالأخيرة آلمتها بقوة، تحدق به بغير تصديق،

أيتصور أنها ستلوك سيرته وسيرة أخيه في فمها لكل شخص، حتى أباه لم

يعرف تفاصيل ما حدث، فكيف يظن أنها ستفعل هذا مع فتاة لم تتعرف عليها

بعد.

قالت بصوت خفيض لا يتناسب مع طبيعتها التي يعرفها جيدًا:

- اللي توأمر بيه يا سامر بيه، بس أنا عمري ماكنت هجيب سيرتك في حاجة،

مش زينة اللي رئيسها في الشغل يبقى سيره على لسانها.

يبدو أنه بالغ في ردة فعله، وقف يقترب منها قائلاً:

- مش قصدي يا زينة، معلش.. أنا واثق فيك أكثر من ثقتي في أخويا وعلشان

كده مصر تفضلي معايا، وعايزك تعذريني شوية الفترة دي هكون عصبي

ومتوتر.

لم تنظر نحوه واكتفت بهز رأسها، طرقات على باب المكتب، تفتحه زينة، يدلف

مروان تتبعه فتاة.

فتاة تعلق بصر زينة بها مباشرة تخضع لفحص سريع.

هادئة الملامح، قمحية البشرة، شعرها البني مسترسل إلى منتصف ظهرها،  
باختصار أكثر جميلة وكفى!!

تقدمها مروان يقدمها لسامر:

- باشمهندس سامر.. الباشمهندسة راما.

استقبلها بابتسامة ودودة:

- أهلاً يا باشمهندسة نورت المكتب.

صافحته بحبور قائلة:

- منور بأصحابه.

تعلو وجهها ابتسامة زادتها جمالاً، تتابعهما تلك الواقعة وقد اشتعلت لديها كل  
أجهزة الإنذار الداخلية ولا تعلم السبب، فقط هناك خطر يحوم.

" ماخلاص ياختي هو إعلان سيجنال تو"

تمنت لو قالتها لكنها لم تتعد خلايا مخها العصبية.

التفت مروان إليها ليقول:

- الأنسة زينة هتكون سكرتيرة المكتب.

- أهلاً زينة.

لقد محت لقب الأنسة في لحظة أعليها أن تفعل المثل وتمحو لقب الباشمهندسة.  
لكنها اكتفت بهزة رأس قائلة:

- أهلاً بيك.

- تعالوا نقعد في مكتبكم علشان أوسع.

قالها سامر ليتحرك الجميع للمكتب المجاور.

جلس سامر على رأس المكتب يجاوره مروان بينما جلست زينة وراما في

الكرسيين المقابلين، بدأ سامر بالكلام وقد ارتدى حلة القيادة وهي ليست

بجديدة عليه، فبدأ طبيعياً جداً وهو يخطط معهم عما يجب فعله في المرحلة

القادمة وأهمها اكتساب ثقة العميل.

- أحب أظمنكم في شركة مقاولات كبيرة هنقدر نجيب منهم شغل لأنهم أصدقاء،  
وهما هيكونوا البداية إن شاء الله، بس مش هنفضل مستنيين يبعولنا برضو  
لازم نسوق نفسنا.

أوما الجميع بحماسة، نظر إلى زينة قائلاً:

- قائمة العملا اللي كنت إديتهالك معاك.

- أيوة معايا.

التفت لمروان وراما.

- عايزكم تطلعوا نماذج من شغلكم ويتعمل بيها برزينتشن كويسة لينا وتبعوها  
لزينة علشان تبعتها ايميلات، تمام.

- تمام.

قالها الاثنان معاً.

لنتسع بسمة سامر قائلاً:

- بمناسبة بقى البداية أنا عازمكم على الغدا، خلصوا بس اللي اتفقنا عليه  
وننزل نتغدى سوا.

أبدى كلاهما سعادتهما بهذا ليتركهما سامر بالمكتب ويعود لمكتبه تتبعه زينة  
لكنه أوقفها بقوله:

- خليكي على مكتبك يا زينة، لو عوزت حاجة هطلبك، أول ما يخلصوا الايميل  
ابعتيه على طول لكل العناوين اللي عندك.

- حاضر.

تبعته عيناها وهو يغلق بابه خلفه، سامر ليس سعيداً أبداً يمكنها أن تستشعر  
هذا، حتى حين يضحك لا يبدو هذا على عينيه.

ضربت رأسها بأناملها:

- عينيه إيه وبتاع إيه.. أستغفر الله العظيم.. نركز في الشغل أحسن.

وكانت على حق، فما إن اختلى بنفسه حتى أطلق زفرة قوية، هذا الشيء

الجاثم على صدره لا يبرحه قط، رفع كفه يلامس فكه الذي تلقى أول ضربة من

معاذ في حياته، وبرغم أن أثرها لم يكن بتلك القوة لكنها ضربت روحه قبل جسمه.

لا يصدق أن الأمور بينهما انتهت عند هذا الحد، لم يلتقِ به من حينها ولم ينتهِ هذا وكذلك معاذ وكان لم يكن بينهما صلةً يوماً.

" أنت فعلاً مت بالنسبة لي.. مت "

صرخ بها معاذ قبل أن يغلق الباب بوجهه، لكنه تصور أنه سيستفيق، سيعود، سيعتذر، سيتذكر كل ما فعله لأجله منذ مات والدهما، لكن لا شيء من هذا حدث.

وكانه بالفعل مات بالنسبة له.

جلس على كرسيه محاولاً الاسترخاء، أغلق عينيه وكما يحدث عادة رأى وجه أبيه.

"ماتسيبش معاذ لسما يا سامر"

- مش أنا اللي سيبتته.. مش أنا، سامحني يا بابا.

قالها بحزن بالغ، وشوق لرجل علمه كيف يكون أماً وأباً لكن هو لم يستطع أن يعلم معاذ ذلك، فأبوهما مات ولا يزال معاذ صغيراً لذا كان على عاتق سامر أن يعلمه هذا، لكنه فشل تماماً.

- واضح إنك هتكون أب فاشل يا سامر.

تنفس بعمق، اعتدل في جلسته قائلاً:

- سيبك من كل ده يا سامر أنت لازم تثبتلهم كلهم أنت تقدر تعمل إيه حتى من غيرهم.

أمسك هاتفه يضرب أزراره فجاء الجواب كسابقه فزفر بحنق:

- إيه يا جاهين أنت كمان كل مرة تليفونك مقفول... راح فين ده.

أمسك سماعة الهاتف الداخلي متصلاً بزينة التي أجابت سريعاً:

- هاتي نمرة أي حد من شركة الشربيني للمقاولات.

- ممكن أكلمك محمد المحاسب، نمرة متسجلة عندي.

- أي حد عايز أوصل لجاهين أو بسام.

- حاضر.

ثواني مرت قبل أن تدلف إلى مكتب سامر ترفع له الورقة.

- محمد بيقول الباشمهندس جاهين مسافر ودي نمرة الباشمهندس بسام.  
أخذها منها شاكرًا، أمسك بهاتفه ليقوم بالاتصال لولا دقائق على الباب نباتهما  
بحضورها.

دخلت ببسمتها الواثقة، لتقف أمامه تراقبها التي بجوارها بحرص:

- باشمهندس خلصنا البريزنتيشن الدعائية حضرتك ممكن تشوفها يمكن تحب  
تعديل فيها.

هز سامر رأسه:

- مافيش داعي أكيد اخترتم أفضل شغلكم يعني، اديها لزينة تبعتها.  
نظرت لزينة قائلة:

- طب يالا نبعثها سوى لأنها جزئين صور وتكست، يمكن ماتعرفيش تركيبهم  
على بعض في الميل.

ارتسمت إمارات الغضب على وجهها في لحظات لتقول:

- ماعرفش إيه يا....

- زينة.

أوقفها سامر قبل أن تطلق سياط لسانها على المسكينة التي أمامها ليردف:

- زينة معايا من فترة وبتفهم شغلنا كويس ماتقلقيش.. اديها لها.

قالت وقد شعرت بالتوتر من الأجواء المحيطة:

- طيب ماشي.. اتفضلي.

منحتها بطاقة الذاكرة لتأخذها منها وهي ترمقها بغیظ مكتوم، لتغادر المكتب

وتنظر زينة لسامر:

- سكتتي ليه ها... يعني إيه مش هعرف... دي حيا الله مقدمة هو فيلم.

فاجأها بضحكه على كلماتها مرددًا:

- حيا الله.

استمر ضحكه لحظات لتمط شفيتها اعتراضًا، قبل أن يهدأ ضحكه ويعود له وجوم وجهه.

جلست أمام المكتب وقد رأت حزنه الواضح كعادته منذ افتراقه عن شركته:

- أنت ليه مش عايز تفرح باللي حقيقته يا سامر بيه.

نظر لها لحظات بصمت يقول باقتضاب:

- ما أنا فرحان.

هزت رأسها نفيًا:

- مش باين.

تجاهل تعبيرها، رفع كفه لها مردفًا:

- هاتي نشوف اللي عملوه قبل ما تبعتيه.

- مش قلت خلاص مش مهم.

- عادي بديهم الثقة بس لا يمنع إني أشوف قبل ما تبعتي.. هاتي.

ناولته إياها ليلحقه بالحاسوب الشخصي الخاص به، يشاهد ما قاما بعمله، أما

هي فعادت تراقب ملامح وجهه الحزينة، لحظات تلوم نفسها على أنها حفظت

ملامح وجهه لهذه الدرجة، ولحظات يغلبها شيطانها في أنها تريد أن تطمئن

عليه، تريد أن تراه سعيدًا بحق.

- الشغل تمام ابعتيه.

أخرجها من أفكارها بكلماته، وقفت تتناول البطاقة منه، لكنها ظلت مكانها

ليسألها:

- في حاجة يا زينة؟!!

- هما تقريبا كده خلصوا.

- أه.. هنطلع نتغدى سوا.

هزت رأسها رفضًا:

- بس أنا هروح، بابا محتاجني بدري النهاردة، معلىش أشوف حضرتك بكرة إن

شاء الله.

رمقها لحظات قبل أن يوميئ برأسه:

- تمام اللي يريحك.

غادرت المكتب.

- صح يا زينة.. أنا مش فرحان.

أمسك هاتفه يتصل ببسام، في محاولة لإيجاد عمل يمكن أن يبدأ به في هذا المكتب الصغير.

هو يعلم أن سما ستعيق أي عمل يحاول القيام به، وهذا ليس بجديد عليها، يذكر كيف كانت تعارض أعمالاً صغيرة وتفسدها على أصحابها، وهو لم يكن يمانع، هذا عمل فلا بأس.

لكنه لم يتصور أن الأيام ستدور عليه ويكون أحد هؤلاء الناس.

جاءه رد بسام ليعرف نفسه أولاً فاستقبله بسام بترحيب، سأل عن جاهين ليؤكد له بسام سفره إلى كندا في زيارة لعائلته، وفي كلمات وجيزة أخبره سامر عن حاجته لأي أعمال صغيرة يمكن توكيلها لمكتب هندسي جديد وقد وعده بسام بالبحث في الأمر والاتصال به قريباً، ليشكره سامر بامتنان .

## الفصل الثاني

إيش تطلبي يا نفس فوق كل ده  
حظك بيضحك وأنتِ متنكدة  
ردت قالت لي النفس: قول للبشر  
مايبصوليش بعيون حزينة كده  
عجبي!!

### رباعيات جاهين

والهم صديقها الدائم وكأنه يأبى مخاصمتها، لم تجد خلاً وفياً لها قدره، كلما ظنت أنه تركها لحال سبيلها عاد والتصق بها كظلمها.  
زفرة حارة غادرت شفثتها، كلما فكرت في الأمر شعرت وكأنه كابوس عليها فقط الاستيقاظ منه، لكنه واقع، واقع مرير قررت ابنتها الوحيدة رسمه وإغراقهم فيه.

لقد ضربت الجميع بمقتل وهي الآن لا تبالي، لم تقدم حتى ولو اعتذاراً واهياً لا معنى له، بل تعاند كعادتها وتصر أنها فعلت الصواب. أي صواب في قطع أو اصر عائلتها بتلك الطريقة، أي صواب في إثبات كلمات سميحة السامة عنها، أي صواب في خسارة رجل كجاهين.

نظرته لها لم تفارق عينيها، الوحيدة التي رآته وهو يغادر حين كان الكل نياماً . استحت أن تحدثه وكذلك هو أيضاً عزف عن مخاطبتها، لكن عينيه قالت ما يكفي.

لامها!!

رأت هذا جلياً، لامها لأنها لم تخبره، لامها لأنها لم تكن صادقة معه حتى النهاية، لامها لأنها أخفت عنه ما دمر ما تبقى من احترام بينهما.  
وأدار ظهره وذهب، ونال قلبها ذات الغصة والوجع، وتمنت لو طلبت منه أن يسامحها ويسامح غباء ابنتها، التي حتماً ستدرك كم أخطأت. ولكن لم عليه أن

ينتظر أن تدرك، وكيف ستطلب منه أن يغفر ويسامح ويستمر في حبه لمن منحته صك كراهيتها عن طيب خاطر.

وعلى الجميع الآن التفكير في الخطوات القادمة، عادوا إلى نقطة الصفر وعليها أن تبني من جديد.

فهل ستتجح في هذا؟!!!

دلفت إلى غرفتها فتاتها الحنونة، التي تشاركها الهم بصمت كالعادة، فتحت لها ذراعيها تضمها إلى صدرها، يغلفهما السكون لحظات قبل أن تقول لها:  
- بسام خلاص كرهنى يا أبله بطة.

مسحت على رأسها بحنان:

- لا يا حبيبتي، اوعي تقولي كده، ولعلمك بقى ابني ما بيعرفش يكره.

اعتدلت تنظر إلى وجهها وقد عادت الدموع تزور عينيها:

- بس أنا شوفت في عينه اتهام ليا وكمان كلامه، ده فاكرونا كنا بنخطط لكل حاجة.

- معلىش يا حبيبتي هو زعلان على ابن عمه وأخوه، أنا هتكلم معاه.

- لا يا أبله بطة، ماتقوليش حاجة، مش عايزة أصدق إنه فعلاً شاكك فيا. ضمتها لها ثانية قائلة:

- ماتقلقيش يا مها، بسام بيحبك، شوية بس وكل حاجة هترجع زي ما كانت وأحسن.

تمنت لو تصدقها، لكن قلبها الذي هو دوماً منارتها يخبرها أن هناك كسرًا قد حدث وإصلاحه لن يكون سهلاً أبداً، ولم يكن هذا بعيداً عن تفكير فاطمة، ربما هي تثق أن الأمر أخف وطأً فيما يخص بسام ومها وأنها لن ترهق كثيراً في محاولة رآب الصدع بينهما، فهما يملكان قلبين يسهل ربطهما من جديد. لكنها تخشى وبشدة جنون ابنتها الدائم وتصرفاتها غير المحسوبة وكذلك ما قد تحيكة سميحة لتستفيد من الوضع الحالي، وهو ما لم يظهر لها بعد.

الانهماك في العمل سبيله الوحيد للنسيان، يحاول أن يشغل عقله قدر  
الاستطاعة بأي شيء إلا التفكير بما فعلته أخته، بالإضافة لغضبه المتراكم يوماً  
بعد يوم من فعلة جاهين.

رحل هكذا دون مقدمات بل ويرفض الحديث معه، لم يستطع إلا الحديث مع  
ميادة لتطمئنه أنه بخير.

لم يعاقبه؟! بماذا أخطأ؟!!

ضمة قبضته اشتدت على القلم الرصاص الذي بيده ليكسره نصفين دون أن  
يشعر، قبل أن تأتيه دقائق على باب مكتبه لينتظر صاحبها، ظهرت سكرتيرة  
المكتب قائلة:

- سميحة هانم عايزة حضرتك.

أوما لها برأسه وهو يلقي القلم في سلة المهملات، غادر مكتبه زافراً، لقاءاته  
مع سميحة دوماً تدور حول نفس النقطة.

دلف إلى مكتبها يجلس أمامها، تركت ما بيدها لتقول:

- لسه جاهين مش بيرد عليك؟!!

أوما برأسه إيجاباً، مطت شفيتها بسخرية:

- يستاهل، يالا أهو فاق وعرف إني كنت صح.. عقبالك.

- ماما!!

اعتدلت تطلق كلماتها التي لا تعلم كم تسبب له الألم لكنها تصر على تكرارها:

- يعني هتفضل خاطب البنت دي، ما تلحق نفسك بدل ما تاخذ نفس المقلب بتاع  
ابن عمك، ولا أنتو غاويين مقالب.

زفر بحنق وهو يشيح ببصره عنها قائلاً:

- مها مش كده.

ضحكت ساخرة:

- سمعت حاجة زي كده برضو من جاهين، أنتو مافيش فايده فيكو.. خليكو  
براحتكم.

- ماما أنتِ طلبتيني ليه؟!!

- اه فكرتتي.. إيه حكاية المكتب الهندسي الجديد ده، وازاي عايز تديهم شغل مهم زي ده.

علم أنها تتحدث عن مكتب سامر الجديد:

- ده مش حد مانعرفوش، ده مكتب جديد عمله سامر شاكر بعد ما ساب شركته الأصلية.

ضربت بأصابعها على سطح المكتب لتقول:

- أأه.. قولتلي، على فكرة سامر ده أول واحد بيشتغل لمصلحته الأول وجاهين أكثر واحد اتعامل معاه.

ضاقت عينا بسام بعدم فهم، لتردف سميحة:

- احنا مصلحتنا مع شركة الهيثم نفسها مش مع ابنهم ولا مكتبه، سما بلغتني إننا مانشتغلش أي شغل مع ابنها ده لأنه خلاص ساب الشركة وأنا مش هخسر شركة كبيرة زي دي علشان حته مكتب هندسي.

- بس ده كان شريك كويس.. كمان إحنا مش هنضر شغلنا مع شركة الهيثم، أنا هديهم سلسلة مطاعم صغيرة يعني حاجة لا يمكن تلفت نظر سما.

- يا ابني افهم.. واضح إن في مشكلة بينهم، وإحنا مالناش دعوة، في الشغل

دور على مصلحتك وبس وإحنا مصلحتنا مع سما مش سامر، الغي موضوع المكتب ده وابتعت لمكتب من مكاتبنا الأساسية.. أنا مش عايزة مشاكل.

صمت بسام للحظات، هو لا يعرف سامر بشكل أفضل، وكما قالت سميحة المهم هو العمل.

- حاضر.

اكتفى بتلك الكلمة ليغادر مكتبها، قصة سامر لا تشغله كثيرًا، والمصلحة في النهاية للعمل فقط.

عاد لمكتبه، وجد محمد في انتظاره، الذي أثبت جدارته كمدير مكتب له ولجاهين.

جلس على الأريكة بينما يراقبه محمد يقول بصوت هادئ:

- كلمت جاهين؟

اكتفى بهز رأسه نفيًا فقال محمد مواسيًا:

- معلى، أكيد هو هيتصل بيك.

رفع بسام عينيه إليه يرمقه بصمت قبل أن يقول:

- أنت كنت عارف إن بسمة ممكن تعمل كده.

صمت محمد برهة، كلمات فاطمة لازالت في رأسه، بسام سيفقد الثقة في

الجميع وعليهم أن يعذروه ويثبتوا له العكس.

- لأ، خالص.. أنا بجد كنت فاكِر إنها مبسوطَة، سر بسمة عادة مع نانا، بس

اللي أنا فاكِرهُ كويس إن نانا كانت من أكثر المتحمسين لجاهين وده اللي

محسني إن كل اللي حصل كان بقرار من بسمة لوحدها.

استند بمرفقيه على ركبتيه:

- أنا حاسس في حاجة لسه مش واضحة، كل حاجة كانت ماشية كويس، إيه

اللي حصل؟!.. نفسي أعرف إيه اللي حصل!؟!

جلس محمد جواره ليقول:

- أنت جربت تسمع بسمة، أنا شايف إنك بتعاقبها علشان خاطر جاهين، بس

أنت توأمها هي مش جاهين، يعني المفروض تكون جنبها، تفهمها، يمكن تقدر

تحل المشكلة.. مين عارف!!

كلمات لربما نبهته للمرة الأولى، أنه بالفعل يتعامل مع بسمة على أنها الغريبة

وجاهين هو القريب، برغم أنها المفترض الأقرب له الآن. ولكن الواقع غير

ذلك، جاهين له أخ وابن عم وصديق، أما هما حتى الآن لا يجيدان الحديث معًا.

فهل هذا خطؤه هو؟!!

- صحيح، أنا جهزت ملف شغل المطاعم اللي هنبعته لمكتب سامر شاكر.

عاد بتركيزه للعمل ليقول:

- لا خلاص الغي.

عقد محمد حاجبيه:

- ليه؟!!

- في مشاكل بينه وبين شركة الهيثم ودي اللي معاها معظم شغلنا الكبير، فبلاش ندخل في النص، اتصل اعتذرلهم بأي حجة، وابتعت الملف لمكتب من مكاتبنا الرئيسية.

وليس عليه إلا الطاعة ليومئ له بتفهم ويترك غرفة المكتب إلى مكتبه الملاصق له، يتصل بزينة ويخبرها باعتذارهم، كي تبلغه هي إلى سامر.

لم يبدأ العمل بعد، لازال الجميع يسعى لإثبات القدرة على العمل الجيد، والدعاية لمكتبهم، دون الدخول في عمل جدي بعد.

جلست خلف مكتبها تستمر في إرسال الرسائل الإلكترونية التي تحمل تعريفًا لهم ونوعية العمل الذي يقومون به.

انتبهت لتلك التي تمر جوارها في طريقها لمكتب سامر فأوقفتها:

- لحظة، رايحة فين؟!!

نظرت لها راما باستنكار:

- يعني إيه رايحة فين، شغل عايزة أوريه للباشمهندس.

دارت حول مكتبها تقف أمامها قائلة بعد:

- طيب ما تستني لما أقوله إنك عايزة تدخل.

ضافت عينا راما ولم تعجبها كلمات زينة:

- أفندم، هو أنا داخلة غرفته الشخصية، دي أوضة مكتب ثم أنت محسساني إننا في شركة كبيرة والناس داخلة طالعة.

زمت زينة شفيتها:

- على فكرة بقى باشمهندس سامر صاحب شركة مقاولات كبيرة جدًا، ماكنش بيقابل حد إلا بمواعيد.

عقدت راما ذراعيها أمام صدرها:

- وسابها ليه وعمل مكتب هندسي؟!!

فرجت شفيتها لكنها تذكرت تحذيرات سامر لها، فهزت رأسها لتقول:

- هو لازم يقدم لحضرتك كشف هيئة ولا حاجة، هو حر.

زفرت راما قائلة:

- طب ممكن تبعدني علشان أنتِ معطلاني.

أرادت تجاوزها لتمسك بمقبض الباب لكن زينة أمسكت المقبض معها لتمنعها قائلة بإصرار لم تفهمه راما:

- لأ، برضو هستأذنه الأول.

- وبعدين بقي.

قالتها راما بزعيق، ظهر سامر أمام الباب الذي فتحه بعد أن سمع صوتهما من الداخل.

- في إيه؟!!

وقبل أن تمنحه زينة الرد أسرعت راما بقولها:

- حضرتك دلوقتي إحنا يادوب اتنين مهندسين في المكتب وأكد هحتاج ندخل لحضرتك كتير مش معقولة كل مرة هنقف على الباب لحد ما حضرتها تدخل تاخذ الإذن، معذرة يعني أنا شايفة تضيع وقت بدون أي داعي.

نظرت زينة له في انتظار دعمه المتوقع وابتسامة النصر تلوح على شفثيها.  
- عندك حق، زينة إحنا مش في الشركة لما يكون عميل أو زائر معلش لكن الباشمهندسين يدخلولي في أي وقت، اتفضلي يا باشمهندسة.

ونقطة ماء واحدة على وجهها تعلمهما بمقدار الحرارة التي تشعر بها الآن خاصة مع نظرة راما المتشفية وهي تتبع سامر للدخل.

عادت إلى مكتبها وقد ضمت قبضتيها بقوة مرودة:

- إن شالله يكسروا الباب على دماغك أنا ماليش دعوة بعد كده، أنا الحق عليا اللي بحافظ على برستيجمك.

زفرات متتالية تخرجها في محاولة للسيطرة على غضبها، إلى أن رن هاتف المكتب، تجيب بنزق:

- مكتب بُنيان، أهلاً وسهلاً.

جاءها صوت تعرفه جيداً لترحب به إلا أن الكلمات التي قالها بعد ذلك لم تكن مريحة أبداً لتردف:

- يعني إيه.. مش هتبعولنا شغل، ازاي ده سامر كان واثق فيكم.
- والله يا زينة أنا مجرد بنقل رسالة رؤسائي، جاهين مش هنا، يمكن لما يرجع، بس حاليًا مافيش حاجة هنقدر نبعثها لكم... آسف.
- شكرته وهي تنهي المكالمة، يبدو أن الأمور لن تكون بالسهولة التي يتصورها سامر، رفعت رأسها ترى تلك المزعجة تخرج من مكتب سامر ولا زالت ترمقها بتشفي، أما زينة فلم تكن في مزاج يسمح بمجاراتها، غادرت مكتبها تطرق باب مكتب سامر الذي أشار لها لتقترب قائلاً:
- انسي يا زينة بقى برتوكول الشركة اللي كنا فيه، ده مكتب هندسي صغير، وكلنا هنا مهندسين زي بعض، على الأقل من وجهة نظرهم.
- اكتفت بهز رأسها بوجه متجهم، عقد حاجبيه قائلاً:
- في إيه؟! ترددت للحظة لتحسم أمرها:
- أصل محمد اللي من شركة الشربيني اتصل.
- هايل، هيبعتوا إيه؟! لم يزيد الطين بلة بتلك الحماسة؟!، هي تكره أن تحبطه.
- لا هو الحقيقة بيعتذر، مافيش أي حاجة ممكن يبعثوها لنا.
- تصلب وجهه، قالت سريعاً:
- بس قال يمكن يبعثولنا.. بس يعني مش دلوقتي.
- ظل يرمقها بوجه جامد، قبل أن يطرق رأسه لتقول:
- ولا تزعل، هو مافيش غيرهم ولا إيه، هما الخسرانين، إحنا بعثنا لناس كتير وأكيد حد منهم هيعجبه الشغل وهيتصل بينا.
- ماشي يا زينة، اتفضلي أنت.
- تمنت لو تخفف عنه أكثر لكنها تعلم أنها لن تنجح في هذا، سامر يحارب لكي ينجح الآن وأي إمارت فشل لن تكون جيدة أبداً.

استدارت تتركه وحده، استند بمرفقيه على سطح المكتب يضع رأسه بين كفيه، الحرب بدأت سريعاً وسما يبدو أنها كونت حلفاءها، وهو لن يلوم أحداً، هكذا كان عمله؛ مصلحة الشركة أولاً وهذا ما يفعله الجميع.

عليه الابتعاد تماماً عن كل حلفاء سما، ولكن كيف وهم المفترض حلفاؤه هو أيضاً، لكنهم بالتأكيد سيفضلون التعامل مع الشركة الكبيرة بدلاً من مكتب هندسي صغير.

هل عليه أن ينتظر الاعتماد على الشركات الأخرى؛ التي لم تتعامل مع شركته من قبل؟!..

عاد ليلاً كما يفعل دوماً منذ رحل جاهين، وكان البقاء في المنزل دونه غير مريح بالمرّة، كلمات محمد شغلته كثيراً، هو بالفعل لم يسمع بسمّة كما يجب، فقط صراخ وعراك واتهامات متبادلة. فهل سيتغير شيء لو استمع لها؟. زفر مفكراً قبل أن يترك غرفته يذهب إليها، لكنه توقف حين رآها، مخطوبته التي أصبح قلما يتحدث معها، تخرج من غرفة فاطمة. انتبهت له في الحال، حاولت الابتسام، تريد أن تذيب تلك الثلوج التي تبني بينهما يوماً بعد يوم، لكنه ككل مرة لا يتسجيب فقط يرمقها بصمت، فمحت بسمتها وأطرقت رأسها أرضاً وبقيت مكانها وكذلك هو. لحظات صمت أعلمتها أن لا شيء سيتغير، فاستدارت مبتعدة تصعد درجات السلم عائدة حيث غرفتها وأختها.

- مها.  
أوقفها نداؤه فالتفتت له بلهفة واضحة، وتماسكت لتظل مكانها، اقترب منها هو حتى أصبح أمامها يقول:

- أنتِ كنتِ عارفة إن بسمّة هتعمل كده؟!!

السؤال الذي يبحث عن إجابته مع كل فرد إلا صاحبة الشأن.

الاتهام يفوح من كل حروف كلماته، وعليها أن تعتاد هذا حتى يعي العكس، اكتفت بهز رأسها نفياً.

عقد حاجبيه وبدأ الغضب يلوح على وجهه:

- أومال إيه اللي حصل؟!.. فجأة كده قررت تسببه!!  
صمتت هنية لتقول بعدها:

- أكيد لأ، جرب تسمع السبب منها من غير خناق.  
أنهت جملتها تستدير صاعدة إلى غرفتها، وقلبها يشكو لها جفاهه، وهي  
تصبره بحق حبه له.

زم شفتيه ضيقاً، الكل يتحدث عن سماعه لها وكأن هذا سينهي المشكلة، أم  
يريدون إقناعه أن الخطأ خطأ جاهين.

مستحيل هو يذكر كلمات جاهين جيداً وأكثرها ألماً له.

"أنا مبقاش راجل لو سمحت لدبلتها تفضل في أيدي"

إذاً الخطأ كله على أخته، فما الذي يمكن أن تقوله لتبرئ ساحتها؟!..

استدار يقف أمام باب غرفتها المغلق، طرق عليه فأجابته من الداخل بوضوح،  
دلف إلى الغرفة يجدها تستند إلى إطار نافذتها المطلة على شرفة الحديقة، يبدو  
أنها كانت شاردة، تبادلا النظرات للحظات قبل أن تعتدل قائلة:

- خير؟!..

أغلق الباب خلفه، سحب كرسي منضدة الزينة وجلس عليه مشيراً إليها:

- ممكن تقعدني علشان نتكلم.

نالت شهيقاً قوياً يتبعه زفير وكأنها تكتسب طاقة لما سيحدث. جلست على  
طرف فراشها أمامه واكتفت بالصمت، ليقول هو بعد برهة قصيرة:

- بهدوء كده ومن غير عصبية لا مني ولا منك، أنا نفسي أفهم، إيه اللي

حصل، فجأة قررت إن جاهين ما يناسبكيش، ولا ده كان قرار في دماغك من

الأول وكنت بتلعبى بيه، ولا هو عمل حاجة ضايقتك ومش عايزة تقوليها،

بجد يا بسمة كلميني، أنا أخوك، مش كنت بتقولي المفروض نكون أقرب من

كده، طيب خاينا نقرب.. عايز أفهمك.

لاحت بسمة غير مفهومة على شفتيها لتقول:

- تعرف كنت هفرح بالكلام ده لو كان علشاني، بس أنت هنا علشان جاهين،

عايز تفهم علشان جاهين، عايز تحل علشان جاهين.. مش علشاني.

أحقًا تراه هكذا، وماذا فعل هو ليثبت لها العكس؟!، كل مواقفها معها بالفعل كانت تحمل إمضاء جاهين، بل إن جاهين هو أكثر من حاول أن يصلح بينهما. ضاقت عيناه وهو يحدق بها لتكمل:

- مش هي دي الحقيقة يا توأمي.

هز رأسه نفيًا:

- لا يا بسمة، في الأول آه، غضبي وعصبيتي كانت علشان جاهين، بس أنا هنا دلوقتي علشانك، علشان من جوايا مش قادر أصدق إنك ممكن تكوني أنانية كده، علشان عايز أسمعك زي ما سمعت جاهين، علشان المفروض أسمعك أنتِ أكثر ما أسمع جاهين، لأنك توأمي.

وقالها كما قالتها ولوقع الكلمة عليها وعليه أثر طيب، ربما يولد به التوائم.

- اتكلمي يا بسمة، ليه فجأة قررتِ تسيبيه؟! أنتِ ماكنتيش ناوية تكلمي معاه؟! أشاحت ببصرها للحظات قبل أن تعود وتنظر له:

- أنا ماكنتيش ناوية أسيبه، أنا مش وحشة أوي كده زي ما أنتو فاكيرين، يمكن صح كنت وحشة وأنا بتكلم معاه، بس أنا كنت في حالة مش طبيعة وهو كمان خوفني.

عقد حاجبيه قائلًا:

- أنا مش فاهم حاجة.

انتبهت لكلماتها فليس من المفترض أن يعرف ما عرفه جاهين فربما سيزيد غضبه عليها.

- أنا قصدي يعني ساعة ما قتلته هسيبه كنت متوترة وقلقانة وهو اتعصب جامد فخلاني أخط في الكلام.

لازالت علامات عدم الفهم تتلاعب بلامح أخيها، فقالت:

- بص، أنا من زمان من قبل ما أعرفك أو أشوف جاهين، كنت .. كنت .. لم وقعها يبدو صعبًا.

- كنتِ إيه؟!!

تنفست بعمق في محاولة للسيطرة على توترها لتلقي ما بجعبتها:

- كنت بحب وكنت هتخطب للي بحبه، بس هو حصلته ظروف وأنا كمان وبعدها عن بعض، صدقتي كثير حاولت أنساه بس ماعرفتش، ولما جيت هنا وبعدها جاهين طلب يتجوزني، حسبته من ناحية عقلية بحتة، يعني هو ابن عمي وكمان كنت دايماً قلقانة من سميحة وحسيت أنه هيعرف يحميني منها. جملة قالتها وسط كثير لكنها سببت له الضيق، هل هي فاقدة الثقة به لهذه الدرجة لتتظر الحماية من جاهين وليس منه؟.

لكنها أكملت دون أن تنتبه لما تألم له.

- فوافقت، والله كنت هكمل عادي، كنت بقول يمكن هعرف أحبه أو حتى أتأقلم معاه ما هو مش كل المتجوزين بيحبوا بعض.

صمتت وكان الكلمات لم تعد تجد سبيلها للسانها، وانتظر هو حتى تحدد ما تريد قوله، مرت ثواني أخرى حتى قالت:

- بس فجأة شوفته، شوفت الإنسان اللي ماعرفتش أحب غيره، وكل حاجة اتلخبطت في دماغي، لقيت نفسي بفكر فيه زي زمان وأكثر.

وقفت وهو تلوح بكفيها:

- تفتكر كان صح أني أكمل مع جاهين وأنا عقلي لسه بيفكر في غيره.

- جاهين عرف كده؟!!!

اكتفت بأن أشاحت ببصرها بعيداً.

الآن فقط فهم معنى كلمات جاهين، رجولته التي شعر بها تنتقص وهو يسمع من الفتاة التي أراد أنها تحب غيره.

التفتت له تشير إلى نفسها:

- أنا عملت الصح، لا أنا ولا أنت ولا حتى جاهين هيرضى على نفسه يرتبط بواحدة بتفكر في غيره، أنت فاكرنى مبسوطه بكل اللي حصل، لا ده كان قصدي ولا نيّتي، أنا مش وحشة كده صدقتي... صدقتي.

قالت جملتها الأخيرة وقد خنقتها عبراتها التي تقاوم نزوحها إلى وجنتيها.

صمت لحظات طالت.

"مصدقك"

قالها لتصل إلى أذنيها، أيغنيها حقاً؟!!

وقف يقولها ثانية:

- صدقك يا بسمة، بس واضح إنك اخترت الطريقة الغلط لتوضيح الأمور، كان ممكن تفسخي الخطوبة من غير ما تجرحي جاهين بالطريقة دي.  
أومات برأسها:

- عندك حق، بس أنا ماكنش قصدي... ماكنش قصدي، لو تعرف الوجع اللي حسيته بعد ما مشي بسبب الكلام اللي قلته، أنا ندمت عليه بس فعلاً الكلمة الغلط زي التور الهايج عمرك ما تقدر تحكمها ولا تمنع أثرها.  
فرك بسام جبهته بأنامله، عقله يقاتل في محاولة لحل تلك المعضلة ولا يعرف كيف؟!!

- أنا مستعدة اعتذر له.

- مش لما يجي الأول.

قالها وهو يستدير يغادر غرفتها، فأوقفته بندائها:

- بسام.

التفت لها ليجد عبراتها قد وجدت سبيلاً لوجنتيها:

- عارف يوم ما سبت جاهين وجيت أنت وأنا بعيط تتخاتق معايا، كان نفسي أوي تقولي اهدي، تطبطب عليا وتقولي كله هيبقى كويس.

خفض بصره عنها للحظات، اقترب منها بينما تنظر له بوجه حزين رغم

البسمة التي على شفثيها ضمها إلى صدره يربت على ظهرها:

- طيب معلش، اهدي، كله هيبقى كويس.

لم تشعر إلا وهي تطبق عليه بكلتا ذراعيها تبكي بقوة، لا تعلم لم كل هذا

البكاء؟!، لكنها أرادت أن تخرج كل تلك الطاقة السلبية التي خزنتها منذ ما حدث.

وهو لم يبعدها، تركها تفرغ كل ما بداخلها من ضيق و غضب منه وعليه،

ليكتشف أنه بالفعل أبعد ما يكون عن أخته الوحيدة.

.....

كان صباحًا أكثر هدوءًا في بدايته على الأقل، استطاع أن يريح عقله من الاتهامات المتتالية التي كان يطلقها طوال الوقت على أخته، إلا أن مرور الوقت وتفكيره في كلمات أخته جعله لا يزال يقاوم شيطانه الذي يريد إقناعه أنها تدعي كما كانت تدعي من قبل، فهي لم تخبره من هو هذا الذي رأته وأين رأته وهو كما لو أراد تناسي الأمر ولم يسألها، ربما للحظة خشي أن يضيق عليها الخناق فيظهر كذبها، الصراع الدائر داخله يرهقه أحيانًا، يريد أن يراها برئية وفي نفس الوقت يخشى أن يكون تحت وطأة خدعة جديدة.

اتصال على هاتفه أجابه دون انتباه ليأتيه صوت سميحة:

- أنت في الشركة.

- أيوة.

- طب تعالى مكتبي حاليًا، عايزاك في موضوع مهم.

أغلق الهاتف يتحرك إليها، همومه تثقل كاهليه والعمل كذلك، وجاهين في وسط كل هذا غائب.

دخل مكتبها يلقي بجسده على الكرسي المقابل لتسأله:

- أنت كويس؟!!

أوما برأسه:

- الحمد لله، خير يا ماما.

- طب ركز معايا علشان هقول كلام مهم جدًا.

اعتدل وقد استرعت على انتباهه، تشبك أصابعها على مكتبها قائلة:

- أنت دلوقتي ماشاء الله أثبت جدارتك في إنك تمسك الشغل حتى في غياب

جاهين، وكمان أنا بفكر جدبًا أخفف من مسؤولياتي، وبما إنك شغال كمهندس

وبس فأنا عايزة اديك مسمى وظيفي رسمي وأنقلك صلاحيات كثير تساعد إنك

تمشي الشغل أسرع.

عقد حاجبيه قائلاً:

- مش فاهم، مسمى وظيفي؟!.. اللي هو إيه يعني؟!!

ترقبت ملامح وجهه وتمنت أن ترى فيهم الطموح والرغبة في التقدم والتفوق وهي تلقي عليه بكلماتها.

- مدير تنفيذي للشركة.

تجمدت ملامح وجهه للحظة مردداً:

- مدير تنفيذي؟! .. مش دي وظيفة جاهين؟!!

- مش رسمي، أنا اللي كنت ماسكة كل الصلاحيات وفي حاجات بدهالكم بتوكيل، دلوقتي بقى عايزاك أنت تبقى رسمي مدير تنفيذي وتوقيعك على العقود والورق يكون تحت المسمى ده.

لازالت تبحث عن أي علامات فرح فلا تجد.

- طب وجاهين؟!!

- ياالدي جاهين، وهو فين جاهين، مش سابنا وسافر من غير ولا كلمة، ده لو يهमे الشغل فعلاً ماكنش المفروض يعمل كده، حب إيه وزفت إيه اللي يخليه يرمي الشغل ورا ضهره شهر بحاله، وعموماً يعني هو مش هيترفد، ممكن يبقى النائب بتاعك يا سيدي مش مشكلة لما أنت تغيب لأي ظرف هنمشي توقيعك هو.

هز رأسه بعدم اقتناع، وشعور بحفرة نار جديدة تفتح على مصراعيها في العائلة.

لتردف هي:

- أنا كام يوم كده وهطلب اجتماع المساهمين وهرشحك للمنصب وهما مش هيعترضوا، وساعتها هقولك مبروك يا أحلى مدير تنفيذي، ابقى انزل اشترى كام بدلة جديدة كده وبلاش لبس كاجوال خالص، تمام.

رمقها بصمته الذي يضايقها لتهد رأسها بيأس:

- يا ابني افرح، ايه الكآبة اللي أنت فيها دي؟!!

- ماما، ممكن نستنى جاهين الأول وبعدين نتكلم في الموضوع ده؟!!

- لأ، مش هستنى حد، اللي يسبب الشغل من غير أي تفكير أنا كمان مش هفكر فيه، يالا روح كمل شغلك.

أنهت حوارها كعادتها، وعلى الجميع السمع والطاعة، هكذا تدير سميحة الأمور، لكنه لن يسمح بمزيد من التصدعات في تلك العائلة، وما تريده سميحة سيكون الضربة القاضية التي تهدم كل شيء على الرؤوس. غادر مكتبها بصمت، يعلم أن الجدل معها لا يفيد، هي قررت وستنفذ، أم عليه أن يقف في اجتماع المساهمين ويرفض المنصب ويضعها أمام الأمر الواقع، وماذا لو هي من فعلت وأتمت الأمر في كل الأحوال. يجب أن يعود جاهين وبسرعة.

عاد لها شعور فقدته لأيام، حديثها مع بسام بل وبكاؤها على صدره أراحها كثيرًا، وتنامى داخلها إحساس بأن الأمور ستكون على ما يرام، عليها مصالحة أمها الآن والتي ستكون أصعب من بسام كثيرًا. وبعدها ستسعى قدمًا في إتمام خطبتها بمعاذ.

تريدها خطبة سعيدة بلا منغصات، بلا مضايقات، بلا عراقات، متى ستنال فرحتها دون سرقتها بقوة وكأنها ليس حقها المشروع. كم تتمنى أن تكون سعيدة يومها كما حلمت دومًا، وهذه المرة ليس بجوار أمها فقط بل وبجوار توأمها أيضًا. تنهدت بأمل:

- امتي يارب.. امتي؟!!

تركت غرفتها تذهب إلى أمها، التي مهما حاولت مصالحتها ترفض، وكم يؤلمها هذا، ألم يكفها ما عانتها في الماضي؟! أليس من المفترض أن تدعمها الآن. لم تصر على تجاهل رغباتها وعدم فهمها؟!!

فتحت الباب تطالع وجه أمها التي ما إن رأتها حتى أشاحت بوجهها بعيدًا، اقتربت منها بسمة وجلست على طرف فراشها:

- ماما، مش كفاية بقي، على فكرة بسام صالحني وفهمني، امتي هتفهميني أنتِ كمان؟!!

نظرت لها أمها بضيق:

- وأمتي أنتِ هتفهمي إنك عملتِ غلطة عمرك؟  
أمسكت بكف أمها راجية:

- علشان خاطري يا ماما كفاية مخاصمة بقي أنا مش عارفة أعيش كده، ماما  
أنا عارفة إن جاهين ده أحسن واحد في الدنيا وكل الكلام الحلو اللي أنتِ  
عايزاه، بس أنا بحب واحد تاني.

سحبت كفها من بين أصابع ابنتها تقول بحزم:

- واحد لا يمكن هينسى إحنا كنا إيه، واحد أمه لما تعرفنا هتفضل تبصلك على  
إنك خدامة بنت خدامة، يا بنتي افهمي، الجواز مش حب وبس، الجواز ده  
حاجات كتير أوي مش موجودة بينك وبينه... افهمي قبل ما تدمري حياتك  
كلها.

ضاقت عينا بسمة تقول بتحدي:

- بس هنجح يا ماما، ادونا فرصتنا بس وإحنا هنجح.

هزت فاطمة رأسها بيأس مرودة:

- مافيش فائدة.. أنتِ مش عملتِ اللي أنتِ عايزاه وخربتيتها علينا كلنا، عايزة  
إيه بقي؟.

- عايزاك في ضهري يا ماما، عايزاك تفضلي معايا وتسانديني.

نظرت لابنتها بشفقة، أهي عمياء لهذه الدرجة كما كانت هي في الماضي؟ ألم  
يفدها تعليمها بأي شيء؟!، ألا ترى أن حياتها مع هذا الشاب لن تكون سعيدة  
أبدًا؟، أتتركها لتجرب؟!، ولكن هل الزواج والطلاق لعبة يمكن أن يترك الآباء  
أبناءهم ليعيشوها كتجربة ثم يتركوها إذا فشلوا؟!.

هزت رأسها نفيًا وكأنها تنكر على حالها هذا التفكير:

- ماقدرش أساندك في حاجة عارفة إنها هتقلب حياتك جحيم وعمرك ما

هتشوفي سعادة من وراها، أنا أمك اللي مايهمهاش في الدنيا غير مصلحتك.  
نظرت لها بسمة بصمت.

وبقي الوضع على ما هو عليه، كلتاهاما تسير في الاتجاه المعاكس بإصرار  
شديد، فهل إلى لقاء من سبيل؟!.

.....

ضاقت عيناه ليمسك بالهاتف متصلًا به للمرة الثالثة على التوالي دون رد، فكررها رابعة فخامسة، سيصيبه بالقلق حتمًا ويرد.  
وبالفعل سمع صوته لأول مرة منذ سافر ولكنه غاضب منه ومن تجاهله كثيرًا فلم يتبادلا التحية حتى، فقط صوت جاهين القلق:  
- في إيه يا وافي؟! قصدي بسام.. في حاجة حصلت؟!  
وافي؛ مازال يقولها لأنها أكثر قربًا للسانه.  
- اسمع يا جاهين، من غير كلام كثير أنت لازم ترجع، عمتي سميحة هتعمل اجتماع مساهمين وعايزة تديني وظيفة المدير التنفيذي للشركة بشكل رسمي وأنت هتبقى النائب.  
هب جاهين واقفًا مرددًا صيحة استنكار فأكمل بسام:  
- جاهين أنت عندي أهم من كل ده، أنا مش عايز الوظيفة دي.. أنا..  
- مش هتمن عليا يا بسام بيه، الوظيفة دي حقي لأنني أكثر حد تعب في الشركة دي، أنا راجع بكرة.. سلام.  
قطع الاتصال يحدق بسام بالهاتف، ليتأكد أكثر وأكثر أن جاهين تغير، تغير كثيرًا!!

## الفصل الثالث

آه لو أنا ومحبوب جزنا الفضا  
في سفينة وحدينا.. وأشيا رضا  
ساعة صفا تعجبنا نرجع لها  
والهم قبل ما يجي.. يبقى مضى  
عجبي!!

### رباعيات جاهين

وكان مشاعر المراهقة عادت تراودها من جديد، تلك المشاعر التي تكون في أوجها ويخشى الكثير منها ومن عدم الاستعداد لها، فكل شعور خلالها يكون في ذروته، سواء حباً أو كرهاً.

قلبها بل عقلها يذكرها بها، وهي تخطو بخطوات سريعة حيث ستلتقي به بعد طول رجاء وإلحاح منه، تتسلل إلى شفيتها تلك البسمة الضاحكة على حالها. أستعود بالزمن إلى أيام مراهقتها وصباها؟!!

وصلت إلى حيث اتفقا، مطعم هادئ في حي راقٍ لا يزوره الكثير. رائحة منعشة تجتاح من يخطو إليه مع تلك النغمات الموسيقية الهادئة، الاضاءة لم تكن قوية لكنها لم تجد صعوبة في رؤية هذا الذي يلوح لها بسعادة بالغة، لتتسع بسمتها أكثر وهي تقترب من طاولته، أراد أن يمسك بيدها فأبعدها، رمقها باعتراض، جلست قائلة:

- عامل إيه؟!!

مط شفتيه باستنكار يجلس مكانه:

- إيه المقابلة الباردة دي؟!!

استمرت بسمتها على ثغرها:

- عايزني أخدك بالحضن، مش كفاية اللي عملته أول ما شفنتي، دانا كنت هروح في داهية لو حد شافنا.

- علشان تعرفي كنت وحشاني أد إيه؟! قالها بحب واضح ليتبادلا النظرات قبل أن تستعيد انتباهها:
- معاذ، إحنا محتاجين نتكلم.
- أكيد طبعًا، ما أنا بتحايل عليك بقالي شهر على المقابلة دي، المهم تقولي لي الأول، أزاي تسمحي لنفسك تتخطبي لواحد غيري؟.
- عقدت حاجبيها مرددة:
- زي ما سمحت لنفسك تبقى في حضن واحدة غيري.
- ماحصلش.
- قالها برفض قوي.
- أنا شوفتك بعيني!!
- هز رأسه بعناد:
- أيوة فهميني بقى إيه حكاية شوفتيني بعينك دي، وأزاي ماكلمتنيش ساعتها؟! تنفست بعمق فلديها الكثير لتقوله.
- الأول عايزة أفهمك إيه اللي حصل في حياتي وغيرها أوي كده وهقولك شوفتك أزاي وامتى؟!.
- تمام سامع، اتفضلي.

.....

وكان المعركة ستبدأ باكراً، تلك المعركة التي يعد نفسه لها منذ رحل، وها هو يعود أسرع مما توقع بسبب قرارات عمته التي لن تتغير أبداً مهما حدث، كادت تخسر بسام بسبب ما فعلته، واختار بسام عائلته لبعض الوقت ومع ذلك لازالت تفضله عن الجميع وتريده أن يكون هو الحاكم بأمره بعدها.

إلا أنه لن يسمح بهذا أبداً، وعلى الجميع أن يستعد، وكما قالها لنفسه مراراً وتكراراً.. جاهين سيهتم لنفسه فقط!!

ولكن يطمئنه قليلاً أن معركته تلك ستنتهي سريعاً لأن بسام ليس نداً فيها وهذا كفيل بأمر عمته، عليه بعدها أن ينال سلطته المطلقة على البقية، وسيجد الوسيلة لهذا حتماً.

توقفت السيارة أمام الفيلا، ترجل منها وقد ساعده سائقها في إنزال حقائبه، أعطاه أجره ورحل.

بدأت الفيلا هادئة كعادتها، فهي لا توحى أبدًا بما يحدث داخلها من انقسامات لطالما حدثت فيها منذ كان طفلًا، إلا أن سميحة كانت دائمًا الفائزة وهذا ما ينوي تغييره.

جر حقائبه يتخطى البوابة التي انتبه حارسها له، يحيي قدومه، رد التحية وسأله عن من بالمنزل حاليًا، أخبره أن كل من بسام وبسمة في الخارج وبالطبع السيدة سميحة أما البقية ففي الداخل.

عقد حاجبيه متسائلًا، لا يعتقد أن سميحة ستسمح لبسمة بالعودة للشركة:-  
- بسام وبسمة خرجوا سوا؟!!

- لأ يا بيه، بسام بيه خرج في ميعاد الشغل بدري أما الأنسة بسمة خرجت من شوية.

أوما متفهمًا ليكمل طريقه إلى الداخل. خطواته بطيئة وعيناه تتفحص المكان، والغصة عادت تضيق الخناق على قلبه لكنه تجاهلها، كما قرر أن يفعل في كل شيء يخصها.

فتح الباب يندف إلى المنزل، يجر حقيبتيه خلفه ويصعد درجات السلم، أراد أن يكون هادئًا، ولا يشعر أحد به، عليه الحديث مع بسام أولاً قبل أن يظهر لعمته أي رد فعل.

وقف أمام باب غرفته ولا شعوريًا نظر لباب غرفتها، رمقه للحظات قبل أن يدير رأسه مرددًا:

- كله هيعدي يا جاهين.. انسى.

اختفى داخل غرفته وأحكم إغلاق بابها خلفه.

استلقى على فراشه ينال بعض الراحة من رحلته الطويلة، لكنه تذكر أنه لم يحدث أمه بعد فأمسك هاتفه يتصل بها، أجابته في الحال لترقبها اتصاله، طمأنها أنه بخير ولم يطل الكلمات. أغلق الهاتف ليغلق عينيه كذلك ينعم بلحظات من الهدوء التي يعلم أنه سيعقبها الكثير من العواصف.

تتفقد البريد الإلكتروني على أمل أن تجد أي طلبات عمل جديدة، فالأمور لا تسير بشكل جيد منذ تم فتح المكتب ولم يتلقوا أي اتصال أو بريد لإتمام أي مشاريع.

زفرت بضيق لعدم وجود أي جديد، نظرت لباب مكتبه المغلق، هي على يقين أنه يحمل الهم أكوامًا على كتفيه في تلك اللحظات؛ خاصة أن كلا المهندسين هنا كانا يعتمدان على كونه لديه الكثير من الاتصالات الكفيلة بنجاح العمل وهذا ما لم يحدث بعد.

ظهر أمامها مروان تتبعه راما، اقتربا منها، قال الأول:

- ها يا زينة، مافيش أي أخبار؟!.

هزت رأسها نفيًا لتزفر راما بضيق:

- يا ربي.. بقى هو ده المكتب اللي هيشغل نار يا مروان.

- راما، اهدي.

ضاقت عينا زينة لتقول:

- أيوة إن شاء الله هيشغل ومش هتلاحقوا على الشغل كمان بس الصبر.

فركت راما جبهتها:

- أنا زهقت ده غير الصداع اللي هيفرتك دماغي.

التفتت تنظر لزينة:

- هو ليه مافيش أوفيس بوي، كل ما أعوز أشرب حاجة هقوم أعملها بنفسي.

قال مروان:

- وأيه المشكلة يعني يا راما، مش لما يبقى عندنا شغل يبقى نعين ناس جديدة.

زفرت بضيق وهي تلتفت تعود لمكتبها، لكنها توقفت ترمق زينة قائلة:

- صحيح ما أنت بتعملي للباشمهندس اللي بيعوز يشربه ما تعملينا إحنا كمان

ولا أنت تخصص سامر بيبية بس.

هبت زينة من مكانها، رفع مروان كفيه مهدئًا:

- ماتزعليش هي ماتقصدش، راما ده مش اختصاص زينة خالص.

هزت كتفيها بلا مبالاة تدخل إلى مكتبها ليعيد مروان اعتذاره لزيينة التي تجهم وجهها تمامًا.

عادت تجلس وهي تمسك بجوانب كرسيها بقوة، تلوم حالها، لم لم ترد لها الصاع صاعين؟! ما الذي أخرسها؟!، وماذا تقصد بلفظ سامر بيه الذي ضغطته بين أسنانها، أليس هذا اللقب التقليدي لأي رجل أعمال؟! أم.. أم أنها تريد أن تذكرها بالفارق الشاسع بينها وبينه؟! هزت رأسها بعنف.

- إيه اللي بتفكري فيه ده يا زينة؟!.. أهو ده اللي خرسك!!

لا يوجد بينها وبين سامر شيء، وهي لا تعامله معاملة خاصة، هو مديرها منذ البداية، ما المشكلة في أن تقدم له مشروبًا يحبه، وهي تعلم أنه لن يطلب منها لذا تقوم هي بذلك عن طيب خاطر، فلم تحاسبها؟! أطرقت برأسها للحظة، وعقلها يخاطبها..

من تخدعين يا زينة؟! تعلمين أن أهواءك تغيرت وخواطرك فيما يخصه تبدلت، ولهذا لم تستطعي أن تردي عليها، شعرت كمن ضبطت بالجرم المشهود، رغم ثقتك أن لا شيئًا سيحدث بينكما فهو من هو وأنت من أنت.

رنين هاتف المكتب أعادها للواقع، أجابت الهاتف ليأتيها صوت سامر:  
- ها يا زينة في حد بعث حاجة؟! -

- لأ، لسه.

صمت لحظات ليقول:

- طب تعالي.

وضعت السماعة تنال عدة أنفاس متتالية لتعود لطبيعتها، تذهب لمكتبه كما طلب، دلفت واستدارت تغلق الباب لكنها تراجع، لازال توترها يملكها. تركت الباب مفتوحًا ولم يعلق سامر بل ربما لم ينتبه من الأساس. أشار لها تجلس قائلًا:

- بصي يا زينة أنا عايزك تعملي سيرش واسع شوية بس في محافظات تانية بلاش العاصمة خالص، أعتقد فرصنا بره العاصمة أفضل.

أومات برأسها دون تعليق متجنبة النظر نحوه، أردف:  
- دوري على كل المشاريع الإنشائية الجديدة وكم ان أخبار المناقصات إيه ومين  
اللي بياخذها، بس زي ما فهمتك في المحافظات مش هنا.  
- حاضر.

انتبه أخيراً لحالتها التي لم تبدُ طبيعية ليقول:

- مالك يا زينة؟! .. في حاجة حصلت؟!!

هزت رأسها نفيًا لتقف قائلة:

- هروح أعمل اللي حضرتك طلبته.

رمقها للحظة قبل أن يكتفي بهز رأسه، لكنها لم تتحرك.

- في إيه يا زينة؟!!

- الباشمهندسة كانت بتسأل ليه مافيش أوفيس بوي.

- أه صحيح، طيب شوفي أنت حد، مش لسه هنصرف ونعمل إعلان، وانا أصلًا

مش هعرف أجيب حد بسرعة.

ظهرت بسمة غير مفهومة على شفيتها لتقول:

- صح، أكيد أنا هعرف الأقي حد لكن حضرتك هتعرف الناس دي منين؟!!

ضاقت عيناه بعدم فهم:

- نعم؟! مش فاهم.

نظرت له لبرهة قائلة:

- هو أنا ممكن أقولك باشمهندس زيهم، ولا لازم أقول بيه؟!!

وقف زافرًا:

- ماتقولي اللي تقوليه يا زينة مش هتفرق، بس أنت مالك غريبة كده

النهاردة؟!!

هزت رأسها:

- لا أبدًا، ماغريب إلا الشيطان، أنا هروح أعمل اللي حضرتك طلبته ويومين

بالكثير وأجيب حد يشتغل معانا.

استدارت مغادرة تتابعها نظراته المتسائلة، هز رأسه بعدم فهم، لكن هموم عمله تكفيه ليفكر فيها أكثر، سما لا تترك له منفذاً يخرج من خلاله، ولم يعد يفهم أهي تعاقبه لتجبره على العودة أم تريد أن تقتله في السوق بالفعل ليخسر كل شيء ولا يكون له غير أرباحه من أسهمه بالشركة. لكنها تعلم أنه لا يستسلم بسهولة فإلى أي مدى قد تصل مقاومتها له.

.....

استرخى على كرسيه الهزاز، يتأرجح برتابة، عيناه شاخصتان للسماء عبر زجاج يحتل مساحة عريضة من حائط غرفة مكتبه، كمن يخوض معركة فكرية، حتى أنه لم يشعر بمساعده وهو يذلف إلى مكتبه، يتنحج بصوت مسموع، فالتف له يرمقه للحظة قبل أن يعود لوضعيته قائلاً:

- ايه الأخبار؟!

اقترب أكثر قائلاً:

- سامر فعلاً ساب الشركة بعد خناقة مع أمه وأخوه، وختت أخوه الصغير هو المدير التنفيذي وسحبت صلاحيات سامر وهو فتح مكتب هندسي جديد. عقد حاجبيه معتدلاً:

- أخوه الصغير، عبيطة دي ولا إيه؟!.. هو الصغير ده يعرف حاجة.

- واضح إن في مشكلة كبيرة حصلت بينهم.

- طب وشركة الشربيني؟!

- جاهين لسه مسافر ومظهرش وسميحة وبسام بس اللي مشغلين الشركة وأخته لسه مدخلتهاش تاني.

ضم قبضته بعنف مردداً بحنق:

- نانا الغبية دي اللي ماعرفتش أستفيد منها بحاجة.

صمت مساعده دون تعليق لتمر لحظات صمت يقول بعدها:

- مش كنا فكرنا ندبساها في جواز عرفي.

- لا، نانا مش هتيجي معاها سكة العرفي دي، وأنا ماليش في الغصب وأنت عارفني.

- طب يا باشا على الأقل رجع منها العقد الغالي اللي جبتهاولها.  
التفت يرمقه بنظراته غير المفهومة قبل أن تلوح بسمة متشفية على شفثيه:  
- العقد!!.. يا دماغك، أنت جبتلي حته فكرة في مخي.. هااايل.  
وقف يقترب من النافذة ضاحكًا يتابعه مساعده بعدم فهم.

- نانا لازم تجيلي البيت والكاميرات تصورها وهي داخلة، وبعدها هخليهم كلهم  
يجوا لحد عندي.

التفت لمساعده قائلاً:

- هي دلوقتي من العيلة وكمان أخت خطيبة بسام، يعني تهمهم أكيد.. صح؟!  
- صح يا باشا.

رفع كفه مشيراً:

- هات التليفون.

أسرع يحمل الهاتف من على المكتب ويعطيه لرئيسه، الذي أمسك بالهاتف  
يتصل بمن تجاهلها لأسابيع، وكما توقع لم يجد ردًا، لعلها تعاقبه.  
عاد لضحكه قائلاً:

- بتتقلي يا نانا، إما وريتك أنتِ وعيلتك كلها، مابقاش أنا شهاب.  
وعلى الجانب الآخر،

تفاجأت هي باتصاله الذي انقطع لفترة، نظرت للهاتف مطولاً حتى انقطع  
الاتصال، تتساءل ما الذي ذكره بها الآن، ألم تنته قصته معها؟!  
أم لعله افتقدها؟!!

وعادت أوهام لطالما عاشتها تراودها من جديد.

.....  
انتهت من قص الكثير عليه حتى أنهما لم يشعرا بالوقت ولا بالشمس التي  
غربت وهما لا يزالان داخل المطعم، يعلو وجهه الدهشة حينًا والبسمة حينًا،  
وقلبه يتغنى بسعادة أنها أمامه الآن كما حلم وتمنى دومًا، هو لم يفقد الأمل في  
رؤيتها، وثق بأن حبه هذا لن يذهب هباءً، تمسك به لآخر لحظة وها هو الفائز  
في النهاية.

يداعب خاتمها الذي لازال يزين بنصره كما كان دوماً منذ أهدته إياه، الخاتم الذي كان يمنحه شعور قربه منها، لكن هذا لم يعد مجرد تمنى، بسمة تجلس أمامه، يراها بعينه.

أمسكت بكوب الماء ترشف منه القليل ليرطب حلقها وشفثتها.  
- بس يا سيدي، وأدي ملخص كل اللي حصل من ساعة ما عرفت عيلتي الحقيقية.

عاد بظهره يستند على كرسيه:

- يااه يا بسمة، يعني كان برضو ممكن نتقابل وأنتِ بنت عيلة الشربيني، وأكيد كنت هحبك ما أنا خلاص بقيت مصدق أن القلب ده لايمكن يحب حد غيرك.  
مال بجذعه ناحيتها قائلاً بلوم:

- وشفثتِ ظلمتيني أزاى، موقف نرمى ده كان بسبب الخاتم بتاعك وفي الآخر تسيبيني وتمشي.  
لوت شفثتها:

- وأنا يعني كنت هعرف منين؟!

- كان لازم تكلميني يا بسمة.

- خلاص بقى اللي حصل، خلىنا في دلوقتي.

- أيوووة في دلوقتي، هاجي أتقدمك امتى؟!

فردت بيأس:

- مش هينفع خالص قلتك، مش قبل ما أعرف أصلح أموري مع ماما وأخويا كويس، أنا مش هتجوز بدون موافقتهم.

- يوووه، يعني برضو مافيش فائدة لازم يطلعنا عفريت.

نظرت لساعتها:

- يا نهار أبيض أنا غبت عن البيت كثير قوي، لازم أمشي.

أمسك بكفها يمنعها من القيام ليقول:

- وغبتِ عني أكثر وأكثر يا بوسي مستخسره فيا كام ساعة.

ظلت مكانها لتسحب كفها من بين أصابعه، تنظر له فحسب، يخالجه هذا الشعور ويجب أن تشاركه إياه بدلاً من خسارته ثانية.

- اتحجبت إمتى صحيح!؟

- في الجامعة.

- شعرك وحشني لسه زي ما هو ولا اتغير.

لم تجبه بل أطرقت رأسها أرضاً، يهمس لها بالمزيد من كلمات حبه واشتياقه لها طوال الأربع سنوات.

أوقفته بقولها:

- معاذ، إحنا فعلا مش لازم نتقابل وبلاش الكلام ده.

- ليه بقي أنا بقول الكلام ده لأنني بحبك.

- وأنا كمان، ومع ذلك خسرنا بعض فترة طويلة، معاذ أنا يمكن مكنش متدينة بس اللي فات فهمني إن اللي بنعمله ومايكونش يرضي ربنا هنخسره بسهولة، مها قالتلي كده وفعلاً حصل، أنا مش عايزه أخسرك تاني، فبلاش.

- يا بوسي مابقولك نتجوز وأنت بتقولي لا!؟!!

- أنا مش هتجوز من غير أهلي يا معاذ، اصبر بس شوية، إحنا مش عواجيز يعني، اصبر.

زفر ساخطاً:

- أنا صابر بقالي سنين، ولسه عايزاني أصبر كمان ومن غير ما أشوفك ولا أقعد معاك، أنت بتحبي تعذبيني ليه!؟!

- يا معاذ صدقني، أنا بعمل كل ده علشان نكون مع بعض في الآخر ومن غير أي مشاكل، نفسي أفرح بجد من غير خوف ولا قلق ولا خسارة حد يهمني. زم شفتيه بعدم اقتناع:

- ومقابلتنا بقي هي اللي هتعمل كل ده، براحتك يا بسمة.. براحتك.

أشاح ببصره عنها ووجهه يحمل كل أمارات الغضب والضيق، وكأنها لا تعي، لا تشعر، لا تدري كم تعذب وعانى في حين هي قررت أن تقبل بتهديدات سامر وتنسحب من حياته للأبد.

- معاذ.

نادته برجاء، فالتفت لها قائلاً:

- دايمًا بتثبتي لي أن عمرك ما حبتيني زي ما بحبك.

وانتقل غضبه لها لتقول مدافعة:

- وعرفت منين، كنت معايا وأنا بتوجع وأخوك بييجبرني أبعد عنك، كنت معايا

لما اضربت من أمي بسببك، كنت معايا لما مشيت آخر مرة شوفتك فيها وأنا

بعيط بقهر لأنني مش هشوفك تاني وكمان من غير ما أنت تعرف.

- كان لازم تقولي لي.

- عمرك ما هتفهم لأنك مش مكاني ولا وضع أهلك كان وضعي... سامر...

- خلاص، مش عايزة أسمع اسمه تاني، كويس إن ماما طردته من الشركة وأنا

كمان طردته من حياتي.

رمقته لحظات:

- ده أخوك، ومسيركم تتصالحوا، بجد يا معاذ أنا عايزة فرحنا يكون فيه كل

الناس وهي مبسوطة وفرحانة لينا بجد، ده حلمي.

لم يعلق وارتسم الغضب على وجهه، فابتسمت قائلة:

- طب أنا اتأخرت بجد ولازم أمشي.

- هو أنا ماسكك.

ضحكت بعفوية، نظر لها بضيق.

- خلاص يا سيدي ماتزعلش قوي كده، هقابلك تاني بس مش كل شوية بقى

تقولي نتقابل.

لانت ملامحه قليلاً، ليومي برأسه فوقفت قائلة:

- صالح أخوك، يالا سلام.

- استني أوصلك.

- لااا.. أحسن حد يشوفنا.

ضرب كفًا بكف:

- مافيش فائدة!!

لوحث له قبل أن يقول المزيد وهي تختفي من أمامه في لحظات، ليجد نفسه مبتسماً متذكراً تسلسلها الدائم حين يكونان معاً بحديقة القصر.

.....  
وصل للمنزل وعقله مشغول بوصول جاهين من عدمه، كلماته كانت واضحة سيصل اليوم ولم يتلق منه أي اتصال، صعد الدرج بقفزات متتالية إلى أن وصل لباب غرفة جاهين، أطرق سمعه لحظات فلم يصل له أي شيء، أمسك هاتفه يتصل برقمه الجوال، وصله رنين عبر الهاتف ورنين عبر باب الغرفة، تهلت أساريره، جاهين هنا!!

لم ينتظر ردًا، ألقى الهاتف بجيبه وأسرع بفتح الباب الذي كان مغلقًا من الداخل، فعقد حاجبيه مناديًا:

- جاهين.. افتح!!

ومن الداخل اعتدل جاهين على فراشه الذي استقر عليه منذ وصل ولم يتحرك تقريبًا.

وقف يخطو إلى الباب بدون أي حماسة رغم ما يعتمل داخله من افتقاد لصديقه وأخيه الوحيد. تلك المشاعر التي قرر أن يعمل على ترويضها كي ينجح فيما يسعى.

فتح الباب بالفعل يطالعه وجه بسام المبتهج برويته، يبادلُه النظرات ببسمة هادئة على ثغره وفي اللحظة التالية كان بسام يضمه إلى صدره بقوة، كم كان يخشى أن يبتعد عنه جاهين للأبد، ولا يعلم لمَ خطر هذا بعقله، فجاهين ليس طفلًا يفارقهم فقط لفسخ خطبة. لكن شعوره بمدى حب جاهين لأخته هو ما جعله يصل إلى تلك المرحلة المتطرفة في التفكير.

ربت جاهين على ظهره قائلاً:

- أزيك يا وافي.. يوووه.. بسام.. معلش لسه مش متعود؟

عاد بسام خطوة ينظر له، يبحث عن نظرة جاهين التي يعرفها دومًا لكنها لم تكن موجودة، هناك جدار من الجمود يحول بينه وبين رؤيته لجاهين القديم، الذي غاب عنه فقط شهر ولكن وكأنها كانت أكثر.

ليفاجأ جاهين بدفعة قوية في صدره كادت أن تسقطه أرضاً.  
ارتد جاهين للخلف من أثر الدفعة يقول بدهشة:

- في إيه يا مجنون أنت؟!!!

خطا بسام للداخل وأغلق الباب خلفه قائلاً:

- أنا لو عليا أعمل أكثر من كده، أنت أزاي تعمل كده، تسافر وماتقوليش وكمان

مش بترد على تليفوناتي.. أنا غلطت في إيه علشان تعاملني كده؟!..

أطرق جاهين رأسه قبل أن يجلس على طرف فراشه قائلاً:

- بلاش نتكلم في حاجة فاتت، لأن خلاص دي صفحة واتقفلت ومش هفتحتها

تاني، أنا كنت محتاج أكون لوحدي، وماحبتش أدخل في أي كلام ممكن

يضايقتي، واديني رجعت أهو يا سيدي وخلينا في المهم، عمتي حددت ميعاد

الاجتماع؟!!

زم بسام شفتيه غضباً:

- هو ده اللي مهم بالنسبة لك دلوقتي.

حدجه جاهين بنظرة لم يعتدها بسام منه ليقول:

- بسام بلاش تضايقتي.

أشاح بسام بنظره بعيداً يجيبه:

- أيوة، الاجتماع بعد يومين.

- تمام، أما تروح الشركة بكرة ابعتلي ايميل بقائمة المساهمين كلهم

وتليفوناتهم.

- أنت مش هتنزل الشغل بكرة؟!..

- لآ، أنا هاجي يوم الاجتماع، أكون كلمتهم كلهم، أنت عمتي هترشحك وأنا

هرشح نفسي ونشوف.

هز بسام كتفيه:

- وعلى إيه كل ده، ما أنا هرفض الترشيح وبكده تبقى أنت المرشح الوحيد

ونخلص.

هب جاهين واقفاً:

- لأ، هنسيبهم يختاروا، أنا ولا أنت.  
رمقه بسام بصمت، وعقله لا يزال يريد استيعاب التغير الذي أصاب جاهين، هل يريد الآن أن يحدث تفضيل بينهما؟، أم يريد أن يثبت له أنه يثق بأن المساهمين سيختارون الأكثر خبرة والأقدم في العمل؟ وهذا طبعًا جاهين.

- أنت عايز تثبت إيه يا جاهين؟!.. إنك أحسن مني في الشغل، طب مآنا عارف، مآنت اللي معلمني كل حاجة، أنا واثق ومتأكد إنك أحسن واحد يدير الشركة دي، لازمته إيه بقى كل ده؟!!

- لأننا مبقناش صغيرين، وجه الوقت بقى إن الدنيا تمشي بقواعد وبشكل واضح، أنت لريك في الشركة أدي، وفرصتك أد فرصتي، يبقى نسيب المساهمين هما اللي يختاروا بالانتخاب، وبكده كل واحد يبقى مقتنع بمكانه من غير ما حد يمن على حد ولا يجور على حد، أعتقد ده شيء مايزعلكش.

هز بسام رأسه مرددًا:

- لا أبدًا مايزعلكش، اللي تشوفه.

استدار يغادر الغرفة، ومشاعر حزن عارمة تتعاطم داخله، فتح الباب قائلاً:

- نسييت أقوك إنك وحشتني.

ولم ينتظر الرد بل لم يتوقع واحدًا، ليغلق الباب خلفه.

.....

وصلت إلى المنزل على عجل، تتمنى ألا يلاحظ أحد تأخرها كي لا تضطر للكذب، وهي تحمل معها بعض أكياس التسوق للتموية، مرت سريعًا من أمام الحارس تدلف إلى المنزل ولم تجد أحدًا بالردهة، صعدت درجات السلم، تجد بسام يخرج من غرفة جاهين ويغلقها خلفه، لتضطرب ضربات قلبها بشكل

مفاجئ... "هل عاد جاهين؟!!"

انتبه لها بسام حاولت الابتسام فظهرت مشوهة، منحها نظرة باهتة لا روح فيها وهو يلتفت إلى غرفته أسرع خلفه تقول بصوت يكاد يكون مسموع:

- مالك؟! هو جاهين رجع؟!!

أوما برأسه وكأن قلبها فعليًا سقط بين قدميها، ذهب بصرها تلقائيًا لباب غرفته المغلق، بينما بسام يفتح باب غرفته هو قائلاً:

- جاهين اتغير أوي.. والبركة فيك.

عقدت حاجبيها واستعادة رباطة جأشها:

- تاني يا بسام إحنا مش اتكلمنا.

نظر لها نظرة لا تختلف عن الأولى في شيء ولم يمنحها أي تعليق وأغلق الباب في وجهها، وهي تحديق به بعينين متسعيتين.

ترم شفتيها مرددة:

- مافيش فايده.

التفتت تطالع باب غرفته المغلق، اقتربت بهدوء حذر، وقفت بجوار الباب لعلها تسمع صوته، قبل أن تعتدل وهي تنهر حالها.

"بتعملي إيه يا معتوهة أنت"

تفر إلى غرفتها خشية أن يفتح الباب فيراها أمامه.

أغلقت بابها تقف خلفه ثوانٍ قبل أن تدور في غرفتها بغير هدى إلى أن توقفت قائلة:

- في إيه؟! .. ماتهدي كده!!

جلست على طرف فراشها تتنفس بعمق في محاولة للسيطرة على انفعالاتها، تعلم جيدًا أن هناك حدث يجب أن يقع.

أعليها أن تكون هي البادئة؟!!

أتعتذر له؟!!

هزت رأسها:

- لأ، كده هفضل في نظره الغلطانة.

عادت تقف لتردد:

- كده مش هينفع، أعمل إيه يا رب، نفسي أفرح بجد من غير غم ولا خناق،

فكري يا بسمة زي ما خربتيتها لازم تظبطيها.

رغم شعورها الجارف أن هذا شبه مستحيل، جاهين لن يعود لسابق عهده أبدًا ولن تستعيده كما كان، لكنها فقط تأمل أن يعود ابن عمها وكفى. وحتى هذا لن يكون سهلًا، حتى لو لم يحبها، لقد أهانتها، ما من رجل ليقبل بهذا، ستبقى كلماتها له كنقطة سوداء في سجلها معه، ولن يقبل معاذ أبدًا. عليها الاعتذار، وهذا ماستفعله.

## الفصل الرابع

فارس وحيد جوه الدروع الحديد  
رفرف عليه عصفور وقال له نشيد  
منين..منين.. ولفين لفين يا جدع  
قال من بعيد ولسه رايح بعيد

عجبي!!

رباعيات جاهين

تململت في فراشها وقد نالها الكثير من الأرق طوال الليل، تستيقظ العديد من المرات قبل أن تعاود النوم مجددًا، نهضت عن فراشها بإرهاق واضح، فما أسوأ من ليلة بدون نوم جيد، الشيء الوحيد الحسن في الأمر أنها صلت الفجر في وقته ولم تضيعه كعادتها.

ارتدت ملبس الصلاة، تخرج إلى شرفتها تستنشق بعض هواء الصباح، ما إن فتحت النافذة حتى تصلب جسدها، إنه هو!!

اقتربت من سور الشرفة تستند عليه بكفيها، يجلس هو في مكانه المعتاد مستندًا على تلك الشجرة ممسكًا بكتابه المفضل، أصبحت تعرفه من شكله، رباعيات جاهين.

مطأطئ الرأس، يقرأ لم تستطع رؤية ملامح وجهه بسهولة. وعادت دقات قلبها تتسارع، والتوتر يغلبها، وكذلك تلك الذكرى الوحيدة لها معه في تلك البقعة، حين قرأ لها رباعية من ذلك الكتاب، ونظرته لها التي حملت الكثير من المعاني.

ولم يكن هذا حالها وحدها، هذا الجالس أمامها أرضًا أيضًا كان يتذكر، أراد أن يعود لحياته الطبيعية وهي ليست فيها، سيفعل كل ما كان يفعل بدونها، ولكن لم وكأنها قد التصقت برأسه، كلماته لها حينها، هروبها من أمامه، وشعوره لأول

مرة أنه بالفعل أصبح يملك مشاعر لتلك الفتاة، ولا يعلم هل كان معجباً بها من البداية أم أنها مشاعر وليدة اللحظة؟.

ودون أن يشعر رفع رأسه فرآها، تلتقي أعينهما للحظة منذ شهر، لحظة لم تدم لثواني قبل أن يعاود النظر لكتابه، وكأنه لم يراها!!

رد فعل ضايقها لتقبض على سور الشرفة بكفيها، قبل أن تستدير وتعود إلى غرفتها وهي تغلق نافذتها بقوة، أهذه طريقته الجديدة معها؟؟، سيعاملها وكأنه لا يراها؟!

وهي الغيبة التي كانت تفكر في الاعتذار له، تبا له، لن تعتذر أبداً.  
ليتحول غضبها لحزن، وبدأ ضميرها في تأنيبها مذكراً إياها بفعلتها وأن رد فعله هذا ربما كرم أخلاق منه.

ولا تنكر أنها كانت تتوقع الأسوأ ولا زالت، فنظرت العابرة تلك للحظة أخافتها أكثر مما ضايقتها، وكأنه يقول، "أمهليني!!"

أما الجالس على الأرض فقد بذل جهداً مضنياً كي يحافظ على هدوئه، رآها فأبعد بصره عنها سريعاً، لا يجب أن ترى غضبه، حنقه، لا يجب أن تشعر أنها بالفعل سببت له الألم، يجب أن تعلم أنها لم ولن تعني له أي شيء.  
نظر لصفحات الكتاب لتلتقط عيناه بعض الكلمات..

فارس وحيد جوه الدروع الحديد  
رفرف عليه عصفور وقال له نشيد

منين.. منين.. ولفين لفين يا جدع  
قال من بعيد ولسه رايح بعيد

عجبي!!

ليمط شفثيه مبتسماً بحسرة:

- بتقول حكم يا عم صلاح يا جاهين.

لاح له خاطر أن ينظر لنافذتها ثانية لكنه صرفه سريعاً، لينهض عن الأرض مغلقاً الكتاب وينفض ثيابه وقبل أن يتحرك وصل له تنبيه على هاتفه، طالع

ليجد رسالة إلكترونية من بسام لينظر فيها ويجد قائمة بما طلب من أسماء وأرقام هواتف، لتتسع بسمته:

- هايل يا بسام.. واللعب هيبقى عالمكشوف يا عمتي العزيزة.  
تحرك بسعادة عائداً إلى المنزل، يعلم من البداية أن بسام لن يكون له نداءً ومن الجيد أنه في صفه من البداية، لكن عليه أن يلقن عمته درساً، سترى بنفسها كيف سيتم اختياره في اجتماع المساهمين، فهو من علم بسام كل شيء، هو الأقدم والأعرف بالشركة وما فيها، لن ينال أحد مكانه الذي حلم به دومًا.  
ضاقت عيناه وارتسم الإصرار فيهما، فلا شيء سيثنيه عما قرر أن يصل إليه.

وقفت أمام المرآة تجفف وجهها مما علق به من قطرات ماء، لا زالت ملامح وجهها متجهمة، لا تعلم ماذا داهاها، كأنها تلقت صفة بشكل أو بآخر، صفة أعادتها للواقع، وجعلتها تدرك أكثر ما قد يراه الناس ولا تهتم هي به، وعادت لعقلها نفس الكلمات، أين أنتِ وأين هو؟!  
أغلقت عينيها عن ملامح وجهها التي لا تحب أن تراها هكذا.  
- زينة.

نداء أبيها أجبرها على الالتفات لتحاول الابتسام بود فتفشل.  
- مالك يا بنتي؟! .. متغيرة من امبارح؟ في حاجة حصلت في الشغل؟!  
صمتت هنية لتقول:

- لا أبداً يا بابا.  
- على حكم يا بنت حكم.  
هذه المرة ابتسمت بحق:  
- الشغل واقف والدنيا كلها واقفة.. مش عارفين هنعمل إيه؟!  
وفي ذلك حجه طيبة، أم عليها الاعتراف أنها اكتشفت أن رئيسها في العمل أصبح يعني لها الكثير.  
- ربنا يفتحها عليكم ويوسع رزقكم.  
- آمين يا بابا.. ادعيلنا وادعيلي.

منحها دعاءه المحبب لها، بأن يحفظها الله من شر الناس وشر نفسها.  
تذكرت أمر الساعي الذي تناسته لتسأل أباها من يمكن أن ينال تلك الوظيفة،  
صمت أبوها يفكر قبل أن يقول:

- اسألي الست زكية ببيعة الجرجير كانت بتشتكي إن ابنها مش لاقى شغل  
وشغال باليومية ومتبهدل، أهم دول أولى على الأقل ابنها بيحاول يساعدها  
ويصرف عليها.

أومات برأسها مؤيدة ليتركها ويخرج من غرفتها.

تعود وتتنظر في مرآتها، تحمل هم يوم عمل جديد، لطالما نصحتها أبوها مع  
دخولها لعالم المراهقة أن تبتعد عن أي خطر، عن أي فتنة، فقط أخبرها أن  
تدير ظهرها وتذهب ولا تلتفت.

ومرت تلك المرحلة بسلام، لم الآن تشعر أنها لن تقدر على أن تدير ظهرها  
وتذهب؟! وهذا في حد ذاته مخيف جدًا لها.

زفرت تنال نفسًا عميقًا بدلت ثيابها واستعدت، لم تنسَ أن تمر على بائعة  
الجرجير لتخبرها، وسعدت المرأة بالأمر كثيرًا ووعدها أنها ستخبر ابنها  
سريعًا.

لتكمل طريقها الطويل عبر المواصلات العامة إلى أن وصلت للمكتب، تمسح  
وجهها مرة بعد مرة عله يتخلص من تجهمه فلا جدوى، تريد أن تستعيد  
طبيعتها فلا تستطيع مما يسبب لها المزيد من الضيق.

كانت أول الواصلين للمكتب كالعادة، فتحت ورتبت مكتب سامر ثم مكتبها  
وجلست في الانتظار، تقضي وقتها في مراجعة الرسائل الإلكترونية لعل يصلهم  
أي جديد.

وصل المهندسان بعدها بوقت قصير، ليلقيا التحية ويختفيان بمكتبهما، وبعدهما  
وصل سامر.

- صباح الخير يا زينة.

وقفت ترد:

- صباح النور يا باشمهندس.

كانت المرة الأولى التي تناديه هكذا فنظر لها مبتسماً لكنها حافظت على ملامح وجهها ثابتة ليقول:

- خلصتِ اللي طلبته منك امبارح.

- أيوة ومعايا جاهز.

- طب هاتيه.

أنهى جملته وهو يذلف إلى مكتبه لتحمل هي بعض الأوراق التي طبعتها خلال بحثها أمس تضعها أمامه على مكتبه.

- أنا كمان اتفقت مع حد يشتغل ساعي، بس لسه مارديش عليا.

- تمام.

توقف أمام إحدى الأوراق يتفحصها باهتمام ليقول:

- الشركة دي ممكن تهتم بشغلنا.

رفع الورقة لها لترأها مردفاً:

- ابعتيلهم المقدمة بتاعتنا، مع عرض بخصم كويس كهدية أول عمل.

أومات برأسها بتفهم، تمسك الورقة وتستدير.

- زينة.

عادت تنظر له ليقول:

- مش ملاحظة إنك متغيرة من امبارح، في حاجة ضايقتك ومش عايزة

تقوليهالي.

هزت رأسها نفياً:

- لا أبداً يا باشمهندس.. مافيش حاجة، عن إندك.

- طب عم حكم وسومة كويسين!؟

وها هو قال ما نزع عن وجهها تجهمه لتبتسم:

- آه الحمدلله.. كويسين.

ورضى هو بتلك الابتسامة فأوماً لها فانصرفت، فعاد يطالع تلك الأوراق أمامه إلا أنه شرد للحظة متذكراً هل حدث أي شيء غريب ضايق زينة، فلم يهتد عقله لشيء مختلف فصرف فكره إلى عمله.

.....  
مر اليومان سريعًا لم تشعر سميحة على الإطلاق بعودة جاهين الذي يعلم جيدًا مواعيد عودتها وذهابها فكان يتفادها، كما لم ينسَ أن يطلب من الحارس والخادمة عدم ذكر وجوده لأنه يعد مفاجأة لعمته العزيزة، وساعده منزلهم الكبير وكونها تسكن الدور الأرضي بينما غرفته في الدور العلوي، سيتركها تشعر بكل الأمان الذي تريد قبل أن يضرب ضربته، سيجبرها على أن تعترف به وتعي أن ابن أخيها الأكبر هذا ليس هينًا وأنه تلميذ نجيب لها بالفعل. أنهى عقد ربطة العنق، يتم تصفيف شعره فتعلو شفثيه ابتسامة رضا عن مظهره وهو ينثر عطره المفضل حوله.

تنفس بعمق قبل أن يحمل هاتفه وحافظته ومفاتيح سيارته، ويغادر غرفته. الممر هادئ كعادته في تلك الساعة من الصباح لكنه يعلم أن بسام سيحضر أخته للاجتماع باعتبارها من المساهمين الرئيسيين في الشركة. وهذا لم يهمه البتة، يعلم أنها هي أيضًا لا يمكنها أن تكون عائقًا أمامه. انتبه لخروج بسام من غرفته الذي رآه، يقترب منه بلامح لا تعبر عن الكثير قائلًا:

- هتسبقنا ولا هتستنانا.

علم أنه يتحدث عن أخته فقال:

- لا هسبق، أشوفك هناك.

أوما بسام برأسه ليلتفت جاهين مغادرًا تصاحبه نظرات بسام التي لا زالت تحمل حزنًا منه وعليه.

اقترب من غرفة بسمة يطرق بابها:

- يالا علشان متأخرش.

- حاضر دقيقتين بس.

هز رأسه بيأس، ذهب لغرفة فاطمة يعلم أنها لا تتأخر في النوم، وبالفعل كانت مستيقظة تجلس على سجادة صلاتها كعادتها في ذلك الوقت، رفعت بصرها إليه تشير له ليجلس جوارها.

دنا منها وخلق سترته كي لا تتجدد وجلس أمامها يشاركها سجاداتها يحاول  
الابتسام فيفشل، لتبتسم هي مشجعة:

- مالك يا حبيبي؟!!

أطرق رأسه قائلاً:

- قلقان.

- من جاهين؟!!

سألته فأوماً برأسه، وهي كذلك أصابها القلق، فمنذ عرفت بعودته تصورت أنه  
سيأتي لغرفتها يسامرها لبعض الوقت كما كان يفعل، لكنه حتى لم يمر ليلقي  
التحية لم تره ولو مصادفة في الطريق.

وكأنه يتعمد تجنب الجميع وهي منهم.

- جاهين مش طابق حد ولا حتى أنا.

قالها بألم واضح، صمتت تراقبه بشفقة، هز رأسه مردفاً:

- في حاجة مش طبيعية، الموضوع مش بس خطوبة واتفسخت.. أنا حاسس

إن جاهين شايل مني، كلامه معايا غريب، كأنه ما صدق حاجة حصلت فطلع كل  
القديم.

- يعني أيه يا ابني فهمني؟!!

- مش عارف يا ماما، عمتي كانت عايزه تخليني آخذ مكانه في الشغل وهو

مسافر.. كلـ

قطعت كلماته:

- اوعى يا ابني.. اوعى تسمع كلامها، أنا اللي فاهماه إنكم في الورث

متساويين بس جاهين الأكبر، اللي اشتغل أكثر وتعب أكثر.. اوعى تجور على

حق حد يا ابني بالذات ده، ده انتوا روحكو في بعض.

- أكيد طبعاً يا ماما، أنا عمري ما فكرت في كده، بس جاهين هب فيا لما عرف

رغم إنني بوضحه إن ده مش هيحصل، وحتى لما رجع كلامه مش على طبيعته

خالص.

- معلى يا حبىبى. يمكن يكون شائل من حاجة كده ولا كده، المهم أنت تفضل معاه وجنبه عارف ليه؟!!

نظر لها مبتسمًا، كم يحب حديثها العفوي معه:

- ليه؟!!

- قولتلى ليه..

لتضحك مضيئة:

- لأنكم واحد يا ابنى.. لأن مافيش حد هيرجع جاهين لطبيعته غيرك.

وكانت كلماتها السكينة التي أرسلها الله له، أحنى جذعه ليستقر برأسه في حجرها غير عابئ بملابسه المهدمة التي سيحضر بها الاجتماع، تتسع بسمتها وهي تمسد رأسه بكفها، وقلبها يتراقص فرحًا وشوقًا لقرب ولد اشتاقت له وكلما اقترب اشتاقت للمزيد وكأنها تعوض حرمانًا عاشته لسنوات وسنوات. أغلق عينيه هو الآخر يستمد حنانًا حرم منه، ربما كانت سميحة كأمه لسنوات، لكنه لا يذكر الكثير من لمسات كتلك منها له، صحيح كانت تحتضنه وتقبله ولكن لم ينم في حجرها هكذا كثيرًا حين اشتد عوده ولا يذكر أنه حدث بسبب مرضه الطويل واستقراره دومًا في المستشفيات.

أما هنا، مع لمسة أمه الحقيقية، يغمره شعور لا يضاهيه شعور آخر.

تتسع بسمته رويدًا رويدًا، إلى أن انسابت حروف اسمه إلى أذنيه منها. "بسام"

اكتفى بهمهمة وكأنه يريد أن يحافظ على لحظات السكون تلك لكنها أردفت: - مها.

ولم تكن تحتاج المزيد، يعلم أنها تلومه على تصرفه مع الفتاة التي لا حول لها ولا قوة، وكأنه يعاقبها كما يفعل جاهين بالضبط ويعاقب الجميع، أليس هو أكثر الناس الآن شعورًا بها بعد تصرف جاهين معه؟!.

اعتدل في جلسته ينظر لها، تبتسم بحبور مربته على وجنته.

لتنضم لهما بسمة قائلة:

- خلاص جاهزة.

تعلق بصر أخيها وأمها بها للحظات، بدت أنيقة وجميلة كمن اهتمت كثيرًا بمظهرها، لتلاحظ ذلك فتلعثمت قائلة:

- أنا بقالي كتير ماروحتش الشركة لازم أظهر بمظهر كويس.

ظهرت بسمة ساخرة قلما تراها على شفتي أمها لتربت على كتف بسام:

- يالا يا ابني علشان ماتتأخروش، انتو مش محتاجني صح؟!!

أجاب بسام:

- أنا هصوت بالنيابة عنك.

- أنت أدري يا ابني أنا مش بفهم في الحاجات دي.

تخرج بسمة يتبعها بسام الذي عاد لصمته معها، تهز رأسها بضيق وتقول:

- هو سبقنا.

اكتفى بهز رأسه بالإيجاب أوقفته تقف أمامه:

- بسام، أرجوك.. المفروض إننا اتصافينا.

- أيوة يا بسمة اتصافينا، أنا مش عامل كده بسببك أنا قلقان، خلي الاجتماع ده يعدي على خير.

أفسحت الطريق يكمل إلى سيارة بسام، تجلس جواره، تمر دقائق صمت خرج فيها إلى الطريق.

تقول هي باهتمام:

- أنت ناوي تعمل إيه بالظبط؟!، يعني هترفض الترشيح ولا هتسيبهم فعلاً

يختاروا ما بينكم، عارف أنا متهيألي لو عارضت الترشيح ممكن سميحة ترشح نفسها وتبقى الكل في الكل تاني، المفروض تقعد مع جاهين قبل الاجتماع

وتتفقوا هتعملوا إيه بالظبط.

لم يمنحها ردًا في الحال لتنادي عليه باسمه فقال:

- اعلمي بس اللي قلتك عليه، خلي صوتك لجاهين.

مطت شفتيها بضيق، لم تنسَ تجاهله لها، ولم تنسَ شعورها بالضيق من هذا لتقول بنزق:

- أنا إيه اللي يجبرني أصوتله المفروض أصوتك أنت.

قال بحزم:

- بسمه!! مش هنعیده تاني، ماتنسیش إنك مضطرة تقدمي حسن النية لو عايزين العيلة دي ترجع زي ما كانت، جاهين ده عمل المستحيل علشان تبقوا جزء من العيلة دي، ومع ذلك أهنتيه وجرحتيه، أرجوك بقى سيبنى أنقذ ما يمكن إنقاذه، اعلمي زي ما بقولك.

- وأنت واثق قوي كده ليه إن جاهين اللي هيكسب.  
وكان قلقة صار سرايا وهو يتحدث عنه قائلاً:

- لأنه جاهين.

تعلو شفتيه بسمه ثقة، في أن ما يسعى إليه هي المحاولة الأوقع لجاهين في أنه لا يريد إلا الحفاظ على علاقتهما، جاهين لن يبقى بعيداً لن يسمح له بهذا.

.....

وصل جاهين إلى الشركة وسط دهشة الكثير فلم يصل لهم خبر بوصوله من الأساس فأسرعت سكرتيرة سميحة لإعلامها بالأمر خاصة أنها تعلم أن هذا الاجتماع لن يضم جاهين.

هبت سميحة من مكانها صائحة:

- بتقولي إيه؟! .. جاهين هنا؟! .. هو رجع امتي ده؟!!

هزت الفتاة كتفيها بجهل لتقول سميحة بعصبية:

- طب شكله إيه؟!!

تذكرت الفتاة هيئته المميزة لتقول بعفوية:

- هايل.

- نعمم... إيه هايل دي؟!!

ارتجفت تقول:

- قصدي يعني في أحسن حالاته، واضح إنه جاي وعارف إن في اجتماع مهم

لأنه مستعد شكلاً كويس جداً.

ضمت قبضتيها بقوة وقد ضاقت عيناها، أيعقل أن يكون بسام من أخبره بالأمر،

هذا الأحمق!!

- غبي. غبي!!

أمسكت هاتفها تضرب أزراره بعنف تنتظر رده فما من مجيب، كادت أن تحطم الهاتف لتقول:

- هو بسام لسه ماوصلش؟!!

- لا يا هانم لسه؟!!

- اسمعي خليك بره، الاجتماع مش هيبدا من غير بسام وغيري يعني هيتلغي لو بسام مظهرش فاهمة؟!!

- فاهمة يا هانم.

- اتفضلي اخرجي ولما يجي بسام قوليلي.

قالتها بصياح هادر لتهرع الفتاة للخارج تاركة رئيستها في العمل تستشيط غضبًا.

لتحاول سميحة مرة بعد مرة الاتصال ببسام بلا فائدة.

وعلى الجانب الآخر، تنظر بسمة لهاتف بسام الذي اشتعل رنينًا.

- مش هترد عليها؟!!

- مافيش داعي، أنا عارف هي عايزه تقول إيه، إحنا هندخل لما يجي ميعاد الاجتماع علشان مايكونش في وقت لكلام مالوش لازمة.

ومع قرب الموعد، تخرج من السيارة تتبعه بسمة، لم تدخل الشركة منذ أن طردتها منها سميحة، ولا زالت تتمنى دخولها، لكن أحلامها كلها ذهبت مع أدراج الرياح فجاهين كان الضمانة الوحيدة لهذا وهي أضعافها.

وصلا إلى قاعة الاجتماع التي امتلأت بالمساهمين الذين يحق لهم التصويت كل حسب نسبته من الأسهم.

كان جاهين أخذ مكانه على رأس المائدة التي سيشاركه فيها سميحة وبسام الذي أشار لأخته بمكان الجلوس ودنا من جاهين يجلس جواره بصمت أحاط الجميع، مع همسات متتابعة تحمل أسمى معاني المصلحة الشخصية.

أخفى جاهين كل توتره، وحافظ على جلسته الهادئة. لن يحدث عكس ما يريد، لقد تحدث مع معظم المساهمين واستطاع أن يقتنعهم باختياره لمصلحة الشركة والعمل، ووجد منهم كل الدعم.

لا يعرف ما الذي قد يفعله بسام أو سميحة، وبرغم أن بسام هو من حذره وساعده، لازال يخشى تأثير سميحة عليه، بل لربما تأثير أخته تلك التي لا يعلم مع أي جانب هي، لن يثق بأحد حتى يحقق ما يريد.

حضرت سميحة وعلى وجهها كل إمارات الغضب تداريها بصعوبة بالغة خاصة مع تلك السخرية الواضحة على وجه جاهين، تقترب وتميل إليهما قائلة:  
- ممكن نتكلم دلوقتي.

تجاهل جاهين جملتها، وقف مستهلاً الحديث بالتحية للحاضرين وهو يطلب من عمته الجلوس في مكانها لبدء التصويت في الحال.

رمقته بغيظ بالغ ليمسك بسام بكفها قائلاً:

- اقعدى يا عمتي.. الناس بتتفرج.

وسميحة التي دوماً تهتم بمظهر العائلة لن تسمح بعراك كهذا الآن فجلست مضطرة وهي تتوعد بسام الذي تجاهل وعيدها وهو ينظر لجاهين الذي شرح كما هو متعارف عليه في الشركة كيفية التصويت، والذي يبدأ برفع الأيدي وبعد الإقرار، كل شخص يترك قراره بعلامة واضحة على ورقة التصويت الرسمية. وقبل أن تبدأ سميحة الكلام كما كان متوقع استمر جاهين في التعريف بنفسه وببسام كمرشحين لمنصب المدير التنفيذي للشركة، تاركاً عمته تغلي غضباً. أما بسمة فلم تخفض بصرها عنه للحظة وكأنها تنتظر رد فعل مختلف عن أول مرة، لكنه لم يفعل، مرت عيناه عليها سريعاً كما يفعل مع الجميع، لازال يتجاهلها ولازال غاضبة.

جلس مكانه قائلاً:

- دلوقتي نبدأ التصويت، بعد إذنك يا باشمهندس بما إني الأكبر هبدأ باسمي، اللي موافق على ترشيحي كمدير تنفيذي ممكن يرفع أيده.

تبادل الجميع بلا استثناء النظرات، ولم تتوقف سميحة عن إلقاء كل نظرات الوعيد على الجميع، وكأنها تحذرهم.

ومن وسط كل هذا، رفع هو يده بثبات.

يحدق الجميع به بدهشة أما سميحة فصاحت بغير تصديق:

- بسام.. بتعمل إيه؟!!

نظر لها يقول بهدوء مستفز:

- باستخدام حقي في التصويت.

وكانه أخرسها بينما جاهين يحدق في رفيق عمره بنظرة امتنان لم يخفها، ولم

يحتاج المصوتون أكثر من ذلك لتتوالى الأيدي في الارتفاع تأييدًا لترشيح

جاهين ومن بينهم بسمة وبهذا لم يعد من الضروري استمرار التصويت على

بسام، فجاهين حصل على الأغلبية.

لتهب سميحة واقفة وهي تلوح لبسام قائلة بصوت مكتوم:

- حسابي معاك بعدين.. يا غبي.

لتنسحب من المكان يليها معظم الحاضرين ليسجلوا اختيارهم قبل خروجهم.

التفت جاهين لبسام ليقول الأخير:

- مبروك.

قالها بدون أي ردة فعل ليلتفت ناويًا الذهاب، أوقفه نداء جاهين، نظر إليه

ثانية، فابتسم قائلاً:

- أنا آسف.

عقد بسام حاجبيه قائلاً:

- آسف على إيه بالظبط؟!!

لكم كتفه بقبضته:

- بطل رخامة بقي، سامحني بجد أنا كنت شايل كمية غضب ممكن تتوزع على

البلد كلها.

- ودلوقتي ارتحت!!

- مش أوي، بس شفت وعرفت إنك أخويا وهتفضل أخويا.

ليعود لعقله كلمات أمه هذا الصباح.. " مافيش حد هيرجع جاهين لطبيعته  
غيرك "

تستقر البسمة أخيراً على شفثيه يضم جاهين لصدره قائلاً:  
- حمدلله عالسلامة.

ربت جاهين على كتفه:

- الله يسلمك، وعلى فكرة أنت كمان.

عاد بسام للوراء:

- أنا كمان إيه؟!!

- قلتلي إني وحشتك وما استنتش ردي.. أنت كمان وحشتني.

لكمه بسام بقوة بكتفه ليتألم جاهين:

- أأي.. في إيه؟!!

ضحك بسام قائلاً بسعادة افتقدها كثيراً:

- مبروك يا سيادة المدير.

- لااا.. ده بالنسبة للناس دي لكن إحنا واحد.

صافحه بسام بقوة مردداً:

- وإن شاء الله هنفضل واحد.

ومن بعيد تراقبهما، تبتسم بحسرة، هل ستنال مصالحة كتلك يوماً، أم أن الأمر

ضرباً من الخيال.

التفتت تغادر المكان الذي تشعر فيه بغربة لا تروق لها.

.....

أنهى اجتماعه الصغير مع فريق عمله الاستشاري الذي وضعته سما له حتى  
يتقن كل شيء في العمل، يحاول جاهداً أن ينجح، كما نجح أخوه، يريد أن يفهم  
منهم كل شيء، وبهذا سينال الكثير من رضا أمه وهذا سيقوده لهدفه الأساسي  
قبولها لبسمة بلا شروط.

فهي لن تتخلى عن ابنيها في الوقت ذاته وتبقى في الشركة بمفردها، وبما أن  
سامر ابتعد فهو ولي العهد الوحيد الآن، وسيثبت أنه جدير بهذا.

لملم أوراق المناقصة التي كان يعمل عليها مع فريقه الصغير عددًا، الكبير سنًا،  
وثغره يحمل بسمة الثقة، غادر المكتب لتزول بسمته للحظة وهو يمر بجوار  
مكتب أخيه السابق، شيء ما يجبره على الشعور بالخزي حين يمر من هنا،  
لكن سرعان ما يتذكر جريمة أخيه في حقه والتي تعذب لها لسنوات فيقسو  
القلب ويرفض الصفح، إذا كان هو غدر بأخيه في العمل فأخوه غدر به في  
حياته وعمره، فمن الأولى بالندم.

وصل مكتب سما يطرق بابها تلو وجهه البشاشة وهو يدندن بأحد أغانيه  
المفضلة، لترتكب ابتسامة على شفتي سما:

- إيه اللي مفرحك كده؟!!

- هقولك.

جلس وهو يضع الأوراق أمامها:

- الأول دي أوراق المناقصة اللي ادتهاني.. ظبطناها شوفيها بنفسك.

- تمام.. ثانيًا بقى.

تنفس بعمق ليقول:

- فاكرة البنت اللي قلتك عليها.

هممت قائلة بنزق:

- إيه اللي فكرك بيها ده أنت ماكلمتنيش عنها تاني من ساعتها.

هز كتفيه قائلاً:

- لأنني خلاص لاقتها.

ضاقت عيناها مرددة:

- فعلاً، لاقتها فين؟!!

- مش هتصدقني.. في بيت عيلة الشربيني.

اعتدلت في جلستها أكثر ترجو المزيد من التفسير فأضاف:

- دي من عيلة الشربيني يا ماما.

- هو أنت ماكنتش عارف هي من عيلة مين؟!!

قالتها باستنكار، فأجاب:

- ماكنش هاممني أعرف.. أنا حبيتها وبس..

هزت رأسها بياس مرددة:

- مافيش حد فيكم خد حاجة مني، كلكم طلعتوا لشاكر، صحيح ما هو كان بيقتد معاكم أكثر.

- ماماا ركزي معايا، هي بس في شوية حاجات كده هتعتلنا وبعدها إن شاء الله هتقدملها، وأنتِ طبعا ما عندكيش مانع.

صمتت لحظات، وقد بدأ عقلها يدير حسبته، شركة الشربيني شركة معتبرة في مجال عملهم، وبينهم الكثير من الأعمال بالفعل فما الذي سيضيفه هذا الزواج.. النتيجة لا شيء.

تمط شفتيها بغير رضا:

- دي شركة هما اللي بيستفيدوا منا أكثر ما إحنا بنستفيد منهم، يعني الجواز مصلحة ليهم مش لينا، نرمين أفضلك يا معاذ.

فغر فاه بغير تصديق، أحقا لازالت تفكر في نرمين التي غادرت البلد كلها بسببه:

- مش ممكن، لسه بتفكري فيها يا ماما، ماما من الآخر أنا مش هغير رأيي، كنت غيرته وهي مش معايا دلوقتي بعد ما لقتها هغيره، أنا مش هتجوز غير البنت اللي بحبها، وسيبك بقى من موضوع المصالح ده، أنتِ وعدتيني، وأنا وهي هنعمل المستحيل وهنخلي الشركة دي من أكبر شركات المقاولات في مصر.. وهتفتكري كلامي ده بعدين.

- ليه هي بتفهم شغلنا؟!!

- تتعلم، هي خريجة اقتصاد وعلوم سياسية وذكوية جدا، ماتقلقيش أنا متأكد إنها هتعجبك.

زفرت وعادت لحساباتها، تعلم أنه ليس من الجيد أن تخسر معاذ أيضا يكفي غياب سامر وما سببه من تضارب في المسؤوليات، لقد كان يحمل الكثير على كتفه.

- ماشي يا سامر هنشوف.

نظقت بها دون قصد ودون انتباه ليعقد معاذ حاجبيه:

- أنا معاذ مش سامر.

انتبهت لكلماته وعاد لأذنيها صوت جملتها الأخيرة لتقول ملوحة:

- أه.. سوري، أصل مستنية أخبار عنه فكان حاضر في بالي.

دفعه الفضول ليسأل:

- أخبار إيه؟

استندت بظهرها على مسند كرسيها الفخم:

- فاتح مكتب هندسي مع ناس تانية، ومش لاقى شغل.

ثم أردفت بسخرية:

- يبقى يقابلني لو عرف يشغله.

رمق أمه لثواني:

- ليه؟!.. أنت بتحاربيه؟!!

- طبعا.. سامر ده لو سبته هيعمل شركة ينافسني بيها وهيقرفني.

تصلب وجهه وقد أغضبته كلماتها أظنه أضعف من أخيه ولن يكون قادرًا على

المواجهة.

- ليه يعني؟، هو إحنا صغيرين، مايقدرش ينافسنا.

- اسكت، ده شارب الشغل أكثر مني أنا شخصيًا مش هخاطر وأخلق لي عدو

في السوق، عدو عارف كل أسراري ومشاكلي.

- بس سامر مش وحش قوي كده علشان يضرنا.

- مش بقولك اسكت، ياريت تكبر بقى زيه فعلاً وتفهم الدنيا ماشية إزاي؟!!

هب واقفًا ليردف:

- أنا كبير مش صغير.

- ماشي يا كبير.. روح شوف شغلك، وابقى هاتلي البنات دي عايزة أتعرف

عليها.

نسى كل شيء في لحظة ليقول:

- أكيد.. زي ما تحبي.

استدار يغادر تتابعه نظراتها غير المريحة، فعقلها علمها أن اختياراتهما لا تروق لها أبداً، لكن ما يصبرها أن الفتاة على الأقل من عائلة معروفة في مجال عملهم.

رن هاتفها النقال لتمسك به في الحال فلقد كانت تترقبه، تستمع لصوت محدثها:

- كله تمام يا هانم.

- يعني خلاص.

- أيوة، هيعيش أسوأ ليلة في حياته.

- هايل، استمروا.

- زي ما تحبي يا هانم.

أنهت الاتصال وابتسامة زهو تعلو شففتيها.

## الفصل الخامس

هات يا زمان وهات كمان يا زمان  
غير بسمة الشجعان ما مني يبان  
هو اللي داق الفرحة يوم ثورته  
يقدر يعود ولا ثانية للأحزان

عجبي!!

رباعيات جاهين

تنفس بعمق مريح، معنوياته تقارب السماء الآن، كان يعلم أنه لن يفشل بسهولة، لطالما كان مقاتلاً فما الذي سيمنعه عن مواصلة القتال؟  
قتال بارد بلا أسلحة ولا دماء، بل هو قتال عقول ومال فقط.  
وهو تعلم وبرع في هذا كثيراً، ولن ينكر أن فضل أمه عليه في هذا كبير، فهي من علمته وبعدها تركته يعلم نفسه وفي كل مرة كانت تنظر له نظرة رضا حتى وإن قلت كان يسعد بنفسه كثيراً.

لعلها الآن أيضاً تنتظر أن ترى كيف سيمنع ما تحاول أن تفعله معه، لعلها تبتسم الآن برضا لأنه نجح بعيداً عنها، برغم شعوره الدائم أن سما ربما ليست أم ككل الأمهات، لكن لحظات عاطفة قليلة معها كانت تذكره بهذا لكنه ظل محتفظاً بلقب سما هاتم لها.

ترك النافذة ليلتف إلى زينة التي انضمت له ومعها مروان وراما.

أشار لهم بالجلوس، ليقول:

- إن شاء الله تبقى بداية خير.

نظر لمروان مردفاً:

- كملتوا التصميمات المبدئية.

ابتسم مروان:

- الحمد لله يا باشمهندس، سهرنا لحد ما خلصناها.

قالت راما:

- بس أنا شايفة إنها حاجة مش بروفيشنال خالص إننا نبدأ لهم شغل قبل حتى ما نتعاقد معاها رسمي.

لوت زينة شفتيها ولسان حالها "خلقت لتعرض!!"

إلا أن سامر أجاب بهدوء:

- إحنا بنقدم حسن النية، وتعبكم ده هتتعوضوا عنه حتى لو هيغيروا حاجة في الشغل ماتقلقيش.

هزت كتفيها:

- مش قصدي كده يا باشمهندس، أنا قصدي..

- فاهم قصدك، إحنا بنقدم شوية تنازلات في الأول ولما نعمل أول شغل حلو أنا واثق إننا مش هنحتاج أي تنازل بعد كده، عموماً هما على وصول، عايزين نعمل اجتماع حلو ونحسسهم أد إيه إحنا عمليين في شغلنا، وأنا واثق إن شغلكم هيعجبهم.

هز مروان رأسه بثقة، يطرق أحدهم على باب المكتب حاملاً صينية عليها أكواب القهوة كل حسب تفضيله كما تعلم منذ أمس.

يبتسم له سامر:

- تعال يا حسن، شكرًا وياريت ماتكونش بتتعب معانا كثير.

ضحك الشاب:

- تعبك راحة يا باشا، المهم تكونوا مبسوطين مني.

- أنت توصية زينة أكيد هنكون مبسوطين، زينة مش بتختار حد وحش.

قاومت بسمة تريد الانشقاق عن شفتيها بقوة، زهواً بمدحه لها، فقررت الفرار بدلاً من أن تفضح نفسها لتقول:

- أنا هستنى بره علشان لما يجوا.

- ماشي يا زينة اتفضلي أنت، وروني يا باشمهندسين اللي عملتوه امبارح.

تخرج يتبعها حسن ويضع كوبها أمامها على المكتب، يتحنح قائلاً:

- أنا بجد بتشكرلك أوي على الشغل هنا.

- ده بركة برّك بأمك.
- أكيد، ربنا ما يحرمني منها.
- أمين، روح بقى وأول ما يجوا العملا عايزاك وراهم تسألهم كل واحد هيشرب إيه.
- عيني.
- ومرت الثواني والدقائق تليها ساعة ولم يظهر أحد، وبدأ القلق يصيب الجميع. يخرج مروان من داخل المكتب يسأل زينة عن أي اتصال منهم فأجابت بلا، يطلب أن تحاول الاتصال بهم ومعرفة سبب التأخير وعاد لمكتب سامر. وبالفعل اتصلت لنتهي المكالمة بأيدي مرتعشة، وعيناها معلقة بباب مكتب رئيسها الذي كان أسعد ما يكون منذ لحظات، وكيف عليها دوماً أن تكون ناقلة الأخبار السيئة، هل سيتشاءم منها؟! وقفت تتجه للمكتب طرقات خفيفة تدلف بعدها، هب سامر من مكانه:
- ها؟! إيه يا زينة؟! كلمتهم؟! أومات برأسها وعلى وجهها علامات غير مبشرة على الإطلاق. يعقد سامر حاجبيه قائلاً بأمل واه:
- إيه؟!.. هياجلوا الزيارة.
- هزت رأسها نفيًا، تهب راما هي الأخرى:
- أومال قالوك إيه ما تخلصي؟! ولم تكن في حاله تسمح لها بالعراك مع تلك الفتاة بالذات، فعينها تعلقت برئيسها وهي تقول:
- بيعتدروا عن الشغل معانا، لقوا مكتب تاني بأسعار أفضل وفي محافظتهم. يتجهم سامر مع نظرة إحباط من مروان وصيحة استنكار من راما التي أردفت:
- هو لعب عيال، يعني التعب ده كمان راح هدر.
- تنظر إلى مروان قائلة بغضب بالغ:
- أنت كذبت عليا يا مروان لما كلمتني عن المكتب ده، أنا مش هكمل في تعب الأعصاب ده، وتعبني اللي تعبته من أول يوم عايزة حقه، عن إذنكم.

تخرج وهي تسب وتلعن، يقف مروان معتذراً لسامر:  
- أنا آسف يا باشمهندس، هي بس عصبية شوية، متهياي كلنا محتاجين نريح  
ونعيد ترتيب الأمور، بعد إذنك.  
فرغت الغرفة من الجميع إلا هي وهو.  
تنتظر رد فعله وهو اختار الصمت، والصمت دوماً الأسوأ فلا شيء يظهر من  
خلاله.

يفتح فمه أخيراً:

- رَوحِي يا زينة وماتجيش تاني.

فغرت فاها بغير تصديق:

- ليه يا باشمهندس، أنا غلظت في إيه؟!!

رفع بصره نحوها، رأت التماعها وكذبت عينيها، لم تره حزينا لهذه الدرجة من  
قبل!!، هي تعلم أنه أقوى من هذا، أردف بنفس الثبات:

- مرتبك أنت وحسن ماشي زي ما هو ولما يبقى في جديد في الشغل هتصل  
بيك، روعي يا زينة.

والغصة بلغت منتهاها، تحمل عبارات في عينيها تبحث عن الكلمات الداعمة:

- عارف، زي ما أنت مابتساش أي حد مسؤول منك ربنا مش هينسالك.

بادلها النظرات للحظة، جامد الملامح وكأنه أقسم ألا يظهر ما يبطن.

مد يده يحمل هاتفه ومفاتيح سيارته، مر جوارها قائلاً:

- اقللوا المكتب كويس وابقى استني تليفوني.

تابعته بنظراتها قبل أن تحرر عبرتها أخيراً، تزيحها سريعاً تلاحقها أنفاسها  
لتمنع عنها البكاء حزناً عليه.

وصل لسيارته يقودها، داخله براكين غضب وحزن تتقاتل ومع ذلك يبقى وجهه  
هادئاً وهذا يجعله يشعر وكأنه سينفجر، وصل إلى شقته، مخبأه الخاص والتي  
شاهدت كل لحظات غضبه وحزنه وفرحه، هنا فقط لطالما كان حراً بعيداً عن  
سطوة ونفوذ سما هانم.

ألقى بجسده على أريكته المفضلة، يستلقي عليها بلا حراك، أغلق عينيه وكأنه يعيد السلام لنفسه، تنبيه برسالة قصيرة أجبره على الالتفات لهاتفه، أمسك به وعقد حاجبيه حين عرف أن الرسالة منها، فتحها يقرأ كلماتها والتي لم تكن إلا ضربات متتالية أصابت قلبه قبل عقله.

"يا تفضل تحت جناحي، يا مش هتعرف تترفع عن الأرض ملي واحد"  
واللقب "أم"

أسقط يده يستلقي هاتفه أرضاً، أكان ينتظر تأكيداً؟!!!

تلك المضغعة التي بصدرة كانت تشككه، تخبره أنها لن تكون بتلك القسوة، لن تفعلها معه وتضعه في ذلك الموقف الحرج، لن تدمره وتجبره أن يبقى أسيرها.  
واللقب "أم"

ضمة قديمة يذكرها، لمسة حانية استشعرها، كلها كانت خطوط دفاع له في عقله، لكنها أطاحتها وتباهى!!  
واللقب "أم"

آهة وجع فارقت شفثيه، خالطتها دمة في عينيه، أغلق عينيه بقوة، متى كان بكاءً؟!!

ولكن بدلاً من التوقف زم شفثيه وبكى أكثر.

بكى عائلة فقدتها للأبد، بكى يتماً عايشه حين فقد أباه والآن يعايش أضعافه.  
بكى دون توقف.

وكان نسيمات الهواء أصبحت أكثر نقاءً، ينال منها شهيقاً منعشاً رغم حلول الليل وانتهاء النهار، يكفي أنه انتهى كما يريد.

"المدير التنفيذي رسمياً لشركة الشربيني للمقاولات"

حلمه الدائم وناله أخيراً، وأياً كان ما سيحدث فهو مستعد له جيداً.  
التفت ينظر لرفيقه، أخوه الحقيقي دوماً.

- إحنا لازم نحتفل بالمناسبة السعيدة دي، وأنا اللي عازمك.

- وماله، بس كنت بفكر كلنا نخرج وبسمة وماما ومها وانا كلنا.

انزوت بسمته سريعًا ليلاحظ بسام الذي أردف مع صمت جاهين:  
- أنت ناوي تكمل معاهم كده.

- بسام، قلتك بلاش تضغط عليا في الموضوع ده.

- طب أبله بطة حبيبتك ذنبها إيه؟!!

نظر له وتمنى أن يقولها، غضب كثيرًا حين انتبه إلى أنها كانت تعلم وأخفت عنه!!

برغم أنها قالت له كل شيء عن حياتهما السابقة إلا أنها اختارت أن تغفل ذلك الجزء وياليتها لم تفعل لربما كانت الأمور مختلفة الآن.

عاد ينتبه للطريق قائلاً:

- هبقى أسلم عليها.

مط بسام شفتيه بعدم رضا، وهز رأسه وكأن الأدوار تبدلت.

في البداية كان جاهين من يحاول أن يقربه من أسرته ويصلح بينهم، الآن حان دوره ليؤدي نفس الفعل، لكن هل سينجح كما نجح جاهين؟!.

وصلا للمنزل، دلفا متجاورين وكأنهما يتوقعان أي نوع من العراك سيلتقيان به.

وبالفعل ما إن رأتهما حتى وقفت، وقفًا بدورهما إلا أن جاهين تحرك إلى الدرج.

- استنى.

وقف زافرًا وناظرًا لها، يقول بسام:

- في حاجة يا ماما.

رمقته بغيظ مكتوم، قبل أن تبلل شفتيها وكأنها تستعيد قدرتها على ترتيب الكلمات.

- مبروك يا جاهين، كان عقاب مناسب بالنسبة لي لما مشيت وسيبت الشغل شهر كامل.

كتم جاهين بسمة ساخرة تريد الإفلات ليقول:

- عندك حق، غلطة مش هتتكرر تاني خصوصًا إني بقيت مدير رسمي.

- أنت وبسام واحد، وتفاهمكم مع بعض يكفيني.
- رمقها بسام بشك ولازالت ملامح السخرية تعلو وجه جاهين، ليقول الأول:
- طيب الحمد لله.
- ضاقت عينا سميحة لتقول:
- لكن برضو ماتنسوش إني لازلت رئيس مجلس الإدارة، يعني مافيش حاجة هتحصل بدون رضايا أظن واضح.
- ولم تنتظر ردهما لتلتفت مخفية بغرفتها، تبادل جاهين وبسام النظر يصعدا معًا لأعلى.
- هو رد الفعل ده أهدى مما كنا متوقعين ولا دي تهيئات.
- قالها بسام ليضحك جاهين:
- عمنا مش غبية يا بسام، هي عارفه هي بتعمل إيه، وطول ماهي الكل في الكل الباقي شكليات، ومش بعيد تطلعي عيوب في الشغل وتجبرني أسيب المكان.
- وصلا لغرفة جاهين فقال بسام:
- ماظنش يا جاهين، أنت عارف إن عمتي بتحبك، هي بس بتحبني أنا زيادة عن اللزوم.
- ربت جاهين على كتفه:
- عارف، تصبح على خير.
- وأنت من أهل الخير.
- تركه ليمر على فاطمة، طرق بابها برفق وانتظر ثواني ثم فتحه ليجدها تحاول أن تثبت حجابها بسرعة فارتد للوراء:
- آسف.
- أوقفته قبل ذهابه:
- خلاص لبسته.
- عاد يطل برأسه عليها وعلى أمه التي تستقبله بسعادة دومًا، اقترب منها يقبلها ورفع رأسه للأخرى:

- إزيك يا مها؟!!

- الحمد لله.

قالتها وهي تتحرك مغادرة فأوقفها.

- مها.

عادت تنظر له وقد غلبها توترها، فقال:

- أممم.. أنا كنت بفكر نخرج.

- ها؟!!

- مش لوحدنا كلنا ماما والبنات، إيه رأيك؟!!

عقدت حاجبها للحظة، لم يكن يتحدث معها على الإطلاق والآن يخبرها أنه يريد أن يخرج.

تلبسها الضيق الشديد فقالت بنزق:

- لا معلش اخرجوا انتو.

بهت لرددها والذي تبعته بمغادرتها الغرفة التفت ينظر لأمه التي ضحكت:

- أنت غشيم، مش زي جاهين خالص.

عقد ذراعيه قائلاً:

- غشيم!!

- أيوة، يعني كنت سايبها شهر بحاله ولا حتى بتكلمها جاي دلوقتي تقولها يالا

نخرج، فجأة خدت بالك إنها حية ترزق، مش تصالحها الأول يا ابني.

- ما أنا بصالحها أهو، أعمل إيه تاني؟!!

هزت رأسها ولا زالت ضاحكة:

- معلش صالحها تاني، فهمها كنت عامل كده ليه، مها طيبة وحنينة وكل حاجة

لكنها بنت زي أي بنت، لازم تحس إنها مهمة عندك وتفرق.. فاهمني يا

ابني؟!!

زم شفتيه بضيق، لم يكن من النوع الذي يهتم بالفتيات وأمورهن، فما الذي

عليه فعله الآن، كما أنه يعلم أنها لن تقبل بأن يخرج معها وحدها فكيف

يصالحها؟!

- ماتروح لجاهين يمكن يعرف يساعدك.

قالتها وهي تكتم ضحكاتهما، فنظر لها للحظات قبل أن يلتفت متأففاً.

وقف أمام باب غرفة جاهين، أمه على حق لطالما كان جاهين يجيد أمور الفتيات ومعرفة ما يسعدهن فلا بأس لو استعان به، مها ستكون زوجته قريباً فما المشكلة؟!، هو فقط يرجو أن يطلب منه مايستطيع فعله، فالأمر يصيبه بالحرص الشديد.

طرق الباب منادياً:

- جاهين لسه صاحي؟!!

لحظات وفتح الباب ليظهر جاهين وقد تخلص فقط من بدلتة يقول:

- هو أنا لحقت أخير لما هنام!! في إيه؟!!

- أصل عايزك في موضوع كده.

رمقه جاهين للحظة ثم أفسح له الطريق ليدخل، أغلق الباب خلفه وتبعه ليجلس بسام على كرسي مجاور بينما جلس جاهين على مكتبه.

- في إيه؟!!

قص عليه ما كان بينه وبين مها طوال الشهر الماضي، ورغبته الآن في إصلاح الأمر، وكيف رفضت مها الخروج معه ببساطة.

سكت جاهين لحظات ليضحك بعدها:

- هو ده الموضوع المهم؟!!

- جاهين.. ماتخلنيش أندم إني قاتلك.

- خلاص يا سيدي آسف.. امممممممم.. عادي هاتلها هدية، بيفرحوا بالحاجات دي.

- هدية!! زي إيه يعني؟!!

- أي حاجة يا بسام، مها يعني مش هتطلب خاتم سوليتير.

- أيوة أي حاجة زي ايبيبيبيبيبية... أنا أبيض في الحاجات دي، ده هدية بسمة أنت اللي اخترتها.

ودون أن يشعر تصبح بسمه دومًا جزءًا من الحوار ليتجاهل جاهين ذلك كما قرر أن يفعل دومًا.

- خلاص بكرة إن شاء الله وإحنا راجعين نبقي نعدي نشتري واحدة سوا.  
ابتسم بسام بود مبالغ فيه:

- طب ماينفعلش ننزل نشتريها دلوقتي.

حدق فيه جاهين باستنكار ليقول:

- نعم يا أخويا، أنا هموت من التعب، يالا يا بسام، على أوضتك يابابا، بكرة ربنا يحلها.

زم شفتيه بحزن مصطنع:

- حاضر، حكم القوي!! كنت واثق إن المنصب هيغيرك.

قفز عن مكتبه ليفر بسام للباب ضاحكًا:

- أعصابك أنا خارج أهو.

ضحك جاهين بدوره ليتبدل النظر للحظة ولسان كل واحد للآخر.

ما أجمل العودة!!

.....

نام الجميع إلا هي، تتبادل معه الرسائل بعد أن منحته صك الغفران وعادت

للحديث معه، لكنها فضلت الرسائل كي لا تنتبه أختها لكلامها معه.

لا زال يكرر اعتذاراته على انقطاعه عنها الفترة الماضية، ويرجع ذلك لمشاكل

عديدة في العمل، وأصر عليها أن يراها، لكنها لا زالت ترفض، لقد سئمت تلك

اللعبة لو أراد أن يكون معها فليأت إلى هنا، لكنه سرعان ما يتحدث عن عداوته

في العمل مع جاهين وبسام وأنهما لن يقبلا به أبدًا.

فتصمت وتحتر، ماذا عليها أن تفعل؟!!

وفي النهاية استسلمت، لكن خروجها لم يعد سهلًا بعد أن عاد لأختها بصرها

فهي تطلب منها أن تصحبها في أي مكان تذهب إليه، وكذلك بقاء بسمه في

الجوار، فأخبرته أن عليها أن تنتظر الفرصة التي تسمح لها بالخروج، ولا زال

ينتظر تلك الفرصة.

- أنا شكلي هصبر كثير لحد ما أشوفك.  
\_وماله، ما تصبر.

- عندك حق، لأجل الورد بقى.  
ابتسمت وهي تغلق الهاتف لتوقف المحادثة، وعقلها يدبر ويفكر  
كيف ومتى سيكون اللقاء؟!  
.....

استيقظت متعبة، فهي لم تستطع النوم جيدًا وهي تفكر فيه وفي حاله، بالتأكيد  
محبط جدًا، حزين جدًا، وهي لا تملك أي حق في مواساته، ومتى ستملك حقًا  
كهذا؟!  
.....

عليها أن تتوقف عن التفكير به بهذه الطريقة وإلا ستفتح على نفسها أبوابًا لن  
تتمكن من غلقها وستكون هي فقط الخاسرة.

أدت فرضها في الصباح وأعدت إفطارًا بسيطًا لأبيها قبل مغادرته لينتبه إلى  
عدم تبديلها لملابسها.

- أنتِ أجازة النهاردة ولا إيه؟!  
.....

- أيوة، كام يوم كده لحد ما الشغل يمشي، للأسف بنروح ونرجع على الفاضي.  
- ربنا يكرمكم يا بنتي.

- آمين يا بابا.

- خلاص استني سومة بقى لما ترجع بدل ما تروح تقعد عند الجيران.

- حاضر يا بابا، أنا بس بفكر أطلع مشوار صغير كده قبل ما ترجع.

- على فين؟!  
.....

- شركة كبيرة كانت بتتعامل مع الباشمهندس سامر، هروح أكلمهم تاني لعل  
وعسى.

- وماله يا بنتي السعي على الرزق مطلوب، خدي بالك من نفسك.

- حاضر يا بابا.

تلك كانت الفكرة التي تصول وتجول في عقلها منذ أمس، هو كان في انتظار  
جاهين لعل هذا الجاهين قد عاد، أو لعلها تستطيع إقناعهم بالعمل مع سامر،  
.....

فهو شخص ذكي وناجح ومفيد لأي شخص يعمل معه، وهم أكثر دراية بهذا فلقد كانوا شركاء.

وبالفعل ارتدت ما يليق من ملابس رسمية، واتجهت من فورها للشركة التي تعرف عنوانها جيدًا، وكان أول من سألت عنه محمد، فهو سيوصلها بشكل أسرع.

ظلت في انتظاره حتى ظهر لها، يقترب مرحبًا:

- زينة، إيه المفاجأة دي؟!!

- شكرًا يا محمد.

- اتفضلي.

تبعته لتقول:

- هو الباشمهندس جاهين رجع.

- أيوة لسه يادوب ظاهر امبارح، وبقي إيه المدير التنفيذي رسميًا للشركة. ابتسمت وقد خالطها التفاؤل:

- بجد، طيب بشرة خير إن شاء الله.

توقف ينظر لها:

- هو في حاجة؟!!

- أنا عايزة أقابله ضروري بخصوص مكتب الباشمهندس سامر.

صمت محمد لحظات متذكرًا كلمات بسام فيما يخص هذا، لكنه لم يجد ما يمنع أن يتركها تقول ما تريد، في النهاية سيبقى القرار لجاهين وبسام.

- مافيش مشكلة استني على مكتي ثواني، هستأذنه.

أشار لها حيث ستجلس لتدلف إلى مكتب أنيق، ابتسمت وهي تتذكر كيف بدأ الأمر معه ومعها، كلاهما كان محاسبًا تحت التمرين وحسب، والآن هو أصبح مسؤولًا هنا وهي تشعر أنها تملك نفس المكانة حتى لو ظلت تحمل لقب سكرتيرة وحسب.

وفي مكتب جاهين وبسام انضم لهما محمد يخبرهما عن زينة، ليتذكر بسام عرضهم للعمل وهو الذي رفضته سميحة، ليخبر جاهين بالأمر.

صمت جاهين للحظات، وبسام ومحمد ينظران له قبل أن يقول:  
- خليها تدخل.

مال بسام نحوه:

- هتشتغل معاه؟! .. كده هتخسر شركة الهيثم.

عقد حاجبيه قائلاً بضيق واضح:

- في داهية.

رمقه بسام بشك مردداً:

- هو في حاجة حصلت مع شركة الهيثم أنا ماعرفهاش.

- استنى بس لما أفهم.

لحظات أخرى ووقفت زينة أمامهم لم يكن خفياً ارتباكها ليبتسم جاهين مخففاً  
عنها:

- اتفضلي اقعدى يا آنسة زينة.

جلست معتدلة كما تعلمت عند إجراء أي مقابلات شخصية أو اجتماعات  
رسمية.

لتبدأ الكلام:

- أتمنى ماكنش بز عجم بوجودي.

- لا أبداً اتفضلي سامعينك.

قالها جاهين، لتتنفس مستمدة المزيد من الطاقة لتقول:

- في الحقيقة الطلب ده قدمناه قبل كده ويعني تم تأجيله من حضراتكم لسبب أو  
لآخر، وأدينا بنكره تاني، الباشمهندس سامر غني عن التعريف ليكم، لأنه كان

شريك ليكم وشريك مهم، أنا عارفة طبعاً إن ده مرتبط بشركة الهيثم نفسها،

بس اللي عمل شركة الهيثم يقدر يعمل عشرة غيرها، وأنا واثقة أن شركة

الشربيني مش هتخسر أبداً بتعاونها مع مكتب بُنيان، بالعكس معارف

الباشمهندس سامر، رؤيته للأمور والمواقع الأنجح لكل نوع مشروع أكيد

هتفيدكم كثير، ومرة تانية أنا بتكلم في أمور أنا متأكدة من معرفتكم ليها، ولأن

المكتب عايز يتعامل مع الجهات الصديقة فلازلنا شايفين إن شركة الشربيني

من أفضل الترشيحات اللي نحب نتعاون معاها، وصدقوني معانا لا يمكن تخسروا.

لم يقطعها أحد، أنهت كلامها وهي تراقب ملامح وجوههم التي حملت جدية الاستماع قبل أن يبتسم جاهين قائلاً:

- جميل، أفهم من كده إن في عرض لينا مثلاً.

ابتسمت بثقة تصاعدت داخلها لتجاوبه لحديثها لتخرج من حقيبتها تلك المقدمات الإعلانية التي تم إعدادها مسبقاً، لتمدها لهم فتناولها محمد منها وأعطاهم لجاهين، لتقول:

- دي نوعية من المستوى اللي عندنا واللي عارفة أنكم مش هتقبلوا بأقل منها. وضعها جاهين جانباً ليقول:

- تمام، هنشوفها إن شاء الله.

شعرت أن عليها المغادرة لتقف قائلة:

- تمام، حضرتك طبعاً معاك نمرة الباشمهندس سامر، تقدر تتصل بيه مباشرة، وبعيداً عن الشغل أو أي رسميات، وماعرفش من حقي أقول كده ولا لا، بس أعتقد الباشمهندس سامر محتاج أصدقاءه يقفوا جنبه وهو هيكون مكسب ليهم زي ما هما هيكونوا عون ليه، وشكرًا أنكم اديتوني من وقتكم.. بعد إنكم.

التفتت تغادر يتبعها محمد، وما إن خرجت من المكتب حتى استندت على الحائط تلتقط أنفاسها، ضحك محمد وهو يراقبها قائلاً:

- لأ أقنعيني، أول مرة أشوفك بتتكلمي بعملية كده. نظرت له قائلة برجاء:

- يعني هيوافقوا.

- إن شاء الله استبشري خير.

- يا رب يا محمد.

- هو سامر هو اللي بعثك.

هزت رأسها نفيًا:

- لأ، بس ده المكتب إالى أنا شغالة فيه، وكمان الباشمهندس سامر ماعملش شوية، ده كان بيديني مرتبي حتى وأنا قاعدة في البيت، أنا مديوناله بكتير ونفسي فعلاً مكتبه يشتغل زي ما بيتمنى وأحسن، واللي بعمله ده أقل حاجة أقدر أقدمهاله.

ابتسم محمد إعجاباً:

- أنتِ جدعة أوي يا زينة، بنت بلد صحيح.

- ماشي يا سيدي متشكرين همتك معايا بقى تقنعهم، وعلى فكرة أنتِ كمان جدع وربنا كرمك وهيكرمك كمان وكمان، أنا همشي بقى.

- ماشي، إن شاء الله نشوفك قريب بقى في شغل جديد.

ابتسمت بتفاؤل:

- إن شاء الله وشكرًا ليك.

- العفو.

ابتعدت في خطوات سريعة وقلبها يرجو ويردد الدعاء.

هي لم تقف مكتوفة الأيدي وحتماً ستتمكن من المساعدة بشكل أو بآخر، هكذا تتمنى، تريد أن تكون جواره حتى لو لم يدرِ بذلك، تريد أن تكون داعمه الأول حتى وإن لم ينتبه لها. هي تريده ناجحاً سعيداً فحسب.

أما الذي كان يحدثها فلقد تابعها بعينيه وقد تراءت له فكرة، فكرة كان يقاومها فيما مضى أما الآن فلمْ لا؟!.

وزينة فتاة رائعة ومناسبة جداً.

.....

ساد الصمت بين جاهين وبسام إلى أن قال الأخير:

- عمتي رفضت تماماً الشغل معاه، هتقنعها أزاى؟!.

- مش هي مايهماش إلا مصلحة الشركة وإحنا كمان، عموماً أنا لسه بفكر موافقتش، الموضوع عايز شوية تركيز، علشان نطلع فايزين وأعرف أقنع عمتي بالموضوع، والمصالح بتتصالح.

- طيب، المهم ماتنساش نروح سوا علشان نشترى الهدية.

- مش هنسى يا عم، ولما أنت بتحبها وعاييزها، عاملى فيها شجيع السما ومقاطعها ليه؟!!

لم يضحك بسام رغم أن جاهين كان يقصد المزاح، ليزيل جاهين بسمته قائلاً:  
- أنت زعلت.

هز رأسه نفياً ليقول:

- أنا كنت فعلاً خايف يا جاهين، خايف لا يكون كل حاجة عشتها كانت وهم، زي حياتي كلها ما فجأة اكتشفت أنها كانت وهم وأن ليا أم وأخت وأنا ماعرفش، كنت خايف أحس نفس الإحساس لما اكتشف أنى بالنسبة لمها أو حتى بسمة مجرد لعبة.

أشاح جاهين ببصره بعيداً، وكلمات بسام تعيد له نفس الألم الذي انتابه حينها، يردف بسام:

- بس خلاص رجوعك، وكلامي مع بسمة خلوني شايف الصورة بشكل أفضل.  
التفت له سريعاً:

- كلامك مع بسمة!!

- أيوة، اتكلمت معاها هي غلظت بس ماكنش قصدها تكون وحش...  
قاطعها جاهين بغضب:

- بسام!!

رفع كفيه:

- طيب خلاص اهدى، هسكت أهو، بس أنا متأكد هيجي وقت وانتو الاتنين لازم تتكلموا فيه.

- ريح نفسك وريحني وبطل كلام في الموضوع ده.

مط شفتيه اعتراضاً، وقف قائلاً:

- أروح أشوف اللي واريأ أحسن، ده احنا عيلة تفلق، ما بنعرفش نعيش إلا وحد متخانق مع حد.

تركه وحيداً شارداً في لا شيء، كلمات بسام أعادت له الذكرى، الذكرى التي يدعو ربه ليل نهار أن تمحى من عقله.

ذكري معاذ وهو يحتضنها.  
الذكري التي تأجج غضبه وتؤكد له أن لا سبيل للغفران.

.....  
طالعت رسالته بغير تصديق، أحقًا حدث أمه عنها؟ ألم تخبره ألا يفعل أي شيء الآن؟ هذا المجنون سينهي كل شيء قبل أن يبدأ.  
اتصلت به سريعًا فأجاب:

- كنت واثق إنك أول ما تقري الرسالة هتصلي.  
قالت بغضب:

- أنت بتهزر يا معاذ، هقابل مامتك أزاي؟!!

- يعني أيه أزاي، زي الناس يا حبي.

- معاذ متترفز نيبيش.

ضحك قائلاً:

- طب اهدي بس، أنت قلقانه من إيه، إن ماما تعرفك، أشك، هي شافتك كام مرة أصلاً في حياتها كلها، وكنت صغيرة وبعد ما كبرت بطلت تظهري قدامها خالص، يعني هي مش هتعرفك.

صمتت لكلامه، هي بالفعل قد لا تتذكرها ولكنها أيضاً قد تتذكرها.

- طب لو افكرتني أو شبهت عليا.

زفر قائلاً:

- بسيطة، أنت مستقلية بنفسك، أنت بنت عيلة الشربيني هنقولها أكيد شافتك في نادي ولا حفلة من الحفلات المشتركة، عادي يا ستي هنسلك منها.  
عادت لرفضها:

- لا يا معاذ، أصلاً قلتلك مش عايزة أي خطوات دلوقتي لحد الدنيا ماتتصلح عندي وهي لسه خربانه.

- بوووسي، أنا مابقولكيش تعالي نحدد ميعاد الخطوبة، أنا فهمتها أننا هناخ  
الخطوبة هي عايزة تشوفك وبس، ماتكبريهاش بقى.

- ماشي يا سيدي بس برضو مش دلوقتي.

- يووووه، أنتِ بقيتي رخمة أوي، لأ أنتِ طولِ عمرِك كنتِ رخمة، بقيتِ من الأغنيا ولسه شايفة نفسك فقيرة.  
ضاقت عيناها وقد آلمتها جملته:

- بقى كده يا معاذ، ماشي متشكرين، سلام بقى علشان ماما بتنده عليا.  
أغلقت الهاتف سريعا قبل أن تسمع نداءه.

وضعت الهاتف جانبًا، نهضت تقف أمام المرأة، تطالع ملامح وجهها، هل هو على حق؟!!

لا زالت كما هي قبل الانضمام لمصاف الأغنياء فقط ترتدي ثيابًا أغلى ثمنًا، ما الذي من المفترض أن يتغير بها لتشعر أنها ليست من الفقراء.  
هزت رأسها نفيًا، ليست هذه هي المشكلة، هي بالفعل من الأغنياء الآن، لديها حساب بنكي وأسهم بشركة كبيرة، لكنها تخشى رفض سما القاطع إذا ما عرفت من هي ومن هي أمها، وهي لا تريد الفشل، كما قالت لأمها زواجها من معاذ يجب أن ينجح ليعلم الجميع الخطأ الذي ارتكبه بحقهما منذ سنوات.

## الفصل السادس

كيف شفت قلبي يا طبيب  
همد ومات والا سامع له دبيب  
قاللي لقيته مختنق بالدموع  
ومالوش دوا غير لمسه من إيد حبيب

عجبي!!

رباعيات جاهين

انتهى اليوم على ما يرام، ليقفز بسام في سيارة جاهين مذكرًا إياه بالهدية التي عليهما شراؤها.

ضحك جاهين على حال ابن عمه، مرددًا:

"صحيح الحب بهدلة"

انطلق بالسيارة إلى وجهته التي حددها مسبقًا، يقف أمام إحدى المحلات الكبيرة الخاصة بالهدايا المتنوعة.

نزل من السيارة يتبعه بسام قائلًا:

- هنلاقي هنا حاجة هتعجبها؟!!

- إن شاء الله، عارف لو نانا كنت خدتك عند أول جواهرجي.

ضحك بسام على تعليق جاهين قائلًا:

- آه فعلاً، خالة ولادي ربنا يستر.

لوى جاهين شفتيه:

- لا خالة ولا عمّة.. يا ابني ولادك دول هيفتخروا بعمهم اللي هو أنا وبس.

- طيب يا أخويا، يالا بينا.

دلفا معًا إلى الداخل، هدايا عديدة ومتنوعة، منها ما يناسب الرجال ومنها ما يناسب الأطفال وبالطبع توقفا عند الركن الخاص بالفتيات، الذي وقف بسام فيه

متوترًا وكأنه يقف في مكان محرم على الفتیان، بالرغم من وجود جاهين إلى جواره يطالع الهدايا بهدوء وغيرهما من الشباب والفتيات.

- هي بتحب إيه عادة؟

انتبه لجاهين قائلًا:

- ها؟!.. ما عرفش.

- مافيش مرة كلمتك عن حاجة بتعجبها؟!!

- لأ.

هز جاهين رأسه بيأس:

- صبرني يا رب.

- يا جاهين مها واضحة، حد هادي وطيب، مش مادية خالص، أعتقد هتهتم

بمعنى الهدية أكثر من قيمتها.

- ولما أنت شاطر قوي كده ما تختار.

زم بسام شفتيه قائلًا بعناد:

- هختار.

راقبه جاهين مبتسمًا وهو ينقل بصره بين تلك الدمية القطنية وذاك الإطار الأنيق وغيرها من الهدايا المتراسة أمامهما، ليتحرك جاهين في محاولة للبحث

هو الآخر، فوقعت عيناه على أحد الرفوف، وتعلق بصره بها للحظات لكنها

كانت كفيلة ليلتفت بسام لما ينظر له على ذلك الرف الصغير ليتخطاها جاهين

مبتعدًا أما بسام فظل مكانه ينظر لها على مهل.

ثم مد يده يلتقطها بحرص كي لا تسقط منه وتتناثر شظاياها.

قارورة صغيرة تستقر بالكاد في كف يده، داخلها وردة بيضاء تبدو يدوية

الصنع، يتدلى من عنق القارورة سلسلة صغيرة يتعلق بها قلب كتب عليه

بالإنجليزية "صنعت بالحب"

ابتسم باعجاب واضح قائلًا:

- هي دي.

التفت جاهين لما في يده يطالعه بصمت قبل أن يقول:

- ممكن نلاقي أحسن.
- هز بسام رأسه نفيًا:
- لأ، مش هنلاقي أحسن من دي، الوردة البيضاء فكرتني بمها، أنا عجبتي أكيد هتعجبها.
- عاد صمت جاهين وقد غلفت عينيه نظرة لم يفهمها بسام ليقول:
- إيه يا عم هي مش عجبك، ده أنت لما بصتلها خلتنى آخه بالي منها.
- لا أبداً، هتعجبها إن شاء الله.
- طيب يالا.
- حرص على اقتناء علبة أنيقة بلون وردي لتستقر القارورة داخلها مع بطاقة صغيرة ليكتب فيها ما يريد، خرج من المكان وهو يشعر بالسعادة وكأنه أنجز أمرًا هامًا.
- إلا أن صمت جاهين المستمر أشعره وكأن شيئًا ما حدث.
- هو في حاجة حصلت في المحل ضايقتك؟! هز رأسه نفيًا فلم يعلق بسام بالكثير.
- وصلا للمنزل، صعد جاهين إلى غرفته، وجد بسام يتبعه ويغلق الباب، نظر له جاهين قائلاً:
- في إيه يا عم، مش خلصنا.
- لا ماخلصناش، هكتب إيه بقى في الكارت ده؟.
- أنت كمان عايزني أقولك تكتب إيه... اكتبها أنا آخرة صبرك.
- لوح بسام بكفيه:
- بطل هزار بقى، أنت بتقرأ كتير وكمان أشعار وحاجات من دي، علمني يا سيدي مما علمك الله.
- فرك جاهين رأسه بتعب:
- يا ابني اعتقتي لوجه الله.
- دول كلمتين يا جاهين مش قصيدة.

فتح العلبة أمامه ليخرج القارورة يضعها بحرص على المكتب، ليمسك بقلم ويستند على مكتبه ليقول:

- يالا قول وأنا هكتب على طول.

مسح جاهين وجهه وكأنه يزيل عنه تعب اليوم.

اقرب منه ينظر للقارورة، صمت لحظات أخرى وتذكر، ابتسم بحزن قائلاً:

- أنتِ وردتي.. وأنا ملاذك، فلتنظري للعالم من خلالي.. وأعدك سأحميك.

ابتسم بسام وهو يسرع بكتابة الكلمات مردداً:

- حلو أوي يا جاهين.

استدار جاهين يقف أمام دولابه وكأنه يهم إلى تبديل ثيابه، ربت بسام على

ظهره قائلاً:

- حبيبي ماتحرمش منك.

لم يعلق جاهين إلى أن خرج بسام، زفر بقوة وكأنه يخرج طاقة كامنة داخله.

نظر إلى ملابسه المرتبة داخل الدولاب مد يده لما خلفها وكأنه يبحث عن

شيء، توقف وقد وصلت يده لمبتغاه.

سحبها ينظر إلى ما استقر فيها.

نفس القارورة التي مع بسام واختلفت فقط في لون الوردة فوردته حمراء

اللون.

ضمها بأصابعه بقوة، وضعت هنا ليوم واحد، يوم واحد كان سعيداً بها

وسيهديها لمن أحب، وفي اليوم التالي تهدم كل شيء، لكن بقيت القارورة كما

هي.

أغلق عينيه يعيدها حيث كانت، ولا يعلم متى سيتخلص منها تماماً.

.....

أنهت سمرها مع الفتاتين وهبطت الدرج لتذهب إلى غرفتها، انتبهت لأخيها

الذي يخرج مبتسماً من غرفة جاهين أكملت طريقها لغرفتها ينظر لها محيياً:

- عاملة إيه يا بسمة!؟

- الحمد لله، خلاص أمورك وجاهين بقت تمام.

- الحمد لله.

أراد الدخول لغرفته فأوقفته:

- بسام.

التفت لها منتظرًا بقية حديثها:

- هو ماقلكش أي حاجة عني.

هل الآن تخشى أن يخبره ما شاهده بعينيه، أم تريد أن تعرف هل كرهها فعلاً؟!!

- حاجة زي إيه؟!!

هزت كتفيها بلا مبالاة:

- أي حاجة.

- لا، هو في الحقيقة مش طايق يسمع سيرتك.

زمت شفتيها غضبًا:

- ماتحسن ملافظك، ثم يعني هو أنا اللي طايقة أسمع سيرته.

- لا إله الا الله، مش أنتِ اللي سألتِ.

زفرت بغضب وهي تستدير دالفة لغرفتها تضرب بابها بقوة، ارتد بسام خطوة

للوراء من فعلتها.

- والله أنا ما فايقلك.

عاد لغرفته لكنه انتبه لخطوات تهبط الدرج العلوي التفت ليرى مها فأسرع

بإخفاء ما بيده، وتعلق بصره بها، استمرت في خطواتها وهي تنظر له مرة

وتنظر بعيدًا مرة لتمر جواره وتقف أمام غرفة فاطمة، لكنها توقفت ليبتسم هو.

تريده أن يتكلم هذا ما يظنه، أما هي فلا تعلم لم توقفت برغم أنها عازمت أن

تفعل معه كما يفعل معها ألم يتجاهلها ويشك بها فماذا عليها أن تفعل؟!!

- مها.

نظرت له بطرف عيناها قبل أن تشيح بوجهها بعيدًا، فأردف:

- عارف إنك زعلانة مني، أنا آسف.

ضمت قبضتيها وزمت شفيتها وكأنها تقاوم مشاعر مؤلمة وأيامًا عصيبة عاشتها طوال شهر كامل، بعد خطبتهما مباشرة، بعد أن ظنت أنها نالت ما تمننت، ذهب كل شيء في لحظة من تجاهل وخصام منه.

في الوقت الذي أرادت أن تبني بداخلها بناء لتعيش فيه مع أحلامها الوردية معه، إذا به يغلقه عليها ويبقيها وحدها، لتعود لظلام عاشته طويلًا، أم هي من تعلقت بالبشر أكثر من اللازم فعلمها الله أن يبقى قلبها معلقًا بخالق البشر إذا أرادت أن تنال ما تريد من البشر.

- مها.

صمتها طال فنادها، نظرت له تقاوم عبراتها:

- ليه عملت معايا كده، ليه؟!!!

وحروفها حملت كثيرًا من ألمها، حتى أن وجهه تغضن من كلماتها، أكان قاسيًا لهذه الدرجة، أستكفي هديته تلك لتسامحه؟!.

- مها، أنا عارف إن ماليش عذر كبير، بس صدقيني، أنا كنت متلخبط أوي، كلام جاهين الغريب عن خداع بسمة ليه، سفره وخصامه للكل وحتى أنا، خلاني مش عارف أركز ولا أتصرف صح مع حد حتى نفسي، أنا بجد آسف، على فكرة يا مها إحنا لسه مانعرفش بعض كويس، بس أنا متأكد لما نقرب لبعض أكثر لما تكوني مراتي مش هيكون في بينا خلافات كثير، وياريت دي تقولك إحساسي إيه بالظبط ناحيتك وأنا شايفك إزاي.

انتبهت مع كلماته الأخيرة لتلك العلبة الوردية التي بين أصابعه، مدها لها أكثر يحثها على أخذها، تناولتها منه وهي تنظر له بعينين دامعتين ليقول:

- آسف لو كنت السبب في دموعك، سامحيني.

ولم ينتظر أكثر بل ظن أنه فعل إنجازًا كبيرًا بكل ما قال ليتركها ويختفي بغرفته،

بينما هي ظلت مكانها لحظات تطالع العلبة بفضول واضح، لتعود أدراجها

وتصعد لأعلى، جلست على أول مقعد قابلها تفتح العلبة، مسحت عينيها

الدامعتين، مدت أناملها تلتقط القارورة، بدت صغيرة ورقيقة جدًا، أهكذا يراها

حقًا؟.

وردة بيضاء صغيرة وكأنها غلفت بتلك القارورة الزجاجية، فترى العالم، فلا هي محبوسة ولا هي حرة.

ما الذي يعينه هذا؟!!!

انتبهت إلى تلك البطاقة الصغيرة حملتها لتقرأ ما خط عليها فزادت عبراتها لكنها لم تكن حزناً بل فرحاً، وكما أبكاها من الحزن أبكاها من الفرح. رن هاتفها والذي قلما يصدر له صوت، أسرعت إليه وكما توقعت كان هو وكان هذا أول اتصال له بها منذ خطبتهما. ضغطت زر الإيجاب ولم تنطق بشيء ليقول هو:

- مها.

- اممم.

اكتفت بهممة.

- عجبك.

- أه.

- يعني سامحتيني.

ارتسمت السعادة على وجهها وهي تومئ بهممة أخرى وكأنه سيرى هزات رأسها المتتالية.

لكنه فهم ليبتم هو الآخر ولم يجد شيئاً آخر ليقوله سوى:

- تصبحي على خير.

- وأنت من أهله.

وضعت الهاتف وهي تضم تلك القارورة الصغيرة إلى صدرها مرددة:

- اللهم اكفني بحلالك عن حرامك.. يارب.. يارب

أما هو فاستقر برأسه على وسادته، ضاحكاً، سعيداً، راضياً.

حتى أنه اندهش من سعادته تلك، أحبها لهذه الدرجة دون أن يدري، أم لأن

الأمور تعود لنصابها، مع جاهين والآن مها.

لا يعلم، هو سعيد بهذا كثيراً وهذا يكفي حتى هذه اللحظة، لكنه سيكون أسعد لو عادت كل الأمور إلى نصابها.

.....  
استيقظ جاهين على دفعات متتالية على كتفه وصوت بسام يقول:

- اصحى، يالااا، هنتأخر على الشغل.

- يا ابني هو أنت طالعي ليل ونهار.

ضحك بسام بفرح:

- أيوة وتلاقيك كنت بتحلم بيا كمان، يالا علشان نفطر، بقالنا كتير مافطرناش  
سوا، يالا.

وهذا كان الوضع للجميع، وكان البيت حرم من صحبة الجماعة بعد فسخ  
الخطبة وسفر جاهين، وشعر بسام أن الأمور ستعود لطبيعتها إذا عادت عادات  
المنزل من جديد.

تحلق الجميع حول مائدة الطعام في انتظار نزول جاهين، فيما عدا سميحة التي  
لا تعتبر نفسها جزءًا من تلك الجماعة.

بدت مها أكثر سعادة وبالطبع لم تخف سرها على أحد بل أخبرت بسمة وكذلك  
نانا بالهدية وشكلها، حتى فاطمة أسرعت إليها لتريها إياها، وكأنها طفلة فرحة  
بما بين يديها، نانا فقط التي سخرت منها ومن سعادتها المبالغ فيها لتقول:  
- خاصمك شهر وجايبلك دي يا بنتي أنت المفروض تطلبي عربية بس علشان  
تصالحيه.

ولم تهتم مها بهذا، تعلم جيدًا كيف تفكر أختها.

أما التي كانت في عالم مختلف، بسمة، هي المرة الأولى التي تنضم معه على  
مائدة واحدة منذ ما حدث، وهو قرر تجاهلها، أعليها أن تفعل المثل، أم تكون  
المبادرة منها هي لأنها بالفعل تريد إصلاح الأمور، وإلا سيبقى أمر معاذ كسر  
عليها دفنه دومًا.

ارتفعت الرؤوس كلها على خطواته، إلا هي، وقد بدأ توترها يغلبها، أما صاحب  
الخطوات فتوقف للحظة، كأنه تفاجأ من انتظار الجميع له حتى أنه رمق بسام  
بضيق، لكن بسام تغافل عن هذا قائلاً:

- يالا يا عم موتنا من الجوع.

ضم قبضته للحظة وهو يذكر نفسه بما قرر أن يفعله، فلا يهم أن تضمه معها مائدة أم لا، هما يعيشان في منزل واحد وسيلتقيان كثيرًا، فلا شيء يهم، أكمل سيره إلى المائدة.

جلس في مكانه المعتاد بجوار بسام الذي وكزه قائلاً:  
- أنت شوفت الناس اللي قاعدة دي.

تمنى لو لكمه مثلاً، لكنه رفع رأسه ونظر لفاطمة:  
- إزيك يا مرات عمي.

ابتسمت في حنو:

- وحشاني مرات عمي منك يا جاهين، حمدلله عالسلامة ولو إنها متأخرة.  
- الله يسلمك، ازيكم يا بنات.

قالها على العموم وكانت المجيبة نيابة عن الجميع نانا:

- كويسين الحمدلله، نورت بيتك تاني.

- شكرًا.

قالها دون أن ينظر لها أو لغيرها، يأكل طعامه بهدوء، وحالة من الصمت حلت على الجميع، رمقهم بسام للحظة، وشعر بالضيق ليس هذا ما أراد ولكنه لن يستعجل الأمور.

رن هاتف جاهين فنظر له وتعرف على رقم والدته غادر المائدة يجيب سريعًا:  
- أيوة يا حبيبتي.

وللكلمة صداها على الجميع حتى بسام الذي تتبعه ببصره مندهشًا وهو يخرج للحديقة يكمل المكالمة.

ليعلو صوت نانا:

- مين حبيبته دي؟!!

وكزتها مها لتصمت، وانتقلت الأبصار لبسمة التي بدت كمن يكتم غيظًا وهي تضم قبضتها على ملعقة حتى ابيضت أصابعها دون أن تشعر، والغريب أنها بالفعل مغتظة ولا تعلم لماذا؟!!

لأنه تناساها سريعًا؟، ألم يقل أنه أحبها؟، أحقًا أحب غيرها في شهر واحد؟!!!.

عاد جاهين باشًا سعيدًا ليقول:

- بسام، لوجي ولدت.

هب بسام ضاحكًا:

- بجد، ألف مبرووك.. أنت كنت بتكلم طنط ميادة.

- ايوة يا ابني أو مال مين؟!!

- جابت إيه؟

- ولد.

حل السرور على البقية حتى هي وإن أخفتها، كانت ظنونًا غبية ومشاعر أكثر

غباءً لقد ارتاحت كثيرًا حين اكتشفت أنه كان يحدث والدته، ليعود عقلها هذه

المرة ويسألها "ماذا دهك بالضبط؟!"

قالت فاطمة مباركة:

- ألف مبروك يا جاهين يتربى في عزكم يا حبيبي.

ولأنه كان سعيدًا فلم يقاوم هذا، نظر لها ضاحكًا:

- الله يبارك فيك يا مرات عمي، عقبال ماتشوفي ولاد مها وبسام كده.

والفتاة أصابها الخجل لتبارك وكذلك أختها. رد تهانيهم جميعًا لتجد أنها الوحيدة

التي لم تقل شيئًا، أليست فرصة جيدة الآن؟!.

- مبروك يا جاهين.

سمعها، أحقًا تجرؤ وتحدثه، لكن صوتها لم يكن عاليًا فقرر أن يتصرف وكأنه

لم يسمعها، فأغضبها هذا لتقول بصوت أعلى:

- أنا باركتك على فكرة، ولا أنت ناوي تعاملني كده على طول.

حل الصمت على الجميع، ليلتفت لها جاهين قائلاً:

- افندم!!

حاول بسام تهدئتها:

- خلاص يا بسمة ماسمعكيش كويس ما كلنا بنتكلم.

- لا سمعني وطنش بمزاجه.

خرجت من أمام كرسيها لتلوح بكفها:

- تمام، أهم كلهم موجودين، أنا آسفة، اديني بعذرلك قدامهم كلهم.  
شقت شفتيه بسمة ساخرة:

- آسفة!!، بس أنتِ ما عملتيش حاجة تستحق كلمة أنا آسفة دي، بعد إذنكم يا جماعة عندي شغل.

زفرت بضيق واضح بعد خروجه لتسرع إلى الدرج صاعدة لغرفتها تتبعها نانا،  
أما بسام نظر لأمه ومها قائلاً:

- أنا همشي أنا كمان، واضح إن الموضوع أصعب مما تصورت.  
ابتسمت له أمه:

- معلش يا حبيبي، كله هيتصلح إن شاء الله.

- إن شاء الله يا ماما، أشوفكم بليل.

أسرع خلف جاهين لكنه لم يلحقه فلقد انطلق بسيارته بالفعل، هز رأسه بيأس  
ليركب سيارته ويتبعه.

.....  
قبض بأصابعه على مقود السيارة.  
"آسفة!!"

وكأنها ضربت كتفه بدون قصد، أي عقل تملك تلك في رأسها، أثارت غضبه في  
الوقت الذي كان فيه سعيدًا بالفعل، لكن يبدو أن سياسته معها ناجحة، رأى  
غضبها وحنقها من تجاهله لها، وسيستمر، لن يشعرها أبدًا بضيقه منها ومن  
أفعالها، فكل تصرفاتها أصبحت له كهباء منثور.  
عنده أمور أكثر تشغله، أمسك هاتفه يتصل به، وانتظر لحظات حتى جاء الرد  
بتأوب، عقد حاجبيه مندهشًا:

- إيه ده، أنت لسه نايم، سامر النشيط بقى كسلان ولا إيه؟!  
جاءه صوته أكثر تركيزًا:

- جاهين!! أنت جيت امتي؟!!

- من كام يوم، مبروك مكتبك الجديد، أخبار الشغل معاك إيه؟!  
لحظات صمت تبعها كلمات لم تحمل أي حماس:

- الله يبارك فيك، أهو لسه.

- ولا يهملك، عايز أقابلك ضروري، بس بليل أنا رايح الشغل دلوقتي.

- خلاص تمام، هبعثك مكان واسم المطعم اللي بتعشى فيه، الساعة ٨ كويس.

- أه كويس أوي، أشوفك بليل سلام.

- سلام يا جاهين، وحمد لله عالسلامة.

- الله يسلمك.

أغلق سامر هاتفه محققاً فيه لحظات، يرجو أن يكون حديثاً عن العمل، فلا

يجمعه مع جاهين أشياء خاصة إنما هو العمل.

عاد يستلقي على فراشه الذي أيقظه اتصال جاهين من نومه عليه، يحدق في سقف الغرفة التي لم يغادرها منذ أمس وقد تملكته حالة من اليأس والإحباط لم يشعر بها سابقاً.

كيف لا والضربة تأتي من الشخص الذي من المفترض أن ترتمي في حضنه ليواسيك.

كيف لا والحامي قرر أن يكون جلادك.

لقد أخذت منه أبسط حقوقه كابن، حتى فكرة اشتياقه لها ورغبته في رؤيتها، أصبحت ضرباً من الجنون، أتجبره أن يكرهها!!  
فلماذا؟!!

سؤال لم يعرف إجابته على الإطلاق، وعادت صور عديدة تلاحق ذاكرته منذ أمس، وكأنه قرر أن يستعيد كل مشاهد طفولته، لعله يعرف أين خطؤه، ما الذي ارتكبه في حياته جعلها ساخطة عليه إلى هذا الحد?!!

لكنه لم يجد، يبحث ويبحث ولا فائدة!!

لم يكن فاشلاً يوماً، كان ينجح في دراسته، تبتسم له حين يخبرها أنه فعلها ونجح بتفوق، تخبره أن يجتهد دوماً ليساعدها في العمل، واستمر نجاحه وانتظاره لتقديرها لكل ما يفعل، كأبي ابن يريد أن يرى نجاحه في عيني أمه وأبيه والأخير لم يبخل عليه بهذا أما هي فلم تكن بهذا السخاء.

وحتى حين التحق بالعمل، كانت شديدة، عصبية، صارخة.

لن ينكر أنه كان يخشاها أحيانًا، لكن بمرور الوقت تعلم وأصبحت أخطاؤه قليلة وزادت ثقتها به، كل شيء كان يسير على ما يرام، وكانت لازالت تحتفظ بلقب أمي عنده.

برغم أنها أصرت عليه في العمل أن يلقبها باسمها "سما هانم" وجاءت الصدمة الأولى بحبه لأحلام، وكان سما تحولت لشخص آخر، شخص لا يقبل أن يخرج ابنها عن طوعها، أكانت تملكه أم تربيته؟! وسارت الأمور من سيء لأسوأ، إلا أنه لم يتصور أن يصل الأمر إلى تلك المرحلة.

أن يستشعر معنى البقاء بدون أهل وله أم وأخ. وبرغم سنوات عمره الواحدة والثلاثون إلا أن الأمر لازال مؤلمًا جدًا. أغلق عينيه مرددًا:

- يارب، يا رب ساعدني، ماتخليهاش تكسرنني، أنا مش هرجلهم تاني، مش هرجع أبدًا.

عاد رنين هاتفه، لكنه عرف من قبل أن ينظر لقد خصص لها نغمة مختلفه كي يعلم حين اتصالها، لكنه لم يتحرك، أو يفكر في الرد، ما الذي لديه ليخبرها به، لا جديد.

انقطع الاتصال بعد أن مل من الرنين.

لكنه ابتسم رغم كل ذلك، على الأقل يوجد أحد في هذه الدنيا يهتم لأمره، هي فقط المتمسكة به إلى الآن.

زينة.

زينة التي غلبها الحزن وهي ترى تجاهله لاتصالها، ألا يكفي أنه لا يجيبها منذ أمس، ولكن لما تلومه، هو لا يشعر بما تشعر به، وليس في عقله أو قلبه أي مشاعر خاصة لها، فلتغلق على مشاعرها تلك أفضل من أن تظل تتألم.

- مالك يا زينة؟!!

سألها أبوها الذي تتناول معه إفطاره، لتقول:

- مش عارفه مش بيرد ليه؟!!

رمقها حكم وقرأ على وجهها حزنها ليقول:

- يمكن مشغول أو لسه نايم، ثم مش هو قالك لو في جديد هو اللي هيتصل؟  
أومات زينة بالإيجاب، وقف حكم قائلاً:

- يبقى ماتتصليش تاني.

شعرت بلهجة أمره في جملته، رفعت بصرها نحوه، وكانت نظرتة حازمة،

لتقول مدافعة وكأنها موضع اتهام:

- أنا بس عايزة أظمن، المشوار اللي عملته امبارح جاب نتيجة ولا لأ، مش بتصل وخلص.

- برضو ماتتصليش تاني، هو هيتصل لو عايز.

- حاضر يا بابا.

- عايزة حاجة أجيبها وأنا جاي.

- سلامتك يا بابا، البيت فيه كل حاجة.

ابتسم لها مغادراً، وضعت رأسها على المائدة تنظر للهاتف الصامت بجوار  
رأسها مرددة:

- ماترن بقى.. رن.

.....

غضب مستعر لا يهدأ داخلها، تدور في غرفتها كالليث الجريح، لا هي تعلم فيما  
غضبها، أمن تجاهله، أم عدم قدرتها على إصلاح الأمور، ولا تدري كيف تهدئ  
من نفسها.

ما الذي يعنيه بكلماته تلك، ألا يعني اعتذارها له أمام الجميع أي شيء ليخرجها  
بتلك الطريقة.

هذا المتعجرف.

الأسف غير كافٍ!!

أقتل نفسها إذا، أم يريد أن تبكي عند قدميه؟

صرخت بالفعل بسخط، لتهز نانا رأسها بدهشة:

- والله أنا مش فهماك، أنت متخيلة بعد اللي عملتية فيه هيقول آه تمام اعتذارك مقبول، ده أنا اللي ماليش في الحوار هطق من جنابي من اللي عملتية، خلّيت الكل أعدائك وقعدت، هديت كل حاجة عملناها من ساعة ما دخلنا البيت ده.  
- نانا اسكتي، كلامك بيضايقني زيادة.

"وهتفضلي لحد امتي مش عايزة تسمعي حد غير صوت نفسك"  
التفت لأمها التي وقفت عند الباب مع مها، زمت شفيتها وفضلت ألا تدخل في عراق جديد الآن، هزت فاطمة رأسها:  
- طول ما أنت مش شايفة غلطك، عمرك ماhtعرفي تصلحيه، ويا خوفي تشوفيه بعد فوات الأوان.

زمت شفيتها أكثر ولم تحتمل لتتظر لأمها بحنق:  
- وأنت ماشوفتيهوش ليه، ما أنت اتجوزت بابا اللي الفرق بينكم كان السما والأرض، ماكنش غلط ساعتها.  
"بوسي"

صاحت بها مها محذرة لكنها لم تهتم فأردفت:  
- أنا شبهك على فكرة، بس ستي كانت أحسن منك سابتك تختاري وتتجوزي بابا، سيبنى أنا كمان ياتطربق على دماغي يا أنجح، ماحدث هيشيل غلطي غيري.  
- بوسي كفاية.

قالتها مها ثانية وهي تربت على كتف فاطمة:  
- معلىش يا أبلة بطة، ما أنت عارفاها لما تكون متعصبة، روعي ارتاحي في اوضتك أحسن سيبك منها.  
قاومت فاطمة عبرات أرادت الفرار من مقتليها:  
- أنت ماتعرفيش أي حاجة عن جوازي من أبوك، ماتعرفيش أي حاجة.  
أشاحت بسمة بوجهها بعيدًا بينما استدارت فاطمة تغادر الغرفة التي أغلقت مها بابها لتعود وتقف بجوار بسمة لتلوم:

- أنتِ إيه اللي جراك، عمالة تدوسي على كل اللي حواليكِ ليه، وعشان مين،  
عشان علاقة حرام أصلاً.

هبت بسمه واقفة:

- حرام، هو أنا بس دلوقتي اللي بعمل الحرام، وأنتِ يا شيخة مها، مش كنت  
هتмотي وتكلمي أخويا، كان حلال ده، ولا لما بتقابليه في الجنية ولا حتى في  
أي مكان في البيت وبتقفوا لوحدكم، ولا هو حرام عليا أنا بس، مافيش ملايكة  
هنا... كلنا زي بعض.

بهتت مها لكلماتها لتضرب نانا كفاً بكف:

- لا أنتِ ضربتِ فعلاً، يالا يا مها، سيبها، هي خلاص مش عايزة تسمع غير  
نفسها.

سحبت نانا أختها التي كانت لا تزال تحدق ببسمه بذهول حتى خرجت من  
الغرفة، لتسرع بسمه بغلق الباب خلفها وقد استندت عليه بظهرها قبل أن  
تجلس أرضاً وقد غلبها البكاء مرودة:

- مش أنا بس اللي شيطان، مش أنا.

.....

انغمس في العمل حتى المساء، لم يحدثه بشأنها ونوى ألا يفعل حتى يعرف  
كيف يحكم تصرفات أخته أولاً، فهي تفسد كل شيء بتهورها.  
انتبه لوقوفه فنظر له متسائلاً:

- هتروح.

- أيوة، بس هقابل سامر الأول على العشا وبعدين هروح.

وضع بسام القلم الذي بيده قائلاً:

- أنت هتشتغل معاه.

- أيوة.

- وهتقتع عمتنا إزاي؟ وهي شايفة إن المصلحة مع سما مش سامر.

هز كتفيه:

- بسيطة، نوريها إن ممكن نطلع بمصلحة من سامر غصب عن عين سما.

عقد بسام حاجبيه:

- مش فاهم.

ابتسم بمكر واضح:

- أشوف سامر وأعرف هو ناوي على إيه وهيوافق ولا لا، وبعدين أقولك، سلام علشان متأخرش عليه.

تركه يغادر ليعاود هو مراجعة الأوراق التي بين يديه.

استقر جاهين بسيارته وانطلق إلى حيث ينتظره سامر بعد أن تأكد من اسم المطعم وعنوانه.

كان يشعر بالجوع بالفعل، فمن الجيد أنه سيأكل أيضًا.

وصل بعد برهة ليدخل إلى المطعم الذي بدا هادئًا، وقف لحظة حين رأى سامر، كان يبدو مختلفًا لوهلة، عقد حاجبيه مرددًا:

- هو أنا غبت كثير أوي كده.

نفض ذاك الخاطر عن رأسه وأسرع بالاقتراب من مائدة سامر الذي انتبه له ليقف مستقبلًا، تصافحا ليقول سامر:

- جاهين بيه، عاش من شافك.

- سامر باشا واحشني.

ضحك الاثنان وجلسا، أمسك سامر بقائمة الطعام:

- خرينا نطلب الأكل الأول.

- يا ريت، في الحقيقة أنا واقع، انشغلت وماكلتش من بدري.

أشار سامر للنادل قائلاً:

- هختارك أفضل أكل هنا.

أوما له جاهين إيجابًا، بالفعل تم سامر الاختيار من قائمة الطعام، ليتحدث

وجاهين بعض الشيء عن رحلته إلى كندا والتي قال عنها جاهين أنها لزيارة أخته التي تعيش هناك وفترة استجمام لا أكثر.

وصل الطعام وشرعا في الأكل ليقول جاهين:

- ومبروك تاني على المكتب الجديد.

- الله يبارك فيك، ناكل شوية الأول وبعدين نتكلم في الشغل.  
وكأنه يخشى أن يفقد شهيته التي عادت له بعض الشيء برؤيته لجاهين  
والحديث معه، لقد كان وحيديًا طوال يومين وكم يحتاج إلى صحبة جيدة.  
تسامر جاهين في أمور مختلفة بعيدًا عن العمل، واندمج سامر معه جيدًا حتى  
شبعًا بالفعل، ليقول جاهين:

- يااه، أنا كلت أكل، مع إني مش من هواة أكل المطاعم.

- بس المطعم ده أكله حلو فعلاً.

- عندك حق، قولي بقي أخبار مكتبك إيه؟!!

ارتشف بضع قطرات من الماء ليقول:

- يعني مقدمين كذا عرض ومنتظرين.

ابتسم جاهين ليقول:

- بس اللي سمعته إن سما مش سيباك في حالك، حتى إحنا حذرتنا من التعامل  
معاك.

رمقه سامر لحظات ليقول:

- وبعدين؟!!

مال جاهين بجذعه للأمام مستندًا على المائدة:

- بس زينة بقي أقنعتني، شاطرة البنت دي على فكرة، طول عمرك بتعرف تنقي  
الناس اللي تشتغل معاك.

عقد سامر حاجبيه قائلاً:

- زينة!! أنت شفت زينة؟!!

بدا على وجهه الدهشة ليقول جاهين:

- هو مش أنت اللي بعثها?!!

صمت سامر مفكرًا ليردف جاهين:

- مش مهم، المهم إن الشغل معاك فعلاً مكسب زي ما قالت، وأنا مصدقها لأنني

عارفك يا سامر، بس أنت كمان عارف إن المهم المصلحة فين؟! وإحنا

مصلحتنا مع شركة الهيثم، بس كمان شركة الهيثم بتستفيد منا، وأنا بصراحة

طموحي أكبر من إننا نفضل سنيده لشركه الهيثم، فعايز أسألك أنت ناوي ترجع  
للشركه دي تاني؟!!!

ولم يفكر سامر للحظه:

- لأ، مش ناوي.

ارتكنت بسمة ثقة على شفتي جاهين:

- تمام، يبقى علشان نشتغل سوا في شرط مهم محتاج إنك تفكر فيه، لو قبلته،

هنشتغل مع بعض، وهنبقى أحسن وأقوى من شركه الهيثم.

ضاقت عينا سامر وهو يعقد ذراعيه أمام صدره:

- شرط إيه؟!!

## الفصل السابع

يا نجم.. نورك ليه كده بيرتجف؟  
هو أنت قنديل زيت؟ أو تختلف؟  
أنا نجم عالي.. بس عالي أوي  
وكل ما انظر تحت أخاف أنحدف

عجبي!!

رباعيات جاهين

الغدر.

ليس من صفاته، ولم يظن أنه سيمتلکها يوماً، بل ربما هذا حال الكثير، فتأتي ضربة تلو أخرى ممن تظن أنهم الأقرب لك، حينها فقط تشعر أن غدرك بهم ما هو إلا قطرة في بحر ما فعلوه بك، فتستسيغ فعله وكأنه لا شيء.  
أليس هم من بدأوا والبادي أظلم؟!  
أليس الصغير من طعن الكبير، وبدلاً من الاعتذار، صرخ وغضب ولوجه ضرب.

أليست الأم من نست معنى أن تكون أمًا، فحاصرت وبطشت ولقلبه قتلت.  
حان الوقت لسد الدين، هو ليس بغادر هو فقط يرد لهما ما فعلاه، فليذوقا نفس الكأس، وليخبراه كيف كان الطعم.  
أوقف سيارته ليترجل منها، خطوات بطيئة سار بها ليقف متكئاً على السور العريض الذي يفصله عن ضفاف النيل.  
تتراقص الأضواء من حوله على صفحته المظلمة، دوماً المياه تعكس ما حولها، تضيء بنور النهار وتُظلم بظلام الليل.  
وهكذا قلبه، زادوا الظلمة عليه فأظلم.  
لن يحتاج لهما بعد الآن، سيكون العقبة في طريقهما، سيكون الغصة التي تقف في حلقهما.

والبداية قريبة.

أم عليه أن يفكر أكثر؟!!!

لم يعد يملك تلك الرفاهية، هو خاسر حتى الآن وسئم ذلك الشعور، فلينال بعض المكاسب حتى لو فعل ما سيظناه ضرباً من الجنون.

جاهين يبدو أنه يعلم أن لا مفر له، كلماته حملت الكثير من الثقة، وكأنه يعلم كيف هو حاله وأن سما لم تترك له منفذاً ليفر منه.

ضاقت عيناه مفكراً، أي كلمات أوصلتها زينة لهم؟!!

هل هو بموقف ضعف بالفعل أم عليه أن يستمر في الحديث من موقف قوة؟!  
أمسك هاتفه يتصل بها، عقد حاجبيه وقد انتابه بعض الغضب، لن يغفر لها إن حطت من قدره أو أشعرته بضعفه.

وبينما هي في فراشها وصل الرنين لها فقفزت من مكانها تجيبه، "أخيراً"  
حدثها عقلها.

- ألو، أيوة يا باشمهندس.

وجاء الرد مباشر:

- ماقلتليش ليه إنك رocht تقابلي جاهين.

ابتسمت دون أن تشعر بنبرته الغاضبة:

- ما هو أنا ماكنتش واثقة المحاولة دي هتتجح ولا لأ.

- أنتِ قلتيله إيه بالظبط؟!!

وهذه المرة الغضب كان واضحاً، صمتت وكأنها تتأكد، تكذب أذنيها، ما الذي يغضب في الأمر، لقد فعلتها لأجله.

عاد لصياحه:

- ردي عليا أنتِ قولتلهم إيه بالظبط؟!!

غضبه أغضبها، لتعقد حاجبيها قائلة:

- يعني هكون قلت إيه؟!.. وريتهم العروض اللي كنا عاملينها وإننا هنكون مفيدين ليهم أكيد.

- بس..، يعني ماعرفوش حاجة عن وضعنا اللي زي الزفت.

تحول غضبها لغصة في حلقها.

- أنت مشغلني ليه وأنت مش واثق فيا؟، ليه دايمًا فاكِر إني هنشر أسرارك؟ ده أنا عملت كل ده علشانك.. أ..

توقفت حين شعرت أن لسانها سيجرها لما لا يجب قوله، خنقتها العبرات، لتغلق الهاتف وتلقيه على الفراش، وهي تكتم صوتها كي لا يسمعه أبوها.  
لتردد:

- غبية يا زينة، عمره ما هيحس بيك.

ألقت بنفسها على فراشها تكتم شهقات متتالية ترجو الفرار.

طرقات على باب غرفتها مع صوت أبيها:

- يالا يا زينة العشا.

بذلت مجهودًا مضمينًا ليخرج صوتها طبيعيًا:

- كلوا انتو يا بابا، أنا شبعانه.

وهذا ليس بجديد عليها فتركها وذهب، لتدفن وجهها بين كفيها تترك لعبراتها العنان.

عاد الرنين يصدح من هاتفها التفتت لترى اسمه، ضغطت زر الرفض بقوة دون تردد، فتعالى ثانية بإصرار، فأغلقتة مرة أخرى وهي تمسك الهاتف تضغط زر التشغيل لتعطله تمامًا مرودة بعصبية:

- مش هرد، اخبط دماغك في الحيط بقى.

وقف يحدق في الهاتف مع سماع رسالة أن الهاتف مغلق، لقد أغلقت الهاتف تمامًا كي لا يتصل بها.

- بتقفلي في وشي يا زينة.

أطرق رأسه للحظة وعاد إلى سيارته، استقر أمام مقودها وأسند ظهره لخلف، عليه أن يهدأ قليلًا ليحسن التفكير، إلا أن كلمات زينة عادت تضرب رأسه..

" ليه دايمًا فاكِر إني هنشر أسرارك؟ ده أنا عملت كل ده علشانك "

- إيه يا سامر، هتخسر حتى الناس اللي عايزة تقف جنبك.

فتح هاتفه ليكتب لها رسالة، لم تكن طويلة فقط اعتذر لها، وتمنى أن يخبرها أنها الآن أكثر أهل الأرض ثقة له، ولكن حتى هذه لا يستطيع أن يقولها، ولم عليه أن يخبر كل من يثق بهم بهذا؟، وهو من خانته أخوه وأمه من قبل. وضع الهاتف جانبًا، لينطلق بسيارته عائداً لشقته، عليه أن يفكر جيدًا ويعرف كيف يخرج من كل هذا بأقل الخسائر.

.....  
جلست وحيدة طول اليوم، لم تغادر غرفتها إلا لحاجة، ولم ترَ أحدًا وكأن الجميع قرر الاختفاء أيضًا، تبكي تارة وتشرذ تارة.

وشعور بالوحدة يتعاضم داخلها، وشوق لأيام مضت عاشتها سعيدة حتى ولو كانت فيها فقيرة، لمَ كل شيء يتحول لأسوأ؟ لمَ تفقد زمام الأمور؟! ويعود عقلها ليخبرها أنهم السبب، هم المصريون على الضغط عليها طوال الوقت، يريدون أن يدفعوها لما يرغبون ولا يهم ما ترغب هي. أما قلبها فيلومها، أستخسرين كل من حولك وتبقين وحيدة، أي معركة تلك التي ينتصر شخص فيها وحيد. من سيدعمك؟ من سيشد من أزرعك؟ من سيواسيك؟! رفعت رأسها تنظر إلى غرفتها الواسعة الأنيقة الفارغة إلا منها، والتي بدت باردة جدًا.

وأعاد قلبها ذكريات لعقلها، ذكريات ضحكاتهما مع الفتاتين، الصديقتين الوحيدتين لها!!

في غرفة رثة، الحرارة فيها خانقة إلا مروحة تمنحهن نسيمات قليلة، وبرغم ذلك كانت تضحك من القلب، وقلت تلك الضحكات منذ وصلت إلى هنا، حتى انعدمت تمامًا.

اتصال على هاتفها أخرجها من أفكارها، أمسكت به، تنظر له بلامح ثابتة.  
"معاذ"

هكذا تسميه على هاتفها.

الحلم المراهق الذي سُرِق منها، وها هو قد عاد، فمتى ستشعر بالسعادة لهذا؟!، لم قلبها لازال يحمل الحزن أطنانًا، لا زالت تشعر بأنها فقدت الكثير وتفقد الأكثر.

أجابته قبل أن ينتهي الاتصال، يأتيها صوته مُليماً:

- إيه يا بوسي، كذا مرة أتصل بيك ماترديش.

- معلىش يا معاذ، أنا مودي وحش النهاردة.

صوتها كان واجماً، حزيناً ولم يكن هذا ليخفى عليه، فهو لم ينسَ بعد حالات فرحها وحزنها.

- مالك؟!.. في حاجة حصلت؟! صمتت لحظات، تقول بعدها:

- معاذ، هو إحنا هنجح؟! مش فاهم؟! أنا حاسه إن كل حاجة ضدنا.

ابتسم قائلاً:

- وإيه الجديد؟!، من زمان وإحنا عارفين ده وقررنا نكمل ونفضل سوا وننجح ونوريهم كلهم.

- بس أنا حاسة بإحباط فظيع.

هذه المرة طال سكوته هو إلى أن قال:

- وأنا كنت محبط أكثر منك طول السنين اللي بعدت فيها عني، ماكنتيش قدامي، بس رفضت استسلم، إيه أنتِ بقى مش قادرة تستحملي شوية رغم إني معاك، دانا طلعت أجمد منك بقى.

- يا معاذ أنا مش واقفة لواحد ولا اتنين، أنا حاسة إني واقفة في وش الكل، ماحدثش معايا.

بدأت نبرته متضايقة:

- محدش معاك، ولا حتى أنا.

هزت رأسها بيأس، هو لن يفهم ما تعنيه، هو ليس معها هنا. وكأنه فهم صمتها ليضيف:

- قلتك سيبنى أتقدم وخليني أقف معاك، أنت اللي رافضة.

- يامعاذ ماينفعلش خالص دلوقت.

- طب أنا إيه المطلوب مني ممكن أفهم؟.

زفرت قائلة:

- ولا حاجة يا معاذ، مشكلتي دي أنا اللي لازم أحلها، معلىش سيبنى اليومين دول، تصبح على خير.

رده كان الصمت، فأغلقت الهاتف، لم يعد لها قدرة على الاستمرار، حتى معه عليها أن تدافع عن موقفها وأفعالها.

والآن هي بحاجة لهما وبشدة، فكيف وكتاهما منها غاضبتان.

ارتدت ملابس الصلاة لتخرج لهما، نظرت حولها، سكون تام، بيت كبير لكنه بلا روح.

صعدت الدرج العلوي لتصل إليهما، خطوات أخرى ووقفت على باب الغرفة. مها تجلس ممسكة بمصحفها، وانا مستلقية على الفراش تضع سماعتى أذن وعلى ما يبدو تستمع لأغاني عبر هاتفها.

تحنحت فلم تسمعها غير مها، التي نظرت لها بحزن بالغ قبل أن تدير وجهها عنها.

دلفت بسمة تقترب منها، فانتبهت لها نانا نزع السماعتين واعتدلت جالسة، أما بسمة فجلست جوار مها تحتضنها على الفور:

- أنا أسفة يا مها، ماتزعليش مني، والله ماكنش قصدي، أنت عارفة أنت

بالنسبة لي إيه، أنا دايماً شايفاك أنصف وأطيب حد، سامحيني علشان خاطري. أبعدها مها برفق لتقول:

- أسامحك على إيه؟ انت معاك حق، أنا اللي اتساهلت وزماني خدت ذنوب على كده شكرًا إنك نصحتيني.

كانت كلماتها حزينة، باهتة.

لتلوي نانا شفتيها اعتراضًا:

- اتساهلت!! لا والله ضحككتيني، ده كان مخاصمك طول الشهر اللي فات  
اتساهلتي امتي بقى، أنت هتشليني. وأنت يا ست بسمة، طول عمرك عندي  
ودي حاجة إحنا عارفنها، بس عمرك ما قلبت علينا كده، هو في إيه بقى؟  
اعتدلت بسمة في جلستها وقد أطرقت رأسها بهم واضح:

- في إن كلكم ضدي، كلكم بتضغطوا عليا، أنتو اللي أجبرتوني أنفجر فيكم.  
رمقتها مها لتقول:

- أنا عمري ما كنت معاك في موضوع معاذ ده، هي بس نانا اللي كانت بتقويك.  
لتقول نانا بعصبية:

- ماتسيبي نانا في حالها، نانا عملت اللي عليها وشجعتها على ابن عمها،  
وأهي الفقرية، الحاجة الوحيدة اللي عملتها عدل بوظتها.  
التفتت لهما لتقول:

- يعني هتفضلوا ضدي، هتسيبوني لوحدي، مش كفاية أمي قررت تسيبني  
لوحدي.  
زفرت مها:

- أنت اللي اخترت تبقي لوحديك يا بسمة، افكري كده قبل ماتفسخي خطوبتك  
كنا مبسوطين ازاي، كنا حاسيين إننا في عيلة كبيرة وبقينا جزء منها، حتى  
مشاكلك مع عمك، كان قربك من أخوك وخطوبتك لابن عمك وبعدها خطوبتي  
من بسام، كلها كانت حاجات حلوة وتفرح، مش عارفه قلبك طاوعك تقلبيها  
علينا كده أزاي!!?  
ضربت بسمة كفاً بكف:

- تالاني، هنتكلم في ده تالاني، ماخلاص بقى.  
وقفت مها ترد:

- خلاص بلاش، أنت قررت تتصرفي زي ما أنت عايزة، بتلومي على غيرك لما  
ياخد نفس القرار، جاهين اللي عملت فيه مش هين ومافيش راجل يعديه  
بسهولة، مش عايز يتعامل معاك ومن حقه هو حر، إحنا مش راضيين عن اللي

بتعمليه ماتجبرناش نأيدك إحنا حريين، بس للأسف إحنا يهمننا مصلحتك فمش  
قادرين نسيبك تعملي اللي أنت عايزة من غير ما نقولك لأ.  
وقفت بدورها:

- ماشي قولوا لأ، بس ماتسبونيش، أنا حاسة إني وحيدة أوي.  
هزت نانا كتفيها:

- ما إحنا معاك أهو، اهدي أنت بس علينا.  
أما مها فلم تعلق، تقترب منها بسمة أكثر تمسك بكفها:  
- خلاص بقى يا مها، علشان خاطري، ولا أقول علشان خاطر ماما.  
ضحكت نانا لتقول:

- لأ، قوليلها الكبيرة بقى.  
تبتسم بسمة قائلة:

- علشان خاطر بسام.  
تسللت البسمة أخيراً لشفتي مها، تحضنها بسمة قائلة:  
- مافيش أطيب ولا أحن من قلبك يا مها.  
ربتت مها على ظهرها:

- ربنا يهديك ويحميك من نفسك يا بوسي.  
- آمين.

قالتها بسمة برجاء حقيقي، هي تتمنى بالفعل أن تفعل الصواب طوال الوقت،  
ومن لا يرغب بهذا.  
قفزت نانا من مكانها قائلة:

- نعمل شاي بقى زي زمان ونقعد نرغي للفجر بره.  
- موافقة جداً.

قالتها بسمة بحماس، لتقول مها:  
- طيب أخلص وردى وأحصلكم.

وبالفعل انضم الثلاثة لبعضهن، يتسامرن، تغطيهن نجوم الليل وهوأوه المنعش.

وبرغم أنهم حاولن الضحك، لكن لازال هناك شيء مفقود لم تعثر عليه أيهن بعد.

لطالما كان العقل والقلب في سجال، ومن هو المحفوظ الذي يتوافق عقله وقلبه طوال الوقت، وبرغم أنها لم تكن من النوع الذي يجادل عقلها قلبها كثيرًا، لكن هذه المرة فعل.

عقلها يدفعها لترك العمل تمامًا، فالأمر لم يعد يستحق، وقلبها يرجوها أن تتريث لعله يدرك خطأه. وبين هذا وذاك استمر العراك إلى أن نامت.

دفعات متتالية من أسماء لها أجبرتها على الاستيقاظ، هل أطالت النوم لهذه الدرجة؟! فعادة هي من توقظ أختها.

- ياالا يا زينة أنا جعالة.

اعتدلت جالسة، تفرك عينيها لتقول:

- طيب... حاضر.. هو بابا لسه نايم.

- أيوة، اعمليلي بيض.

زفرت زينة مرددة:

- يادي البيض هو أنت بتاكلي غيره، اطلعي صحي بابا على ما أحضر الفطار.

تنفست بعمق كأنها تنال شحنة مقاومة لكم الإحباط الذي أصابها أمس، التفتت

تنظر لهااتفها الذي لا زال على حاله، وعاد قلبها يحن، وعقلها يتساءل، ما

الذي حدث أمس أغضبه هكذا؟!!

هل قال له جاهين ما سبب له كل هذا الضيق؟!!

تبًا، ها قد بدأت في خلق الأعذار!!

نالت حمامًا صباحيًا كانت في حاجة له، وأسرعت لإعداد الطعام قبل أن تبدأ

أسماء في الصراخ فيعرف الداني والقاصي أنها جائعة.

وضعت أطباق إفطارهم المعتاد والبسيط على المائدة الصغيرة التي استقرت

أمامها أسماء لينضم لهما عبد الحكم.

تشرع أسماء في التهام البيض المقلي فتضربها زينة على كفها:

- سببي حاجة للغلاابة.
- ضحك عبد الحكم يربت على رأس طفلته:
- سببها يا زينة تاكل براحتها.
- التفت ثلاثتهم لطرقات على بابهم، قال عبد الحكم:
- مين ده اللي حماته بتحبه؟!
- أسرعت أسماء تفتح الباب، عليها تنال لعبًا مبكرًا هذا اليوم، وما إن فتحته حتى ابتسمت بسعادة:
- عمو سامر.
- سعلت زينة بشدة ما إن سمعت الاسم وهبت تختفي في الغرفة، عقد عبد الحكم حاجبيه للحظة قبل أن يقف يستقبل ضيفهم، الذي حمل أسماء وقبلها وهو يعطيها قطعة شوكولاته فاخرة قائلاً:
- اعتذار رسمي علشان اتأخرت عليكِ وماجبتلكيش شوكولاته بقالي كتير.
- أمسكت بها أسماء بفرح بالغًا أنزلها سامر، قالت لأبيها:
- بابا، هنادي على ندى صاحبتى ناكلها ونلعب سوا.
- ماشي يا سومة ماتبعديش من قدام البيت.
- خرجت مسرعة، اقترب عبد الحكم من سامر مصافحًا إياه:
- أهلاً يا ابني، شرفتنا والله.
- الشرف ليا يا عم حكم، أنا حاولت أتصل كذا مرة قبل ما اجي بس تليفون زينة مقفول.
- أفسح الطريق يشير لسامر بالدخول:
- اتفضل يا ابني، أنت جيت في وقتك، إحنا لسه بنفطر.
- جلس سامر حيث أشار له عبد الحكم بالقرب من مائدة الطعام يعتذر له:
- معلش يا عم حكم، أنا فطرت، وكنت محتاج أتكلم مع زينة في حاجة مهمة.
- حاجة مهمة؟!
- أيوة، في الشغل، ماهي ماردتش على التليفون.
- حاضر يا ابني.



- دلوقتي أنتِ عارفة أن وضعنا سيء جداً، وسما هاتم مش هتسيبننا منفذ، وأنا مش هرجع لها مهما حصل.

- بس دي أمك برضو، وده أخوك ومسيركم لبعض.

- زينة سيبك من الإصلاح الاجتماعي بتاعك ده وركزي معايا، جاهين قابلني أمبارح، لكنه مش هيشغل معايا بسهولة كده، كان عنده شرط لازم أوافق عليه علشان نشتغل مع بعض، وأنا بقى عايز أخذ رأيك في الشرط ده.

استطاع أن ينسيها كل شيء إلا الاهتمام بما يقول، فقالت بفضول واضح:  
- شرط إيه؟!!

صمت ثواني ليقول:

- عايز يشتري مني أسهمي في الشركة.

اتسعت عيناها بذهول:

- إيبيبيبيبيبه... كلها.

- لا طبعاً، حوالي ١٥ في المية، علشان يبقى أكبر مساهم بعد معاذ وأنا وسما، وله حق التصويت وكل مزاياها.

صممت هي الأخرى تفكر، قبل أن تعود وتنظر له:

- ودي حاجة كويسة ليك؟!!

- أكيد مش كويس أني أبيع الكمية دي كلها، أنا هبقى أقل من معاذ بعد ما كنا

متساويين، كمان الشركة تعتبر عائلية، وكده أنا بدخلهم حد غريب ليه نفس

مزاياهم، مش هيقبلوا بده بسهولة، ومش عارف رد فعل سما هيكون إيه؟!!

هز رأسه بحيرة:

- بس أنا مش مضطر أبقى عليهم، أنا محتاج أقف على رجلي وجاهين هيقدر

يحققلي ده، ده غير إن كلام جاهين مش أنه عايز يدخل الشركة يكسب منها أنا

حسيت أنه عايز يدخل الشركة يوقعها، أو على الأقل تبقى تابع لشركتهم،

والشركة دي عمري كله يا زينة، عمري كله!!!

مرر أصابعه بين خصلات شعره زافرا:

- أنا مش عارف أعمل إيه؟!!

فليذهب غضبها إلى الجحيم ها قد انتصر القلب وأسكت العقل وعلا صوته، وجه  
سامر الحزين الحائر أصابها بالهم في لحظات وعادت رغبته في أن تكون هي  
دومًا الطرف الذي يخفف عنه.

غلفهما الصمت وزينة تفكر، ترى كيف يمكن أن يكون هو الفائز وسط كل  
هذا؟!.

- باشمهندس.

نظر لها، لتردف:

- أنت قلت إنك مش هترجلهم، بس برضو بتقول دي شركتك، وأنت عندك حق  
في الحاليتين، أنت واثق في جاهين؟!.

- أنا عمري ماشوفت منه حركة ندالة أو خيانة، هو نضيف في الشغل.  
- تمام، أعتقد توافق.

نظر لها ولازالت عيناه تحمل من الحيرة الكثير، فأردفت:

- فلنفرض إنه فعلا عايز شركة الهيثم تبقى تابع ليه، ماشي، هو مين اللي عمل  
شركة الهيثم؟، مش أنت، اشتغل معاه واكبر أكثر وأكثر، وأنت هتلاقي أخوك  
وأماك هما اللي بيجروا عليك علشان ترجع لشركتك تاني وتنقذها، سيبهم  
يعرفوا قيمتك، والشاطر في الشغل هو اللي يكسب، وتبقى معركة شريفة بينكم  
للآخر، وجاهين هيفضل هو الكسبان، إيه المشكلة لما تبقى الشركتين- لما أنت  
ترجلها - من أكبر شركات المقاولات في مصر، وتستمر المنافسة الشريفة  
والشغل النضيف، ليه لازم حد يموت أو ينتهي.

أطرق رأسه للحظة وهي تنتظر رده، بل وعبد الحكم أيضًا الذي لم يستطع أن  
يمنع نفسه من النظر إليه وتعلو وجهه ابتسامة، ابنته تجيد الكلام.

رفع سامر رأسه ليقول:

- صح يا زينة، أنت صح.

ابتسمت بحبور تنقل عدواها لسامر الذي ابتسم أيضًا، وقف قائلاً:

- طيب استعدي بقي لأن قريب أوي هيكون في شغل كثير.

وقفت هي الأخرى لتقول:

- تمام يا فندم.

- بس ياريت تفتحي التليفون.

- حاضر.

تحرك سامر ليوقفه عبد الحكم:

- لا معلى أنت مرضيتش تاكل حاجة، بس مش معقولة تمشي من غير

مانضايفك، ولا احنا مش هنعرف نقدمك حاجة على أد المقام.

هز سامر رأسه بلوم:

- عيب الكلام ده يا عم حكم، مقامك على راسي.

ربت الرجل على كتفه قائلاً:

- ربنا يجبر بخاطرك زي ما بتجبر بخاطرنا يا ابني، احنا فطرنا بس لسه

ماشربناش الشاي تشرب معايا.

أوما سامر برأسه:

- ماشي يا عم حكم.

أسرعت زينة لترفع الأطباق التي ظلت على المائدة متممة:

- البت باعت البيض في ثانية علشان الشوكولاتة المستوردة.

.....

نقر بأصابعه على مكتبه بغرفته، وقد غالبه ظنه أنه ربما بالغ في شرطه، لقد تصور أن سامر سيقبل على الفور بسبب ما بينه وبين أمه وأخيه، الجميع يعلم أن العلاقة بينهم توترت كثيراً خاصة بعد خروج أخبار عن تحالف أخيه مع أمه ضده، لذا ظن أن سامر لن يفكر كثيراً، ربما كان عليه أن يقلل النسبة التي طلبها.

هز رأسه بلا، عليه أن يكون مصدر قوة في تلك الشركة، وإلا ما الفائدة أن يكون كأي مساهم لا يملك حتى حق التصويت؟!.

استند بمرفقيه على سطح المكتب، يضم كفيه معاً ويضع عليهما ذقنه، وقد ضاقت عيناه، لن يذهب كل ما يفكر به هباءً، سيدخل تلك الشركة، ويجعلها

تابعًا لهم، سيستفيد من كل ما فيه ووصلت إليه، سيقفز للأمام عشرات الأمتار، لن يمنعه أحد بعد الآن.

وسيندم كل من اختار الابتعاد عنه، وأولهم تلك المتعجرفة.  
- جاالهيّن.

انتفض على صياح بسام باسمه ليقول:

- اييه خضتني.

- أنا ندهت عليك مرتين على فكرة.

- خبير، اوعى تقولي عايز تشتري هدية تاني.

جلس أمامه ضاحكًا:

- لا يا سيدي، عملت إيه مع سامر، قلت هتعدني عليا بليل وماجيتش.

- رجعت متأخر شوية وكنت عايز أنام، عموماً أنا عرضت عليه إننا نشتغل معاه.

- أنا مش فاهم هتقنع عمتي أزاي؟!!

- ماهو أنا قولتله على شرط لو وافق عليه، عمتي مش هترفض.

- شرط؟! شرط إيه؟!!

- تخيل كده لو بقي معايا ١٥ في المية من أسهم شركة وريث الهيثم.

عقد بسام حاجبيه:

- مش فاهم، أنت قتلته كده، أنك هتاخذ ١٥ في المية من أسهمه، أنت اتجننت

يا ابني أكيد هيرفض.

- اصبر بس، أولًا أنا هشتريهم، وهخلي مكتبه شريك أساسي معانا، لو عمتي

سمعت كده تفتكر هترفض، لما تعرف إنني هبقى زي زيهم في الشركة دي، ده

غير إنني ناوي أستفيد منهم بدرجة قصوى، بس هو يواااافق.

- أيوة ماهو إيه اللي هيجبره إنه يوافق؟!!

- علاقته بأمه وأخوه سيئة، وأدبك شوفت بتمنع الناس يشتغلوا معاه، عايزة

توقعه وتجيبيه الأرض، وأنا بقدمله فرصة أنه يقوم ويقف بعيد عنها لا وكمان

يحطها شوكة في ظهرهم، أنا شايفه أحلى انتقام ممكن يعمله.

تغضن وجه بسام :

- انتقام؟! أنت بتقول إيه يا جاهين، وشغل إيه ده اللي ربنا يبارك فيه بانتقام وكلام من ده، أنا مش موافق على اللي أنت بتفكر فيه ده.

مط جاهين شفتيه:

- نعم يا أخويا، بسام اطلع أنت منها، أنا هشتغل بما يرضي الله، لا هسرق ولا هقتل ولا هنصب على حد.

- بس أنت بتستغل ضعفه دلوقتي.

- لا معلىش ده شغل، وهما كشركة كانوا بيستغلوا ضعفنا في السوق كويس وينطولنا شركا في شغل كتير، دي تجارة يا حبيبي والتجارة شطارة.

صمت بسام بعدم اقتناع، ليقول جاهين مغيرًا دفة الحديث:

- شوفت صور نوح.

- نوح مين؟!!

- نوح ميبين، اللي هيقولك يا خالو.

- لوجي سمت نوح؟!!

- ايوة باينه المنتشر بين الجالية العربية هناك.

رفع له هاتفه يرى الصور التي ظهرت فيها لوجي وهي تحتضن طفلها يجاورها زوجها وأمها على الجانب الآخر.

شعر بسام بالحنين لهما:

- تعرف أنهم وحشوني أوي، بالذات طنط ميادة، هي هتفضل هناك؟!!

- لا طبعًا تفضل ايه، أنا كمان محتاجها هنا، بس أنا سايبها تظمن على لوجي والنونو كويس وبعدين هقولها ترجع.

- تمام، أنا بفكر أفرح البيت شوية، ونحدد ميعاد فرحي أنا ومها.

ابتسم جاهين يقول بفرح صادق:

- بجد، هاايل، خلاص فرصة برضو نضغط بيها على ماما أكيد هتحب تحضر فرحك، ربنا يتملك بخير يا حبيبي.

تخلت الفرحة عن وجهه سريعًا ليرى بسام هذا فقال:

- يعني مش هتكون مضايق، إني بعمله في وقت زي ده.  
- أنت عبيط يا ابني، وهضايق ليه؟!، وإيه هو اللي وقت زي ده مش فاهم؟!،  
ما الدينا لطيفة وماشية أهي، وأنت ومها تستاهلوا كل خير، الطيبون للطيبات يا  
ابني.

هدأت ملامح بسام وغلّبها اليأس:

- كان نفسي فرحنا يبقى في يوم واحد، بجد كان حلم من أحلامي.  
ضحك جاهين ليقول:

- لا يا عم، أنا ما أحبش حد يشاركني، أنت تبقى ملك ليلتك وأنا أبقي ملك  
ليلتي، ثم لو فرحنا في يوم واحد مين فينا هيبقى فاضي للتاني، لا أنا هرکز  
معاك وهعملك أحسن فرح.

جاهين كان يضحك، لكن بسام رأى بسهولة أن الضحك شبه مفتعل، فعيناه ظلت  
كما هي لا تعبر عن أي مصادر فرح، وعاد الضيق يتملكه مما فعلت أخته ولا  
يستطيع تجاوزه حتى الآن.

- طيب يالا ضبط نفسك بقي علشان صلاة الجمعة.  
ابتسم جاهين:

- حاضر يا بركتنا.

غادر يتركه بغرفته، أما جاهين فاسترخى على كرسيه واستعاد وجهه الملامح  
التي تعبر عما بقلبه.

ليردد:

- وأنا كمان كنت بحلم نتجوز في يوم واحد.

ضحك بسخرية على حاله:

- ده أنا كنت غبي أوي، وعايز فرحتك تبقى اتنين، فرحه بعروستك وبأختك  
وهي مراتي!!

## الفصل الثامن

فتحت شباكي لشمس الصبـاح  
ما دخلش منه غير عويل الرياح  
و فتحت قلبي عشان ابوح بالألم  
ما خرجش منه غير محبه و سماح  
عجبي!!

### رباعيات جاهين

انشغل بهاتفه يتصفح حسابه الخاص بموقع التواصل الاجتماعي والذي رغم  
عدم نشاطه به لكنه يشغل وقته أحياناً بمتابعة الصفحات المختلفة.  
انتبه إلى أمه التي تقف على باب غرفته، فاعتدل جالساً على فراشه.  
تقرب منه قائلة:

- لسه سامر مش بيكلمك.

هز رأسه بلا، لوت شفتيها مفكرة، ليقول:

- ليه؟!.. في حاجة؟!!

- أصله قاعد ساكت كده بقاله يومين بعد آخر ضربة ادتهاله، وقلقتي، لا يكون  
بيرتب حاجة.

وقف أمامها:

- ضربة إيه؟!.. أنتِ ليه مصرّة تحاربيه؟!!

- هو أنا هعيده تاني.

- ياماما ماتسيبيه هو حر، وأكيد يعني هنتصالح مش هنفضل كده، لكن باللي  
بتعمليه ده عمره ما هيرجع.

زمت شفتيها تقول بغضب:

- لا بقى يرجع غصب عنه، أنا اللي عملته، ولا هو فاكر عشان ناصح شوية  
واتعلم بسرعة وكبر أنه خلاص يقدر يعمل اللي هو عايزه، أنا اللي علمته كل

حاجة، يوم ما يفكر يقلب عليا وينافسني يبقى هو اللي هينهي كل شيء،  
والأحسن تكلمه وتفهمه أنه يرجع الشركة أحسن له، بدل ما أخسره كل حاجة.  
هز رأسه بيأس:

- وهو بالطريقة دي هيرجع يعني، نفسي أفهم أنت بتعاملينا كده ليه؟!  
رمقته باشمئزاز قبل أن تدور على عقبيها قائلة:  
- جرب تكلمه شوف بيهب إيه، بدل ما يطلعنا بمصيبة تخليني أجيب عاليها  
واطئها.

"مافيش فايده"

همس بها لنفسه، التفتت له لتقول:

- ماشوفتش يعني البنت اللي قلت هتعرفني عليها.

- ها، أه.. أصل عندها شوية ظروف كده.

لم تعقب لتغادر غرفته وقد أغلقت بابها خلفها.

جلس هو على طرف فراشه، أيمنه حقًا الاتصال به الآن؟!، بعد كل هذا  
الانقطاع.

هذا خاطر راوده كثيرًا بعد حديثه مع بسمة، لقد أخبرته أن سامر رغم أنه  
أجبرهما على ترك العمل لكنه تكفل بهما إلى أن أنهت دراستها، وهذا شيء  
يحسب له على كل حال.

أمسك هاتفه يبحث عن اسمه الذي لم يتصل به منذ أكثر من شهر، نظر له  
طويلاً، لكنه هز رأسه يضع الهاتف جانبًا.

ربما عليه أن يراه بنفسه، ليس من الجيد بدء الحوار على الهاتف، فليرسل له  
رسالة يحذره فيها من غضب أمهما الذي لا يعرف إلى أين قد يصل، وربما هذه  
فرصة لإصلاح الأمور، بسمة معه الآن فلا يهم أي شيء آخر، وكما قالت بسمة  
لم لا يفرح الجميع معهما؟.

أعاد الهاتف ليده لينقر شاشته ويكتب له..

"أنا عارف إن بقالنا كتير مش بنتكلم، بس أعتقد لازم نتقابل ونتكلم، وعلى فكرة ماما غضبانه عليك جدًا وأنت عارفها، خد بالك من نفسك لحد ما الأمور تتصلح، وياريت ترجع الشركة"

وتغيرت ملامح وجهها كما تغيرت مشاعرها، زال إحباطها وتلبستها السعادة، كيف لا وقد جاء إلى هنا بنفسه، وأعاد لها ثقته بها. جاء لها هنا ليخبرها عما قد سيغير حياته كلها، أحقًا أصبحت بتلك الأهمية له؟ وضعت يدها على قلبها الذي تعالت ضرباته مع تلك الظنون لتردد: - لا، اهدى على نفسك كده. لتزفر قائلة:

- يارب، أعود من ابتلاء لا نجاح فيه يا رب. التفتت تبحث عن هاتفها لتتذكر أنها لم تفتحه بعد، أسرع إلىه تعيد تشغيله، ومع فتحه وصل لها تنبيه برسالة. وكانت تحمل اسمه، مع كلمتين فقط " أنا آسف" يعلو وجهها المزيد من الفرح والسرور وهي تردد: - اعتذار مقبول.

لم يكن القرار بتلك السهولة، وحتى الآن لا يعرف هل تلك الخطوة ستكون في مصلحته بالفعل أم أنها ستدمر الأخضر واليابس؟. سما لن تتقبل أمرًا كهذا ولا يعلم هل سيتمكن من تفادي كل ردود فعلها والمرور منها بسلام؟ أم أن المعركة ستكون أكبر وسيدخل فيها أطراف أخرى. جاهين لا يعلم الكثير عن سما، بل لا يعرف عنها أي شيء. فهل سيتمكننا حقًا من الوقوف في وجهها والخروج فائزان، أم أنها ستكون حربًا خاسرة للكل؟.

زفر معتدلًا وهو يفرك رأسه بعصبية: - يااارب، أعمل إيه؟!!!



- أنت لسه مصر برضو!!

- بقولك إيه أنا فرحان ماتقلبهاش غم، ماتيجي نتغدى بره النهاردة مش عايز  
أكل في البيت.

هز بسام رأسه بيأس ليقول:

- لأ المفروض هناكل في البيت ماما وبسمة محتاجين يقعدوا مع بعض شوية  
فهخليهم يقعدوا النهاردة، بقية الأسبوع بنكون مطحونين شغل.

لم يستطع أن يمنع فضوله من السؤال:

- ليه خير؟!

ابتسم قائلاً:

- عايز تعرف بجد؟!

تذمر قائلاً:

- خلاص يا عم مش عايز أنا هروح أتغدى في النادي.

كتم بسام ضحكته قائلاً:

- أصلهم متخانقين من ساعة موضوعك أنت وبسمة، وكل شوية يتصالحوا  
ويتخانقوا تاني.

خفض جاهين بصره ليقول:

- طيب أنا هغير وأنزل.

- ماشي أشوفك بليل.

غادره بسام ليبقى مكانه متذكرًا، كلماته الكثيرة التي تبادلها مع فاطمة،  
ووصيتها له والتي تصور أنه سيتمكن من تنفيذها، ولكن لا زال غاضبًا منها،

إذا كانت تعلم أن ابنتها لم تتسحبها الأول هذا، فلم لم تخبره على الأقل؟!

"جاهين، بسمة محتاجة راجل زيك، خليك جنبها علشان خاطري، هي عندي  
وعصبية ومش بتفكر كثير قبل ما تتكلم، فاستحملها، وأنا متأكدة أنها هتحبك  
كثير"

مسح وجهه وكأنه يمحو ذكرياته مرددًا:

- الله يسامحك يا مرات عمي.

نال حمامًا باردًا وبدل ثيابه للخروج، ارتدى ملابسها الرياضية التي يحب ارتداها عند الذهاب للنادي، تأكد من حسن هندامه، غادر غرفته، كان الجو هادئًا كالعادة، فلا يختلف الكثير في هذا المنزل سواء أيام العمل أو في العطلات الرسمية، هو في الحقيقة كان مختلفًا حين كانت لوجي هنا، لطالما كان صوتها ينبئ عن حضورها، ومنذ غادرت عم الهدوء المكان، وكان يعوض غيابها بأمه، وها هي الأخرى غائبة الآن، وكم يفتقدها!!

يفتقد حديثه معها، يفتقد ذلك العنصر الحاني الذي كانت تملأ قلبه به فتهدون عليه كل ما يلاقي.

وصل لحديقة المنزل فانتبه على الفور لها، تجلس على الأرجوحة تهتز بها برتابة، كانت شاردة تمامًا حتى أنها لم تره إلا حين أشعل محرك سيارته ليمر من أمامها في الاتجاه للخارج، تابعتة ببصرها إلى أن اختفى.

أطرقت رأسها تتذكر كلماتها بشأنه.

هي بالفعل تعلم أنها أذته كثيرًا، فلم تحاول أن تتصرف عكس ذلك؟! هل كانت لتقبل من معاذ أن يدير ظهره لها ببساطة من أجل فتاة أخرى؟! ألم تغضب كثيرًا حين ظنت أنه اختار نرمين ونسيها؟! ألا تذكر ذلك الشعور الحارق الذي أصابها؟! ترى هل يشعر الرجال نفس ذلك الشعور أم أن الأمر مختلف؟!..

أوجب أن تشفق عليه لا أن تغضب منه!!

.....

انتهى الجميع من تناول الطعام بينما فضلت فاطمة أن تتناوله في غرفتها، وكذلك سميحة التي تبقى في غرفة مكتبها معظم وقت الإجازة إن لم تخرج للقاء بعض صديقاتها.

وحاول بسام أن يتحدث إلى مها قليلًا لكنه شعر وكأنها غير مرتاحة لهذا وتود الذهاب، فتركها، هي عادة تفعل هذا ولم يحدث أن تحدث معها مطولًا من قبل.

أما الآن فعليه أن يجد حلًا في خلاف أمه وأخته الذي يبدو سيستمر للأبد،  
أحيانًا يتساءل هل حقًا كانتا تعيشان معًا طوال المدة السابقة، لمَ دومًا تختلفان  
هكذا؟.

المفترض أن تكونا مقربتين أكثر من هذا بكثير كأم وابنة وحيدة!!  
أوقف بسمة التي كانت تنوي الاختفاء بغرفتها ليقول:

- مش قلنا هنقعد مع ماما النهاردة؟!!

نظرت له واكتفت بإيماءه ليشير لها:

- طب يالا.

لكنه توقف قائلاً:

- بسمة ممكن أقولك حاجة؟!!

- قول.

- بلاش كلام في اللي فات، أصله مش هيتغير، وماما طيبة أوي المفروض أنتِ

عارفاها أكثر مني، وكمان مريضة قلب، بلاش نزعلها.

خفضت بصرها ليردف:

- أنا عارف إنك مش مبسوفة ولا أنا ولا هي، نفسي نعرف ننبسط كلنا مع

بعض، ولا دي صعبة أوي كده.

رفعت بصرها إليه لتبتسم بود:

- لا يا بسام مش صعبة، إيدي على كتفك.

تبعته يطرق باب غرفة فاطمة وهو يدلف إليها وهي خلفه، أغلق الباب يلقي

التحية عليها مقترباً منها وجالساً بجوارها على الفراش:

- أكلتِ يا ماما؟!!

ربتت على فخذه:

- الحمد لله يا حبيبي.

نظر إلى بسمة التي ظلت مكانها ليقول:

- ماتقعد بي بيتك ومطرحك.

- نظرت لها فاطمة بلوم يشوبه الكثير من الحزن، تتحرك بسمه وتجلس على الجانب الآخر من الفراش، غلفهما الصمت ليقول بسام ضاحكًا:
- إحنا جايين نسمع سكات بعض ولا إيه؟! لا إحنا جايين نتكلم. لم تعلق أي منهما، أردف هو:
- ماشي هتكلم أنا الأول، ماما بداية كده اللي حصل بين جاهين وبسمه خلاص انتهى، ومهما اتكلما فيه مافيش حاجة هتتغير، فالأحسن ننساه خالص. استمر صمتهما ليكمل:
- المهم دلوقتي أنتو، علاقتكم ببعض مش عاجباتي خالص، مع إن المفروض تكون أقرب من كده بكثير، هو أنتو كان ليكو غير بعض. لوت بسمه شفتيها:
- أه، بس هي ماكنتش فاضية كانت بتجري ورا لقمتنا اللي كنا بنلاقيها بالعافية.
- عقدت فاطمة حاجبيها وقبل أن ترد قال بسام:
- بسمه، إحنا قلنا ايبيبويه!! لو هتقولي حاجة كويسة قولي، مش هتقولي يبقى معلى اسكتي أحسن، إحنا عايزن نصلح مش نبوظ ومش معقول هنفضل طول عمرنا نقول أصل كان وكان، خلونا في الحاضر شوية بقى. نقل بصره بينهما:
- ماتعرفوش تقعدوا وتتصافوا كده زي أي أم وبناتها. تبادلت النظر مع ابنتها لتقول الأخيرة:
- هو أنا يعني بكون مبسوفة أما تبقى زعلانه مني، بس هي دايمًا عايزاني يا أعمل اللي هي عايزاه بالظبط يا تخاصمني ومافيش تفاهم. ردت فاطمة:
- لأنك عنيدة، وعندك استعداد تأذي نفسك علشان بس تنفذي اللي في راسك، هو أنا مش عارفاك يعني.
- شوفت!!
- قالتها لأخيها الذي قال:

- ماما معلى ده كان ممكن وهى عيلة بس دي كبرت خلاص وتقدر تحكم بنفسها إيه اللي يآذيها وإيه اللي لأ.

رمقته فاطمة بعدم رضا:

- يعنى أشوفها عايزة ترمي نفسها للنار واسيبها لأنها كبرت.

- ما هو برضو لما تخاصمها هترمي، بس بطريقة أسرع.

ارتسم الحزن على وجهها مرددة:

- حتى أنت يا ابني.

مال عليها قائلاً:

- يا ماما يا حبيبتي، أنا متأكد إنك بتحببها وعايزة مصلحتها وماتخافيش يا

ستي، أنا كمان معاك أهو ما هو أنا كمان مش هسيب أختي الوحيدة تغرق يعنى،

بس لازم نفضل جنب بعض، مع بعض، مش كل واحد في حته.

نظر لبسمة يغمز لها بعينه لتقول أي شيء.

زفرت قائلة:

- ماشي يا ماما، أنت مش عايزاني أعمل حاجة غصب عنك، والله ثم والله

ماهعمل حاجة إلا برضاك، بس براحه عليا شوية.

قالت أمها برجاء:

- ربنا يهديك ويصلح حالك أنت وأخوك.

ردد بسام:

- أأأأمين، يالا بقى حزن وبوسة علشان الذكرى.

اقتربت بسمة من أمها لتقبل وجنتها وتحتضنها متممة:

- حقك عليا يا ماما.

تربت أمها على كتفها تردد كلمات داعية لها. ابتسم بسام وهو ينضم لهما

وضمهما معاً لتتفاجأ به كتاهما ليقول:

- من ساعة ما رجعتنا ماحضناش بعض كده، بصراحة كان نفسي أعملها أوي.

تراجعوا تنظرا لبسام الذي ابتسم قائلاً:

- أنا نفسي أحس إننا عيلة واحدة، أصلكم مش عارفين الفكرة دي نفسها وحشاتي أزاي، أنا عاذركم وعارف أن أنتم صعب تحسوا باللي بفكر فيه، بس أنتو من ساعة ماظهرتم في حياتي لازلت مش حاسس إننا عيلة، أرجوكم بطلوا تتخانقوا مع بعض، علشان خاطري أنا حتى، لو ليا خاطر عندكم. اغرورقت عينا فاطمة بالدموع وهي تستمع لوليدها الذي برغم كل ما تغدقه به من حب تعويضًا على ما فات يبدو أنه لا يزال يفتقد الكثير، وكان غياب أخته من الصورة جعلها مشوهة.

ليردد القلب بوجع..

"بتعملي في عيالك إيه يا فاطمة؟!!"

- طب بتفكر في إيه قول يا ابني؟!!

سألته باهتمام وحرص، قال:

- كتيبير، يعني مثلاً بسمة كانت بتنام جنبك وهي صغيرة، أهو أنا لحد دلوقتي ماعرفش ده إحساس شكله إيه، من صغري وأنا ليا أوضة لوحدي، ولما كنت أخاف وأطلب من عمتي أنام معاها كانت ترفض وتقولي خليك راجل كنت بروح لجاهين وأقوله أنا خايف وعايز أنام جنبك، ماكنش بيقولي لأ، بس كان بيصحيني بدري علشان عمتي ماتز عشقش.

زفر وقد غالبته ذكرياته:

- يا بسمة لسه بتفكري في اللي اتحرمت أنت منه، بس والله لو فكرت شوية هتلاقيني أنا كمان اتحرمت من كثير، يمكن أنت فقدك مادي لكن أنا فقدي معنوي، وسبحان الله أكيد له حكمة في كده، ممكن لحد ما نموت مانعرفهاش، بس ليه بقى مانفكرش نعوض في اللي جاي لأنه مش أد اللي فات، مش شايفة إننا نستحق نكون مع بعض زي ما المفروض نكون.

أطرقت بسمة رأسها، وقد تمكن قلبها بالشعور من معاناته التي بدت واضحة بين حروف كلماته.

ضحك قائلاً:

- لا أنا مش قصدي أقلبها غم خالص على فكرة، خلىنا نتعلم نضحك في كل الأيام اللي جاية وبس.  
ابتسمت بسمة:

- طب يالا يا ماما، حقيقيله أمنيته الغلبانة دي.  
نظرت لها فاطمة بعدم فهم، لتستلقي بسمة جوارها قائلة:  
- أنا كنت دايمًا بنام على شمالك، هو بقى هينام على يمينك، يالا نام.  
مط شفتيه قائلًا:

- ما خلاص كبرنا، أنتِ بتعملي أيه؟!  
لوححت بكفها:

- يا راجل نام بلا كبرنا، شدي ابنك يا ماما خليه ينام جنبك.  
ضحكت فاطمة وقد أعجبتها الفكرة لتنزلق قليلًا وهي تجذب بسام من ذراعه:  
- والله يا ابني أنا كمان نفسي أعرف إحساسي وأنتو الاتنين نايمين في حضني.  
لم يقاوم فكرتهما أكثر، استقر برأسه على كتفها الأيمن تحيطه بذراعها وكذلك  
بسمة على الكتف الأيسر.

ضمتها بقوة تناسب ضعف ذراعيها وقد أغلقت عينيها، وكأنها تعود بالزمن  
إلى سنوات مرت كانت لتتعم بحضن كهذا من صغيرها.  
- ماما، ما تحكي لي الحدوتة اللي كنتِ مش حافظة غيرها وبتقولها لي كل يوم لما  
زهقت.  
ضحك بسام:

- أنا مش هزهق سيبك منها يا ماما قولها لي.  
- والله يا ابني نسيته، أقولك حاجة تاني.  
- قولي يا حبيبتي.  
بدأت في سرد قصة طفولية كانت تسمعها كثيرًا في صغرها، قصة قصيرة جدًا  
حتى أنها انتهت سريعًا، وساد صمتهم بعدها.  
لم يجد أي منهم شيئًا آخر ليقال، أغلق الجميع عيونهم، قرروا معًا تحقيق حلم  
راود ثلاثتهم وكل منهم يظن أنه يحقق أمنية الآخر.

فقط ولو لمرة سيناموا معًا ولو لدقائق معدودة، أم وطفليها التوأم.

وقفت في هذا الركن القصي حرصًا على ألا تسمعها أختها، انتظرت أن يرد على اتصالها ليقول على الفور:

- أخيرًا اتصلت.

- ما أنت اللي عامل دوشة.

- إيه يا ناني بقيت قاسية أوي.

لوت شفتيها دون تعليق ليرد:

- بس بدل اتكلمتي أنا مسامحك، يالا بقي هنتقابل النهاردة.

- لآ، قلتك مش عارفه أخرج.

- يعني إيه يا نانا، وآخرتها، أنا لازم أشوفك عايز أقولك حاجات كتير أوي

وكمان نتفق هنعمل إيه الفترة الجاية.

نظرت لتتأكد من بقاء أختها بالغرفة لتقول:

- هنعمل إيه في إيه؟!!

- في علاقتي البايظة مع أهلك دول ونشوف هنتجوز أزاى؟!!

هزت رأسها بشك:

- نفسي أصدقك.

- طيب قابليني وأنا هعرف أخليك تصدقي.

"نانا"

انتفضت على نداء أختها وهي تغلق الهاتف:

- إيه يا بنتي، هقطع الخلف بسببك.

- أنت كنت بتكلمي مين؟!!

زعقت بعصبية:

- وأنت مالك.

- يعني إيه وأنت مالك؟!... كنت بتكلمي مين يا نانا؟!!

- أووووف، واحدة اتعرفت عليها من على النت، وخليك في حالك أنت مش وصية عليا.

- بس النت ده مش طريقة تعارف كويسة أبدًا.  
لوحث بكفها اعتراضًا:

- ده أنت قديمة أوي، دلوقتي بيتصاحبوا وبيجوزوا كمان من النت.  
وقبل أن تضيف المزيد نظرت لها نانا قائلة:

- وعلى فكرة أنا اتفقت معاها أقابلها بره.  
هتقابلي واحدة ماتعرفهاش.

- ياستي أعرفها وكلمتها كتير وأعرف شكلها وصوتها كويس، اطلعي أنت منها بس.

تابعت أختها التي دلفت لحجرتهما، لا تعرف متى ستعود تلك الفتاة هي والأخرى إلى رشدهما، أي رسالة بالضبط تنتظران أن تصلهما، وهل سيتمنحهما الله الفرصة ويرسل لهما تحذيرًا، أم قد يسبق عليهما الكتاب؟!  
"يا رب رحمتك"

.....  
بحلول المساء وصل للمنزل، أوقف سيارته بالداخل ولم يترجل منها.  
المفترض أنه كان سعيدًا اليوم، لكنه لم يعد كذلك، ولا يستطيع تفسير ذلك الشعور الذي يتعاضم داخله في كل مرة يصل بها للمنزل.  
هاجس يتسلل له رويدًا رويدًا أن كل شيء يتغير، حتى نفسه، وهذا البيت الذي أصبح لعائلة أخرى، وعزز هذا الشعور غياب أمه وأخته.  
صحيح أن علاقته ببسام قد عادت لمسارها الطبيعي لكن حتى بسام أيضًا أصبح له اهتمامات أخرى، أمه، أخته، وقريبًا جدًا زوجته.

ابتسم ساخرًا من حاله، بسام الذي عاش محروم من العائلة المقربة طوال عمره وكان جاهين وميادة هما التعويض له، أصبح الآن له عائلة تكبر بينما هو يحدث معه العكس.

أرعى رأسه على مسند مقعده بالسيارة التي لم يتحرك منها، لينتبه إلى من يفتح الباب الجانبي الآخر، التفت يرى بسام الذي جلس جواره يتطلع إلى السيارة قائلاً:

- عادي يعني زي ماهي، مش باين أنك ناوي تحولها أوضة نوم.
- أركن جاهين بسمة لا مبالية على شفثيه ليردف بسام:
- مالك يا عم ما انبسطتش في النادي!؟
- لا عادي قابلت ناس من الشلة القديمة اللي خطب واللي اتجوز، حسوني أن بقالي قرن ما بروحش النادي.
- ضحك بسام:
- ما أنت فعلاً بقالك كثير.
- أوما له مؤيداً ليعلو رنين هاتفه بهذا الصوت المميز لمكالمة مرئية عبر تطبيق خاص ليقول:
- دي أكيد ماما.
- طب رد دي وحشاني جدا.
- أمسك بهاتفه يضعه في مكانه المخصص أمامهما وفتح الاتصال، لتضحك ميادة فور رؤيتهما:
- ولادي حبايبي، عاملين إيه!؟
- أسرع بسام بالرد:
- وحشتينا أوي أوي يا طنط، ماترجعي وسيبك من لوجي.
- أه يا ماما يا ريت، البيت كئيب من غيرك.
- وكزه بسام:
- إيه كئيب ده قصدك أننا عيلة نكدية.
- ضحكت ميادة عليهما لتقول:
- مش هتبتلوا نقار أبداً، عموماً أنا قربت أجي، بصراحة أنتو وحشتوني جداً.
- أنت أكثر يا ماما، ولوجي ونوح عاملين إيه!؟
- الحمد لله يا حبيبي ماصدقت الإنتين ناموا قلت أما ألحق أكلمك.

استمر حديثها الودي المرح لبعض الوقت، حتى تغيرت ملامح جاهين عن حق، فقط تلك المرأة من تملك مفاتيح سعادته وتجيد العثور عليها بسهولة.

ولم ينسَ بسام أن يخبرها عن نيته في اتمام الزواج بحضورها لتفرح لهذا كثيرًا وتعدده أنها ستكون عندهم قريبًا.

انتهى الاتصال، غلفهما الصمت بعض الوقت، التفت بسام لجاهين منادياً باسمه فأجابه بهمة، ليقول الأول:

- هسألك سؤال بس مش عايزك تتعصب.

رمقه جاهين بتساؤل، فأردف:

- أنت لسه بتحبها ولا فعلاً خلاص كرهتها؟!!

عقد جاهين حاجبيه قائلاً:

- هي مين دي؟!!

ابتسم بسام بهدوء:

- اللي ملامح وشي بتفكرك بيها.

أشاح جاهين ببصره، وللحظة فكر أن ينهي النقاش بحدة، لكنه تراجع، ربما من الأفضل أن ينهي تلك الأفكار عند بسام، هو شخص عاطفي أكثر منه، ويجب إنهاء الأمر في عقله.

اعتدل يقول بحزم:

- بسام، أنا ما حبتش أختك.

اتسعت عينا بسام بدهشة، أحقاً ما سمع، وتحولت دهشته لغضب:

- يعني إيه، أو مال خطبتها ليه؟!!

هز جاهين كتفيه بلا مبالاة:

- عادي، مصلحة.

هذه المرة بهتت ملامحه مردداً:

- مصلحة؟!.. أنت بتقول إيه يا جاهين، أنت كنت عايز تتجوز أختي مصلحة.

- هو يعني أنا كنت همسيها بعلاقة وأصبحها بعلاقة، ما أنا كنت تعاملها كويس، الجواز المصلحة ماسمعتش أنه حرام قبل كده.

ضاقَت عينا بسام ولا زال لا يصدق ما يسمع، أحقًا أن الأمر هكذا؟، فلم كان يشعر بأن جاهين يحبها وبشدة؟!، كيف وقد شعر أنه يموت بدل المرة مرات حين اختطفت ولم يعرفوا عنها شيئًا؟، ولا حتى حزنه البالغ بفسخ الخطبة؟ إن لم يكن هذا حبًا فماذا نسميه؟!!

- أو مال كنت زعلان أوي كده ليه؟!!

صمت جاهين لبرهة قال بعدها:

- علشان المصلحة باظت بس مش مشكلة اكتشفت أن الجواز ماكنش ضروري وأهو بمشاركة سامر هحقق كثير.

نظر بسام أمامه، محاولًا استيعاب ما سمع، لا يستطيع أن يصدق، منذ متى أصبح جاهين ينظر لكل شيء في إطار المصلحة والعمل فقط.

لظالما كان الجانب المراعي المتحمل في العائلة، صحيح أنه دومًا اهتم بالعمل وكل ما يخصه لكنه أيضًا كان يراعي مشاعر الجميع ويضعها في حساباته.

"تصبح على خير"

قالها جاهين وهو يغادر السيارة تاركًا بسام وحده، يرمقه ولا زالت الدهشة تغمره، مع شعور جديد بالافتقاد، ليردد قلبه قبل لسانه..

"مين ده؟!.. جاهين عمره ما تكلم كده"

ظل مكانه لبعض الوقت لم يعرف كم استغرق، غادر السيارة هو الآخر، كم كان يتمنى لو أصلح ما بين بسام وجاهين، أحلام غبية عاش فيها وحيدًا ككثير من أحلامه منذ كان طفلًا، وكأن الحب والتسامح اللذان يملئان قلبه يمكن أن يوزعهما على الجميع.

أعليه أن يظل غاضبًا من أخته؟! أم بهذا عليه أن يرفع عنها كل غضب وضيق؟!!

بعد ما سمع من جاهين عليه أن يختار صفها، على الأقل ستتزوج بمن تريد؟! ولكن من هو هذا الذي تريده.

وجد نفسه يقف أمام باب غرفتها، طرقات قليلة أجابتها من الداخل، ليعرفها أنه هو، فتحت له الباب وهي تشير له ليدخل:

- ادخل علشان مش معايا الحجاب.  
دلف لغرفتها التي أغلقت بابها تنظر له وقد لاحظت ملامح وجهه غير السعيدة،  
لتقول:

- في ايبيه؟!.. مش اتصالحنا وكله بقى تمام.

نظر لها صامتًا فأصابها القلق:

- في إيه يا بسام قلقتني؟!!

تنفس بعمق:

- أنتِ على تواصل مع الشخص اللي قلتِ عليه؟!!

- ها..

تفاجأت بسؤاله ولم تعرف ما هو الجواب الصحيح فشت بصرها هنا وهناك،  
ربما هي دومًا تتحدث عنه مع أمها بثبات لكن لا تعلم الآن سبب ذلك الشعور

بالتوتر أمام أخيها، ربما هي الفطرة!!

- بسمة، أنتِ لسه على تواصل معاه؟.

- أ..أه، قصدي، هو عايز يتقدم.

أوما برأسه:

- ماشي، خليه يتقدم.

- أيه؟!!

- بقولك خليه يتقدم، خليه يكلمني ونحدد ميعاد.

تسربت لشفتيها بسمة متوترة:

- بجد يا بسام، بس.. يعني شايف الظروف مناسبة؟!!

- والله لو فضلنا واقفين مكانا مافيش حاجة هتتغير، لازم نكمل حياتنا عادي.

أسرعت نحوه تحتضنه قائلة:

- ربنا يخليك ليا يا بسام.

ابتسم وهو يربت على ظهرها ليقول:

- هو اسمه ايه صحيح؟!!

عادت خطوة للوراء لتقول:

- معاذ، اعتقد تعرفه، معاذ شاكر الهيثم.

انتظرت تعابير مختلفة على وجهه لكنها لم تفهم ما رأته الآن خاصة مع قوله:

- ابييه معاذ، أ.. قصدك أخو سامر الهيثم؟!!

أومات برأسها بحذر، أما هو فلقد ضربت كل أنواع الأفكار رأسه، وكل ما مضى

من تصرفات وكلمات قالها جاهين تتراص في عقله الآن ليمسك رأسه مرددًا:

- مش ممكن!!

سارة سيف الدين

## الفصل التاسع

أنا كنت شيء وصبحت شيء ثم شيء  
شوف ربنا . . قادر على كل شيء  
هز الشجر شواشييه ووشوشنى قال:  
لابد ما يموت شيء عشان يحيا شيء

عجبي!!

### رباعيات جاهين

ملامح وجهه المرتبكة أثارت فضولها، وكلماته التي ردها أشعرتها أن الأمر ليس بهين، أما هو فاختر الصمت بدلًا من أن يقول المزيد من الكلام، مع محاولات يائسة بأن يبدو طبيعيًا.

- في إيه يا بسام!!

هز رأسه في محاولة لاستعادة التركيز مع ذلك الكم الهائل من التفسيرات والأفكار التي اجتاحت عقله.

نظر لأخته قائلاً:

- مافيش أنا اتفاجئت بس، بصي بلاش دلوقتي، قصدي خليه يستنى شوية.  
عقدت حاجبيها وقد أصابها الإحباط بعد أن ظنت أنها اقتربت كثيرًا، التفت بسام محاولاً الخروج من غرفتها لكنه عاد ونظر لها:

- أنت بتقابليه؟!!

هزت رأسها نفيًا تقول بحذر:

- قابلته مرة، ومستني لما أقوله يجي يتقدم.

- طب ممكن ماتقابلهوش تاني لحد موضوعكم ما يبقى رسمي.

أومات برأسها إيجابًا:

- حاضر، أنا كنت بعمل كده.

خرج وهو يغلق الباب خلفه، ترمق مكانه الخالي للحظات قبل أن تدور وتذهب إلى نافذة شرفتها تستند على إطارها.

هي تعلم أن هناك عمل بين الشركتين، معاذ أخبرها بهذا حين حدثته عن عائلتها الجديدة، ولم يصل لها أن هناك أي مشاكل بخصوص هذا العمل.

فما الذي أصاب بسام بمعرفة من هو معاذ؟!!

هناك شيء لا تعرفه ويبدو أن بسام لا يريد مشاركتها إياه، أعليها الاتصال بمعاذ للتأكد؟!!

أم لا داعي للبحث في أمور قد تزيد الطين بلة؟!!

يكفي أنها تشعر أن بسام في صفها الآن، وهي لا تنوي أن تخسره ثانية، بقاؤه سندا لها سيخفف عنها الكثير من الضغوط التي تشعر بها، ومعاذ لا عيب فيه ليرفضه بسام، سيكون كل شيء على ما يرام، هكذا تطمئن نفسها.

.....

دخل إلى غرفته وعقله في حالة شتات، تلك الظنون التي تضرب رأسه يريد أن يكذبها وبشدة.

ما الذي يجري هنا؟!!

لم كل الأمور متشابكة مع بعضها بهذا الشكل المعقد؟!!

بسمة، معاذ، جاهين، سامر.

اتسعت عيناه مردداً:

- جاهين.. أنت بتعمل إيه بالظبط؟!!

هز رأسه نفياً:

- لا مستحيل، وليه أصلاً مش قال ماحبهاش، ولا هو كذب عليا.

أمسك رأسه بكفيه، وكأنها ستنفجر من التفكير.

جلس على فراشه محدثاً نفسه:

- اهدى يا بسام، أنت لازم تفهم إيه اللي بيحصل بالظبط، يا إما العيلة كده داخلة في حفرة جديدة واحتمال تبقى القاضية وتخسر فيها جاهين للأبد، ماهو يا هخسره يا هخسره، وأنا مش عايز أخسر حد.

زفر بقوة، وشعور بأن الأمور كلما ظن أنها تسير للأحسن إذا بها تنقلب فجأة رأسًا على عقب، كيف له الآن أن يفتحهم في أمر الزواج، وهو يشعر أن هناك عاصفة ستضرب تلك العائلة قريبًا جدًا، أم عليه أن يفعلها لعل الفرح يأتي بفرح آخر وينالوا هدنة من كل تلك الأزمات المتتالية.

أمسك هاتفه يتصل بها، فهو لم يفعلها ثانية منذ أن أعطها هديتها. وكم يشعر أنه بحاجة لسماع صوتها الهادئ، وكلماتها المطمئنة. انتظر لحظات حتى جاء ردها، ليقول:

- أزيك يا مها؟! .. أنتِ نمتِ؟!!

- لأ لسه بخلص الورد بتاعي.

ابتسم لكلماتها:

- أنتِ ليك ورد يومي.

- أيوة طبعًا، هو أنت مش بتقرا في المصحف.

- لا بقرا بس الأيام دي للأسف لأ، بس أنتِ ذكرتيني هرجع أقرأ تاني.

- طيب سلام بقي.

عقد حاجبيه قائلًا:

- في إيه يا مها، هو أنا كل ما أكلمك عايزة تخلصي الكلام بسرعة ليه، أنتِ لسه زعلانة مني.

صمتت لحظات، أعليها أن تخبره أم قد يسيء الفهم ويتصور أنها تريد دفعه

إلى إتمام الزواج؟!!

- مها، ردي عليا، في إيه؟!!

- أ.. أصل، ماهو...

- خلاص يا مها، أنا آسف إني بزعجك سلام.

- استنى طيب.

لم يغلق الهاتف لكنه لم ينطق بحرف فقط يسمعها:  
- بسام أنا بحب ربنا أوي، ومهما شكرته على نعمة البصر اللي رجعتلي مش هيجي حاجة جنب قدر النعمة دي نفسها.  
عقد حاجبيه بعدم فهم، ما الذي تقصده بكل هذا؟!  
لكنه فضل الصمت.

- أنا بخاف يا بسام، بخاف أعضبه، بخاف أعمل حاجة ماترضيهوش، وعايزة كل حاجة تحصل بينا تكون بالطريقة اللي ربنا بيحبها مش إحنا بنحبها.  
أطرق رأسه لحظات وقد بدأ يعي قصدها ليقول:

- يا مها إحنا بنتكلم في التليفون، الموضوع أبسط من كده.  
صمتت ولم تعلق، ليس لديها المزيد لتقوله، ليأتيها صوته:  
- بقولك إيه ماتيجي نحدد ميعاد الفرح.

لم تستطع أن تكتم شهقات فرحتها التي تتالت بعد كلماته ليضحك هو قائلاً:  
- بكرة نقعد مع ماما ونحدد سوا، ماشي.  
حاولت أن تكتم فرحتها التي تغلف كل حروف كلماتها فلم تستطع:  
- اللي تشوفه.

اتسعت بسمته هو الآخر قائلاً:

- تصبحي على خير.

- وأنت من أهله.

أغلقت الهاتف لتضمه إلى صدرها، تحاول تهدئة ضربات قلبها التي توالى،  
أخيراً ستصبح له وجه، سيكون لها حلاً وحلاً، ستسند رأسها على كتفه  
وتبقى جواره كما تتمنى دوماً، ستتكلم معه وتضحك وتمرح ولن تخجل منه،  
فهو سيكون زوجها.

- يارب، يارب مايكونش حلم أفوق منه، يارب حقيقي حلمي يارب.

كلماته لبسام بالأمس لم تغادر عقله، ولا يعرف لم؟

وكأنه يلوم حاله على أن تلك الكلمات ربما قيلت بالشكل الخاطئ، وكأنه ينسى أن بسمة أخت بسام بل توأمه، وعليه ألا يدفع بسام بينهما.  
غادر مكتبه رافضاً الاستمرار في هذا التفكير عليه أن ينتبه لأهدافه القادمة والتي لن يسمح لأحد بتعطيلها، وسيبدأ بعمته لإقناعها بالعمل مع سامر، هو ليس لديه شك أنها هي الأخرى تفضل مصلحة العمل على أي شيء آخر، وهذه هي ورقته الرابعة في كل هذا.  
دلف إلى مكتبها لتشير له أن يجلس، بينما تنهي مكالمة مع أحدهم، انتبهت له قائلة:

- أهلاً بالمدير التنفيذي.

تجاهل سخرية كلماتها قائلاً:

- في موضوع مهم يخص الشغل عايز أكلمك فيه.

- خير؟

- بخصوص سامر الهيثم.

استرخت في كرسيها قائلة:

- الموضوع ده نهيناه خلاص، شغل معاه مش هنشغل إحنا يهنا شركة الهيثم نفسها، ووصلني إنهم دخلوا في بعض وهو ساب الشركة.  
اعتدل قائلاً:

- ولو جات لنا الفرصة نبقى أحسن من شركة الهيثم نفسها.

استطاع أن ينال اهتمامها:

- أزاى يعني؟!

- أنا اتكلمت مع سامر وفهمت منه إنه مش ناوي يرجع الشركة دي تاني، وأنه فعلاً محتاج حد معاه، وأنا عرضت عليه عرض لو قبله وعدته نساعدته، وأهو قبله الحمد لله.

عاد لصمته فاستحثته على الكلام:

- عرض إيه ده؟!.. أنت هتنقطني بالكلام.

مال ناحية مكتبها مردداً:

- هيبيع لي ١٥ % من أسهمه في الشركة.  
فغرت فاها بغير تصديق ليضحك ساخرًا:

- ووافق خلاص.

- مش ممكن، إيه اللي يخليه يعمل كده؟!!

- واضح أن أمه وأخوه بيحاربوه جامد، وهو قرر يبقى ذكي ويفكر في مصلحته  
وبس، وإحنا بقى المفروض نستفيد من كل ده، يكون معانا النسبة دي ويكون  
لينا قرار في التصويت، ده غير إن هيكون لينا عين في كل شغلهم، تخيلي بقى  
هنستفيد من ده أد إيه، هو لازم شركتهم تفضل عملانا تابع ليهم، أعتقد جه  
الوقت بقى ونقلب الأدوار، ولا إيه رأيك؟!!

رفعت أحد حاجبيها:

- وهي سما هتسكت، ما أعتقدتش هتسمحه يعمل كده.

- هو عيل، واحد وبيبيع أسهمه في شركة وكله قانوني، هتعمل إيه يعني؟!..  
تورينا شطارتها.

قالها بلهجة حملت مكرًا وثقة واضحة، ترمقه سميحة بصمت. نظر لها وظن  
أنها تفكر في الأمر لكنها قالت:

- أنت طموحك واصل لفين يا جاهين?!!

وقف يستند بكفيه على مكتبها قائلاً وبابتسامة ثقة:

- إلى أبعد ما تتخيلي يا عمتي?!!

تصلبت ملامحها، بينما لوح لها مودعًا وقبل أن يخرج قال:

- أنا رايح أقابل سامر في مكتبه الجديد، علشان نبدأ الشغل.

ولم ينتظر منها ردًا ليغلق باب مكتبها متابعًا طريقه.

الطريق الذي قرر أن يسير فيه للنهاية.

عاد لمكتبه، وجد محمد فسأله عن بسام أخبره أنه لم يحضر بعد.

شرد للحظة متسائلًا ما الذي أخره اليوم، التفت لمحمد قائلاً:

- أنت معاك عنوان مكتب سامر الجديد..

أوما محمد برأسه:

- أيوة كنت نقلته من العرض اللي قدموه.

- طيب يالا بينا.

ابتسم محمد قائلاً:

- خلاص هنشغل معاهم.

- أيوة وشغل ثقيل كمان.

.....  
انتهت من متابعة حسن في ترتيب المكتب الذي عادت له بسرور بالغ، وأكثر ما أسعدها إحساسها أنها ساهمت في ذلك، ولو بكلمات بسيطة أوصلتها لجاهين، ولا تذكر المرات التي شعرت فيها بنفس الفرحة منذ وفاة والدتها، تلك الفرحة التي تغلف مشاعرها بل وحتى دقائق قلبها، وكم كان شعورًا مريحًا لها، وتمنت لو بقي للأبد.

تعلو البسمة شفيتها لتدلف إلى مكتبه قائلة:

- خلاص يا باشمهندس كله تمام وفي انتظارهم.

- تمام يا زينة، مروان وراما جم.

لوت شفيتها مع سماع اسمها لتتمتم بكلمات لم يفهمها، ليبتسم قائلاً:

- في إيه يا زينة؟!

- هو يعني كان لازم تطلبهم!!

- يعني هشغل المكتب لوحدي؟!

- طيب خلاص كنت تطلب مروان إنما راما دي بقى....

- مالها بس، هي مهندسة شاطرة على فكرة، بس حماقية شوية.

لوت شفيتها أكثر:

- حماقية!!

- وبصراحة المكتب حالته كانت سيئة جدًا فكان عندها حق.

- كسر حُقها.

ضحك سامر على كلماتها التي تطلقها دون تفكير وهو يهز رأسه لتردف:

- ثم يعني ما المهندسين مرططين.

- رفع حاجبيه ليبتحنح:
- أحم.. إحنا مرططين يا زينة.
- لوحث بكفها:
- هو الصراحة أي مهنة في مصر مرططة.
- عاد يضحك قائلاً:
- في دي عندك حق.
- استمرت ضحكاته الخافتة قبل أن ينظر لها قائلاً:
- ماتز عيش مني يا زينة.
- انزوت بسمتها سريعاً بينما يردف:
- لو حصل واتعصبت تاني لأي سبب ماتز عيش مني، أنا مش عايزك تسيبيني.
- أشاح ببصره عنها وهذا من حسن حظها فلم يرَ تورد وجنتيها بسبب كلماته التي أكملها وهو يتذكر كل ما فات.
- برغم كل اللي حصلي، بقيت أنت مصدر السعادة الوحيد في حياتي، مصدر الثقة، وأحياناً مصدر الأمان كمان، فممكن تستحميليني.
- عاد ببصره لها ليجدها تلملم أوراق أمامها وهي تقول بتلعثم:
- م... ما أنا موجودة أهو، أنا هطلع أستناهم بره.
- أسرعت هاربة وهي تغلق باب مكتبه خلفها، استندت على مكتبها تنال شهقات متتالية وكأنها أنهت سباقاً للتو، وضعت كفيها على وجنتيها لتتمتم:
- يا لهوي، أنا وشي سخن أوي كده ليه، هو إيه الكلام اللي هو بيقوله ده، أنا ناقصة يا عم أنت.
- حاولت التنفس بعمق لتستعيد هدوءها، مرددة:
- أستغفر الله العظيم، وأتوب إليك يا رب.
- أسرعت إلى الحمام لتمنح وجهها ضربات من الماء البارد لعله يستعيد لونه الطبيعي بدلاً من تلك الحمرة التي أصبحت واضحة للعيان.

رفعت بصرها للمرأة تنظر لوجهها الذي يقطر ماءً، لا تحب ذلك التضارب الذي تشعر به، لطالما كانت قوية في تلك الأمور وأي مشاعر إعجاب منذ مراهقتها كانت تروضها وتبعد تفكيرها عنها.

"مش عايزك تسيبيني"

مسحت وجهها تزيل عنه الماء. زفرت وهي تطلق آهة ضعف وقلّة حيلة.

- مالك يا زينة، عمرك ما كنت كده؟!.

التفتت على أصوات بالخارج لتتبين أن مروان وراما قد وصلا، أنهت تجفيف وجهها وقد استعاد طبيعته، خرجت لهما كانا لا يزالان أمام مكتب سامر فرآها مروان:

- أزيك يا زينة عاملة أيه؟!.

- الحمدلله يا باشمهندس، حمدلله على السلامة.

- الله يسلمك.

لتنظر لها راما قائلة ببسمة بدت متكلفة:

- يارب المرة دي نشغل بجد.

- رامااا.

قالها مروان من بين أسنانه أما زينة فلم تهتم بالرد لتقول:

- الباشمهندس سامر منتظر والعميل على وصول.

- تمام شكراً يا زينة، يالا يا راما.

تركتهما زينة وجلست خلف مكتبها، تشعر وكأن طاقتها على وشك النفاد، تلك

الحرب الداخلية تستهلكها كثيراً ولا تعرف إلى متى يمكنها الاستمرار

والمقاومة، ولن تقبل بالسقوط، فحينها عليها أن تختار الابتعاد وبسرعة.

"صباح الخير يا زينة"

التفتت إلى محمد الذي يقف أمامها يجاوره جاهين، وقفت تستقبلهما بابتسامة

هادئة:

- صباح النور، أهلاً وسهلاً نورتوا.

تحركت سريعاً تقودهما لمكتب سامر:

- اتفضلوا كلهم مستنيين جوه.

تبعها إلى المكتب الذي وقف فيه سامر وكلا المهندسين لاستقبالهما، ليدلف جاهين ومن خلفه محمد بينما فضلت زينة البقاء خارجًا، لتعود إلى مكتبها مرة أخرى.

أما سامر فقدم العميل الجديد إلى مروان وراما.

"جاهين يحيى".

جلس الجميع يتحدثون عن مشروعهم الجديد والذي يقدمه جاهين لهم، في أحد مشاريعهم الجديدة في السادس من أكتوبر.

بدوا متحمسين خلال الاجتماع والذي لم يطل كثيرًا لأنهم تحدثوا فقط في أساسيات المشروع، وعليهم أن يروا بأنفسهم الأوراق الخاصة بالمكان والمساحة التي سيعملون بها.

ليتفق معهم جاهين على إرسال بريد إلكتروني به كل التفاصيل بالإضافة إلى أوراق المشروع الرسمية والتي قال محمد أنه سيحضرها بنفسه إليهم. ليخرج كل من مروان وراما وكذلك محمد بعد أن طلب منه جاهين أن يبقى بالخارج لدقائق، ليتحدث إلى سامر.

اختفى مروان وراما بمكتبهما أما هو فجلس عند مكتب زينة يخبرها أنه سينتظر جاهين.

- تشرب حاجة؟!!

قالتها زينة ليقول:

- ما أنا شربت جوه، شكرًا.

- طيب طمني الدنيا إيه؟

أوما لها مشجعًا:

- لا اطمني، واضح أنهم متفاهمين جدًا مش هيكون في مشاكل إن شاء الله.

- الحمد لله.

رددتها برضا بالغ، نظر لها محمد صامتًا، قبل أن يدير بصره عنها، لا زالت الفكرة تتعاطم برأسه وكل ما يراه حوله يدفعه لها أكثر.

ولم لا؟!!

هي فتاة جيدة جدًا، خدومة ، تملك ما يقولونه في لهجتهم الدارجة "الجدعنة" وكم يحتاج لمن هي مثلها لتكون جواره، تلك التي تبقى معه سواء زاد ماله أو نقص، تحمل همه وتكون عونًا له لا عليه، وكم رأى منها من مساعدات للغير فكيف بمن سيكون زوجًا لها.

ولكن هل يا ترى قد تقبل به؟!!

عاد ينظر لها متسائلًا، أو ربما تكون مرتبطة بأحدهم برغم أنها لا تضع أي خاتم خطبة في يدها.

- زينة؟!!

نظرت له وتركت ما كانت تفعل على الحاسب. فحاول أن يبدو طبيعيًا:

- أنتِ مش مرتبطة صح؟!!

اتسعت عيناها للحظة فلم تتوقع مثل هذا السؤال فأردف سريعًا:

- يعني أصله مش بيعترض على موضوع شغلك المتقطع كده مع الباشمهندس سامر، أو أنك تسيبي الشغل وتشوفي حاجة أفضل.

رمقته لحظات وقد بدت مقتنعة بما يقول:

- لا أنا مش مرتبطة، بابا هو اللي مسؤول عني، وهو عودني ما أهربش من المسؤولية حتى لو كانت بسيطة جدًا.

هذه المرة لم تخف عنها نظرت الإعجاب التي ارتسمت في عينيه وهو يقول:

- ونعم التربية، أنتِ فعلاً حد جدع أوي يا زينة.

عادت ببصرها إلى الحاسب لتقول:

- شكرًا يا محمد، وأنت كمان.

راقبها للحظات أخرى قبل أن يمسك هاتفه، ليشغل نفسه به.

.....

بدا سامر ممتنًا كثيرًا لجاهين وهو يشكره على بدء العمل حتى قبل أن ينفذ شرطه، ليطمئننه جاهين أنه يثق به تمامًا، وأهم ما في عملهم الثقة المتبادلة. إلا أن جاهين كان يريد أن يعرف أكثر فحاول قائلاً:

- سامر، أنت متأكد أنك مش ناوي ترجع الشركة تاني.  
صمت سامر للحظات ليقول:
- بصراحة يا جاهين، أنا حاليًا مش بفكر غير في إني أبني نفسي من جديد،  
مش عايز أفكر في أي حاجة تانية.
- ماشي بس يعني، أنت عارف أن الخطوة دي احتمال تخسرك والدتك وأخوك.  
ابتسم سامر ساخرًا:
- هو أنا لسه هخسرهم، ما خلاص، كفاية هو اشتراها وباعني.  
ضاقت عينا جاهين:
- بس أخوك ماكنش باين عليه خالص إنه مهتم أوي بالشركة، فجأة كده قرر  
ينافسك فيها.
- هز سامر رأسه:
- لا هو ماعملش كده علشان الشركة، هو...  
صمت سامر ولم يكمل، أخبره أن أخاه غدر به بسبب فتاة، يجب أن يظهر له  
كم هان على أخيه الوحيد والسبب فتاة؟!.
- ظل جاهين ينظرله في انتظار التتمة:
- هو بس عايش حلم ومستعد يبيع الدنيا علشان يحققه.  
بدا على جاهين عدم الفهم ليلوح سامر قائلاً:
- ماتشغلش بالك بالمواضيع دي، هما خلاص اختاروا طريقهم وأنا اخترت  
طريقي، خلينا نركز في شغلنا وبس.
- أوما جاهين رأسه بتفهم قبل أن يقف قائلاً:
- همشي بقي، بكرة إن شاء الله محمد يبقى عندكم بالأوراق المطلوبة.
- تمام، هبلغ زينة علشان تبقى تستلمها منه.
- تصافحا ليستدير جاهين مغادرًا، أوقفه سامر:
- جاهين.
- التفت له ليردف سامر مبتسمًا:
- شكرًا.

تصور سامر أن جاهين سييدي سرورًا، إلا أن الأخير ظل ينظر له بدون تعبير واضح، قبل أن يقول:

- شكرًا على إيه، ده شغل، أنا هستفيد وأنت هستفيد، مش محتاجة شكر خالص.

هز سامر رأسه بتفهم:

- عارف، بس برضو عايز أشكرك.

- العفو يا سيدي، أشوفك بعدين.

غادر مكتبه وقف محمد وكذلك زينة التي قالت:

- إن شاء الله تبقى بداية خير كبير علينا كلنا.

- إن شاء الله، بكرة يا محمد هتبقى تسلم زينة أوراق المشروع.

- ماشي يا باشمهندس.

تحرك جاهين، التفت محمد لزينة قائلاً:

- هشوفك بكرة تاني إن شاء الله.

ليتبع جاهين مغادراً.

.....

جلست مها تتابع أختها التي تبدل ثوبًا تلو آخر باحثة عن الأفضل، أما هي فقلبها لم يكن في راحة، لا تعلم ما سر ذلك القلق الذي تشعر به، لم تقتنع على الإطلاق بأمر تلك الصديقة المجهولة التي تريد أن تلتقي بها، كما أنها ليست من الأشخاص المؤيدين لفكرة التواصل عبر مجرد جهاز لا يرى من خلفه أبدًا. هذا التواصل الذي يذكرها بإعافتها، حديث بين عميان لا يريا بعضهما، فقط كل منهما يقول ما يريد دون أن يرى الآخر صحته من عدمه.

- ها، ده أحسنهم صح؟!!

هزت مها رأسها بعدم قناعة:

- أنت برضو مصرّة تقابليها.

- أوووف، بقولك واحدة صاحبتني واطكلمنا كتير.

- طيب خديني معاك.

- لا طبعًا، أذك فين هي رحلة.
- يعني بدل ماتروحي لوحدك، أنا خايقة عليك.
- ضحكت نانا بسخرية:
- وأنتِ بقى اللي هتحميني، ياختي اقعدي.
- اتنين أحسن من واحدة لوحدها.
- زفرت بتأفف أكبر:
- بقولك ايه ماتصدعنيش، أنا خلاص قلت لأبلة بطة وبوسى إني هقابل واحدة صاحبتى النهاردة وهتغدى معاها، اطلعي أنتِ منها.
- صمتت مها بيأس ولم تملك إلا أضعف الإيمان لتتمتم:
- "يارب احميها من نفسها يا رب"

.....

- وصل بسام ليعلم أن جاهين ومحمد قد غادرا، جلس على مكتب جاهين في انتظاره، لا يعجبه تلك الحيرة التي يشعر بها يجب وضع النقاط على الحروف، يضع نهاية لكل تلك الأفكار التي تضرب رأسه.
- هناك حلقة مفقودة وسط كل هذا، ويتمنى أن يجدها عند جاهين.
- وصل جاهين بالفعل وجد بسام في مكتبه:
- أهلاً بسام أتأخرت كده ليه النهاردة؟!!
- تابعه بسام إلى أن جلس خلف مكتبه لينظر له جاهين بتساؤل عن هذا الصمت.
- جاهين ممكن أسألك سؤال وتجاوبني بصراحة؟.
- مط جاهين شفتيه وتمنى ألا يخوض نفس حديث أمس:
- خير؟!!
- أنت عاوز تشارك سامر ليه بالظبط؟!!
- لم يتوقع مثل هذا السؤال:
- ما أنا قولتلك يا بسام، علشان مصلحة الشغل.
- اللي هي إيه بقى المصلحة دي بالظبط؟!!
- ضرب جاهين كفًا بكف:

- مصلحة يا بسام، شغل أكثر، مكاسب أكبر.  
رمقه بسام قائلاً:

- بس اللي أنا فهمته إنك بترتب تخلي شركة الهيثم تقع، ونبقى إحنا الكل في الكل.

- وإيه المشكلة؟، بدل إحنا اللي هنستفيد.  
وقف بسام ليقول:

- بس دي شركة صاحبك اللي أنت هتشتري أسهمها منه، وأنت عارف كويس إنها تهمه، دي شقا عمره، مش شايف إن اللي بتعمله ده غلط.  
وقف جاهين بدوره:

- لأ مش غلط، ده شغل، وسامر نفسه قال أنه مش هيرجع الشركة دي تاني، يبقى إحنا بقى لازم نطلع كسبانين من كل ده، أنا مش فاهم إيه اللي مضايقتك؟!  
- مش مقتنع، حاسس إن كل اللي بيحصل ده وراه حاجات تانية.  
عقد جاهين حاجبيه ليقول بضيق:

- حاجات؟!!! حاجات زي إيه بقى؟!  
صمت يحدجه بنظراته إلى أن قال:

- هو أنت عارف إن أخو سامر هو نفسه اللي بسمة عايزه تتجوزه.  
ضم جاهين قبضتيه من خلف المكتب فلم يتسن لبسام رؤيته، وكأنه يفرغ شحنة غضب تتصاعد داخله، وقد تصلبت ملامح وجهه.  
أردف بسام:

- واضح إنك عارف لأنك ماتفاجئتش!!  
عاد يجلس محاولاً الحفاظ على هدوئه:

- أيوة عارف، كل واحد حر، أنا مالي بقى?!.

- أنت مالك إزاي، أنت سامع نفسك?! يعني بتشارك أخوه علشان توقع الشركة، ومن الناحية الثانية هناسب الأخ التاني.

- ما تناسبوه يا عم، مال الشغل بالموضوع ده?!  
ضرب بسام رأسه:

- يا جاهين ماتجننيش، معاذ ده عايز يتجوز بنت عمك، أنت هتدخل العيلتين في خناقات ومشاكل، أنت بجد مش شايف المتاهة اللي عايز تتدخلنا فيها.

زفر جاهين:

- والله أنا مش شايف غير مصلحة شغلي اللي عايز أحققها، كون إن هي عايزة تتجوز معاذ ده أنا ماليش دعوة.

- مالکش دعوة أزاااي، ده هيبقى جوز بنت عمك!!  
ابتسم بسخرية واضحة:

- جوز بنت عمي، على فكرة مش مشكلتي خالص أنها اختارت واحد ندل، غدر بأخوه اللي علمه كل حاجة وخذ مكانه في الشركة.

استند بسام بكفيه على سطح المكتب يقول وهو يراقب ملامح جاهين جيدًا:  
- قصدك نرفضه؟!

هب جاهين وهو يلوح بعصبية:

- ياعم أنا مالي، ماترفضوه ولا تتجوزوه، أنا بتكلم في شغل أنت ليه مدخلي جواز أختك في النص.

اعتدل بسام يعقد ذراعيه أمام صدره قائلاً بحزم:

- جاهين أنت كذاب!!

اتسعت عينا جاهين ليقول بتحفز:

- أفندم!!

- أيوة، أنت قلت إنك ماحبتش بسمة، بس أنا شايف العكس، أنت حالياً بتفكر أزاى تدمر معاذ مش كده؟!

ظل يرمقه لحظات قبل أن يبدأ في الضحك بسخرية:

- لااا، ده أنت بعدت أووي، أنت متخيل أني هقعد أفكر وأخطط علشان أدمر

واحد مالوش أي لازمة، سامر اللي عمل الشركة دي مش هو، خروج سامر بداية وقوع الشركة فعلاً، إحنا بس عايزين نستفيد من الموقف ده لصالحنا مش

أكثر، والتخاريف اللي في دماغك دي تشيلها.

اقترب بسام منه يمسك ذراعه قائلاً برجاء:

- جاهين، لو فعلاً لسه بتحب بسمة وشايف إن معاذ ده شخص غير مناسب، خلاص نتفق، نتكلم مع بعض، أنا أحب ما عليا إن بسمة ترجعلك، نحاول نخليها تشوف اللي هي مش قادرة تشوفه وتسبب معاذ ده.

نظر له ولازالت السخرية تعلقو ملامح وجهه:

- آااه، أصل أنا تحت الطلب، توديني وتجبني بمزاجها.

جذب ذراعه من بين أصابع بسام قائلاً بصرامة:

- بسام، أرجوك، ماتجبرنيش أتعامل معاك بوش تاني، خلينا أصحاب أحسن.

ارتسم الحزن على ملامح بسام الذي قال:

- بس أنت كده هتجبرني أختار ما بينكم يا جاهين، أنت كده بتحطني في النص.

هز كتفيه ليقول:

- بسيطة يا سيدي ابقى اختارهم هما.

ارتعشت شفاه بسام وهو يقول:

- بالبي.. بالبساطة دي؟

- أنت اللي مصر تحطها اختيارات، أعملك إيه؟، أنا بفكر في شغلي وبس

ومافيش حاجة هتجبرني أغير كل اللي خططت ليه، أنا لسه راجع من مكتب

سامر، وبدأنا خلاص الشغل مع بعض.

- ده آخر كلام عندك.

أمسك بعض الأوراق أمامه حتى ولو لم يع ما فيها ليقول متفادياً النظر لوجه

بسام:

- أيوة، آخر كلام عندي.

تحرك بعدها بسام يغادر غرفة المكتب وهو يصفع بابها خلفه، ضم جاهين

قبضته على تلك الأوراق التي في يده يعتصرها عَصراً.

.....

خرج محمد من العمل، مبكراً على غير العادة، يريد أن يحادث المرأة الوحيدة

التي يشعر أنها كأمه، يريد أن يشاركها فيما يفكر، وبرغم أنه يعلم كم كانت

تريد أن تجمع بينه وبينها، لكن الأمر انتهى بالنسبة له وعليه أن يخبرها بهذا كي لا تظل تحمل الأمل في قلبها.

دلف للمنزل بعد أن فتحت له الخادمة ليخبرها أنه يريد أن يلتقي بفاطمة، جلس في الردهة ينتظر ظهورها، ليرى آخر من يحب رؤيته في هذه اللحظة، نانا!! كانت ترتدي ملابس للخروج وبدأت جميلة كما كان يراها دومًا، وقفت مكانها على الدرج تنظر له، ليدير هو بصره عنها، تقترب منه قائلة:

- محمد!! ازيك بقالنا كثير مش بنشوفك.

رد باقتضاب وهو يتجنب النظر لها:

- بخير الحمدلله، أنا جاي أسلم على أبله بطة.

ابتسمت:

- عارفة، أكيد مش علشان تسلم عليا يعني، عموما مبسوفة إني شوفتك، بس أنا لازم أخرج هقابل واحدة صاحبتني.

لم يهتم بالتعقيب، لتردف:

- أخبار شغلك أيه؟!!

هذه المرة التفت لها قائلاً:

- الحمدلله، ربنا كرمني، بقيت مدير مكتب والذراع اليمين لجاهين، وجاي أبلغ أبله بطة إني خلاص لاقيت عروسة وهتقدملها.

ليضغط حروف كلماته الأخيرة!!

تجمدت ملامحها وهي تنظر له، أينتظر أن يثير غيظها فلترد له الصاع صاعين.

- فعلاً، ربنا يتم بخير، أنت كمان أكيد هتباركلي قريب.

ضافت عيناه للحظة قبل أن يعود لطبيعته قائلاً:

- وماله أباركك من دلوقتي، مبروك.

وقف مع وصول الخادمة لتشير له أن فاطمة تريده أن يصعد لها، فاستخدام الدرج أصبح متعباً لها.

تحركت نانا تغادر بينما اتجه محمد للدرج إلا إنه توقف، التفت ينظر لها وهي تبتعد، وعادت تلك الرغبة القديمة في أن يوقفها عما تسعى إليه، لكنه تجاهلها وصعد لفاطمة.

طرقات خفيفة على بابها، ليدلف إليها، مستقرة على فراشها، فعقد حاجبيه مقترباً منها:

- السلام عليكم، مالك يا أبله بطة، بقيت كسلانة كده ليه؟!  
ضحكت قائلة:

- صدقت يا ابني لما كنت بخدم نفسي كنت نشيطة عن كده، الكسل بيعيني.  
ربتت على فراشها لتقول:

- اقعد يا محمد، كده برضو مانشوفكش كل ده.  
جلس أمامها على الفراش:

- معلش سامحيني والله الشغل بقى كتير وبرجع هلكان البيت بنام على طول.  
- ربنا يوسع رزقك ويفرحك ويباركلك يا ابني.  
نظر لها بود:

- آمين يا أمي الثانية.  
تنحج ليعتدل قائلاً:

- أنا كنت عايز أكلمك في حاجة.  
- خير يا ابني!؟

أطرق رأسه للحظة ليقول:  
- أنا بفكر أخطب.

نظر لها بطرف عينيه يرى رد فعلها، هدأت ملامح وجهها وبدا عليها حزن طفيف:

- أكيد مش نانا.  
مط شفتيه:

- ما خلاص يا أبله بطة، مبقاش ينفع.  
قالت له برجاء:

- ليه بس يا ابني، أنا عمري ماشوفت حد أحسن لها منك، بص أنا هكلمها تاني...

- لأ.

قاطعها بحزم:

- كفاية أوي لحد كده، أنا شوفت بنت كويسة أوي ومن توبي زي ما بيقولوا، مش مشعلقة رقبته لافوق، وجدعة مع كل الناس، وده اللي أنا محتاجة، بس مش عايز أعمل حاجة بعيد عنك لأنني فعلاً باعتبرك أمي.

صمتت باستسلام لتقول:

- بتحبها؟!!

هز كتفيه:

- عادي، لو وافقت أكيد هحبها بالعشرة، هما كل اللي اتجوزوا حبوا بعض في الأول.

حاولت الابتسام كي لا تفسد عليه الأمر:

- اسمها إيه؟!!

ابتسم هو الآخر:

- زينة، بتشتغل في مكتب هندسي قابلتها كذا مرة في الشغل.

- اسمها جميل، ربنا يا ابني يكرمك ولو كانت خير ليك يجعلها من نصيبك.

- آمين يا رب، أومال بسمة ومها فين ماشوفتوهمش بقالي كثير.

مدت يدها تلتقط هاتفها:

- اتصل بيهم من هنا، مش بعرف أتعامل معاه البتاع ده.

ضحك محمد مازحاً:

- والله ومسكت الهاتف الذكي يا أبله بطة.

ضحكت هي الأخرى ليتصل ببسمة طالباً رؤيتها هي ومها قبل أن يغادر.

سعادة زائفة تريد أن تجبر قلبها وعقلها أن يعيشاها، وكلاهما يابيان، القلب يبت ألم فراق من أحببت يوماً وصار أبعد مما تتصور، والعقل يحذر ويندد

بخطواتها تلك والتي لا تعلم إلى أين ستقودها، ونفسها الأمانة تدعمها لتستمر وتستمر لتفوز بالنهاية.

وصلت إلى حيث أخبرها أن تنتظره، وقفت شاردة فيما مضى وما قد يأتي. حتى انتفضت على لمسة يد لكتفها ليصلها صوته:

- اييه اتخضيت كده ليه؟!!

حاولت الابتسام:

- معلى كنت سرحانه.

انتبهت له أكثر، بدا مميزًا بحلته الكلاسيكية ليقول وهو يتابع نظراتها:

- كنت في اجتماع ولسه مخلص، أتأخرت عليك؟!!

هزت رأسها نفيًا، فتح باب السيارة التي كانت خلفها ليقول:

- اركبي.

- هنروح فين؟!!

ابتسم بمكر:

- مفاجأة.

أشار لها لتتحرك لتركب بالمقعد الخلفي ويستقر هو جوارها مع إشارة للسائق بالإنطلاق.

نظرت خارج السيارة تتابع الطريق الذي بدا وكأنه يسير مبتعدًا عنها، مع شعور قاتم ملأ قلبها، ورغبة غامرة بالعودة.

وانتفاضة أخرى بسبب شهاب الذي قال:

- مالك يا نانا؟!.. سرحانه على طول ليه؟! هو في حاجة حصلت؟!!

- لا أبدًا مافيش، معلى أنا معاك أهو مش هسرح تاني.

ضحك ليقول:

- بس تعرفي شكلك حلو وأنت سرحانه.

ابتسمت له ليزيد من كلمات غزله وحبها لها، وكم كان يشفق لرؤيتها، وأن حلم زواجهما سيكون قريبًا حتمًا.

مر المزيد من الوقت قبل أن يصلا إلى منطقة بدت هادئة وراقية، لتتنظر له  
قائلة:

- إحنا فين؟!!

- بصي بقى أنا بعت الشقة اللي كنت فرجتك عليها، جاتلي فيلا بمبلغ هدية،  
قلت يبقى خلاص وهي نانا أقل من اللي عايشين في فيلل، أشرتتها وهتبقى  
مملكتك.

اتسعت عيناها بذهول، تتسع بسمته أكثر وأكثر:

- تعالي بقى علشان تشوفيها، هي جاهزة من كله، بس لو عايزة تغيري أي  
حاجة فيها، براحتك.  
تبعته كالعمياء.

عمياء عقل وقلب!!

وقد غلفتها شهوة الدنيا والمال.

## الفصل العاشر

سهير ليالي وياما لفيت وطففت  
وف ليلة راجع في الضلام قمت شوفت  
الخوف كأنه كلب سد الطريق  
كنت عاوز أقتله- بس خفت  
عجبي!!

### رباعيات جاهين

أوليس لقلبه نصيب من الفرح على الإطلاق، عاش عمره يتيمًا، فلا سعادة تصل للاكتمال، وحتى بعد عودة أمه ولقائه بمن أحب قلبه، لا زال غير قادر على الشعور بالسعادة كما يتصورها، كلما تتفكك عقد تتشابك غيرها، وهو بينهما حائر، وتبقى الصورة ضبابية لا يقوى على تفسير كل ما يراه فيها. أهذا جاهين الذي عاش عمره معه؟! كيف له أن يتبدل هكذا؟! وعادت تلك العبارة تتردد في عقله، من غير المعقول أن كل هذا فقط لأن بسمة فسخت خطبتها معه، وحتى لو أحبها وإن ادعى العكس، لن يتركها تتعرض للأذى بهذه السهولة، هذا ليس جاهين الذي يعرفه أبدًا.

أمسك هاتفه يتصل عن طريق تطبيق خاص بميادة، يشعر أنه بحاجة لعودة تلك المرأة لعلها تعيد جاهين إلى صوابه.

وصل له صوتها الفرح باتصاله:

- بسام حبيبي عامل أيه؟!!

نال زفيرًا محاولًا التحدث بشكل طبيعي:

- الحمد لله أزيك أنت وحشتينا أوي.

- أنتو أكثر والله.

- هترجعي امتي بقي؟!!

صمتت لحظات لتقول:

- مالك يا بسام أنت كويس صوتك شايل الهم كده ليه؟!!

ولم لا يخبرها لعلها تعجل بالعودة.

- مش عارف أقولك إيه يا طنط، جاهين اتغير أوي.

- اتغير ازاي يعني؟ هتقلقتي ليه يا بسام?!!

- هو بخير ماتقلقيش، بس مش على طبيعته، ماترجعي يمكن تقدري تفهمي

اللي أنا مش قادر أفهمه.

- هرجع ، يومين كده وأكون عندكم.

- ترجعي بالسلامة وماتقلقيش على جاهين هو فعلاً بخير، وكلميه علشان

تتأكدي.

- مصداك يا حبيبي، أشوفك على خير.

أنهى الاتصال معها، متمنياً من قلبه أن تنجح هي فيما فشل هو فيه.

.....

جلست تقاوم توترًا يتعاضم داخلها، تدور ببصرها في المكان، فيلا أنيقة على

طراز حديث، تبدو أصغر مساحة من فيلا الشربيني، تليق بعائلة صغيرة، أحقًا

ستكون عائلتها؟!!

ألوان هادئة ومتعددة وكان كل حائط نال نصيبه منفردًا عن البقية، المكان مريح

للأعصاب شكلاً لكنها كانت أبعد ما يكون عن هذا.

هي تعلم بعظم ما تفعل ولكن عندها يجبرها على الاستمرار، مع ثقة مزيفة أن

لا شيء سيحدث.

ظهر شهاب يضع أمامها كوبين من العصير، رمقتها وتلك الأفكار تتراص في

عقلها فقررت عدم الشرب أفضل، جلس أمامها قائلاً:

- ما تشربي.

هزت رأسها:

- بطني مش مضبوطة من امبارح عندي مشاكل مع السكريات، أنا كده كويسة.

هز كتفيه بلا مبالاة لتسأله:

- هو مافيش خدامين هنا؟!  
 - هي واحدة بس بتتصفها كل يوم وتمشي، بحب أقعد براحتي في بيتي، بس لو أنتِ حابه واحدة تفضل معاك في الفيلا مافيش مانع، هجبلك.  
 رمقته لحظات لتقول:  
 - احنا هنتجوز فعلاً يا شهاب؟  
 اقترب منها جالساً جوارها:  
 - أنتِ لسه عندك شك؟  
 ترحزحت بعيداً عنه قليلاً حين شعرت بقربه المبالغ فيه، رفع أحد حاجبيه:  
 - أنتِ بتبعدي كمان؟! ماتبطني حركاتك دي بقى يا نانا.  
 عقدت حاجبيه لتقول:  
 - حركات إيه؟!  
 مال ناحيتها:  
 - يتمنعن وهن الراغبات.  
 هبت واقفة لكنه أمسك يدها لتتظر له صائحة:  
 - شهاب سيبني.  
 - ليه؟!  
 قالها بسخرية لتعيد الصياح:  
 - أنتِ فاكرنى إيه؟ بقولك سيبني.  
 استمر في سخريته:  
 - فاكرك إيه؟ مابلاش بقى دور الشريفة ده مش لايق عليك.  
 جذبت ذراعها بقوه ليفلتها لكنه تمسك بها أكثر يجذبها هو بالمقابل فيلقى بها جواره على الأريكة يضع يده على كتفها يمنعها الحركة لتصرخ.  
 رفع أحد حاجبيه:  
 - والله لو صرخت من هنا لبكرة ماحدث هيسمك، ماتفوقي بقى كده وتشوفي نفسك فين، أنتِ جيتي هنا بمزاجك ولا حد غصبك، اللي تعمل زيك مالهاش غير معنى واحد، وأنتِ فاهماه كويس بس بتستعبطي.

زاد اتساع عينيها بفزع هائل، وقد تمثلت أمامها كل معاني الرعب، وهي تتخيل مصيرها القادم، وتوالت الصور أمامها، مها، فاطمة، بسمة، ومحمد!!  
محمد الذي تركته خلفها وجاءت لتلقي بنفسها إلى الجحيم، كم تمننت لو كان هنا، قريبًا، تصرخ باسمه ليساعدها، لكنه ليس هنا!!  
وهي من دفعته بعيدًا.

دفعت رجل أرادها زوجه لتتال رجل يريد لها عشيقه!!  
هزت رأسها بعنف، لن تسمح لهذا الوغد أن يفعل بها هذا، فلتمت أفضل، أو فليمت هو!!  
تدفعه بكل قوتها وما إن نجحت في هذا حتى أمسكت بكوب العصير تضرب به رأسه بقوة صرخ بألم وهو يطلق عليها سبابًا قبيحًا، وسالت دماؤه ودماؤها كذلك من أثر شظايا الكوب الذي تهشم، حررها تمامًا وهو يغطي جرحه بيده أما هي ففرت كفرار الخائف من الموت، وقد ضمت قبضتها بقوة لتمنع زيادة نزيف جرح كفها.

ظهر مساعده بعدها بلحظات قائلاً:

- باشا أنت كويس؟

- اتصل بحد بسرعة يجي يشوف الجرح ده، وبنبت ال..... والله لاوريها كنت هخليها قرصة وذن بس كده بقى هتبقى علقه مووت، يالا بسرعة.

- حاضر يا باشا حاضر.

حدق بالدماء التي أغرقت كفه وقد احمرت عيناه بشدة وبلغ غضبه عنان السماء.

دارت مها بتوتر مع تأخر عودة أختها وعدم إجابتها على اتصالاتها، قلبها يخبرها أن هناك خطب ما، والشيطان يزيد همها همين بكل ما يبثه من أفكار سيئة.

تنظر لها بسمة بشفقة:

- يا بنتي اهدي شوية، يمكن في مكان دوشة ومش سامعة التليفون.

هزت رأسها بنفي واضح:

- قتلها تخلي التليفون في ايدها على طول، قتلها تكلمني أول ما توصل للبنت دي، ماعملتش أي حاجة من دي، أنا خلاص هموت من الرعب.  
وقفت بسمه تمسك بكف مها تقودها لتجلس على أحد الكراسي الموجودة في الحديقة.

- طيب ممكن تقدي وتهدي كده، أنت بوظتيلي أعصابي أنا شخصيًا.  
أطاعتها جالسة وهي تفرك كفيها، تهز بسمه رأسها:  
- يا بنتي نانا دي تاكل البت دي وعشرة زيها، اهدي بقى.  
نظرت لها مها بلوم:

- أنت بجد مش قلقانه عليها خالص، ولا علشان هي أختي أنا، مش قلقانه.  
- كده برضو يا مها، أنتو أخواتي يا بنتي، هو أنا ليا غيركم، أنا بس عايزة أطمئك ومش عارفة أعمل أيه؟!  
التفتتا إلى دخول سيارة بسام إلى الحديقة ليوقفها ويترجل منها، نظر لهما بوجوم، لتعقد بسمه حاجبيها:

- ماله ده كمان؟!!

- يالهوري أحسن يكون نانا جرالها حاجة.  
ضربت بسمه كفًا بكف:

- يا بنتي احنا اللي هنعرف قبلية.

أشارت له يقترب منهما، دنا بالفعل بخطوات بطيئة وملامح باهتة.  
فألقي عليهما السلام، لترداه وتقول بسمه:

- مالك في حاجة؟!!

رمقها لحظات ليقول:

- لا عادي، تعبان من الشغل.

نظر لهما يرى وجهها المرتبك بوضوح:

- هو في حاجة حصلت؟!!

أطرقت مها رأسها بينما قالت بسمه:

- لا أبدًا مافيش حاجة، لو تعبان اطلع ارتاح وأنا هقول لنونا تطلعك العشا.  
هز رأسه:

- لا أنا مش جعان.

التفت يتركهما ليري من تندفع من باب الحديقة بخطوات سريعة متعثرة، تقف  
مها صائحة:

- نانا!

التفتت لهم تحديق في وجوههم بفرع قبل أن تكمل طريقها بنفس السرعة، أشار  
بسام لها:

- مالها دي؟! هي كانت فين؟! وخايفة كده ليه؟!!

أسرعت مها خلف أختها وكذلك بسمة التي قالت:

- كانت في مشوار كده هاروح أشوف مالها.

ألقي بجسده على الكرسي، يريح ظهره على مسنده ناظرًا إلى السماء التي لم  
ير فيها غير القليل جدًا من النجوم، يتمتم قائلاً:

- يارب، أنا تعبت، ساعدني.

أما اللتان فرتا خلف تلك المرتبة وصلتا بالكاد للغرفة لتجداها تختفي بالحمام  
تضرب مها الباب:

- نانا في إيه مالك؟! اتأخرتي كده ليه؟!!

أمسكتها بسمة:

- اهدي يا مها، الحمد لله رجعت أهي استني لما تطلع وتقول هي عاملة كده ليه.  
جلست مها بالقرب وجسدها يهتز برتابة وتعاضم داخلها أن حادثًا جلاً قد وقع،  
وهو ما جعل أختها في تلك الحالة.

مر المزيد من الوقت ولم تخرج نانا، نظرت لبسمة وكأنها تسألها التصرف قبل  
أن تفقد أعصابها أكثر.

اقتربت بسمة من الباب تطرقه برفق:

- نانا، يالا اخرجي، بقالك كتير جوه.

لم يأتِ أي رد، إلا أنه تناهي إلى مسامعها شهقات بكاء مكتومة، عقدت بسمة حاجبها:

- نانا، أخرجي بقي بدل ما أكسر الباب ده على دماغك.

انتظرت لحظات لا مجيب، تضرب الباب بقوة:

- ماتجنناش بقي وافتحي بدل ما أجيب حد يكسر الباب بجد.

تحرك الباب أخيراً، وبدت في حالة يرثى لها، تسرع إليها مها سائلة بتوتر وقلق:

- مالك يا نانا؟ حصلك حاجة؟!!

هزت رأسها نفيًا لكن تفحص مها لها لم يخفَ عنها كفها النازف لتمسك به صارخة:

- يالهوي ايه ده يا نانا، ايه اللي فتح إيديك كده؟!!

أمسكت بسمة بكفها المجروح لتعيدها إلى الحمام وتفتح عليه صنوبر الماء لتغسل الدم:

- هاتي مطهر بسرعة يا مها، قولي لنونا تديكي شنطة الإسعافات الأولية. أسرع مها تنفذ ما قالت، تنظر بسمة لنانا:

- هو ايه اللي حصل؟!!

- أص.. أصلي وقعت على إزارة في الأرض عورتتي.

رمقتها بسمة بشك بينما تشيح نانا ببصرها بعيدًا وجسدها ينتفض بالفعل.

- كل الرعب ده علشان وقعت على إزاز، أنتِ قابلتِ البنت اللي قلتِ عليها. أغلقت عينها بقوة تقاوم عبرات أصرت على الفرار:

- أيوة، بس طلعت حرامية، حسيت بكده ولما حاولت أمشي بسرعة بعيد عنها اتكعبت ووقعت، بس كنت فعلاً خائفة جدًا وعايزة أروح بسرعة.

عادت مها بالمطهر لتسكبه بسمة بغزارة على الجرح وتخرجها من الحمام لتجلسها على الفراش وهي تلف كفها بضمادة طبية وجدتها بحقيبة الإسعافات الأولية.

لتربت مها على كفها:

- إيه اللي حصل يا نانا طمنييني بقى؟!  
قالت بسمه:

- خلاص يا مها هي وقعت وهي بتبعد عن البنت لما حسنت أنها مش كويسة  
علشان كده مخضوضه.

- مش قلتك يا نانا، أنت مش بتصدقيني.

نظرت لها بحزن بالغ وهي تردد بلهجة نادمة:

- هصدقك بعد كده، هصدقكم كلكم.

حدقت بها بسمه بنظرة حملت أكثر من معنى أما مها فاحتضنت أختها مرددة:

- الحمد لله إنك بخير، كنت هموت من القلق عليك.

استسلمت لحضن أختها التي كانت أكثر الناس تعطشاً له، وقلبها يرتجف داخل  
صدرها، فهي على يقين أن الكارثة الكبرى لم تقع بعد.

هل سينزف حتى الموت؟!!

هل سيعيش لينتقم منها؟!!

فلم تجد غير التعلق بخالقها لعلها تنجو، ردد قلبها بإيمان ينبع عن ضعف "يا  
رب"

وتمنت لو فكرت في خالقها قبل أن توتي فعلتها، لكنها كانت كأصحاب سفينة  
أدركهم الغرق فنادوا ربهم لينجئهم فيكونوا من الصالحين فلما نجاهم عادوا لما  
كانوا عليه ونسوا ما قالوا.

.....

أنهى الاجتماع الصباحي مع كلا المهندسين ليتركهما يعودا لمكتبيهما، جلس  
خلف مكتبه وبداخله راحة وسعادة كبيرة، الأمور عادت لنصابها وكل شيء  
يسير على ما يرام، ربما حتى الآن فسما لم تتحرك بعد أو لعلها لم يصل لها  
عمله مع جاهين، عليه أن يسرع بالاتصال بالمحامي ليبدأ في إجراءات بيع  
أسهمه، ولتكن الضربة الأولى لها.

طرقات على باب المكتب لتطل عليه تحمل كوب قهوته المفضلة، وضعت أمامه  
ليقول:

- هو حسن لسه ماجاش؟!!

- باين مش هيقدر يجي، أمه عيانة، وهو ابنها الوحيد، أنا قتلته لو مش هتلاقي حد يقعد معاها خلاص خليك.

ابتسم شاردًا ليقول:

- بار بأمه حسن ده.

- جدًا والله يا باشمهندس.

- لو محتاجة دكتور كبير وعلاج خليه يوديها وأنا هتكفل بالمصاريف.

نظرت له بامتنان لم يخل من إعجاب تقاومه كل يوم بل كل لحظة، لكن هذه المرة هو أيضًا كان ينظر لها، وللحظة تصورت أن نظرته بدت مختلفة وتملكها توترها في لحظة لتستدير دون تعليق مبتعدة تتبعها ابتسامته.

ضافت عيناه للحظة، شكوكه التي يشعر بها يبدو أنها حقيقية، لما أصبح ارتباكها يزيد حين تكون جواره.

لم يكن ينتبه للأمر كثيرًا لكن جملتها التي صاحت بها في الهاتف حين أغضبها لم تغادر عقله، تلك الكلمة المبتورة وهي تبدي اعترافًا غاضبًا أنها فعلت ما فعلت لأجله.

تصور أنها تقصد العمل لكن جاء خاطر آخر إليه، خاطر لم يصدق في البداية، أتكن زينة له إعجابًا؟!!

وبدأ هذا خاطر يصبح شبه مؤكد مع ردود أفعالها المتتالية، والتي وجد نفسه سعيدًا بها.

ابتسم وهو يهز رأسه تعجبًا:

- زينة!! معقولة!

لتزول ابتسامته متذكرًا حبه الأول والوحيد، أو الذي ظن أنه سيبقى الوحيد.  
"أحلام"

فمنذ توقف عن متابعة أخبارها لم يعرف عنها أي شيء، بل وتمكن من الاستمرار كما تعود دومًا.

ربما لا يشعر بنفس تلك المشاعر الآن بالتفكير بزينة، لكنه أصبح متأكدًا أنه بالفعل يرغب بوجودها جواره، كما قال لها مسبقًا.

فهل هذا نوع آخر من الحب؟!

أم مجرد اعتياد؟!

وقف يتحرك من خلف مكتبه، اقترب من باب الغرفة، لكنه توقف، ما الذي يريد أن يفعل؟!

هل أصابه الجنون؟! ولم لا بعض من الجنون لن يضر؟!

فتح باب المكتب فانتبهت له في الحال، وقفت على عجل تقول:

- خير يا باشمهندس في حاجة؟!

صمت هنيهة قبل أن ينظر لها مبتسمًا:

- كنت بفكر يعني لو تقبلي نتغدى سوا النهاردة؟!

بهتت لكلماته وقد اتسعت عيناها، تزامنا مع ضربات قلبها التي تعالت، أسعادة تلك أم خوف مما هو آت؟

مهلاً!!

هل فقدت عقلها أم ماذا؟!!

كيف تفكر هكذا؟! بل كيف هو سمح لنفسه أن يفكر هكذا!!

- مش فاهمة ده لشغل يعني؟!

هز رأسه نفيًا:

- لأ طبعا شغل إيه يا زينة، أنا بعزمك على الغدا وفي المكان اللي تحبيه.

زمت شفيتها واستطاع أن يرى ملامح الغضب على وجهها لتردف:

- لأ طبعا.

انتقل غضبها له:

- ليه؟!

عقدت حاجبيها:

- لأنه مايصحش حضرتك تطلب مني طلب زي ده أصلاً.

صمت دون تعليق قبل أن يومئ برأسه مرددًا:

- تمام.

التفت يصفع الباب خلفه، فانتفض جسدها وهي تلقي به على كرسيها، لا تصدق أنها تمنّت لو قبلت، أكانت ستخون ربها ثم أباهاً بهذا الشكل؟! "السلام عليكم"

التفتت لمن يتحدث، ترى وجهه الباش وهو يعيد السلام، فأجابته تحاول استعادة زمام نفسها:

- محمد، وعلّيك السلام.

- ازيك يا زينة، أنا جبت أوراق المشروع الرسمية، هستلمها أنتِ ولا أدخل أسلمها للباشمهندس.

- هات أديهاله.

منحها الأوراق، وقفت تقترب من باب المكتب، لكنها توقفت فجأة، ربما ليست فكرة جيدة أن تدخل إليه الآن.

فالتفتت لمحمد:

- أقولك، هو ممكن يكون مشغول دلوقتي، هبقى أدهاله بعدين.

- ماشي زي ما تحبي.

مرت لحظات لم يتحرك فيها، نظرت له:

- خير في حاجة تاني؟!!

ابتلع ريقه بصعوبة:

- أه، الحقيقة... كنت...

قرأت على ملامحه الكثير من الارتباك فتغافلت عن هذا، أما هو فحاول أن يبدو طبيعياً لكنه فشل في هذا تماماً، ما يفكر فيه من حقه، عليه أن يحاول أن يبدأ حياته، أن يكون شخصاً طبيعياً له حياة بعيداً عن أوهام حبٍ فقد كل إيمانه به. وعقله هو الذي اختار هذه المرة، ويراهما تستحق.

- بصي أنا عايز أعرض عليك موضوع كده ... قصدي .....

الأمر أصبح أكثر وضوحاً ولا يمكن تغافله، عقدت حاجبيها:

- يووووه... مالك في إيه؟!!

قالتها لتنتهي هذا الموقف الغريب خاصة أنها تعلم أن الآخر خلف ذلك الباب وربما يصل له صوتهما.

- طيب... بصي يا زينة.. أنا عايز... قصدي يعني تقبلي تتجوزيني... مش بيقولوها كده برضو.

اتسعت عيناها بذهول ودهشة حقيقية، والطالب زاد ارتبাকে وحرجه مع نظرتها تلك فقال موضحًا:

- أنا الحمد لله دلوقتي عندي شقة وبقبض كويس وتقدرني تقولي ما بقتش محاسب بس أنا دلوقتي دراعهم اليمين في الشغل وبجد تعبت من الوحدة اللي أنا فيها، وأنت بنت جدعة وألف مين يتمناك.  
أطرقت رأسها للحظة تطلع ريقها، وبطرف عينيها نظرت للباب المغلق جوارها.  
ما بال يومها هذا لا تتوقف مفاجآته!!

- خدي وقتك وفكري وردني عليا، وصدقيني حتى لو مافيش نصيب هيفضل الاحترام والتقدير متبادل، بس أتمنى تديني فرصة.

وأنهى جملة مغادرًا، وتصلبت هي مكانها لحظات قبل أن تنتفض مع فتح الباب، ليظهر هو بوجه جامد لا يبشر بخير.  
أغضب هو؟! في الحقيقة هي تتمنى هذا.

تبادلًا نظرات لم تستطع هي تفسيرها، لكنها شعرت بأنه يرغب أن يقول الكثير إلا أنه تراجع واكتفى بقول:

- هاتي الورق إلكي اداهولك.

الجملة تعني أنه استمع، استمع لكل ما قيل. ويبدو أنه لا يهمله أن تعلم هذا من عدمه.

رفعت له الورق بأليه تناوله منها عائدًا لمكتبه، تبعته وقد تملكها غيظ رغم سخافته.

- سمعت أكيد.. إيه رأيك?!

أتريد استفزازة، ألا يكفي ما فعلت منذ لحظات. حسنًا!! لقد نجحت، ألقى الأوراق على مكتبه قائلًا بعصبية:

- وأنا مالي هو أنا اللي هتجوزه!!

- أنت متعصب ليه؟!

- أنا مش متعصب.

- طيب خلاص آسفة إني سألت.

كلمات وكأنهما يلقونها لبعضهما البعض لعلها تصيب الهدف، ولم يعلم أي منهما ما هو الهدف!!

إلا الغضب الذي تملكهما ونضحت به نظراتهما.

لتلتفت مغادرة، وهي تغلق الباب خلفها.

ولأول مرة يشعر وكأنه يخسرها، وكأنه لن يكون له أي حق عليها.

وانتبه لشعور مختلف، شعور مؤلم وغير مريح أبدًا.

.....

"اقبضوا عليها"

ارتدت للخلف مع سماع تلك الكلمات، وأصوات بكاء مها وفاطمة بل وبسمة تعلق من حولها، لوحت بذراعيها تمنع هؤلاء الرجال من الإمساك بها تصرخ:

- أنا ماعملتش حاجة، ماعملتش حاجة، ماعملتش حاجة.

"نانا" .. "نانا"

انتفضت في فراشها ووجهها يتصبب عرقًا، تنظر لأختها بفرح لتقول مها:

- استعيزي بالله من الشيطان الرجيم، ده باين كابوس وحش.

دارت ببصرها في المكان لا تصدق أنه بالفعل كان كابوسًا وأنها لا زالت هنا في فراشها .

أحضرت لها مها كوب ماء، تطلب منها الشرب، ارتشفت منه القليل وهي

تسترخي ثانية في فراشها.

- أحسن دلوقتي؟

أومأت لها بهز رأسها:

- أيوة، أيوة، روعي أنا هنام تاني.

رمقت أختها التي تدرت بغطائها الخفيف، فعلا صوت رنين هاتفها، أسرع  
لتجيبه، تستمع إلى صوته:

- صباح الخير، أختك عاملة أيه؟!!

- الحمد لله أحسن.

- بسمة قالتلي إنها وقعت واتعورت.

- أيوة بس هي تمام دلوقتي.

- طيب ممكن تنزلي لأوضة ماما، علشان نكلمها في موضوعنا.

اتسعت بسمتها الخجلة لتقول بصوت خافت:

- حاضر.

أغلق معها يطرق باب فاطمة ويدخل إليها، اقترب يقبلها ربتت على ظهره ولم  
يخف عليها ملامح وجهه المتعبة.

- مالك يا ابني أنت مانمتش كويس؟!!

حدق بها بصمت، لتعقد حاجبيها:

- في إيه يا بسام؟!!

تنهد قائلاً:

- نفسي أفهم في إيه؟! جاهين اتغير أوي، وبسمة ساكته، وهو مش عايز  
يتكلم، وكل حاجة حاسس أنها مش واضحة.

- اعذره يا ابني، هو حب أختك.

نظر لها ليقول:

- لا، بيقولي ماحبهاش، بيقولي كان بيخطبها مصلحة.

منحته ابتسامة حزينة:

- وصدقته، يا ابني ده واحد كرامته اتجرحت، وعايز يدافع عنها، أنا شفته  
بيصلها إزاي، جاهين حب بسمة أنا متأكدة.

- طب وبعدين يا ماما، الدنيا كل شوية بتعك من حواليا وأنا مش عارف أعمل  
حاجة.

ربتت على كفه:

- سيبها على الله يا ابني، اعمل اللي عليك وبس.  
اعتدل ينظر لها:

- أنت تعرفي معاذ اللي عايز يخطبها؟!  
ارتجفت شفيتها تشيح ببصرها بعيداً:

- أه، أعرفه، بس أنا عمري ما هوافق على الجواز دي.  
عقد حاجبيه ليقول:

- كما ان، يالا كملت.

نظرت له تقول برجاء:

- أختك عاميها شوية كلام فارغ، ياريت تعرف تفوقها يا ابني، ياريت.  
وضع رأسه بين كفيه:

- هفوق مين ولا مين؟!!

شعرت بالشفقة عليه، من كل ما يحدث، وما زاد الطين بله، أن لا دور لها في  
أي شيء، ولا تعرف ما الذي عليها أن تفعله، بسمة تعرف جيداً أنها لن تقبل  
بتلك الزيجة، ما الذي عليها أن تفعله أكثر من هذا؟

ظهرت مها أمامها لترحب بها فاطمة وتدعوها للاقتراب.

دنت على استحياء، ابتسم بسام، ستبقى تلك الفتاة التي ظهرت في حياته فجأة،  
النسمة التي تريح قلبه وعقله من التفكير والهم.

جلست على الجانب الآخر لتصبح فاطمة بينهما، ضمت كتفيهما إليها.

- ربنا ما يحرمني من طلتكم عليا.

رددا معاً "آمين"

بدأ بسام الكلام:

- ماما كنا عايزين نحدد ميعاد الفرح.

شهقت بسعادة:

- بجد!! يا حبابي يا ااريت، والله نفسنا نفرح.

- هتفرحي إن شاء الله يا ماما، وهنعمل فرح في أكبر فندق في مصر.

"يا"

قالتها مها بسرعة، ليميل بسام برأسه مندهشاً:  
- ليه لأ؟!!

- مش عايزة فرح، مصاريف من غير داعي.  
ابتسمت فاطمة بحنان:

- معاها حق يا بسام، بلاش دوشة ومصاريف على الفاضي، ثم الفرحة في القلب مش بالمكان الواسع، أنا بقول تخلوا الفرحة في المسجد يعني يوم كتب الكتاب، إيه رأيكم؟!!

أومات مها بسعادة ليقول بسام:

- خلاص زي ما تحبوا، المهم نتجوز.

وما إن قالها حتى هبت مها تفر من الغرفة ليضحك وكذلك أمه التي وكزته:  
- كسفتها.

احتضن ذراعها يستقر برأسه على كتفها:

- أنا بحبك أوي يا ماما.

مطت شفيتها:

- إحساسي بيقولي كان نفسك تقول يا مها.

عاد ليضحك واستطاع بالفعل أن ينسى همه معهما.

ومع كل بلاء رحمة.

.....

خرج من مكتبه باكراً على غير العادة لم ينظر إليها، وهي لم توقفه، فقط غادر المكتب لوجهته، هي أغضبتة كثيراً اليوم، أم هو الذي أغضبها؟! لا يعرف، لكن من الواضح أن الأمور بينهما لم تعد صاحب عمل وسكرتيرة مكتب.

إلا أنه قاوم كل تلك الأفكار، قاومها لأنه ليس على استعداد لخوض تلك المعركة مرة أخرى، وعاد خوفه القديم من الحب والزواج يلوح في الأفق، أنسى أنه لا يزال يقاتل سما!

فلمّ عليه أن يدفع بتلك المسكينة وعائلتها في حروبه تلك.

محمد أفضل لها منه.

هكذا فكر وقرر.

وصل لمكتب المحامي، عليه الآن أن ينفذ الوعد الذي عليه، ويتم بيع الأسهم، ومواجهة إعصار غضب سما الذي ستفجره في وجهه حين تعلم.

١٥ بالمئة ليست نسبة قليلة أبدًا، ستسمح لجاهين بالكثير.

استقبله المحامي بترحاب واضح.

- عاش مين شافك يا سامر بيه.

- متشكر ، عامل ايه؟!!

- الحمد لله تمام، اتفضل.

جلس سامر ولم ينتظر كثيرًا ليخبر المحامي سبب الزيارة، مما أصابه بالكثير من الدهشة ليقول:

- ١٥ في المية، حضرتك مش شايف إنها نسبة كبيرة شوية، وهتأثر عليك أنت شخصيًا.

- ماتشغلش بالك أنا عارف أنا بعمل إيه؟!!

- بس أنا كمحامي لازم...

- فاهم يا أستاذ، بقولك أنا عارف أنا بعمل إيه، ممكن تحضر الورق المطلوب ولما يجهز أديني خبر علشان أجي أنا وجاهين نمضيه.

صمت المحامي لحظات، يقول باستسلام:

- اللي تشوفه حضرتك، بس أنا لازم هبلغ سما هانم، لأنني محامي الشركة كلها مش حضرتك بس.

وقف سامر وهو يعدل هندامه:

- فاهم، أكيد، بلغها، ماهي لازم هتعرف، بس يا ريت تقولها إني مش هغير رأيي فماتحاولش معايا.

أنهى جملته ليشكره ويلتفت مغادرًا، فهز المحامي رأسه بأسى، يبدو أن الأمور في العائلة تزداد سوءًا وهو الذي تصور أن سامر سيعود للشركة قريبًا.

أمسك الهاتف يتصل بها مباشرة، وما إن ردت حتى أخبرها بما كان من سامر ليصل له صياحها الغاضب:

- نعممم، ده اتجنن ده ولا إيه؟!!

- هو الحقيقة أنا حاولت أفهمه إن هو أول المتضررين، بس هو مش عايز يسمع وبيقول مش هيغير رأيه.

وصلت له أنفاسها الغاضبة قبل أن تمر لحظات صمت لتقول:

- هو كده جاب الآخر، اعمل اللي طلبه منك، وابقى بلغني بميعاد مجيه هو وجاهين ده، وأنا بقى هعرفه كويس مقامه وقدام صاحبه.

## الفصل الحادي عشر

كروان جريح مضروب شعاع م القمر  
سقط من السموات فواده انكسر  
جريت عليه قطه علشان تبلعه  
أتاريه خيال شعراء و مالهوش أثر

عجبي!!

رباعيات جاهين

ولا يغلب الشيء إلا ضده، وهكذا الحزن لا يغلبه إلا الفرح.  
والفرح غاب عن هذا البيت كثيرًا فهل أخيرًا سيكون له مكان، بل غاب عن قلبها هي لوقتٍ طويل، ولطالما صبرت وشكرت ربها، قلبها يملك من السلام ما يجعلها ترضى بما يقسمه الله لها.  
لم تتصور أن المكافآت ستتوالى عليها، بدءًا من حياة كريمة إلى عودة بصرها والآن صار اقترانها بمن أحبت وشيكا.  
ليصون الله قلبها كما صانته لربها.  
فلم تجد غير السجود بين يدي الله تكثر الحمد والشكر فغلبتها دموعها وهي ساجدة قبل أن تعتل وتنتهي صلاتها.  
التفتت تمسح عبراتها تجد نانا تطالعها والغريب أنها كانت تبكي أيضًا.  
ترتسم الدهشة على وجهها:  
- نانا أنت بتعطي لي؟!  
انتبهت نانا إلى أختها لتمسح وجهها سريعًا قائلة:  
- أصل سمعتك وأنت بتكلمي ربنا عيطت معاك.  
ابتسمت لها بحنو، تقف مقتربة من أختها تحتضن رأسها إلى صدرها:  
- هو في أحلى من أنك تعطي وأنت بتكلمي ربنا.  
لم تعلق نانا لتحررها منها وتجلس جوارها:

- أنا فرحانة أوي يا نانا، مش مصدقة أني خلاص هنكتب الكتاب.  
أشاحت نانا ببصرها بعيداً، وكأنها تخشى الفضيحة، ومن قلبها ترجو أن تبقى  
الأمور على ما يرام فقط من أجل تلك المسكينة.  
لتكمل مها:

- كان نفسي أوي ماما وبابا يبقوا معانا، بس الحمد لله ربنا عوضني بيك وبماما  
بطة وبوسي، نانااااا هو أنا هفضل أكلم نفسي كده، أنت من يوم ما روحت  
تقابلي البنت دي وأنت مش طبيعية خالص، بس عدى يومين يعني المفروض  
تكوني أحسن.  
هزت نانا رأسها:

- لأ أنا كويسة، هو أنتو حددتوا أمتي؟!  
- بسام لسه بيدور ولما يلاقي مكان كويس هيحجز فيه، هو بيقولي لازم نعزم  
علشان الإشهار فقلتلته خلاص يبقى مكان في قاعتين علشان الرجالة تبقى  
لوحدهم وإحنا لوحدنا، مش كده أحسن؟!  
أومات برأسها في محاولة للتجاوب مع فرحة أختها، لكنها لا تتجح في هذا أبداً.  
كيف؟! وكل ساعة تمر عليها تشعر أن كارثة ستقع.  
انضمت لهما بسمة وهي تمسك بهاتفها:

- بنااات، شوفت شوية فساتين تووووحفة، يالا بقى يا مها علشان تختاري  
فستانك. وبعدها نختار أنا ونانا.  
تحمست مها وهي تشارك بسمة النظر إلى الصور المختلفة لفساتين العرائس.  
أما نانا فأرادت الادعاء بالمتابعة لكنها سرعان ما شردت عنهما وصورة واحدة  
فقط تتشكل في عقلها مراراً وتكراراً.  
شهاب ورأسه ينضح بالدم.

.....  
تابعها أبوها وهي تتحرك بشرود كحالها منذ يومين، شيء ما تغير بابنته ويبدو  
أنها ليست على استعداد للحديث عنه، لطالما كان يخشى تلك اللحظات التي  
يفتقد فيها وجود زوجته جواره، فهي فقط من كانت سر ابنتها، وكم حاول

الكثير ليحظى بتلك المكانة إلى أن حدث ولم تعد زينة تخفي عنه شيئاً حتى  
الآن!!  
- زينة.

ناداها بصوت خفيض لكنها انتبهت له في الحال، فأشار له لتجلس قربه. دنت  
منه بالفعل تجاوره مبتسمة:

- يا عيون زينة.

- مالك؟!!

نظرت له بدون استيعاب:

- مالي يا بابا؟!!

- سرحانه على طول، مش على طبيعتك خالص، ممكن بقى تقولي في إيه؟!  
أطرقت رأسها للحظة، هي من البداية تمننت لو شاركته الأمر لكنها تعلم أنها لن  
تجرؤ على قول كل شيء، كيف تخبر أباه أن قلبها تعلق بصاحب العمل، تعلم  
جيداً كيف سيكون رد فعله؟!!

ولكن هذا ليس كل شيء، هناك خاطب وعليها الرد عليه.

عادت ببصرها له:

- هو، في واحد معايا في الشغل، مش نفس المكان لأ ليهم شغل معانا...  
لم تكمل فحثها أبوها بهمهمة لتكمل، فأضافت:

- هو اتقدملي ومستني رأيي.

ظل عبد الحكم ينظر لها، وكأنه يتفحص ملامحها قبل أن يعتدل قائلاً:

- وهترفضيه امتي؟!!

عادت الدهشة تملكها:

- أرفضه!!!

- ماهو ده مش منظر بنت متقدملها عريس ومكسوفة وفرحانة، ده منظر  
واحدة شايله هم الدنيا.

عادت تطرق رأسها أرضًا، يجيد أبوها قراءتها، هي بالفعل تحمل الهم أطنانًا، هم حب يبدو أنه سيبقى وهمًا، وهم مشاعر رجل عليها أن ترده عنها، وهم مستقبل غامض لا تعرف عنه شيئًا.

- طيب هو ماجاش كلمني أنا على طول ليه؟! هزت كتفيها:

- هو مايعرفكش يا بابا، ويمكن قال آخذ موافقة مبدئية بما إنه يعرفني وبنتكلم في الشغل، وبعدين أكيد هيجي يكلمك. هو كويس؟! هزت كتفيها:

لا يمكنها أن تتفي هذا، هو شخص جيد مجتهد وهي تعرف هذا، لكن.. ولكن هذه تصعب كل هين. لكن قلبها أصبح مع غيره، والكل غيره سواء، لا فارق يذكر. - أه كويس.

وضع كفه على كتف ابنته:

- طيب، مش فرحانه ليه، بتكرهيه؟! هزت رأسها نفيًا:

- لا يا بابا، ولا بحبه ولا بكرهه، زميل شغل وبس، لكن أنا مش بفكر في الموضوع ده خالص دلوقتي، يعني أسيبك أنت وأسماء. ارتسمت بسمة على شفتيه:

- أنت بتتججي بينا، لا يا ستي، أنا رببتك وهعرف أربي أسماء بطلي حجج. وقفت تردد:

- طيب هاستخير تاني.

وفرت من أمامه، تختفي بحجرتها.

- ربنا يقدرلك الخير يا بنتي.

أغلقت باب غرفتها بعد أن وصل لها الاتصال العاشر، تجلس على كرسيها المجاور للمرأة.

- معاذ عنيد ويصر على أن الأمور يجب أن تتحرك إلى الأمام، وهي ترى أن عليهما التريث قليلاً، ولا تعرف كيف تقنعه بهذا.
- اتصلت هي به، فأجابها في الحال زاعقاً:
- بقى كده يا بوسي، بتكنسيليني كل شوية.
  - يا معاذ أنت بتكلمني وأنا مش لوحدي، كنت عند ماما ومعايا البنات.
  - على فكرة أنت فاكرة كل الناس ونسياني، المهم هاخذ من ماما ميعاد مناسب كده تكون في البيت علشان تقابلها.
- انتفضت تقف:
- أقابل مين؟!!
  - تقابلي ماما يا بوسي، أنا خلاص زهقت بقى من فيلم التليفونات اللي أنت شبطالي فيه ده.
  - يا معاذ قانتك اصبر.
  - هب هو الآخر واقفاً:
  - أصبر لحد أمتي؟! أنت حتى مش بتديلي وقت ولا عقاد نافع، اسمعي يا بوسي، الجمعة الجاية دي هقول لماما تستناكي، وهاجي أخذك وتقابلها وتقعدي معاها يالا سلام.
  - أغلق الهاتف بنزق، وهو يهز رأسه:
  - هي الجواز دي هتفضل معقربة طول عمرها.
  - "بتكلم نفسك"
  - التفت على صوت أمه التي تقف خلفه:
  - ماما، أنت جيت بدري يعني؟!!
  - ماروحتش الشغل ليه النهاردة؟!!
  - هز كتفيه:
  - ماكنش فيه حاجة مهمة يعني قلت آخذ أجازة.
  - لوت شفتيها بغير رضا:
  - شفت سامر بيه اللي كنت بتدافع عنه.

- ماله؟.

قالها باهتمام، فأجابت:

- لك أن تتخيل، البيه عايز يبيع ١٥% في أسهمه.

- إيه؟.. ١٥% مرة واحدة.

- آه تصدق، لا وكم ان هيبعم لشركة كانت تحت طوعنا، دلوقتي عايزهم يركبونا.

- شركة إيه؟!

- شركة حبيبة القلب، مش قلتلي إنها من عيلة الشربيني.

ظل يحدق فيها بذهول لتردف:

- وهيبعها لجاهين يحيى، المدير التنفيذي حاليًا للشركة دي.

- جاهين!! ده ابن عمها الوحيد... ده اللي....

رددها شاردًا لتقول:

- اللي إيه؟!

- ها، لا ولا حاجة، بس ليه سامر يعمل كده؟.

- بيضايقنا بس واضح إن الناس التانية دي مش سهلين، يعني من ناحية

عايزينك تتجوز بنتهم ومن الناحية التانية بيحطوا أيدهم على أسهم الشركة،

دول طلوعوا ناصحين أوي، ماشي يا سميحة أنتِ وعيلتك.

وانطلقت صفارات الإنذار في عقله سريعًا:

- لا لحظة، بسمة مالهاش أي علاقة بالموضوع ده، هي لا بتروح الشغل ولا

ليها دعوة بيه، ماما! ماتحطليش بسمة في أي حوار وخلص، ثم يعني هو

أنت هتسيبيه يبيع؟!

ربتت على وجنته:

- لا طبعًا، سما بتعرف تأمن نفسها كويس.

زفر براحة:

- طيب تمام، ما هو ده اللي بقوله، هو في حد يقدر ياخذ حاجة من سما هانم إلا

لو هي اللي سابتها.

ضحكت بتهكم:

- لا حلوة الجملة دي عجبتي.

- طيب يا سما هانم، يوم الجمعة الجاية أخلي بسمه تيجي، علشان تقابلها. هزت كتفيها لتتركه في الحديقة حيث هو، قائلة:

- وماله، خلينا نشوفها مش هنخسر.

زفر بارتياح بالغ، وقد تصور من كلماتها أن أمه ستنتهي الأمر قبل أن يبدأ. جلس على مقعده ثانية مفكرًا، ما الذي بين سامر وجاهين هذا بالضبط، هو يعلم أنه هو من خطب بسمه. ولكن أي نوع من العلاقات تربطه بأخيه؟! ولم يريد أن يكون له هذا الجزء الكبير من الأسهم؟.

أمسك هاتفه يرسل لها رسالة.

"بوسي هو جاهين ابن عمك يعرف أن أنا اللي عايز أخطبك"

ظل يحدق بالهاتف في انتظار الرد، وصل له إشارة برويتها للرسالة وانتظر ما تكتب ولم يتأخر فقط كلمة واحدة.

"أيوة"

عقد حاجبيه وقد غلبته الأفكار لتأتي رسالة أخرى منها.

"بتسأل ليه؟"

فكتب.

"لما أقابلك هبقى أقولك"

وتوقف كلاهما عن الإرسال ولم يتوقفا عن التفكير.

.....

ضربت أزرار لوحة المفاتيح برتابة، فقدت كل حماس كانت تشعر به حين تأتي العمل، وكم تمقت هذا الإحساس، هي تشتاق نفسها القديمة جدًا، حين كان عقلها وقلبها خاليين إلا من مهام حياتها اليومية، أما الآن وقد دخلها رجل، تشعر وأنه ابتلاء وتخشى الرسوب فيه.

نظرت لهاتفها الساكن جوارها على المكتب، عليها أن تنهي تلك المسألة المعلقة، لا داعي لتعذبه معها، يحزنها أنها سترد طلبه، لكنها تعلم أنه سيتجاوز

الأمر، كلماته أوحى لها أن اختياره لها عقلي تمامًا، والعقل يجيد التأقلم مع ما يجري حوله من متغيرات، بعكس القلب، الذي يتمسك بكل ما به من مشاعر، ويرفض التخلي عنها.

زفرت بقوة تحاول التخلص من كل تلك المشاعر السلبية.  
تمسك بهاتفها تتصل به، لحظات قصيرة جدًا وأجابها، بدا في صوته لهفة وتوتر.

- ألو، أيوة يا زينة.

أغلقت عينيها للحظة:

- أزيك.. يا محمد.

- بخير الحمد لله.

صمتت وكأن لسانها لم يطاوعها لقول المزيد، ليأتي صوته هو:

- في حاجه عن الشغل؟!

هزت رأسها وكأنه يراها:

- لأ، أنا بتصل علشان.. علشان ..

- علشان طربي، تمام سامعك.

ضغطت شفثيها بقوة قبل أن تحررها قائلة:

- كل شيء قسمة... ونصيب، آسفة يا محمد.

وكان جوابه الصمت، تفرك جبهتها بكفها:

- أنت إنسان كويس جدًا، بس أنا مش بفكر ...

- خلاص يا زينة، مش مضطرة تبرري، هي فعلاً قسمة ونصيب، وشكرًا أنك

متأخرتيش عليا أكثر من كده، وربنا يقدرلك كل خير.

- وأنت كمان.

- مع السلامة.

وأنهت الاتصال لتسقط بجبهتها على سطح مكتبها مع رغبة غير عادية في

الصراخ لأي سبب وعلى أي شخص.

"زينة"

وهذا آخر ما تتمنى أن تراه الآن.

"أنتِ كويسة"

أيشعر بالقلق عليها؟!، أيشعر بها على الإطلاق!؟!

رفعت رأسها تنظر له، بدت نظرتها غاضبة برغم ملامح وجهها المتعبة.

- أنتِ عيانة؟! لو تعبانة روعي.

أومأت له برأسها:

- فعلاً يا باشمهندس الأحسن أروح.

وقف سامر متردداً، أيسألها أم لا يفعل، إنه يقاوم تلك الرغبة منذ أمس ولم يعد

يطيق!!

لملمت بعض الأوراق أمامها لتتبه أنه خرج من مكتبه وحدثها فأرادت أن

تسأله:

- هو حضرتك كنت عايز حاجه؟!!

- لأ، أقصد، أنا هروح للمحامي وهقابل جاهين هناك وهروح من بره بره.

أومأت برأسها وهي تحمل حقيبتها للخروج.

"زينة"

توقفت وهي بالكاد تقاقل لتبدو على طبيعتها، فهي تشعر بارهاق مبالغ فيه.

التفتت تنظر له، أشاح ببصره قائلاً:

- هو أنتِ.. أنتِ رديتِ على محمد؟!!

عقدت حاجبيها وهي تنظر له بينما هو يتجنب هذا، وحين طال صمتها نظر لها

قائلاً:

- آسف، تقريباً سألت في اللي ما يخصنيش، تقدرني تتفضلني.

التفت ليدخل مكتبه.

"رفضته"

توقف مكانه للحظة، أدار رأسه ينظر إليها لكنها كانت تغلق باب المكتب خلفها

وتختفي، ظل ينظر للباب قبل أن تتسع بسمته رويداً رويداً، تعبيراً عن كل تلك

المشاعر التي تبدلت كلها داخله بكلمة.

"رفضته"

وبدلاً من دقات قلب حملت بصمة توتر صارخ، أصبحت دقات قلب تعبر عن سرور واضح.

هز رأسه مندهشاً من حاله، لم هو سعيد هكذا؟!!

أحقاً؟! أعليه أن ينكر المزيد؟!!

عاد ينظر إلى حيث اختفت لتعود البسمة تملأ وجهه هامساً:  
- أنت حبتها يا سامر.

نظر جاهين لساعته يستعد للانطلاق، فاليوم سينال الأسهم بشكل رسمي كما اتفق مع سامر، علت وجهه بسمة ثقة، لا يصدق أنه بالفعل يصل لتلك المراحل بهذه السرعة، وقريباً سيجعل من شركتهم الأفضل والأقوى، وستكون الهيثم تابعه لهم لا العكس.

"خلاص يا محمد نروح سوا النهاردة"

وصل له صوت بسام وهو يحدث محمد الذي يدخل خلفه.  
ليقول محمد:

- طيب تمام، وألف مبروك.

عقد جاهين حاجبيه ليقول:

- ألف مبروك، هو في إيه؟!!

رمقه بسام بضيق واضح ليقول:

- هنروح نحجز قاعة كتب الكتاب النهاردة، سألتك إمبراح أنت فاضي قلتلي لأ مشغول.

قال جاهين:

- بس أنت ماقلتش إنك عايزني علشان كده.

هز بسام كتفيه بلا مبالاة:

- وهي هتفرق؟!!

زفر جاهين بينما نظرات محمد تنتقل بينهما ليقف قائلاً:



نعم تغير، ولم عليه أن يلومه، أليس الكل يبحث عن غايته ومصالحته؟، فما الغريب إن فعل المثل؟، أم أن هذا حلال لهم، حرام عليه.  
التفت ينظر لوجه بسام الغاضب، فلانت ملامحه، لانت لأنه بالفعل يحبه، بسام ليس مجرد ابن عم، هو أخ وصديق بل هو صديقه الوحيد.  
ربما هو تغير لكن آخر ما يريده أن يخسر علاقته بهذا الشاب.  
دنا منه، يقف أمامه:

- أنا يمكن اتغيرت، ويمكن في يوم أقولك إيه اللي غيرني، بس أيًا كان، أنا لو اتغيرت على العالم كله مش عايز اللي بنا يتغير، سيبك من الشغل ومن كل حاجه، خلينا مع بعض زي ما كنا يا بسام.  
رمقه بسام قائلاً:

- تفكر هينفع؟!

- أعتقد ده في إيدينا.

- برضو هتشتري أسهم سامر.

أطرق رأسه زافراً:

- أيوة يا بسام، بس أوعدك أي آخد بالي، أوعدك أي مكنش سبب أذيه لحد، كويس كده؟!

هز رأسه بعدم فهم، ربت جاهين على كتفه:

- ممكن بقى تأجل مشوار النهاردة ونروح بكره مع بعض، وأي مشوار ليه

علاقة بفرحك قولي، أنت فاهم؟! ده فرحك يا ابني مش فرح أي حد.

ابتسم رغمًا عنه ليشاركه جاهين قائلاً:

- ألف مبروك، أجدع عريس لأحلى عروسة.

اتسعت بسمته أكثر:

- نفسي نفرح بجد يا جاهين.

- يا سيدي ما تفرح، أنت غاوي نكد، أنت هتفرح وأنا هفرح ونجيب ماما وناهد

وكلنا إن شاء الله.

ضحك بسام:

- أيوة، أهو ده جاهين إلي أنا أعرفه.
- متشكر، حمدلله على سلامتي، أنا ماشي، بكرة زي ما اتفقتنا.
- أوما له ليغادر، وتنزوي ضحكة بسام، ومن داخله يتمنى بالفعل أن تبقى الأمور على ما يرام.
- دخل محمد بعدها.
- ها هنروح؟!!
- لا، هنخليها بكرة بقي وجاهين هيجي معانا.
- طيب، أنا همشي بقي.
- محمد، أنت كويس، شكلك مش في المود، مالك أنت كمان؟!!
- هز رأسه:
- لا أبدأ، أنت مروح البيت صح؟!!
- أوما له إيجابًا.
- طيب أنا هاجي معاك عايز أتكلم مع أبله بطة شوية.
- خلاص تمام، يالا بينا، وناكل سوا، أنا ميت من الجوع.

.....

قد يعجز العقل عن تفسير ما يصيبه من مشاعر مختلفة، أو هو عجز الإنسان نفسه عن هذا الفهم، فيجد نفسه يبحث عن تفسيرات مختلفة لمشاعر قد ينكرها تمامًا.

أما هو فيعلم أنه تخطى مرحلة النكران، تلك السعادة التي غمرته ولا زالت لا يخطؤها عقله أبدًا.

وتلك الكلمة تتردد في رأسه.

"رفضته"

هي حرة إذاً ولا زالت، زينة لم تصبح لرجل آخر.

تناسى في لحظات تفكيره السخيف أن محمد أفضل لها منه، كيف فكر هكذا بينما القلق تمكن منه بتلك القوة وهو يسألها عن ردها، وكيف كان سيغضب إذا قبلت؟!، ومادام وصل لتلك المرحلة فلم عليه أن يبقيها بعيدًا.

صف سيارته بجوار المبنى الذي يقبع به مكتب المحامي، نظر في ساعته، وتلفت حوله، لقد أخبر جاهين أن ينتظره ليصعدا معاً، لكنه لم يظهر بعد. مرت لحظات أخرى ليأتيه اتصال من جاهين يخبره بوصوله، تخرج من السيارة فانتبه لجاهين وهو يلوح له، فأشار له أن يأتي. اقترب منه يستقبله سامر ببسمة بشوشة.

- تأخرت عليك.

هز سامر رأسه:

- لا أبداً أنا سبقتك بثواني بس.

كانت كلماته تحمل سعادة واضحة، حتى أن جاهين عقد حاجبيه:

- هو أنت مالك فرحان كده؟!!

ضحك سامر:

- أصلي سمعت خبر حلو من شوية، يالا بينا.

صعدا معاً ليستقبلهما المحامي، جلسا أمام مكتبه فسأل سامر إذا كانت العقود جاهزة، أجابه المحامي بنعم وهو يرفع له الأوراق ليقراها هو وجاهين. وفي اللحظة التالية فُتح باب المكتب وظهرت سما أمامهما، عقد سامر حاجبيه أما جاهين فكان مندهشاً.

- آسفة أتأخرت عليكم، لأ صحيح، أنا شخص غير مدعو أصلاً، بس مش مهم، برضو جيت.

اقتربت أكثر وهي تبادل سامر النظرات، نظرات حملت تحدياً واضحاً من كليهما، يراقبهما جاهين بحرص.

من الواضح أن العلاقة بينهما بالفعل أسوأ ما يكون، وكل هذا سيكون في مصلحته بالتأكيد.

رمق سامر المحامي الذي تنحج قائلاً:

- سما هانم قالت إنها حابه تحضر التوقيع، وأنا كمحامي للشركة مقدرش أرفض.

مط سامر شفتيه:

- مش هتفرق، تحضر ما تحضرش، مافيش حاجة هتتغير.
- التفت فجأة على صوت ضحكتها العالية التي أطلقتها ليرفع جاهين حاجبيه وقد بدا الموقف مريبًا للغاية.
- فعلاً، مافيش حاجة هتتغير، خليه يمضوا.
- أخليه يمضوا؟!!
- قالها المحامي باستنكار، لقد تصور أن حضورها هنا كي تمنع تلك الصفة لا أن تشهدها بالفعل.
- عقدت سما ذراعيها قائلة باستعلاء:
- آه، خليه مش هما عايزين كده، وأنا ما أحبش أحرم حد من حاجة.
- تبادل سامر وجاهين النظرات وقد تسرب الكثير من القلق للأول، هو يعلم أمه جيداً، هي تدبر لشيء ما حتمًا، لكن ما هو؟!!
- لم يرد أن يستمر في تلك المهزلة، مد يده للمحامي:
- هات الورق نمضيه.
- رفع المحامي الورق وهو ينظر لسما كأنه ينتظر منها أن تمنعه لكنها اكتفت بابتسامة ثقة وسخرية في نفس الوقت.
- سحب سامر الأوراق وذيلهم بتوقيعه وأعطاهم لجاهين الذي فعل المثل، اقتربت منهم سما أكثر قائلة:
- خلاص مضيت، بلها بقى واشرب ميتها.
- هب سامر واقفاً وقد بلغ توتره الذروة:
- مافيش داعي للكلام ده، البيع صحيح، يالا يا جاهين.
- وقف جاهين هو الآخر لكنها أشارت لهما:
- لأ استنوا، مش قبل ما تشوفوا المفاجأة اللي أنا محضرها لكم.
- ثم نظرت لجاهين قائلة:
- قول لسميحة ماكنش العشم، ومن النهاردة مافيش أي شغل تاني هيتم بينا، وابقى خلي البيه ينفعكم.
- أراد سامر الصراخ في وجهها لكنها أخرجت ورقة تلقي بها إلى المحامي:

- اقرأ الورقة دي وفهمهم اللي فيها كويس، سلااام.
- استدارت تغادر بثقتها المعهودة ولم تنس أن تعيد ضحكاتنا الساخرة التي أشعلت غضب سامر لينظر إلى المحامي الذي كان يطالع الورقة:
- فيها إيه الورقة دي؟!  
 هز المحامي رأسه بأسى:
- للأسف يا سامر بيه، البيع اللي تم دلوقتي غير قانوني ومش هنقدر نفعله أبداً.
- ردد جاهين بدهشة:
- يعني إيه؟!  
 جذب سامر الورقة من بين أصابع المحامي يطالعها، تتسع عيناه بذهول مردداً:
- إيه ده؟! إيه الكلام الفارغ ده؟!.. ماحصلش ده تزوير.
- في إيه يا سامر؟! ماتفهمني.
- قالها جاهين بنفاد صبر. وقف المحامي قائلاً:
- ماظنش إنه تزوير، دي صورة من ورقة ممضية بخط إيديك من أكثر من ١٢ سنة، تمنعك حق التصرف في أسهم الشركة اللي تخصك بدون الحصول على توقيع من سما هانم، يعني سما هانم لازم تمضي وراكم علشان البيع ده يبقى قانوني، أكيد مضتلك عليها أول ما دخلت الشركة وأنت لسه شاب صغير.
- جز أسنانه بقوة وهو يضم قبضته على تلك الورقة فتمزق بين أصابعه، ضاقت عيناه يعتصر ذاكرته، متى وقع على تلك الورقة. إلا أن ذاكرته لم تسعفه كان ذلك من ١٢ عام، كيف له أن يتذكر.
- بقى ده اللي اتفقنا عليه يا سامر بيه؟!  
 قالها جاهين وقد تملكه الغضب هو الآخر، ليردف:
- كمان خسرنا شركة الهيثم للأبد، بجد شكراً.
- قالها وهو يستدير مبتعداً تاركاً سامر وهو يتميز غيظاً وغضباً.
- جلس مكانه وقد عادت الدوامات تضرب رأسه بقوة ليقول المحامي في محاولة للإصلاح.

- أنا رأيي يا باشمهندس تحاول توصل لحل مع سما هاتم وأخوك، في النهاية دي عيلتك ومالهم هو مالك.  
فرك جبهته بأصابعه، وقف مغادرًا دون تعليق.

.....

سيبقى البحث جاريًا، أم عليه التوقف عن المحاولة؟!  
ليس مقدرًا له أن يحقق هذا الحلم البسيط، بيت وزوجة وأطفال، أسرة طبيعية ككل الناس، وكأن الكل لديه مثل تلك الأسرة، عاش وحيدًا وسيموت وحيدًا.  
هو ليس حزينًا كثيرًا من رفض زينة، بل كان يتوقعه لحد كبير ولا يعرف السبب، بل إن انتظاره لردّها هم كبير كان يعاني منه، وما إن وصل ردّها حتى ارتاح، فوقع البلاء أفضل من انتظاره.  
أو ربما هو قلبه الذي يؤنبه بأنه لن يستطيع أن يمنح تلك الفتاة السعادة المتوقعة، فهو اختيار عقلي بحت، ولرجل ذاق طعم الحب الأمر حتمًا سيكون مختلفًا، لكنه يثق أنه ليس مستحيلًا فأراد خوض التجربة، وانتهت التجربة قبل حتى أن تبدأ.

"وأنا اللي بقول هتفتح نفسي."

نظر لبسام الذي يأكل أمامه، محاولًا الابتسام:

- معلى والله مش جعان، ممكن أطلع أسلم على أبله بطة.  
وقف بسام ليقول:

- أنا كمان شبعت تعالى نطلع.

نادى على نونا لتحمل الطعام وصعد مع محمد لغرفة أمه، طرق بابها ليعلمها بوصولهما، استقبلتهما ببشاشة مرعدة:

- ولادي حبايبي، تعالوا.

جلسا بقربها يقول محمد مازحًا:

- المرة الجاية مش هطلع هنا هتنزلي أنت يا أبله بطة، مش معقولة دايمًا قاعدة في أوضتك.

- قولها يا ابني، ده أنا تعبت معاها ومافيش فايده.

ضحكت قائلة:

- والله أنا بكون مرتاحة هنا أكثر من أي مكان ثاني.  
وقف بسام:

- هروح أغير وأرجعلكم.

أومأ له، وبعد خروجه نظرت فاطمة لمحمد قائلة:

- مالك يا محمد، شكك مش مبسوط؟!!

- باين مكتوبلي إني أفضل مش مبسوط.

تجهم وجهها:

- لا قدر الله ليه بتقول كده، أنت عملت إيه في موضوع العروسة؟!  
ماقدمتش؟!!

ارتسمت السخرية على ملامحه:

- اتقدمت.. واترفضت.

شهقت شهقة قصيرة، تبعتها لحظات صمت فأردف:

- لا اختيار القلب نافع ولا اختيار العقل شافع.

ابتسمت بحنو قائلة:

- ولا يهملك يا حبيبي الجواز ده قسمة ونصيب، ونصيبك مكتوبلك مش هتعرف  
تهرب منه.

- ونعم بالله.

عاد بسام سريعاً، لكنه ما إن مر من الباب حتى وجد الخادمة تنادي عليه،  
التفت لها وقد بدت ملامحها فزعة:

- في إيه؟!!

أشارت بإصبعها لأسفل قائلة بلكنتها الركيكة:

- بوليس.

عقد حاجبيه بينما هب محمد من مكانه قائلاً:

- بوليس، هي بتقول بوليس.

ومن الخلف فاطمة تسأل الله الستر بقلق.

سألها بسام:

- هما قالوا إيه بالظبط؟!!

هذه المرة أشارت لأعلى قائلة:

- سأل عن نانا.

اتسعت عينا محمد وهو يتبادل النظر مع بسام مردداً:

- نانا!!

سارة سيف الدين

## الفصل الثاني عشر

إنسان أيا إنسان ما أجهلك  
ما أتفهمك في الكون و ما أضالك  
شمس وقمر وسدوم وملايين نجوم  
و فاكرها يا موهوم مخلوقه لك  
عجبي!!  
رباعيات جاهين

الجزاء من جنس العمل، إلا أن هذا قانون رباني.  
وعلى الأرض يختلف الأمر بعض الشيء، فقد نجد الجزاء أضعاف العمل سواء  
كان عقابًا أو مكافأة، لأنه حينها يكون باختيار البشر، والعدل بينهم قليل إلا من  
رحم الله.

وقفت مكانها ترتعد بعد أن وضعت الحجاب هي وأختها كيفما اتفق مع صرخة  
بسام أن هناك من سيصعد لهما، وقبل أن تعيا الأمر كان هناك ثلاثة يندفعون  
للغرفة وخلفهم ضابط بزّي الشرطة الرسمي يقربون الغرفة بغير اهتمام ولا  
حياء لكل ما يخصهما.

ويجاورهما بسام ومحمد وكذلك بسمة التي كانت معهما بالغرفة.  
فقال الضابط وهو يحدق بالثلاث فتيات:

- مين فيكم اللي اسمها نانا.

ولم يحتاج الإجابة فلقد نظرت لها لأختها بتوتر وكذلك بسمة بينما نانا تشير  
لنفسها بأصابع مرتعشة.

لتقول بسمة:

- هو في إيه؟!.. هما بيدوروا على إيه!؟!

لم يعرها الضابط أي اهتمام وتابع عمل رجاله، تقترب من بسام تكرر سؤالها  
بهمس فقال بنفاد صبر:

- مش عارف، مش عايز يقول شوفنا إذن التفتيش وبس.
- ذهب ببصره لمها التي تمسك بلا وعي بذراع أختها في فزع واضح بينما الأولى تقول:
- أنا ماعملتش حاجة.
- وبعد دقائق من الصمت والترقب من الجميع، عاد أحدهم ممسكًا بعلبة مخملية قرمزية اللون، يفتحها أمام رئيسه الذي حدق بالعقد الراقد داخلها قائلاً بابتسامة ظفر:
- كويس ماتصرفتيش فيه.
- اتسعت عيون الجميع لرؤية هذا العقد الغالي الثمن جدًا كما يبدو، لتردد بسمة:
- إيه ده يا نانا؟! رددت بفزع:
- ده.. ده بتاعي. ضحك الضابط ساخرًا:
- وجبتيه منين بقى ورثتیه ولا طلعك في اليناصيب... هاتوها. قالها بأمر لرجاله، ترد نانا للوراء:
- لأ... أنا ماعملتش حاجة ده هو اللي ادهوني هدية. اتسعت عينا محمد وهو يحدق بها بذهول وهي تردد مدافعة عن نفسها:
- ده هدية أنا ماسرقتوش. اندفع الرجال نحوها لإمساكها وهي تصرخ مرتعبة:
- والله ماسرقتوش، والله ماسرقته. دارت بعينيها في تلك الوجوه التي تحدق فيها بذهول واضح، لكنها توقفت عند من ينظر لها بغضب واستنكار لتقول وقد اغرورقت عيناها بالدموع:
- ماسرقتش حد صدقوني. أشاح ببصره عنها ليمسك بها أحدهم يأمرها بالتحرك وحين أيقنت أن الأمر صار واقعًا:
- بسمة .. مها .. أنا ماعملتش حاجة ماتخلوهمش ياخدوني.

إلا أن كلماتها ذهبت أدراج الرياح وهي تُجبر على الحركة معهم. بسمة تمسك بذراع بسام:

- بسام، اتصرف.. اعمل حاجة.

نظر لها بعينين حائرتين، ما الذي يمكنه أن يفعل؟!!!

التفت ينظر لتلك التي تراقب ما يحدث بجسد متلصب وملامح خائفة، فناداها بقلق:

- مهاال.

انتفضت مع صوته تنتبه أن صوت أختها يختفي بل هي نفسها اختفت من

أمامها تصرخ برعب وهي تعدو تلحق بها:

- أختيبي.

ومن خلفها انطلق البقية. وبنزولهم للدور الثاني كانت فاطمة تقف أمام غرفتها

وما إن رأتها نانا حتى صاحت والدموع تغرق وجنتيها:

- أبله بطة، ماتخليهمش ياخدوني والله ما سرقت حاجة.

ضربت فاطمة صدرها مرددة:

-ياخدوك فين؟!.. وسرقت إيه؟!!

مرت بجوارها تحاول الإفلات من هؤلاء المتشبثين بذراعيها لكنها لم تنجح

وصوت الضابط يعلو:

- خلصونا بقى مش فيلم هو.

مدت فاطمة يدها للاشيء:

- نادرة!!

لم تقوَ على الحركة معهم، لتمر أمامها مها مهرولة وهي تنادي على أختها

بإصرار.

تحاول فاطمة النداء على ابنها:

- هياخدوها فين يا بسام؟!!

نظر لها قائلاً:

- القسم يا ماما.

شهقت بغير تصديق، وضربت قلبها نغزة قوية، حتى أنها أمسكت صدرها متألّمة.

لم ينتبه لها أحد والكل يسرع للردّدة لإيقاف مها التي ما إن وصلت لأختها حتى تعلقت بها بكل قوة:

- لأ.. سيبوها، أختي مش حرامية، حرام عليكم أنا ماليش غيرها.  
رددتها ببياء عالٍ وأصابها تكاد تنغرز في لحم كتفي أختها وكأنها تتمسك بآخر أنفاس حياتها.

ونانا رغم تألمها تنظر لها ببياء وشفقة على حالهما معاً ونفسها تنهال تقرّياً لها.

والضابط يصرخ برجاله كي يفرقوهما، أسرع بسام يوقف مها كي لا تتعرض للأذى.

- مها كفاية، سيبها.

حدقت فيه وكأنها لا تعي ما يطلب فرده محاولاً تهدئتها:

- أكيد الموضوع فيه غلط، إحنا هنتصرف.

حررت أختها مع آخر كلماته فتم سحبها إلى عربة الشرطة.

اقتربت بسمة من مها توأزرها؛ ترتمي الأخيرة بين ذراعيها:

- أختي.

التفتت بسمة لأخيها قائلة:

- أنتو هتفضلوا واقفين كده!!

- أنا هطلع أغير بسرعة، ونطلع على القسم وهكلم المحامي بتاعنا وأنت كلم

جاهين يحصلنا.

قالها بسام لمحمد الذي تجمدت ملامح وجهه تماماً.

فأوما له بنعم.

أما عقله فكان فيه ألف فكرة وفكرة، وتفسيرات عديدة لغباء تلك الفتاة وطمعها

الذي أوقعها في شر أعمالها ليردد:

- عملت إيه في نفسك يا غبية؟!.

نظر لمها الغارقة في دموعها والتي شاركتها بسمة فيها بلا توقف، وبالطبع سيكون حال فاطمة أيضاً، هز رأسه وقد تملكه بعض الغضب، غضب منها وعليها، غضب لكل من أدت وستؤذي بأفعالها. انتفض على صراخ بسام.  
"ماماااا"

أسرع الثلاثة لأعلى في هرولة حتى أن بسمة كادت أن تتكفى على وجهها.  
رأوا بسام يرفع رأس أمه عن الأرض بين يديه محاولاً إيقاظها:  
- ماماا، فوقي يا ماما.

صرخت بسمة منادية على أمها وهي ترتمي بجوارها تحاول إيقاظها، بينما مها تجمد جسدها رعباً وهي تسقط على ركبتيها، وشعور مخيف بأنها تفقد كل شيء في لحظة.

وبدت صورة الأمان خاصتها يتلاشى أفرادها واحداً تلو الآخر، رددت بهمس غير مسموع:  
- نانا... أبلة بطة.

ربت بسام بإصرار على وجنة أمه منادياً:  
- ماما، علشان خاطري فوقي.

ثواني بدت كدهر، حتى ارتعشت أجفانها المغمضة بالفعل لتمنحهم الأمل، وقلوبهم قبل عيونهم معلقة بها.

فتحت عينيها أخيراً لترى الرعب في عيون ولديها، تردد بوهن:  
- أ..أنا كو..كويسة.. عا..عايزة الدواء.

قفزت بسمة لتحضر دواء أمها مع كوب ماء تسقيها إياه، وبسام يقول:  
- نطلب الإسعاف!؟!

أمسكت أمه بكفه لتهدئ رأسها:  
- هكون.. كويسة.

ساعده محمد ليرفعاها إلى فراشها ومعهما بسمة ومها، استقرت في فراشها فألقت مها بنفسها في حضنها تلتصق أذنها بصدرها لتسمع نبضات قلبها كما اعتادت أن تفعل لتطمئن نفسها أنها بخير.

- أبلّة بطة.

رددتها مرة تلو أخرى بنشيج مؤلم، لتربت فاطمة على رأسها:

- ماتخافيش يا بنتي أنا كويسة.

نظرت لابنها:

- نانا يا بسام، دي أمانة في رقبتى، رجعتها يا ابني.. رجعتها.

أوما لها برأسه:

- طيب ممكن تهدي أنتِ خالص وإن شاء الله تتحل.

أشار لمحمد يتبعه بينما تتعلق مها بحجاب فاطمة وكأنها تتمسك بآخر آمال

الأمان لديها مع غياب أختها المخيف هذا.

رفعت رأسها تنظر لفاطمة:

- نانا هتضيع مننا!!

هزت فاطمة رأسها:

- لا يا حبيبتى، ربنا كريم.. هترجع إن شاء الله.

أما بسمة فالتزمت الصمت، وهي تنظر لأمها بقلق، هذا القلق الذي تضاعف ولا

تعلم كيف تهدأ منه.

نانا أصبحت سارقة؟!!

متى وكيف، وأين كانت وكل هذا يحدث، كيف لم تشعر بها على الإطلاق، لهذه

الدرجة انخرطت في مشاكلها الخاصة وتناست صديقتها المقربة.

وعاد صوت مها الباكي:

- نانا مش حرامية، أنا متأكدة.

عقدت حاجبيها مفكرة، نانا بالفعل لم تكن هكذا يوماً، لم يحدث أبداً أن جمعها

موقف منذ طفولتها إلى الآن ظهرت فيه نانا بمظهر السارقة. ولا حتى في أسوأ

حالاتهن وعوزهن للمال لم تسرق.

فكيف والآن تلبى طلباتها وتأكل وتشرب بل وتشتري ما تريد، ما الذي يدفعها

للسرقة؟!!

هناك شيء ما خطأ.

"هدية"

وما أمر تلك الهدية التي لا أحد يعلم عنها شيء، ما الذي تعيشه نانا وحدها بعيدًا عن الجميع!!

.....  
وانقلب السحر على الساحر.

علت شفثيه بسمه ساخرة مفكرًا في تلك العبارة التي تعبر عن حاله وما وصل إليه، وبدل من أن يكون فائزًا خسر، وخسر الكثير، عمته لن تفوت تلك الفرصة وستلقته درسًا.

لن تغفر له أبدًا أنه السبب في خسارة شركة كبيرة كان يمني نفسه أنه سيكون مسؤولاً عنها يومًا.

أغلق عينيه وهو يستند على مقعد سيارته التي ابتعد بها عن مكان المكتب ثم توقف في مكان هاديء.

- ليه كل ما أعوز أطلع خطوة لقدام بترمي عشرة لورا.

التفت إلى رنين هاتفه مط شفثيه وإحساس الخيبة داخله يتعالى، كيف سيخبرهم بالأمر؟!.

انتبه لاسم محمد ليجيبه.

- جاهين تعالى بسرعة على القسم اللي في منطقتكم.

اعتدل جاهين يقول بتوتر:

- قسم.. ليه .. في ايه؟!.

- قبضوا على نانا متهمة بالسرقه وخذوها أنا رايح هناك مع بسام وكلمنا المحامي.

ردد كأنه يريد أن يعي ما يسمع:

- نانا سرقته؟!.

- ما عرفش.. ما حدش قال حاجه غير كده الظابط رخم قوي.

أخبره أنه سيلحق بهم، فرك رأسه بعصبية:

- هي بتطربق من كل ناحية ليه، أستغفر الله.

وصل إلى القسم، يتلفت حوله فرأى سيارة بسام فعلم أنه بالداخل، أسرع بالدخول، وجد بسام ومحمد يقفان أمام الأمين المسؤول عن القسم، والذي بدأ غير متعاون أبدًا.

- بسام!

التفت بسام لجاهين الذي وقف جواره مردفًا:

- إيه اللي حصل؟!!

قال بسام بعصبية:

- مش عايز يفهمنا أنا مش فاهم إيه ده؟!!

ربت جاهين على كتفه محدثًا أمين الشرطة:

- طب هو الظابط المسؤول فين؟ ممكن نكلمه؟!!

رد الأمين باستعلاء:

- هو فاضيلكم.

- طيب يا سيدي قولنا أنت؟!!

زفر قائلاً:

- ما قلنا اتهام بالسرقة والعقد جه معاها ودخل المضبوطات يعني لابساها

لابساها.

نظر جاهين لبسام:

- مضبوطات إيه، تعالولي كده شوية علشان أفهم.

انسحبوا من أمام المكتب يقفوا بالجوار. قص بسام على جاهين ما حدث منذ

وصول الشرطة حتى الآن.

- والعقد ده بتاع مين؟!!

- ماحدث يعرف، حتى بسمة ومها ماعرفوش، نانا بس اللي عارفة.

- طيب احنا نستنى المحامي أكيد هيعرف يتصرف.

وقفوا في انتظار المحامي الذي يبدو أنه سيتأخر، أما محمد فتعلق بصره  
بالمكان الذي يختفي فيه المسجونون، وقلبه لم يتمالك نفسه قلقًا عليها وما  
الذي يمكن أن يحدث لها بالداخل.

بكت كما لم تبك في حياتها من قبل، حتى شعرت أنها ستفقد روحها، تم دفعها  
بقوة لتسقط على أرض خشنة، وملاً أنفها رائحة عطنة أصابتها بالغثيان،  
الضوء كان خافتًا، لم تتحرك من مكان سقطتها، وعقلها يغرقها في مشاهد  
سوداء مظلمة، لم تشعر أن أحدًا معها وكأنها وحدها تمامًا. وتحول شعور  
وحدها لبرودة اجتاحت جسدها لتضم كتفها بذراعيها ونشيج بكائها في تزايد.  
كيف وصل بها الحال إلى هنا؟!

وعاد عقلها للبداية، بداية نهايتها التي سارت إليها عن طيب خاطر، بداية  
رفضها إلى طلب من تحب ويحبها بالزواج، ولكن لا ليس هذا الخطأ الأول،  
خطؤها الأول أنها تتبعت خطوات الشيطان خطوة خطوة وهي تظن أنها تحسن  
عملًا.

وضعت كفها على فمها تكتم شهقاتها مرردة:

- يا رب... يا رب.

" يا ختي هما برة مش بيفتكروا ربنا ولما يدخلولنا هنا يفتكروه"  
رفعت رأسها بخوف، مع تأكدها أنها ليست وحدها كما ظنت.

ارتطم بصرها بوجوه مختلفة، منها من استخدمت على وجهها أطنانًا من أدوات  
التجميل وكأنها كانت في حفل ما، وأخرى فقدت كل ملامح جمال الأنثى بما  
يحملة وجهها من قسوة، وغيرها التي حملت معاناة الحياة فبدت بلامح باهتة  
لا صحة فيها ولا حياة.

المكان كان صغيرًا لكنه مليء بغيرها من النساء.

حاولت الوقوف بترنج وهي تلملم حجابها الذي انفك عن رأسها، وأدارت رأسها  
تبحث عن أي ركن شاغر تجلس فيه بعيدًا عن الجميع. وعندما وجدت غايتها  
أرادت التحرك فجذبتها إحداهن من حجابها تعيدها حيث كانت، فالتفت لها نانا:

- في إيه؟! .

بدت امرأة أكبر منها سنًا، قوية الجسد، صلبة الملامح تقول:

- في كل خير يا ختي.. ماتخلينا نتعرف.

عقدت نانا حاجبها ودب الرعب في أوصالها:

- أنا مش عايزة أتعرف على حد.

تحركت مرة أخرى لكن هذه المرة كانت جذبة المرأة أقوى حتى أنها أسقطت

نانا أرضًا وهي تقول:

- أنا ما حدش يسيبني ويمشي وأنا بكلمه.

علمت نانا أنها تهوى إثارة المشاكل أو تحب فرض سطوتها على كل من يضع

قدمًا هنا، ظلت مكانها أرضًا ولم تعرف كيف تتصرف، وعبراتها تغادر عيونها

بصمت.

حاولت الاعتدال لكن وهي جالسة:

- أنت عايزة مني إيه يا ست أنت؟ ماتسيبيني في حالي أنا عملتك إيه؟!!

أمسكت بتلابيب ردائها وهي تجبرها على الوقوف:

- أنت يا بت أنت باين عليك شايقة نفسك، الأول هاتي اللي معاك كده من

سكات.

لوحث نانا بذراعيها:

- يا ستي أنا ما عيش حاجه، ابعدي عني بقى.

"ماتسيبها يا أوسة دي باين عليها غلبانه"

ضحكت المرأة ساخرة:

- غلبانه، ده أنت اللي غلبانه، دي سارقة بيه كبير قوي.

عقدت نانا حاجبها بدهوة، فلم تتصور أن من هنا يعرف بتهم الآخرين، لتكمل

المرأة ما جعل دهشتها تتحول لرعب مطلق:

- ده أنت متوصي عليك جاالمد أوي، وهتشوفي هنا أحلى أيام عمرك.

حاولت نانا دفعها عنها بقوة لكنها لم تسمح لها قائلة بصوت عالٍ:

- عايزين نعملها حفلة ترحيب يا بنات، بس او عوا تموت منكم.

وانهت جملتها بضحكة ساخرة، لتتلقى نانا أول صفة على وجهها أجبرتها على الوقوع وارتطام رأسها بالأرض، وانهالت عليها الضربات بعدها وهي تصرخ طالبة النجدة.

قلقه يتزايد، ومشاعر قديمة تصور أنه نجح في وأدها عادت للظهور، وبقدر غضبه منها، خائف عليها.

كيف هي الآن؟ وكيف تتعامل مع من انضمت لهن؟! أزالته تبكي؟!  
تعالت الأصوات الصارخة حتى أن من بالخارج سمعها لينتبه محمد والبقية لمصدر الصوت الذي وضح أنه نسائي خرج الضابط المسؤول من مكتبه صارخاً:

- إيه الدوشة دي؟!!

رد أحد عساكره:

- ده الحريم بيتخانقوا يا باشا.

- ما تسكتهم مش ناقصين.

- تمام يا باشا.

اختفي مع بعض زملائه حيث اتجاه زنزانة النساء.

ضم محمد قبضتيه وقد أصابه التوتر، ليقول:

- هو في إيه؟!!

أسرع جاهين محاولاً الحديث مع الضابط، لكنه أراد سؤاله عن اسم من قدم البلاغ، ليقول الضابط بلا مبالاة:

- وأنت مين أنت كمان؟!!

- يا فندم اعتبرني أي حد، بس جاوبني من فضلك؟!!

- يا سلام أعتبرك أي حد، على أساس إننا بنقول لأي حد اللي هو عاوزه، سيبونا نشوف شغلنا.

"وأنت بتعاملنا كده ليه؟!!"

صاح بها محمد بعصبية، أمسك به بسام لتهدأته، رمقه الضابط بتحذير، وقف جاهين بينهما يحول استمرار تلك النظرات:

- ماشي هنسيب حضرتك، عموماً المحامي في الطريق.

التفت يعود لمكتبه دون رد أما جاهين فنظر لمحمد:

- ماتمسك نفسك إحنا في القسم مش بعيد يرميك جوه أنت كمان ويلبسك تهمة مش ناقصين.

زفر محمد بغضب واضح، وفي اللحظة التالية ظهر المحامي، أسرع إليه بسام يخبره بما حدث.

طلب المحامي لقاء الضابط فتم السماح له ولم يدخل معه غير جاهين الذي طلب من البقية الانتظار بالخارج.

قدم المحامي نفسه وبطاقته المهنية، طلب الاطلاع على محضر البلاغ الذي قدم في نانا، أشار له الضابط بالجلوس وطلب من مساعده إحضار المحضر، ليقول جاهين للمحامي هامساً:

- اسأله مين اللي قدم البلاغ؟!

رد المحامي:

- هنعرف دلوقتي أول ما نشوف المحضر.

عقد جاهين ذراعيه بضيق ونفاد صبر.

وصلت الأوراق فأمسك بها المحامي يتفحصها، عقد حاجبيه ونظر لجاهين قائلاً:

- ده شهاب الأبيض.. رجل الأعمال.

اتسعت عينا جاهين:

- نعم!! شهاب، نانا سرقت شهاب، وهما يعرفوا بعض من امتى وسرقته ازاي؟!

عاد المحامي مطالعة الأوراق هز رأسه بغير رضا:

- سرقته من بيته، ومصورها فيديو وهي خارجه من عنده بتجري.

فغر جاهين فاه بذهول مردداً:

- بيته؟!.. نانا بتروح بيته؟!!! يخرّب بيتها.. دي اتجننت دي ولا إيه؟!  
"خلاص يا أستاذ"

سأله الضابط ليجيبه:

- أيوة يا فندم، ممكن بس نقابل المتهمة ضروري.

- الحاجات دي في النيابة.

- عارف يا فندم، بس إحنا ممكن نخلصها هنا.

قالها المحامي بابتسامة، مط الضابط شفّتيه:

- والله حتى لو المجني عليه اتنازل، في حاجة اسمها الحق المدني العام، ودي

لا تسقط في جريمة السرقة أبدًا وحضرتك محامي وعارف، مش محتاج أشرح

لك.

قال المحامي بثبات:

- أكيد يا فندم، بس إحنا مقتنعين أن في لبس في الموضوع، فلو بس حضرتك

تأجل عرضها للنيابة شوية، هنكون شاكرين ليك جدًا.

رمقه الضابط لحظات:

- أهي مرمية جوه هنعملها إيه يعني؟!!

لوى جاهين شفّتيه من طريقة الضابط ليقول المحامي:

- طيب معلىش بعد إذن حضرتك لازم أقابلها علشان بس أعرف أتكلم مع اللي

مقدم البلاغ.

لوح الضابط بكفه لمساعدته:

- روح هاتها.

اعتدل محمد وبسام مع خروج الرجل والقلق يكاد يعصف بهما ليقول الأول:

- هما بيعملوا إيه كل ده؟!!

- اصبر وهنشوف.

فرك محمد جبهته بنفاد صبر، ولحظات واتسعت عيناه عن آخرهما وهو يراها

تسير بصعوبة، بوجه دامٍ باكٍ، تتكى رغبًا عنها على من يجاورها خشية

السقوط أرضًا.

- إيه ده.. مين اللي عمل فيك كده؟!  
قالها بسام بغير تصديق، ولم يجد ردًا منها فقط جملة تقليدية من العسكري:  
- كانت بتتخاقق جوه.

ردد محمد:

- بتتخاقق!!

دخلت عند مكتب الضابط يتبعها محمد وبسام ليصيح الأول:

- أنتو ازاي تسيبوها تتبهدل كده?!!!

حدق جاهين هو الآخر بها والمحامي الذي قال:

- إيه ده يا فندم، مش ممكن، دول هيموتوها جوه.

اضاف بسام:

- هو اللي بيخش هنا مالوش ديه?!!!

عقد الضابط ذراعيه:

- خلاص، خلصتوا.. والله بقى مش هنحط لكل واحد هنا بودي جارد، تلاقىها

ناكفتهم جوه وهي جديدة هنا واتلموا عليها.

صاح محمد:

- لا ده أنتو عايزين تموتها فعلاً.

ضرب الضابط كفه على سطح مكتبه صارخًا:

- خرجلي كل الناس دي بره وسيبها هي بس مع المحامي.

نظر لهم المحامي محاولاً السيطرة على الوضع:

- ممكن نهدي اتفضلوا دلوقتي كلكم وأنا هتصرف، استنوا بره لو سمحتوا.

"خرجوني من هنا!!!"

التفت الجميع على صوتها المتحشرج وهي ترددها ثانية:

"خرجوني من هنا!!!"

لتطلق بعدها شهقات باكية مؤلمة:

- أنا ماسرقتش حد والله العظيم، خرجوني من هنا، هيموتوني.

اندفع محمد خارجًا وقد فقد قدرته على التحمل ولا يريد أن يظهر هذا أكثر.

اقترب المحامي من نانا:

- طيب اهدي، إن شاء الله هتخرجي، تعالي نقعد وتحكي لي كل حاجة.  
وقف العسكري يصر على جاهين وبسام الخروج من المكتب ليطيحاه أخيراً،  
والكل بالفعل فقد أعصابه خاصة مع هيئة نانا المزرية.

أما الذي سبقهم فألقى بنفسه على الكرسي وهو يضم قبضته التي بدأت في  
الارتعاش من العصبية، إحساس العجز عن إمكانية فعل أي شيء يزيد همه، كم  
يلومها، هي السبب في كل شيء، هي من جعلته أبعد ما يكون عنها حتى أنه لم  
يعد يملك حق حمايتها.

جلس جواره بسام زافراً وكذلك جاهين، الضيق تلبس الجميع خاصة مع رؤيتهم  
لنانا بهذا الشكل. ردد بسام:

- دي مها هتجنن لو عرفت اللي حصل لأختها.

نظر له محمد برهة، وقف أمامهما قائلاً:

- أنا عارف إن نانا ماتخصكوش، ولا تهكم كمان، بس ياريت تقدرُوا فعلاً  
تخرجوها.

عقد جاهين حاجبيه وهو يستمع لمحمد الذي ينطق كلماته بمجهود مضني  
وكأنه يخفي شيئاً ما:

- ياريت تساعدوها مش علشان خاطرها، علشان خاطر مها، أبلة بطة، ولو  
اعتبرتوني حد يهكم يبقى علشان خاطري أنا كمان، أنا مضطر أمشي، مش  
قادر أفضل هنا، ربنا معاكم.

لم يمنحهما فرصة الرفض حتى نداء بسام له لم يجبه، خفض جاهين بصره  
ليبتسم ساخراً:

"اختياراتك مهبية زي"

لم ينتبه بسام لاهمته وعاد يجلس جواره في صمت في انتظار خروج  
المحامي.

مر الكثير من الوقت ولم يهتم بإحصائه، ككل محاولات أمه في تدميره ولم يعد قادراً على إحصائها، والغريب هو ليس كيف فعلت به هذا بل لماذا؟! عقله لا يتوقف عن السؤال؟!!

لماذا؟!.. أتبعضه لهذه الدرجة؟!، أم أنه ارتكب خطأ ما وتجبره على دفع الثمن الآن.

عصر رأسه تفكيراً ولم يعثر على هذا الخطأ؟! هذا الخطأ الذي يبحث عنه كل مرة ويتصور ربما سيتذكره، ولا فائدة.  
وكعادته يعود بذاكرته للوراء، حين كانت ابتسامة شاكر تعوضه عن تجهم أمه طوال الوقت، وكم يحتاج إليه الآن. ومع بحث عقله عن البديل لم يجد سواها. وبرغم أن الفكرة غير منطقية لكنه لم يتأخر، انطلق بسيارته حيث يعلم أين ستكون؟!!

وقف أمام الباب متوتراً ربما لأول مرة يكون هكذا حين يزورهم. ولكن إحباطه غلب هذا التوتر، وقبل أن يطرق باب المنزل تنهى لمسامعها صياحها..

"يا سوووومة اقللي الزفت ده وخلصي الواجب ارتحتي بما فيه الكفاية"  
لم يمنع نفسه عن الابتسام، دوماً تتمكن من رسمها على وجهه بدون جهد يذكر.

نال شهيقاً قوياً أطلقه بهدوء وطرق الباب، وبعد لحظات قصيرة وجدها أمامه تنظر له بدهشة:

- باشمهندس سامر!!

خفض بصره مع عدم قدرته على إيجاد تفسير لوجوده هنا، ولام نفسه لم لم يفكر في سبب قبل أن يأتي.

"مين يا زينة؟"

عادت خطوات للوراء تجيب أباها:

- ده الباشمهندس سامر يا بابا.

تحرك الرجل يجاورها:

- أهلاً يا ابني، خطوة عزيزة، اتفضل.  
ظل مكانه متردداً:

- أنا أسف جيت من غير ميعاد.  
أمسك الرجل برسغه يدخله:

- يا ابني ادخل عيب الكلام ده.  
دفعه يجلس قائلاً:

- شكك مش متغدي، هاتيله غدا يا زينة.

رمقت سامر بشك، اعتذر بالفعل لعدم رغبته في تناول أي طعام لكن حكم أصر  
عليه لتحاول زينة إيقاف تلك المباراة:

- بابا أنا عاملة بامية يمكن ما بيحبهاش!؟

- يا سلام وهي البامية وحشة روعي هاتي بس مالكيش دعوة.

زفرت بيأس وعلمت أن أباه لن يتراجع رغم رفض سامر المتكرر لكنها كانت  
مشغولة كثيراً بسبب تلك الزيارة وذلك الوجه المتجهم الذي ظهر به سامر،  
وتساءلت ما الجديد الذي حدث!؟

وهذا الوجه لم يخف على عبد الحكم أيضاً ليقول بود:

- مالك يا ابني!؟ شكك شايل الهم!؟

بسمة حزينة استقرت على شفثيه:

- تعرف يا عم حكم حسيت إني عايز أتتفس فجيت هنا.

ابتسم الرجل:

- والله دي حاجه كويسة إنك لما تكون مخنوق تيجي بيتي، بس يعني هو عيب  
لو سألت إيه اللي خانقك!؟

هز رأسه نفيًا، أردف عبد الحكم:

- أنا شوفت كتير في الدنيا دي يا ابني، احكي لي يمكن أقدر أفيدك، وعلى فكرة  
حكمة زينة دي مش من فراغ دي وراثة.

أقلت سامر ضحكة تصور أنها لن تغادر شفثيه أبدًا ليؤيد كلامه:

- صح يا عم حكم.

لكن بسمته انزوت سريعاً وهو يقول بحيرة مؤلمة:

- هو ممكن الأم تكره ولادها أوي كده!! ممكن تأذيهم كده!! أنا أمي بتكرهني!!  
أشفق عبد الحكم عليه قائلاً:

- والله يا ابني الدنيا ياما فيها وشوفنا أهل بيأدوا عيالهم فعلاً، بس أنت ماشاء  
الله عليك شاب ممتاز وناجح في شغلك وأخلاقك حلوة، هتكرهك ليه بس؟..  
تلاقيها شوية خلافات وهتروح لحالها، هو أنت مش بتسمع كلامها؟!..  
رفع سامر إصبعه قائلاً بتحفز:

- هي دي يا عم حكم، مش بسمع كلامها، هي عايزاني خاتم في صباعها، أنفذ  
كل اللي هي عايزاه وبس لكن أنا عايز إيه مش مهم، رافضة إني أتحمل حتى  
مسؤولية نفسي بعيد عنها، يا أفضل تحت جناحها يا تحاربني كأني ألد  
أعداءها، مش قادر أفهمها ولا أستوعب كل تصرفاتها معايا..  
أطرق برأسه وآلام نفسه تصاعدت حتى تحشرج صوته:

- هي مش المفروض تتوجع لوجعي، تزعل على زعلي، مش المفروض هي  
اللي تسندني لو جيت أقع، لأ.. دي هي اللي بتوقعني، وياريت واقعة بقومة،  
دي عايزة تجيب أجلي، هتجنن نفسي بس أفهم، بتعمل معايا كده ليه، أنا  
عملتها إيه؟!..

صمت وكذلك عبد الحكم، ولم يشعر كلاهما بتلك التي كانت تمسك بصينية طعام  
صغيرة وقد تجمدت مكانها، بل واغرورقت عيناها بالدموع لتحبسها بقوة وهي  
تستشعر كل حرف ينطقه بهذا الألم.

تتذكر أمها هي، وكم تمننت لو بقت معها أكثر، وكيف لأم أن تفعل ما تفعله تلك  
المرأة بابنها.

ليأتيها صوت أبيها:

- ماتروحلها يا ابني، دي أمك، كلمها، اسألها، افهم منها. يمكن تريحك أو  
تقولك التفسير اللي يريح بالك، وياريت يا ابني تحاول تتصالحوا، عمرك ما  
هتفرح وأنت علاقتك بأمك كده.

"أنت واقفة كده ليه؟!!"

التفتا على صوت أسماء الذي يأتي من خلف الجدار المجاور، لتطل زينة بوجه مرتبك:

- واقفة إيه يا بنتي أنا بجيب الأكل.

خفضت وجهها وكأنها تخفي معالمه، وضعت صينية الطعام لتتصرف سريعاً.  
ابتسم سامر قبل أن يقف قائلاً:

- سامحني يا عم حكم صدقني مش هقدر أكل، بس اعتبرني كلت، وارتحت بالكلام معاك.

ربت عبد الحكم على كتفه:

- ربنا يريح بالك وقلبك.

أسرعت أسماء إليه تصافحه ورأى في عينيها بحثاً عن شيء ما، وشعر بخيبة أملها انحنى مقبلاً رأسها:

- معلش يا سومة ماكنتش عامل حسابي، المرة الجاية.

ابتسمت بسعادة وهي تومئ له وتعود مسرعة لتكمل واجباتها قبل أن تصرخ عليها زينة مرة أخرى.

غادر المنزل بحالٍ أفضل، صحيح لم يجلس معها كما اعتقد أنه سيحدث، لكن شعور العائلة الذي ينتابه حين يزورهم يريحه كثيراً، فشعور العائلة عنده مرتبط بصورة الأب أكثر من الأم وهذا ما هو متاح هنا أيضاً بوجود عبد الحكم، هذا الرجل يذكره بأبيه في لطفه وطيبته بل وحكمته.

أما بالداخل فخرجت زينة تطالع وجه أبيها بحزن واضح لم تستطع أن تخفيه.  
جلس قائلاً:

- كنت بتتصنتي علينا، مش عييب.

قالها بلوم مازح، فقالت مدافعة:

- مكنش قصدي والله يا بابا، أنا كنت جايبة الأكل ومارضيتش أقطع كلامه.

- يبقى ترجعي مطرح ما كنت مش تقفي تسمعينا.

وعبد الحكم لا يتهاون، فلن تكرر الدفاع واعترفت بالخطأ.

واعترافها بالخطأ دومًا ما ينهي هذا النوع من الحوار، لينتقل إلى الحديث عن حوار سامر لأنها سمعته بالفعل، وأبدى دهشته مما قاله ومن تعامل أمه معه لتخبره زينة أنها لا تعرف الكثير عن هذا الأمر والموقف الوحيد الذي جمعها بأمه لم يكن سعيدًا أبدًا وأنها بالفعل امرأة شديدة القسوة.

ولم تسرد زينة الكثير، فهي لا تحب الحديث عن سامر أمام أبيها تخشى أن تكشف نقطة ضعفها هذه أمامه.

تدخل إلى غرفتها وصوته الحزين لا يزال يتردد في عقلها، ألقت جسدها على فراشها، وتمنت لو تعرف ما الذي يجري معه؟!!

وكان كل ما يخصه صار يخصها، ويبقى حد الله بينه وبينها، وهي لا تقوى على تخطي مثل ذلك الحد.

## الفصل الثالث عشر

تسلم يا غصن الخوخ يا عود الحطب  
بيجي الربيع تطلع زهورك عجب  
وأنا ليه يمضي ربيع وييجي ربيع  
ولسه برضك قلبي حته خشب  
عجبي!!

### رباعيات جاهين

وفي بعض الأحيان تمر عليك الدقائق وكأنها أداة تعذيب، بل كل ثانية هي شوكة تنغرز في قلبك بشكل أو بآخر حتى تنهك قواك، من مجرد هذا الألم النفسي، والذي قد يرهق الجسد أكثر من أي ألم عضوي.

فركت صدرها وكأنها تريد أن تزيل هذا الهم الجاثم عليه ولا فائدة، ناهيك عن ظنونها التي تذهب لأسوأ الاحتمالات، وعقلها ينكر ويكذب، لن تفقد أختها، لن تستطيع التعامل مع مثل هذا البلاء، والله رحيم، بلاؤه على قدر إيمان العبد، وهو أعلم حالاً بها.

خفضت رأسها تقاوم المزيد من العبرات التي تريد أن تغادر عينيها وكأن طاقتها لا تنضب.

شعرت بأنامل توضع على كتفها تلتفت إلى صاحبها بسمة وهي تشير لها أن تخرجا فلقد نامت فاطمة أخيراً.

تتبعها مها بوهن واضح، لتصلا إلى الدرج وتقرران دون اتفاق الجلوس عليه ليستمر الانتظار المرير.

ومع ظهور أحدهم عند المدخل هبتا وقوفاً لكن الخيبة أصابت ملامحهما عندما رأتا ميادة تدلف إلى المنزل والحارس يضع حقائبها خلفها.

دارت برأسها لترى بسمة ومها تحديقان بها، وكان هذا لقاءها الأول ببسمة منذ تركت ابنها وسافر إليها بحالته الغريبة تلك، توقفت ومن داخلها اشتعلت ناراً

بذلت مجهودًا مضمينًا لمقاومتها، ماذا تفعل هي أم، وابنها تأتي بسبب تلك الفتاة.

قالت بسمة مع استمرار الصمت:

- حمدلله عالسلامة.

الطريقة التي قالتها بها لم تكن عادية بل وملاح وجهها هي وتلك الفتاة الأخرى لا تشي بخير، حتى أنها تناست مشاعرها السلبية تلك وشعرت بالقلق على ولدها.

- مالكم؟! في حاجة حصلت؟! جاهين كويس؟!!

رفعت بسمة كفها تطمئننها:

- أيوة كويس، معلىش.. أحنأ بس مش في حالتنا الطبيعية.

اقتربت من الدرج:

- في إيه؟!!

عادت مها للجلوس تبكي مجددًا وبسمة تنظر لها بشفقة، تعقد ميادة حاجبها والعديد من التخمينات السيئة تتصاعد في عقلها، هل هي فاطمة أو ربما بسام. "ماما"

جاء النداء من خلفها بدهشة لتلتفت وترى ابنها سليمًا معافى، وبرغم أن بسمة طمأنتها لكن رؤيتها له بنفسها أمر آخر.

خطت نحوه وكذلك هو، فلا تعلم من فيهما ضم الآخر لصدره، أما هو فابتسم بسعادة ورضا وهو يشتم رائحة أمه التي افتقدها طوال الفترة السابقة.

- وحشتيني أوي يا ماما، حمدلله على السلامة.

عادت للوراء تنظر لوجهه:

- أنت أكثر يا حبيبي.

"حمدلله على سلامتك يا طنط ميادة"

التفت إلى بسام قائلة:

- الله يسلمك يا حبيبي.

"نانا فين؟!!"

التفتوا إلى مها التي وقفت جوار بسمة التي خمنت ما حدث لما رأتهما  
وحدهما، لتعيد سؤالها:

- أختي فين؟! .. ماجبتوهاش ليه معاكم؟!!

نظرت ميادة لجاهين سائلة:

- هو في إيه؟! .. هي مالها نانا؟!!

اقترب بسام قائلاً:

- أنا هفهمك يا مها.

أمسك جاهين بكف أمه:

- تعالي يا ماما أنت وحشاني كثير.

تبعته بسمة وهو يدخل مع أمه إلى غرفتها، عقدت حاجبيها محدثة نفسها:

" إيه البرود ده؟! .. مش يستنى نشوف هنهيب إيه؟!!"

صعد بسام الدرج قائلاً:

- ماما أخبارها إيه؟!!

أجابت بسمة:

- الحمد لله أحسن، نايمة دلوقتي.

"ماجبتش أختي معاك ليه؟!!"

قالتها وهي لا تزال تبكي، نظر لها بشفقة، كم تختلف عن أختها، لا يوجد أي

تشابه بينهما، كيف بتلك أن تكون شقيقة لهذه!!

كيف لمن تخشى ربها بهذا الشكل أن تكون أختًا لفتاة سمحت لنفسها أن تتعلق

برجل بل وتذهب لبيته، لم يصدق ما سمعه من المحامي، استمع له في ذهول

واضح، وجاهين كان أكثر تقبلًا أما هو فلا.

استمر صعوده وخلفه الفتاتين ومها تقاقل كي لا تلقي عليه نفس السؤال، وقف

أمام غرفة بسمة، يطلب منهما الدخول وهو سيبدل ثيابه ويلحق بهما يخبرهما

كل شيء.

إلا أن مها لم تتحمل لتمسك ربما للمرة الأولى بكم قميصه وقد ضمت قبضتها

بعصبية:

- إحنا لسه هنستنى، أنا هموت من القلق.
- نظر ليدها المضمومة على قميصه فانتبهت لما تفعل تركت ما تعلقت به وأسرعت تختفي في غرفة بسمة باكية.
- خفض بصره زافراً وقالت بسمة:
- هو في إيه يا بسام؟! -
- طب يالا ندخل نتكلم.
- لحقا بها وقد جلست على مقعد مجاور للفراش بينما جلست بسمة بجوار بسام على فراشها.
- ما عرفناش نخرجها طبعاً، ومش عارفين هنعرف نخرجها ولا لا؟! -
- شهقتا معاً لتقول مها:
- يعني إيه؟!.. هي بتقول إنها ماسرقتش ، أنا مصداها، أنتو مش مصدقينا ليه؟! -
- عقد بسام حاجبيه وحاول التماسك:
- والله بقى ما حدش قالها تخش بيت راجل غريب وتخرج منه بتجري زي المجنونة والكاميرا تصورها.
- حدقت مها به بذهول، لترفع بسمة كفها:
- لا معلىش ممكن تفهمنا بقى.
- وقف يكمل بغضب لم يستطع كتمانها:
- أنتو ازاي معاها طول الوقت ومش عارفين عنها أي حاجه، ازاي!! يعني إيه تكون عارفة واحد وتروح له بيته وتاخذ منه هدايا وأنتو ولا هنا.
- وقفت مها وقد تغير وجهها كثيراً:
- أنت بتقول إيه؟!.. إزاي تصدق كده عن أختي؟!.. لا يمكن تروح لأي راجل بيته.. مش ممكن.
- رددت كلماتها وسط شهقات بكائها، نظر لها بسام وهذه المرة مشفقاً عليها، ولم يستطع قول المزيد غادر الغرفة تلحقه بسمة:
- بسام ، استنى فهمني، راجل مين؟! نانا لا يمكن تعمل كده!! -

كان قد وصل لباب غرفته، التفت لها قائلاً:

- رجل أعمال فاسد ومؤذي اسمه شهاب الأبيض، ومصورها وهي خارجة من بيته.

شهقت لسماعها ذلك ليضيف:

- أنا للحظة كنت بقول نسيبها لأنها تستاهل لولا جملة واحدة قالها جاهين

خلاني أحس بالمسؤولية عن اللي حصل.

نظر لها قائلاً:

- قالي لولا إنها كانت في بيتنا لا كانت هتقابل شهاب ولا اللي زيه، ولو إني

برضو أشك اللي يفكر بطريقتها دي ويتصرف بالطريقة دي مسيره يقع في شر

أعماله.

- وهتملوا إيه؟!!

- أنا وجاهين هنروحله بكرة نشوف هو عايز إيه بالظبط، ويارب يطلب حاجة

نقدر نعملها، يا إما مش هنعرف نطلعها من الورطة دي أبداً.

لم يقل المزيد اختفى داخل غرفته، عادت للوراء تلتصق بالجدار، وقد وضعت

كفها على فمها، وعيناها تدوران بغير تصديق، تكتم رغبة عارمة في العودة

للبيداء مرودة:

- ليه كده يا نانا؟!.. هونا عليك أوي كده.

شخصت ببصرها باتجاه غرفتها التي تستقر فيها تلك المسكينة، لن تصدق أي

من هذا الكلام عن أختها.

عادت للغرفة، ما إن رأتها مها حتى قالت:

- قالك إيه؟!.. أكيد في حاجة غلط صح.

ضمتها بسمة إليها كي لا تكشف ما يعتمل في صدرها ويبدو على وجهها.

- مها، خلينا نرتاح شوية نامي دلوقتي وبكره هما هيروحوا تاني، وإن شاء الله

ترجع معاهم.

رفعت رأسها إليها:

- أنام!!، ازاي وهي هناك، لأ.. أنا هصلي، هصلي لربنا علشان يرجعها لي.

خرجت من الغرفة تترك بسمه التي تهدل كتفاها همًا وغمًا. جلست على فراشها  
ترفر بأسى.

شهاب!!

تذكرت الآن، نفس الرجل الذي عرفتھا نانا عليه في النادي ولكن بعد كلام  
جاهين وعدتها أنها ستنتهي الأمر، وكذبت!!

كيف لم تنتبه إلى أنها لازالت تحدث هذا الرجل!!؟

لم يتزايد داخلها الشعور بالذنب؟، رغم أن نانا ليست طفلة فهي تدرك جيدًا ما  
تفعل!!

التفتت إلى هاتفها الذي علا صوت رنينه، أمسكت به بوهن، لتطالع اسمه.  
أجابته في الحال مع شعورها بالحاجة للحديث معه.

- بوسي، عاملة إيه؟!.. مشغولة في إيه كده؟!!

ابتلعت ريقها تقاوم رغبة بالبكاء:

- معاذ، إحنا في مصيبة.

اعتدل في جلسه قائلاً:

- ليه كده؟!.. مصيبة إيه؟!!

- نانا اتقبض عليها بتهمة سرقة، بس هي مظلومة أنا متأكدة، دي مكيدة فيها.

- اتقبض عليها؟!.. يعني هي في السجن؟!!

- لسه في القسم ماعرفش امتى بقى هتتحول نيابة، معاذ.. ماتعرفش حد

يساعدنا، أي حد؟!!

صمت وكأنه يفكر.

لتضيف هي:

- اللي اتهمها ده رجل أعمال زيكم كده، بس باين عليه مؤذي.

سأل معاذ باهتمام:

- اسمه إيه؟!!

- شهاب.. أأ الأبيض، تعرفه، ليك شغل معاه، ماتعرفش تخليه يتنازل؟!!

ردد الاسم لمرّة وتذكره بعدها:

- أيوة أسمع عنه، بس سامر كان بيرفض الشغل معاه علشان شغله مش نضيف.

تلبسها الإحباط وقد ظنت أنها ربما ستجد مساعدة عنده.

- يعني مافيش فائدة.

- استني يا بوسي.

انتبهت له بكل حواسها ليردف:

- أنا فاكركويس مرة سامر قالي أنه بيعرف يوقف الراجل ده عند حده.  
قالت بأمل:

- طيب هايل، ما تكلمه ، يمكن يقدر يساعدنا ويبعد شره عننا.

لوى شفتيه بأسف:

- إحنا لسه ماتصالحناش، ولو فكرت أصلحه علشان حاجه تخصك يمكن يعند زيادة، أنا اتخانقت معاه علشانك.

- يوووه، أنت بتفرحني وترجع تضايقتي يا معاذ، طب اقل بقى.

- استني بس مالك سخنة عليا كده، أنا أعرف إن سامر وابن عمك أصحاب

شغل، ماتخليه هو يكلمه أعتقد مش هيرفض يساعد.

- سامر وجاهين!!

قالتها بشك ليؤكد لها:

- أيوة، مش ابن عمك كان هيشترى منه أسهم في شركتنا بس ماما بوظلتهم الطبخة دي.

تناست كل شيء وهي تسأل بدهشة:

- جاهين كان عايز يشتري أسهم في شركتكم!؟

- أيوة وبنسبة كبيرة أوي كمان وسامر كان موافق بس ماما بقى وقفتلهم في

الموضوع وكمان قالتلي أن شركتنا مش هتتعامل معاكم تاني، تعرفي أنا كنت

قلقان تدخلك في الموضوع بقى وتحطلي العقدة في المنشار، بس الحمد لله

مارجعتش في كلامها، وإن شاء الله جوازي منك مش هيتأثر، بس نخلص من

المشاكل اللي مابتخلصش دي.

شردت تفكر فيما تسمع، وعقلها يتسأل عما يحاول جاهين فعله بالضبط.  
- أعتقد ابن عمك لو كلم سامر هيخلص الموضوع، ده لو لسه أصحاب بعد اللي حصل.

انتبهت له لتقول:

- طيب يا معاذ، هكلم بسام وأشوف، اقفل دلوقتي.

- هكلمك بكرة الصبح أظمن.

- ماشي، وشكرًا إنك عرفتني.

- كان نفسي أنا اللي أكون بساعدك بجد، بس ماينفعلش أصالح سامر علشان يساعدنا، حاسس إنني كده هكون بخربها أكثر.

أومات تؤيد كلماته:

- لأ معاك حق، أنت صح، يارب تتصالحوا قريب، تصبح على خير.

أنهت المكالمة تفكر برهة، وقفت بعدها تسرع إلى غرفة أخيها، طرقت بابها مرة تلو أخرى، ولا مجيب، نام بهذه السرعة؟!!

ملامحه كانت مرهقة، يبدو أنه نام بالفعل.

طرقت مرة أخرى ولا مجيب. زفرت بضيق، أعليها الانتظار للصباح؟.

التفتت برأسها لباب غرفة جاهين، لعله ترك أمه لترتاح وعاد لغرفته، لكنها هزت رأسها نفيًا للفكرة، لن تحدثه هو!! لن تفعل.

أرادت العودة لغرفتها لكنها توقفت حين تذكرتها، لتبتسم!! ربما أعادها الله في تلك اللحظة لأنها خير من يحدث ابنها.

هبطت الدرج سريعًا لتقف أمام غرفتها، طرقتها برفق قائلة:

- طنط ميادة، حضرتك صاحية؟!!

مطت شفيتها بيأس فلم تسمع أي رد، لكن الباب قد فتح لتظهر ميادة تنظر لها بدهشة:

- أهلاً بسمة، خير؟!!

رفعت كفها:

- هو بس عايزة أقول لحضرتك حاجة واحدة لو ينفع.

ضاقت عينا ميادة:

- قولي.

نالت زفيرًا قائلة:

- لو ممكن تكلمي جاهين، هو يعرف واحد اسمه سامر وببشتغل معاه، ممكن يساعدنا في مشكلة نانا وتخرج.

التفتت ميادة ليظهر جاهين من خلفها، لتتفاجأ به بسمة:

- جا.. هين، أنا افكرت....

قاطعها يسأل بشك:

- وسامر هيساعد إزاي؟!!

تناست ما هي فيه تجيبه:

- أعتقد عنده طريقة يوقف بيها شهاب ده عند حده، وممكن يخليه يتنازل أو يغير أقواله، بس المهم تقنعه.

عقد حاجبيه:

- ومين قالك المعلومة دي؟!!

دارت ببصرها وكأنها تبحث عن الإجابة الملائمة إلا أنه ضحك ساخرًا:

- آه صحيح ، إيه السؤال الغبي ده!!!

نظرات ميادة تنتقل بينهما وكأنها تراقب في صمت، عقد جاهين ذراعيه:

- أنتِ فعلاً عايزة نانا تخرج؟!!

رفعت ميادة حاجبها بدهشة بينما حدقت فيه بسمة باستنكار:

- ايوة طبعًا، إيه السؤال الغريب ده، دي أختي، وتهمني جدًا.

لوى شفتيه:

- غريبة، ساعات كتير مايبهمكيش غير نفسك.

تجهم وجهها من كلماته بينما قالت ميادة بصوت خفيض:

- جاهين.

وكانها تسكته عن تلك الكلمات ليقول:

- عمومًا شكرًا على المعلومة، ربنا يسهل.

لم تبقَ للحظة أخرى لتختفي عن ناظريهما، أغلقت ميادة الباب وهي تلتفت لابنها قائلة:

- بسام قالي جاهين اتغير، بس من ساعة ما شفتك لحد قبل ما تيجي بسمة كنت جاهين اللي أنا عارفاه كويس وإلي وحشني حتى وهو معايا برة، بس دلوقتي رجعت شفت جاهين الغريب تاني.

أشاح ببصره عنها فاقتربت منه:

- جاهين، أنت قتلي قسمة ونصيب وبس، لكن أنا عايزة أفهم، سيبتوا بعض ليه، ليه بتتغير لما بتشوفها وبتحاول تكون قاسي.

وقفت أمامه ترى وجهه الذي بدا وكأنه يكتم غيظًا:

- ماما، هقولك بس او عديني مانتكلمش فيه تاني.

- اتكلم يا جاهين.

قالتها بحزم تنهي ذلك السجال، تمر لحظات صمت أخرى وبدأ في سرد القصة، لم تكن قصة كاملة الأركان، فقط مفاجأته في أن قلبها لغيره، والمضحك أنه حب قديم لم يغادر قلبها قط، وإلى الآن لا يعرف لمَ لم تقل هذا من البداية وقبلت بتلك الخطبة؟!!

وانتهى الكلام على أنه تناسى الأمر ولم يعد يعني له شيئًا وتمنى لها نومًا مريحًا وغادر غرفتها.

أما هي فلقد تملكها الغضب للحظات، غضب لابنها الذي تعلم أنه أحب بالفعل، والآن يريد أن يكره رغبًا عنه، جاهين يريد أن يجبر نفسه على كره تلك الفتاة ولهذا يبدو مختلفًا حين يراها.

زمت شفتيها بضيق، كيف لها أن تفعل هذا بابنها الوحيد؟!!

أحمقاء هي ولا تدري كم خسرت؟!!

إنه جاهين.

وغلب وجهها الحزن لتتمتم:

- شكلك لسه مش عارف تكرها يا جاهين.

.....

تأكد من تصفيقة شعره التي تداري تلك الندبة التي خلفتها ضربة نانا أعلى جبهته، وقد زم شفثيه غضبًا وضيقةً.

ضرب مكتبه بعصبية، تصور أنهم سيظهروا بالأمس وظل بمكتبه حتى وقت متأخر لكن لا أحد، أمعقول بعد كل ما خطط له لن يجني أي ثمار، حتمًا يهتمون لأمرها هي في النهاية أخت خطيبة بسام الذي يملك الكثير من الشركة وسمعتها من سمعته، سيفعلون المستحيل كي لا يصل الأمر للنياية، لكن لم يأتوا حتى الآن!؟

ظهر مساعده قائلاً:

- لسه ماحدث ظهر.

هب واقفا يصرخ:

- لبيبيه؟!.. أنا مش قلتك تتبهدل لدرجة ماتستحملش يوم تاني في القسم، مش قلتك عايزها تعيظلم بدل الدموع دم علشان يحاولوا يخرجوها، مش معقولة هيخرجوها إلا عن طريقي أنا!!!.

- حصل يا باشا، كل أومرك اتنفذت، وهما اتحايلوا على الظابط كتير علشان

محدث يقربلها، وأنا كنت موصي العساكر وأمين القسم بس، لكن الظابط ماجتش جنبه، والظابط نكد عليهم كلهم باللي حصلها فقتلهم خلاص يسيبوها، على أساس إن خلاص عملنا اللي عايزينه، ماتقلقش يا باشا أكيد طول الليل حاولوا يخلوها وماعرفوش، هيجوا هنا في الآخر أنا متأكد.

ضم شهاب قبضته بضيق دون أن يضيف شيئاً، وفي اللحظة التالية دخلت سكرتيرته لتخبره بوصول اثنين من رجال الأعمال.

هب واقفاً وحاول أن يبدو طبيعياً ليقول:

- طيب عشر دقائق وبعدين دخلهم.

أومات له تغادر جلس وقد علت وجهه بسمة الثقة، وكذلك مساعده الذي قال:

- مش قلتك يا باشا.

وبرغم أن الاثنين في الخارج كانا يموتان غيظًا من الانتظار فهو كان سيموت نشوة من الانتصار.

ومرت الدقائق العشر.

ليتواجهها معه، بدا واثقًا، مبتسمًا، بينما تمنى جاهين أن يلکم وجهه لكنه تخلى عن الفكرة سريعًا، هو هنا ليتم حل الأمر لا تعقيده.

- خير، الطلة دي جديدة عليا.

مط جاهين شفتيه:

- مافيش داعي للفت والدوران أنت عارف إحنا هنا ليه.

استرخى في كرسية:

- لا الحقيقة، مش واخذ بالي.

ضم جاهين قبضته غضبًا، قال بسام قبل أن يفقد جاهين أعصابه:

- نانا ماسرقتكش.

أمال رأسه:

- نعم، لا طبعًا سرقنتي، كانت في بيتي وخرجت بتجري والعقد عندها، إزاي ماسرقتنيش.

انتفض حين هب جاهين يمسك بتلابيب قميصه، يجذبه ناحيته ويمسك بناصيته فيرفع خصلات شعره بقوة، صرخ شهاب:

- سيبي أنت اتجنتت.

رفع جاهين حاجبيه حين رأى تلك الندبة التي لم يقدم أثرها بعد، فأمسك بسام به:

- جاهين سيبيه.

حرره جاهين بقوة حتى كاد يسقط عن كرسية، فهب شهاب صائحًا:

- أنت إزاي تسمح لنفسك تعمل كده، أخرج بره.

عاد جاهين يجلس بثبات:

- لا والله، أنت عايزنا نخرج بره، وكل اللي أنت عملته ده يروح هدر.. فعلاً عايز كده!!

رمقه شهب بشك وقد بدأت كل أعمدة ثقته في الاهتزاز، ليشير له جاهين بكفه:

- اقعدي يا شهاب خلينا نخلص، أنا بس كنت بتأكد من حاجه واتأكدت، نانا ماسرقتكش، عايز إيه وتخلص الفيلم ده.

جلس بسام هو الآخر وهو ينظر لجاهين بإعجاب افتقده، برغم غرابه الموقف وصعوبته، بدا جاهين الذي يعرفه على الدوام أمامه الآن، ذاك القوي الذي يعتمد عليه دومًا وحين يكون جواره لا يخشى شيئًا.

زم شهاب شفتيه وجلس يعدل هندامه:

- تمام، نجيب من الآخر أحسن، مناقصة المدارس في المنطقة الجديدة.

تبادل جاهين وبسام النظرات التي حملت الكثير من القلق، فالحديث بدأ بأهم مناقصة ستألفها شركتهم لهذا العام.

ليردف شهاب:

- هشارككم فيها، ٧٠% ليا و ٣٠% ليكم.

ضحك جاهين ساخرًا بينما بسام يراقب بصمت:

- أنت بتهزر، أنت عندك السيولة اللي تغطي ٧٠% من المناقصة دي.

لوح شهاب بكفيه نفيًا:

- لا طبعًا، بس أنت فهمتني غلط، النسبة اللي قلتها دي نسبة الأرباح اللي

هتتوزع، إنما بقى المصاريف والتكاليف هنعكس، ٧٠% عليكم و ٣٠% عليا.

هب جاهين واقفًا:

- نعم... أنت اتجننت، ده خراب بيوت.

- ليه بس، ده أنتو شركة كبيرة وقادرين تعوضوا بسهولة، لكن أنا محتاج أبني

شركتي كويس.

ضرب جاهين سطح المكتب:

- ده مستحيل، مافيش عقل ممكن يقبل اللي أنت بتقوله ده، مستحيل.

وقف وقد عادت ثقته كما كانت:

- أنا قلت اللي عندي ومستتي اللي عندكم، لو مستغنين عن البنيت سيبوها، كلها

سنتين وترجعلكم، أصلي أنا ناوي أطلب أقصى عقوبة ممكنة، العقد غالي جدًا.

قال بسام من بين أسنانه:

- أنت إنسان حقير.

ضحك ملء فيه:

- سمعتها كثير قبل كده.

وقف بسام قائلاً:

- يالا يا جاهين ده مافيش فيه فائدة.

جز جاهين أسنانه لكنه اتفق مع بسام، هذا الوعد لن يغير من طلباته شيئاً،

رمق شهاب بغیظ واضح ليقول:

- الكلام لسه ماخلصش، بس خليك فاكر أنت اخترت العدو الغلط، يالا يا بسام.

غادرا المكان تتبعهما ضحكات شهاب الساخرة، وما إن استقرا بالسيارة حتى

ضرب جاهين مقودها بقوة:

- ياما نفسي أموته من الضرب، الجبااان.

أما بسام فغلبه الهم والحزن:

- وبعدين هنعمل إيه؟!.

هز جاهين رأسه:

- اللي بيطلبه ده كارثة.

وضع بسام رأسه بين كفيه وقد استند بكوعيه على ركبتيه، بينما أردف جاهين:

- عمتي سميحة لا يمكن توافق، ولا حتى إحنا، نانا كده هتضيع.

رفع بسام رأسه قائلاً بغیظ:

- تستاهل بتقول ماسرقتش جايز بس إيه اللي يخليها على علاقة بإنسان سافل

زي ده وتروحله بيته كمان.. تستاهل كل اللي يجرالها.

رمقه جاهين:

- قلنا الإنسان السافل ده ماكنتش هتعرفه ولا هتشوف وشه إلا بسببنا، استغلها

علشان يضربنا بيها، هو من الأول يقصدنا إحنا.

قال بسام بعناد:

- وهي اللي ادتيله الفرصة.

- تقدر بقى تروح تقول كده لأختها، خطيبتك، اللي هتبقى مراتك.. سيبى أختك تروح في داهية لأنها تستاهل.  
أعاد رأسه للوراء مرددًا:
- هو أنا في حد واجعني غيرها، هنعمل إيه؟!!!  
قالها بيأس، ربت جاهين على كتفه:
- هنتحل إن شاء الله، خلينا نرجع الشركة دلوقتي.  
التزما الصمت حتى وصلا، وبدخولهما أسرعتهما سكرتيرة سميحة قائلة:
- سميحة هانم متترفة أوي وبتسأل على حضرتك يا باشمهندس جاهين.  
توقف مكانه ليقول بسام:
- خير يارب، هو في حاجة حصلت.  
نظر له جاهين قائلاً:
- آه، في.  
أشار للفتاة بالانصراف وأنه سيلحق بها، وقص على بسام سريعًا ما حدث في أمر أسهم سامر، ليحرق فيه بسام بذهول:
- يعني كمان خسرنا شركة الهيتم.  
لم يعلق جاهين، غادر المكتب وانضم لعمته في مكتبها، التي ما إن رآته حتى وقفت تقول بتحفز:
- أهلاً بالبطل الهمام صاحب الأفكار النيرة!!  
اقترب أكثر، وهي تصيح:
- بقى دي آخرتها، يا مديرنا التنفيذي، بدل ما تكسبنا تخسرنا!! ومين؟! أهم شركة بنشتغل معاها، أعمل فيك إيه دلوقتي?!!!  
حاول الحفاظ على هدوئه:
- ماتقلقش يا عمتي، هنعوضها في حاجة تانية، ثم احنا كمان شركة كبيرة وكفاية بقى شغل كأننا تابعين ليهم.  
بدل ما تعترف بغلطك بتكابر وتقول هنعوضها.  
عقد ذارعيه:

- أصلي مش شايف إن الزعيق ده هيحل حاجة.  
زمت شفتيها تكتم غضبًا هادرًا ورفعت سبابتها تشير له بتحذير:  
- طب اسمع بقى، لو ماصلحتش غلطتك دي وجبلتنا التعويض المناسب أو  
البديل المناسب، أنت هتبقى التعويض ده.  
ضاقت عيناه بغير فهم:

- يعني إيه؟!!

- واضح أنك نسيت إن كل اللي انتخبوك بيراقبوا برضو وبيشوفوا هتتجح ولا  
لا، وأنا أولهم، وبإين كده اختيارهم كان غلط زي ما توقعت وقتلهم، وفترة  
الاختبار بتاعتك دي ممكن أنهياها في لحظة، ونجيب بقى الأصلح للمنصب ده.  
قال ساخرًا:

- أنت بتهدديني يا عمتي.

ضغط حروف كلمته الأخيرة وكأنه يذكرها بصلة القرابة بينهما لكنها ركنت  
بسمة ساخرة على طرف شفتيها لتقول:

- اتفضل يا سيادة المدير، شوف هتصلح بلاويك إزاي؟!!

.....

انتفض في فراشه مع شعوره بأن النوم قد غلبه كثيرًا، فلم يغمض جفنه إلا مع  
ساعات الصباح الأولى، خرج من غرفته مسرعًا ليلحق بالعمل، لكنه تسمر  
مكانه حين تذكر.

تذكر كل هم وغم وعجز أصابه بالأمس فأعجزه عن النوم طوال الليل.  
نادرة!!

تلك التي ظن أنه تمكن من مسح كل أثر لها بقلبه، إلا أن تلك القبضة التي  
اعتصرته بالأمس قالت له غير ذلك، إلا أنه غاضب!!  
غاضب من نفسه على ما بها من أجل تلك الجاحدة وقد أصابه منها ما أصابه،  
أوليست تستحق؟!!

فمال قلبه حزينًا متألماً لها؟! وكالعادة فاز قلبه!!

أمسك هاتفه يتصل بجاهين ربما عنده خبر، لم يجب، أسرع بتهيئة نفسه  
وتبديل ثيابه يذهب للعمل، حتمًا أحدهما سيكون هناك.  
وصل سريعًا فالعمل قريب، دلف إلى مكتب جاهين ليجد بسام فيه وحيدًا، اعتذر  
عن تأخره في المجيء وسأل عن تطورات الأمر.

نظر له بسام بغير بشرى:

- لسه يا محمد، الزفت اللي مبلغ عنها بيساوم على شغل مهم جدًا لينا، ومش  
هنقدر نعمل إلية هو عايزه.

انضم لهما جاهين وبدا وجهه متغيرًا.

- إيه اللي حصل؟

سأله بسام، فأجابته:

- ماتشغلش بالك، أنا رايح لسامر.

- اشمعنا، مش خلاص الموضوع باظ.

- لا ده علشان نانا، كان قالي مرة إنه ممكن يحط شهاب ده تحت ضرسه، بس  
كنت ناسي.

تمتم محمد دون أن ينتبه له أحد "شهاب!!"

مر عليه هذا الاسم من قبل.

وقف ليقول:

- ممكن أجي معاك.

نظر له جاهين وبدا مشفقا عليه:

- وعلى إيه التعب، كده كده هكلمه لوحدي.

- معلش، حتى لو مش هعمل حاجه، عايز أجي معاك.

أوما له مستسلمًا، خرج يتبعه محمد، بينما وضع بسام رأسه على المكتب زافرًا  
وداعيًا الله بالنجاة.

أصابها الملل من الانتظار، غادر المهندس لموقع العمل من الصباح الباكر  
وبقيت هي وحسن ولم يظهر سامر بعد.

حتى أنها تصورت أنه لن يظهر اليوم، والحيرة تملكها، حاله بالأمس جعلها تظن أن شيئاً ما أصاب العمل، لكن لا جديد، الأمور مستقرة كما هي، ما المشكلة التي وقعت بينه وبين أمه تجعله في مثل هذه الحالة؟!، وتعلم أنها لا تملك أي حق في سؤاله، فلتبتلع فضولها هذا أفضل.

"صباح الخير يا زينة"

وقفت سريعاً ترد له التحية، وقف أمامها سائلاً:

- مروان وراما نزلوا؟

- أيوة راحوا موقع الشغل.

- ما حدش رجعهم؟!!

عقدت حاجبيها:

- مش فاهمة، مين هيرجعهم؟!!

أشاح ببصره مفكراً قبل أن يقول:

- خلاص، لو في جديد ابقي بلغيني، خلي حسن يجبلي فنجان القهوة بتاعي.

أومات له، دلف لمكتبه بينما نادى هي على حسن لتطلب منه إعداد فنجان

سامر، وجلست على مكتبها وعاد الفضول يأكلها، وهي تنفضه عنها ولا فائدة.

لتمر دقائق أخرى رتيبة، قطعها دخول جاهين ومحمد، يلقيان عليها التحية،

استقبلتهما بابتسامة هادئة.

طلب جاهين أن يلتقي بسامر لأمر هام، فنبأت زينة سامر عبر الهاتف ليخبرها

أن تدخله، بينما بقي محمد بالخارج بعد أن أشار له جاهين بالبقاء.

جلس محمد وقد ضم قبضتيه بقوة، التوتر يغلبه لحظة بلحظة، خاصة بعد أن

أخبره جاهين في الطريق عن هذا الشهاب وطلباته.

تلك الغيبة أوقعت نفسها فرسية لصائد محترف لم تكن له إلا طعاماً لصيد أكبر.

لم يشعر بزينة التي نظرت له بدهشة مع هيئته المتوترة تلك، لكنها تغاضت عن

الأمر ولم تعلق بشيء. حتى التفت لها قائلاً:

- أنت تعرفي سامر كويس؟!!

لا تعرف لم أصابها السؤال بالتوتر، ولم يسأل عنه محمد.

- ها، أه.. يعني أعتقد أنا معاه بقالي فترة.

- يعني هو شخص ممكن يساعد حد ما يعرفوش؟!.

نظرت له بدهشة تتزايد، ليردف:

- إحنا هنا علشان نطلب منه يساعدنا في مشكلة حد يخلصنا، تفتكري هيقبل؟! هزت كتفيها:

- معرفش، بس هو عموماً بيساعد أي حد، وأكيد مش هيرفض للباشمهندس جاهين طلب بعد اللي عمله وشغله معاه.

كلماتها أراحته قليلاً لكنه استمر بنقر سطح المكتب بترقب.

.....

تبادلا النظرات بصمت، وكان كل منهما ينتظر أن يبدأ الآخر الكلام، لكن سامر هو المستقبل وعليه الصمت وهذا ما فعله.

وبدأ جاهين بالكلام:

- أنا آسف إن كنت ضايقتك بكلامي أكثر ما كان الموقف يضايق يعني، بس أنت عارف إنني بقيت في موقف حرج أوي دلوقتي.

أوما سامر مؤيداً:

- أنت جاي توقف الشغل بينا، عموماً أنا توقعت ده.

رفع جاهين كفه:

- هو الحقيقة أنا جاي علشان حاجه تانية خالص، أنا محتاج مساعدتك جداً.

ارتسم التساؤل على ملامحه واستند على مكتبه بذراعيه، ليقرر جاهين أن

يقص عليه الأمر باختصار، وكيف أن شهاب خدع فتاة تخصم لبيتهمها

بالسرقة، والآن يساومهم للتنازل بما لا يستطيعون فعله إلا بخسارة لن تكون هينة حتى وإن لم تكن قاتلة.

ساد الصمت بعدها، قد أطرق سامر رأسه مفكراً، احترم جاهين صمته ولم يعلق.

نظر الأول له قائلاً:

- يعني أنت عايزني أحبسه.

- لأ، لو اتحبس مش هنستفيد حاجة غير إننا خلصنا منه بس كده البنيت برضو هتضيع، أنا عايزك تهدده علشان يغير أقواله ونخرجها.

عاد سامر لصمته وهذه المرة قال جاهين:

- وشغلنا معاك هيفضل زي ما هو، شركة الهيثم خلاص خسرناها عدم الشغل معاك مش هيغير من الوضع حاجة، خلينا برضو نفضل مع بعض.

- مش عارف أقولك إيه، الدخول مع شهاب في تهديدات مش سهل.

- لحد ما نخرجها بس وبعدين يا سيدي نبقى نخلص من شره خالص، وأهو ناخذ ثواب في الناس اللي هيفضل يئذي فيهم.

- برضو الموضوع محتاج تفكير.

تجهم وجه جاهين ولم يتصور أن هذا سيكون الرد.

- على فكرة البنيت دي ماتخصنيش ومش قريبتني، بس لأنها ساكنة في بيتي وكانت كوبري له علشان يوصلنا حاسس بالمسؤولية تجاهها، بس أنت عندك حق، أنت مش مضطر تبقى طرف في الموضوع.

وقف سريعًا، فقال سامر:

- أنا لسه مارفضتش أنا قلت هفكر علشان أعرف ده ممكن يحصل إزاي، شهاب عدو قدر، وأسوأ شيء إنك تتعامل مع عدو قدر.

أوما جاهين متفهمًا ليقول:

- طيب يا ريت ترد عليا بسرعة، البنيت بعد يومين بالكثير هتتحول للنيابة، عايزين نوصل لحل قبلها.

وقف بدوره قائلاً:

- حاضر.

التفت يغادر وبقي سامر مكانه، فتح باب المكتب يطالعه وجه محمد القلق للغاية إلا أن معالم وجه جاهين لم تكن مبشرة أبدًا، فتغضن جبينه ونظر إلى زينة وكأنه يخبرها سرًا أنها لا تعرف رئيسها جيدًا.

خرج جاهين يتبعه محمد في صمت، ظلت زينة مكانها للحظات، نظرة محمد حملت الكثير من الحزن واليأس وربما اللوم وكأنه لم يتوقع أن يرفض سامر مساعدتهما.

تعلق بصرها بباب مكتب سامر وقد تملكها بعض الغضب، وكعادتها لم تنتظر المزيد.

أسرعت لتطرق الباب وتدخل إليه، لا يزال جالسًا على مكتبه، نظر لها بتساؤل، فقالت قبل أن تتردد:

- أنا مش عارفه هو طلب إيه بالضبط، بس فهمت أنهم عايزين مساعدة منك في مشكلة، وكمية الإحباط إلي علي وشهم بتقول إنك رفضت، ودي حاجه أول مرة أشوفها منك، أزاي مش عايز تساعدهم رغم أنهم هما أول من ساعدوك، أكيد أنت مش أناني كده، ده أقل حاجه تعملها مع الناس إلي وقفت جنبك أنك تساعدهم، مش المكتب ده كان هيتقفل لولاهم.

ألقت كلماتها بعصبية جاهدت كي لا تبرزها لكنه استشعرها بسهولة، ظل ينظر لها بصمت أغضبها أكثر:

- أنا عارفة إني مش من حقي أتكلم مع حضرتك في حاجه زي كده، بس بجد ماينفعلش ده يكون ردك مع ناس وقفت جنبك، أديني قلت اللي يرضي ضميري، أعمل أنت بقى اللي يرضي ضميرك.

التفت بعدها تغادر مكتبه وهي تغلق الباب خلفها، تنفست بسرعة تلتقط أنفاسًا كادت تنقطع في الداخل.

أما هو فلاحق بسمة باهتة على شفثيه، وبحث بداخله على أي غضب عليها من كلماتها تلك لكنه لم يجد، يبدو أنه لن يغضب منها في أي شيء بعد الآن. بدت كأم تؤنب ابنها على تصرفه الخاطيء، كم من الأدوار تريد أن تلعب في حياته؟!!!

وهو لا يمانع، لم لا؟! فتلعب كل الأدوار، بل فلتكن في حياته بكل أشكالها، أليس هذا ما يتمنى؟! زفر قائلاً:

- ماشي يا زينة هعمل اللي يرضي ضميري.  
أمسك هاتفه طالبًا رقمًا ما، وما إن سمع الصوت حتى قال:  
- أنا محتاج الورق اللي عندك بتاع شهاب.

.....  
- لأ مش هحبسه دلوقتي، أنا ههدد بس، الحبس ده هنخليه متأخر شوية.

.....  
صمت لحظات ليعي تلك الكلمات ليقول:

- عارف، شهاب لو اتهدد هيتغابي، بس أيًا كان أنا مضطر للخطوة دي،  
ماتقلقش هتعدني على خير إن شاء الله، ابعت صور من الورق علشان لما أكلمه  
ابعتاله.

.....  
- يا سيدي ماتقلقش، هيقدر يعملني إيه يعني، ابعت بس.  
أغلق الهاتف ووضعها جانبًا مرددًا:  
- عمر الشقي بقي.

## الفصل الرابع عشر

نظرت فوق للنجوم و أنا ساير  
رجليا عترت في الحفر والحجاير  
بقيت أقول و أنا ع التراب: يا سلام  
مش بس عبره أخذت لكن عباير

عجبي!!

رباعيات جاهين

زفرت بغضب وضيق، آخر ما تصورته أن تخسر شراكة مميزة مع شركة الهيثم والسبب تهور جاهين، الذي أصبح يثق بنفسه أكثر من اللازم. كان يجب أن ترفض فكرته وبقوة، هو أراد مصلحته الشخصية أولاً ثم الشركة، جاهين يريد أن يصل لأعلى منصب هنا بل هو لن يتأخر في أن يزيحها هي نفسها عن الطريق ليجلس مكانها، وهذا ما لن تسمح به أبداً. لطالما علمت أنه يجب أن يبقى تحت السيطرة منذ وطأ أرض تلك الشركة ورأت طموحه الكبير، بعكس بسام الذي يسير بهدوء وتقدم خطوة خطوة بحذر، وبدلاً من أن تنجح في أن يكون بسام هو المدير التنفيذي نال المنصب ببساطة، وربما الآن يفكر كيف ينال ما لها وحينها سيتمنح بسام الإدارة التنفيذية، وتصبح هي في الخارج تماماً. توقفت أفكارها مع صوت هاتفها، لتمسك به وانتبهت لاسم ميادة فأجابت على الفور:

- ميادة، ازيك؟!!

- أنتِ فين يا سميحة، أنتِ عايشة في البيت ده ولا سيبتيه؟!!

عقدت سميحة حاجبيها:

- إيه ده أنتِ رجعتي؟!!

- أيوة إمبارح وماشوفتكيش خالص.

- أنا رجعت متأخر ونمت على طول، هشوفك النهاردة أكيد، حمد الله عالسلامة.  
- الله يسلمك، بس برضو أنت فعلاً ولا كأنك عايشة في البيت، البوليس يجي  
امبارح ويأخذ بنت من البيت وأنت ولا أنت هنا.  
هبت تقف صائحة:

- إيه اللي بتقوليه ده، فهميني بنت مين؟!!!

- الولاد تعبانين لوحدهم وعمالين يدوروا على حل، هتفضلي سايباهم كده؟!  
- بطلي تقطيم يا ميادة وفهميني.

أخبرتها بما أخبرها جاهين به، وكذلك ما قالتة بسمة عن مساعدة أحدهم لهم.  
ومع كل كلمة يزيد غضب سميحة وحنقها لتقول:

- أهو ده اللي خدناه من العيلة الزبالة اللي دخلوها البيت.

- يااه يا سميحة أنت لسه بتفكري بنفس الطريقة.

لوت شفيتها اعتراضاً:

- بقى أنت أم أنت؟! بدل ما تزعلي من اللي رمت ابنك ولا أكنها كانت بتلعب  
بيه، قتلتمك دول ناس مش مننا ولا هيكونوا في يوم مننا، وبسام ده كمان لازم  
يسيب اللي أختها هتبقى رد سجون دي.

- ياالله!! أنا بقول إيه وأنت بتقولي إيه؟!.. بقولك ساعدي الولاد، ارجعي للعيلة  
اللي مصرّة تبعدني عنها لحد ما هتبقي لوحديك يا سميحة.

- اقفلي يا ميادة.

أغلقت الهاتف سريعاً لتتحرك من خلف مكتبها، سألت عن بسام لتعرف أنه في  
مكتب جاهين الذي غادر مع محمد ولم يعد بعد.

دلفت للمكتب بعصبية تجده يقف أمام نافذته العريضة ولم يشعر بها إلا حين  
صاحت باسمه ليلتفت لها بسرعة، لتردف:

- إزاي كل ده يحصل وأنا ما عرفش؟! أنتو خلاص اعتبرتوني مت، ولا ظلعتوني  
معاش.

صمت لحظات ليقول:

- خير يا ماما.

- ماما، كويس والله أنت لسه بتعتبرني ماما.  
هذه المرة لم يعلق واكتفى بالصمت، لا يوجد لديه أي طاقة للدخول في مثل تلك المناقشات.

لتقول هي:

- إزاي ماتقوليش على اللي حصل مع أخت خطيبتك؟! البوليس يدخل بيتي وأنا ماعرفش، أهو ده اللي خدناه من الأشكال دي!!  
تغضن وجهه ليقول:

- أهو علشان الكلمتين دول ماقلتش حاجة ومش هقول، أنت مش هتساعدينا ومش بعيد تقولي خليها مطرح ما تروح، سيبينا يا ماما نحل الموضوع إحنا.  
- وهتلوه إزاي إن شاء الله، هتدي إيه للبيه اللي بلغ عنها علشان يتنازل، مالنا إحنا نشيل همها ونصلح بلاويها ليه؟!  
زفر بضيق قائلاً بعصبية:

- لحد دلوقتي مش هنديله حاجة، جاهين بيشوف حل تاني، ممكن تهدي بقى، ولو عندك طريقة تساعدنا بيها ولو أني ماظنش بس أهو، ياريت تقولي.  
- والله الطريقة الوحيدة أنكم تتخلصوا من الناس دي بقى، أنا مش فاهمة هتفضلوا كده لحد ما يضيعكوا خالص.

هز بسام رأسه بيأس وقد أدار ظهره لها بدلاً من الرد عليها، زمت شفيتها بغضب قائلة:

- ولا كأي بتكلم صح، أفهم من كده أن خطوبتك كمان هتستمر، هتسيب ولادك يعرفوا أن خالتهم رد سجون.  
نظر لها بغضب لم يكتمه:

- إن شاء الله نانا مش هتسجن، وهي ماسرقتش دي تهمة باطلة من أساسها، وأنا مش هعاقب مها علشان أفعال أختها، أرجوك ياماما مها دي خطيبتي وهتبقى مراتي ومافيش حاجة هتغير ده، أرجوك بقى كفاية، أمتي هتقبليهم?!  
رمقته غيظاً:

- أبدأ، عمري ما هقبلهم، أبدأ، وخليك كده شيل على دماغك طول ما أنت ماسك فيهم.

تركته وحيداً ليغلبه همه ثانية، وكأن أي شكل من أشكال السعادة لا بد أن تكون ناقصة، حتى فرحته بمن يحب!!

إلحاح تلو آخر لعلها تفهم ما الذي يجري وكلتا الفتاتين تضنان عليها بالكلام، تكتفیان بكلمات مواساة لا تقنع ظناً أنها كافية، لكنها تشعر أن الحدث جل والأمر ليس هيناً، وإلا لم تعد نانا إلى الآن!!

- هو أنتو عامليني عيلة صغيرة مش عايزين تقولولي!!  
أخفت مها عينيها التي تعلم أنها قد تفضحها، أما بسمه فاستمرت في محاولاتها:

- يا ماما قلتك، ده بلاغ كاذب والمحامي هناك وإن شاء الله ترجع النهاردة، هو في حاجه في البلد دي بتخلص بسرعة، اهدي أنتِ بس علشان مايجلكيش أزمة تاني.

هزت رأسها بغير تصديق، لكنها اكتفت بالصمت، وإن استمر قلبها بالدعاء. علا رنين هاتفها نظرت سريعاً لتعرف أنه هو كما ظنت، قامت لكن أمها أوقفتها:

- مين يا بوسي، أخوك!!

- لا ياماما، راجعالك حالاً.

أجابته في الحال وهي تهرع لغرفتها:

- أيوة يا معاذ.

- هاا إيه الأخبار!!

أغلقت باب غرفتها لتستند عليه:

- ولا حاجه، قتلهم امبارح على سامر، خرجوا من الصبح ومحدث كلمنا ومش

عارفين إيه اللي بيحصل.

- إن شاء الله يحلوها.

- يا رب يا معاذ، أنا تعبت من كم المشاكل اللي بنقع فيها كل شوية دي .  
شعرت بابتسامته وإن لم ترها:

- معلىش، كله هيعدي، خليها تغلى أكثر وأكثر.  
عقد حاجبها بعدم فهم:

- هي إيه دي؟!!

- حكايتنا.

ابتسمت رغمًا عنها وهي تردد كلمته:

- حكايتنا.

علم أنه نجح في جعلها تبتسم لتزفر هي قائلة:

- ماشي يا معاذ، اقفل بقى دلوقتي ولو في أي جديد هقولك.

- تمام، أوعي تنسيني.

- حاضر، مع السلامة.

حدقت بهاتفها لحظات، تقول بحسرة شعرت بها:

- حكايتنا، هي فين حكايتنا يا معاذ، أنا حاسه أنها تاهت مني في وسط كل اللي

أنا فيه ده، لدرجة إنني مبقتش شايفها، ياريت تفضل أنت شايفها علشان

متضعش منا خالص.

هزت رأسها يأسًا وعادت للتفكير في مشكلتهم، لامست شاشة هاتفها تتصل

ببسام في محاولة منها لمعرفة أي جديد، لكن صوت بسام نبأها قبل أن يقول

شيئًا.

- أيوة يا بسمة، لسه، جاهين ومحمد لسه قافل معاهم ومافيش أي جديد، هما

رايحين القسم يطمنوا عليها ويرجعوا.

- طيب واحنا مش هنروح نشوفها، أنا ومها عايزين نشوفها.

- تروحوا فين يا بسمة!! القسم، لا طبعًا.

- يا بسام نانا أكيد تعبانه ومتبهدة ومحتاجة تشوفنا، وأحنا كمان عايزين

نشوفها.

- لأ يا بسمة، مش هتروحوا القسم، يالا سلام.

زفرت بضيق وحنق وقد أغلق الاتصال قبل أن يسمع منها المزيد.

.....

وصلته صور الأوراق، نظر لها مطولاً قبل أن يضع الهاتف جانباً. عليه إيجاد الطريقة الأقل ضرراً، شهاب ليس بالفريسة السهلة، وتحويله لعدو صريح ليس بالفكرة الصائبة، ولهذا دوماً كان يتركه لحاله مادام ضرره ليس عليه، أما وقد بالغ في ضرره هذا، فالأفضل الانتهاء منه للأبد. حك ذقنه وانغمس في المزيد من التفكير، عليه أن يطرق الحديد وهو ساخن لا مفر من هذا، سيجبره على إنهاء أمر الفتاة وفي نفس الوقت سيسلمه إلى النائب العام، عليه فقط أن يضبط التوقيتات. ما بين خروج الفتاة والقبض عليه، كي لا تسوء الأمور وأيضاً كي لا يجد الوقت للانتقام منه أو إيذائه. لم يشعر بها وهي تقف أمامه حتى تنحنت، نظر لها بتساؤل، فأطرقت رأسها لتقول:

- أنا آسفة، أعتقد إنني زودتها شوية، أنا ما أعرفش حاجه عن الموضوع والمفروض ما أدخلش.  
ابتسم قائلاً:

- هو لو زينة ما تدخلتش مين هيتدخل؟! ده أنت تخصص.  
عقدت حاجبيها مع شعورها بسخريته:

- قصدك أيه؟!  
ضحك يجيبها:

- ولا حاجه يا زينة، عموماً أنا هساعدهم على أد ما قدر.  
شعرت بالراحة لسماعها ذلك، لم يخب ظنها فيه أبداً، ابتسمت قائلة:  
- كنت متأكده من ده.

- ماشي يا ستي، روعي بقى على مكتبك وماتجيش إلا لما أندهلك، هعمل كام مكالمه مهمة.  
أومات برأسها لتتركه لحاله.

اتصل برفيقه مرة أخرى:

- تمام الصور وصلت، الأصول كلها معاك طبعًا، هااايل، اسمعني بقى كويس وافهم أنا بفكر في إيه علشان لازم نتحرك سوا، وماندلوش فرصة يفلت مننا أو يئذينا أو يئذي غيرنا، شهاب لو وقع فلوسه كلها هتتصادر ومش هيقدر حتى يصرف على رجالاته والفيران دايمًا أول الهاربين من السفينة الغرقانة، فلازم نغرقها كويس علشان شهاب يفضل لوحده وما نسمعش صوته تاني.  
استمع رفيقه لخطته باهتمام وقد راقت له كثيرًا ووافقها عليها، أنهى المكالمة وهو يتنفس بعمق، استعدادًا لمكالمة أخرى.  
بحث عن رقم شهاب والذي كان محتفظًا به بالفعل، ويعلم أن شهاب أيضًا يملك رقمه، لا يهم، لطالما أحب اللعب بأوراق مكشوفة، ويسعده أن يكون هو من يسقط هذا الحقير.

ثقة بالغة غمرته، حتى وإن كان طلبه كبيرًا لكنه ليس مستحيلًا، هو درس الأمر جيدًا، يريد أن يكون المستفيد الوحيد وفي نفس الوقت لن تسقط شركة الشربيني، لذا طلب أقصى ما يمكن أن يناله منهم، على أمل أنهم قد يعودوا للتفاوض، وحينها سيتنازل قليلًا ويبقى هو الفائز.  
سيتصلوا به ثانية حتمًا، لا سبيل لهم غير ذلك.  
اعتدل سريعًا حين تلقى اتصالًا، لكنه حدق في الاسم للحظات بدهشة، هذه هي المرة الأولى التي يتلقى فيها اتصالًا منه، أجابه بترقب، قائلاً:  
- هو ده بجد ولا ده تهيوأت، سامر بيه شخصيًا.  
- آه شخصيًا.

- ده أنا حد دعالي النهاردة؟!!

ضحك سامر ساخرًا:

- أظنه إنه دعا عليك مش دعالك.

اعتدل شهاب قد تملكه القلق:

- ليه كده بس؟!!

- في صور هتوصلك دلوقتي شوفها وهكلمك تاني.  
انقطع الاتصال، حدق شهاب في هاتفه باستنكار، وفي اللحظة التالية تلقى  
هاتفه رسائلًا مصورة، أسرع بفتحها بأصابع فقدت ثباتها، حدق في أوراق  
جعلت عينيه تجحضان وبشدة.

لنتسارع أنفاسه، وقد دارت عيناه في محجريهما.  
أوراق أصلية ومزورة لمناقصات نالها بالفعل ومنها ما هو تابع للحكومة مما  
يجعله عرضة للسجن لسنوات طويلة، ناهيك عن صور لأوراق بنكية وقعها  
كرشوة لنيل ما لا يستحق. ماله!! عمله!! كل ما فعله سيذهب أدراج الرياح.  
هب واقفًا ولازالت أنفاسه تتسارع مرددًا بذهول:

- إزاي؟! إزاااي!؟!

عاد اتصال سامر فأجابه سريعًا:

- إيه الصور دي، دي كلها مزورة ومفبركة.

جز أسنانه حين اصدمت أذناه بضحكة ساخرة:

- لا يا بابا، أنت عارف كويس إنها لا مزورة ولا مفبركة، ولو الورق ده وصل

للنائب العام هتفتح تحقيقات طويلة وهتقع فيها.

جز أسنانه وقد ألجمت الصدمة لسانه ليقول سامر:

- مش هتسألني أنا ببعثك الصور دي ليه، خلاص هقولك ليه..

قاوم ارتعاش شفثيه وفضل الصمت في انتظار المزيد، ليردف سامر:

- البنبت اللي دخلتها القسم تخرج.

-إيه؟!!!

قالها بغير تصديق، ومع كل الاحتمالات التي ضربت رأسه لم يتصور أن كل هذا

من أجلها هي!!

سامر يدافع عن نانا، ومن أين له بمعرفتها؟!، إلى كم وصلت تلك الحقيرة

بتصرفاتها، أكانت تعرفه هو الآخر.

- سمعتني، البنبت اللي اتهمتها زور بالسرقه تخرجها يا شهاب وإلا.. أنت

الخسران، اتصرف ودلوقتي.



- ياريت كان ينفع بس الوقت مش في صالحنا خلص موضوع البنيت النهاردة  
وأعرف إنها خلاص في أمان هتلاقي الورق عندك بكرة أصلي مش حطه هنا  
تحت ايدي ده في مكان آمن ولازم أجيبه.

- كل الورق يا سامر بيه!!

- كل الورق يا شهاب بيه، سلام.

ألقى بهاتفه بعنف يقول لمساعدته:

- اسمعني بقى وركز معايا، تكلم المحامي يخلص موضوع الزففة دي وتخرج  
قبل النيابة، يظبطها مع الظابط هناك ولا يشوفلها أي حل.

- اعتبره حصل يا باشا.

صمت لحظات مفكرًا:

- أنا مش قادر أثق في سامر ده، حاسس إنه ممكن يدبرلي مصيبة.

- ليه مايمكن عايز دايماً يهددك وقت ما يحب ومايستعملش الورق ده أبدًا.

- وأنا هفضل تحت رحمته.

قالها صارخًا ثم هب واقفا:

- اسمع تحجزلي على أقرب طائرة طالعة دبي وفي نفس اليوم تخلص من سامر  
ده خالص، فاهم خالص.

هز الرجل رأسه بثبات:

- فاهم يا باشا ماتقلقش.

- كلم المحامي وخلصني.

أسرع الرجل بالانصراف، ضرب شهاب سطح مكتبه بقبضته المضمومة بغل:

- هتدفع التمن غالي يا سامر، وبرضو مش هسيب شركة الشربيني دي في

حالتها، مش هطلع أنا إلي خسران في الآخر من كله.

.....

اجتمع جاهين وبسام ومحمد في مكتب الأول وقد فشلت مساعيهم في إنهاء  
الأمر، ولازالت نانا في محبسها وإن على الأقل اطمأنوا أن لا أحد يؤذيها، لكن  
هذا وهي في قسم صغير فكيف سيكون حالها إذا دخلت السجن الفعلي.

غلفهم الصمت وإن كان كل منهم شغله الأمر من وجهة نظره.  
جاهين يعلم أنه من المستحيل منح شهاب ما يريد، فالشركة ستخسر الكثير،  
لكنه لا يستطيع أن يتخلى عن شعور المسؤولية الجاثم على صدره هذا.  
أما بسام فمها كانت شغله الشاغل، في أول محنة قوية تتعرض لها  
علاقتها، يعلم مدى تعلقها بنا، وبقاء تلك الفتاة في السجن أمر قد لا  
تتحمله، بل ربما حتى حياتها معاً لن تتحملة، فهل من المعقول أن  
يخسرها بسبب ما يحدث؟!!!

ومحمد تملك قلبه اليأس في إمكانية نجات تلك الفتاة من هذا المأزق، لطالما علم  
أنها ستتعرض لصفعة قوية عليها تفتيق، لكنه لم يتخيل أن صفعتها ستكون بتلك  
القوة والألم، ليس لها فقط بل للجميع، وعادت مشاعره لها تلومه على تركها،  
أكان سيستطيع إنقاذها بالفعل لو أصر أن يبقى معها، وكيف سيفعل هذا وهي  
ترفض الزواج به؟! ما المطلوب منه أكثر من هذا؟!!!

زفر بحنق لم يستطع كتمه، نظر له جاهين قائلاً:

- مش هنفقد الأمل، إن شاء الله هنلاقلها حل.

نظر له محمد وبسام الذي قال:

- طيب، ماتيجي نساوم شهاب ده يعني يطلب طلب معقول شوية.

عقد جاهين حاجبيه:

- ده معتوه، هو عايز يكبر على حسابنا أي يطلب هيطلبه هيكون خسارة لينا  
ومكسب ليه.

دقات على الباب لتدلف السكرتيرة لتذكر جاهين باجتماع المدراء الذي دعا له  
منذ يومين، ليضرب رأسه:

- ااوه، نسيته خالص.

نظر له محمد قائلاً:

- مش ده أنت عامله علشان يقولوا ملاحظات على الفترة اللي فاتت ومقترحات  
للفترة الجاية.

أوما له جاهين ليضيف:

- خلاص ممكن أحضره أنا وأبقى أبلغكم الملخص.

يريد أن يفر من كل تلك الأفكار بالعمل كما يفعل دومًا.

رن هاتف جاهين ليري اسم سامر على شاشته عقد حاجبيه ثم نظر لهما قائلاً:

- ماشي، بسام معلش أنت كمان احضر معاه الاجتماع ده، لازم حد فينا يكون موجود.

وافق بسام ليغادر ومعه محمد، أما جاهين فاتصل بسامر مرة أخرى.

- أهلاً سامر إزيك؟!!

- الحمد لله، أنا كلمت شهاب.

فغر جاهين فاه فلقد فقد الأمل في أن يفعلها سامر، أردف سامر:

- أعتقد هيحاول يخرج البنت النهاردة ماعدوش أي حل تاني، تابع أنت من عندك وابقى بلغني.

تنفس جاهين الصعداء وهو يقول فرحاً:

- يااااه، أنا مش عارف أشكرك أزاى يا سامر، أنا فعلاً مدين ليك بواحدة.

- يا سيدي، اعتبرنا خالصين لأنى كنت مدين ليك برضو.

- شكراً يا سامر بجد شكراً.

- العفو، كلمني لما تخرج البنت.

أجابه بنعم وانتهى الاتصال، وضع كفه على صدره يتنفس براحة، حقاً الأمر مختلف، ما بين هم يضيق به صدرك وفرج تتنفس معه الصعداء.

اتصل بالمحامي يخبره أن هناك تطورات ستحدث ويجب أن يكون في القسم.

لم يرد الانتظار سيذهب يخبرهما في الاجتماع أن الأمور أصبحت على ما يرام، فهما بحاجة للفرح مثله.

خرج من مكتبه مبتسماً. اصطدم بها تنظر له شذراً، فتوقف وقد انسحبت بسمته لتقترب منه قائلة:

- خير، شكلك مبسوط، لقيت التعويض المناسب لخسارتنا شركة الهيثم ولا

لسه، ولا تكون فرحان علشان حليتوا مشكلة اللي لا تهمننا ولا تخصصنا دي.

هزت رأسها ضيقاً ويأساً من هؤلاء الذين فقدت الأمل فيهم.

ظل مكانه بعد انصرافها، ودار على عقبه عائداً لمكتبه.

وقف أمام النافذة مفكراً. لا يكاد يهدأ باله من أمر حتى يأتي آخر ليعكره، لوى شفتيه بغير رضا، عمته لن يهدأ لها بالاً إلا وتزيحه من طريقها وتضع بسام مكانه، وحتى الآن لا يعرف ما الذي تريده حتى تعاملهما دون تفرقة، وكان عودة أهل بسام لم تغير من الأمر شيئاً

والآن عليه أن يؤمن نفسه أكثر من أي مخططات قد تحيكها ضده، فكيف له السبيل لهذا، يعلم أن بسام معه، لكن هل هذا يكون كافياً؟!.

أخذه عقله لها، لا يعلم هل ستكون في طرفه حين يأتي الوقت لهذا أم هي أيضاً ستراه عدواً يجب التخلص منه، وما الذي سيمنعها من أن تراه عدواً؟!، بل لم لا يضمن ولاءها هي وأمها بأي شكل، ولكن كيف هذا؟ ما الذي يمكن أن يفعله كي يجبرها أن تبقى بصفه؟!.

ليته يستطيع أن يحصل منها ومن زوجة عمه على تنازل بحق الإدارة لكن بسام لن يروق له هذا وربما يرفضه.

- وهي يعني بسمة اللي هتوافق أنت كمان.

"دي أختي وتهمني جداً"

هكذا قالت عن نانا، التي لا تزال في محبسها، ضاقت عيناه للحظة، ما الذي يمنعه من أن يستفيد من كل ما يحدث دون أن يخسر أحداً؟!.

عاد هاتفه للرنين، انتبه لاسم المحامي ليجيبه في الحال:

- إيه الأخبار؟!.

- محامي شهاب وصل أهو، بس الظابط النبطشي في مهمة بره، فتقريباً مش هنعرف نخرجها إلا بكرة.

أضاءت الفكرة في رأسه بلحظة، وبرغم عدم استساغته لها، لكن لا بديل عنها، ليزيد من احتياطاته.

- ماشي خلي نانا تستحمل معانا ليلة كمان، واسمعي علشان عايز منك حاجة تاني، حضر لي تنازليين واحد باسم بنت عمي والثاني باسم مرات عمي عن حق الإدارة والتصويت بنسبة أسهمهم.

صمت المحامي للحظة قبل أن يقول:

- تنازل إداري.

- أيوة إداري.

- حاضر زي ما تحب حضرتك.

- وأنا هعدي عليك بليل في المكتب أخذهم منك، فلازم تخلصهم النهادرة.

- حاضر يا باشمهندس.

أغلق الهاتف ودسه في جيبه، متغاضياً عن تلك الغصة التي ألتمت به للحظة قبل

أن يصر على طيها تماماً، وهو يسكتها بكلماته:

- أنا مش هسرق حد، أنا هحمي نفسي بس.

لم يغب بسام ومحمد كثيراً، وزادت الغصة حين لم يستطع أن يزيل حزنهما،

عليهما أن يصبرا فقط للغد.

تحدثا عن الاجتماع واستمع لهما وبعدها طالب الجميع بالعودة للمنزل فاليوم

كان مرهقاً، وقال أنه سيمر على المحامي أولاً ويعود للمنزل ويطمئنهم.

.....

هل أضاعت أمانتها بحق؟!!

الرعب يضرب قلبها وبشدة حتى أنها تخشى الإلحاح في السؤال عما فعلت نانا

وهما تصران أن في الأمر مكيدة، ولكن لم هذه المكيدة لنانا بالذات؟!، من هذا

الرجل ليكيد لها كيداً كهذا؟!!

هزت رأسها برجاء من القلب أن يكون الأمر ليس كما يصوره لها شيطانها.

وعاد شعورها بالخوف الذي شعرت به حين علمت بقصة بسمه مع الغني

الصغير، ولكم تخشى أن تصدم بقصة مثلها الآن مع نانا!

دفع أحدهم باب غرفتها لتشرئب بعنقها في انتظار أمل واهٍ أنها نانا.

لكنها اصطدمت بوجه غاب عن بصرها لفترة لا بأس بها وكأنهما لا تعيشان

معاً في بيت واحد.

أغلقت الباب خلفها ووقفت ترمقها بنفس النظرة المشمئزة التي لطالما منحتها

إياها.

- خير!!

قالتها فاطمة ولم تستطع أن تمنع عنها نبرات القلق.

ركنت سميحة بسمة ساخرة على شفيتها قائلة:

- هتفضلي طول عمرك فاشلة يا فاطمة.

تغضن وجه فاطمة وهي تنظر لها بضيق وغير فهم، هل اشتاقت إلى أن

تسمعها السيء من الكلام؟!!

- كفاية أنتِ ناجحة يا سميحة!!

ضحكت سميحة:

- سميحة!! بقت بتطلع سهلة كده، أنا المفروض كنت آخذ منك البنيت كمان،

على الأقل كانت هتتربي أحسن مما ربتيها وتعرف ناس أحسن من اللي

معيشاها معاهم.

زمت فاطمة شفيتها وكلمات سميحة تعيد لها كل الذكريات السيئة التي

عاصرتها لسنوات وسنوات.

- عايزة إيه يا سميحة?!!

- عايزاك تبقي أم عدلة مرة واحدة في حياتك وتفكري في مصلحة ابنك.

ذهب غضبها وعادت حيرتها من تلك الكلمات، وعيناها تحمل الكثير من

التساؤل، فاقتربت منها سميحة أكثر قائلة:

- بسام ده طول عمري كنت بحلم باليوم اللي هيتجوز فيه اللي تليق بيه والعيلة

اللي تناسبه، ومع ذلك جيت أنتِ ودمرتِ الصورة دي بشوية بنات ما أعرفش

جايباهم منين.

فتحت فاطمة فاهها تنوي الرد لكن سميحة لم تسمح لها لتردف:

- واللي حسبته لاقيته، مافكرتيش ولاده من البنيت دي هيتربوا إزاي؟!.. مع

واحد أختها بتروح لرجالة بيتهم وتسرقهم وتمشي وأهي هتبقى رد سجون،

مش فارق معاك سمعة ابنك ولا ولاده إلهي في علم الغيب.

ارتجفت شفاه فاطمة وهي تحرق بسميحة بذهول لتقف الأخرى وهي تتجه

للباب قائلة:

- اتصرفي تصرف أم عاقلة بقى، وخليه يسيب البنت دي، لأنه هيعيش طول عمره بيخبيها هي وأختها عن الناس.

ويالها من ضربة تلقاها قلبها الضعيف للتو، لا تقل أثرًا عن ضربات كثيرة لا تعلم حتى الآن كيف يتحملها قلبها ويتعايش معها، تزايد الألم بشكل سريع في صدرها حتى ذراعها الأيسر، أمسكت به وهي تمد يدها إلى دوائها لكن ألمها المتزايد لم يسمح لها بالوصول، تأوهت بألم بالغ وهي تنادي ربها تسأله العون.

فُتح الباب مرة أخرى وظهر هذه المرة بسام الذي انتبه لها فأسرع إليها يعطيها ما تريد أن تصل له وهو ينظر لها بقلق:  
- ماما مالك؟!، أنت لازم تروحي للدكتور.

تناولت دواءها فأعطاها كوب ماء لترتشف منه ولم تستطع التعليق فالألم كان شديدًا، أغلقت عينيها وهي تربت على كفه تحاول أن تطمئنه عليها لكنه هز رأسه قائلاً:

- بكرة هوديك للدكتور.

لم ترفض هذه المرة هي بالفعل متعبة وبشدة، لكنها تمسكت بكفه كي يبقى جوارها حتى سرى الله عنها وخف وجعها.

نظرت نحوه ورغم وجع قلبها الذي خف للتو لكنها كانت تتمنى أن تجد من ينكر كل ما سمعته من سميحة.

- هي نانا تعرف الراجل ده من امتي؟! وبتروحله من امتي؟!!

حدق فيها بسام بدهشة، فلقد أخبرته بسمة أنها لن تخبرها بأي شيء، فلم لم تفعل؟!!

ضغطت بأصابعها على أصابعه تحته الكلام:

- ماما أنتِ تعبانة، ماتشغليش بالك، لسه في أمل نعرف نطلعها بكرة جاهين قال كده.

اغرورقت عيناها بالدموع، لم ينكر؟! لم يقل لها هذا لم يحدث؟!  
كلام سميحة صحيح!!

أدارت وجهها بعيداً كي تخفي عبراتها:

- أنا .. أحسن دلوقتي، روح نام أنت .. أنا هنام.

رمقها للحظات قبل أن يقبل وجنتها ويتركها تنام، أما هي فقد ضخت عيناها من الدموع الكثير.

سميحة محقة هي أم فاشلة!!

جلس بسيارته هُنية، أمسك الورقتين اللتين تحصل عليهما من المحامي، حدق في اسمها الذي كتب عليها.

"بسمة وافي محي الشربيني"

ابنة العم.

لمحة الحسرة التي في عينيه لن يخطئها أحد حتى وإن كانت ظهرت لثواني قبل أن يعود جمود عينيه وثباتهما، لن يتراجع عما أراد أن يفعل، ربما ستكون القاضية في علاقته معها، لكنه منذ ما حدث وقد قرر أن لا علاقة ستجمعهما بشكل طبيعي بعد الآن، فما الضير!؟

تنفس بعمق قبل أن يغادر سيارته، دلف إلى المنزل وتجنب المرور على أمه، سيرها صباحاً، يخشى أن يخبرها بما ينوي فتمنعه عن ذلك وتتجح.

هذا الأمر لن يعلم به أحد، أي أحد حتى بسام ليس من الضروري أن يعرف الآن، لن يفيد هذا في شيء.

وصل غرفة بسام وقف جوار بابها، فتح الباب برفق، وجد بسام قد استقر على فراشه وغط في النوم بالفعل.

أغلق الباب كما فتحه، والتفت ينظر صوب غرفتها، انتبه للضوء الذي ينفذ من أسفل بابها فعلم أنها لا تزال مستيقظة. دار على عقبه ونزل إلى الحديقة،

أمسك هاتفه يستخرج رقمها الذي من الجيد أنه لم يحذفه من ذاكرة الهاتف. أنصت لرنينه ودون إرادة منه تسارعت ضربات قلبه مترقباً، حتى أنه تتمم

لنفسه ..

"في ايه ما تهدي كده!!!"

شعر وكأنها تراقب الهاتف ولن تقوم بالرد، لكنها في النهاية أجابت.  
- أيوة.

رفع بصره حيث غرقتها وكأنه يراها:

- ممكن تنزلي الجنيئة عايز أكلمك في موضوع نانا.  
قالت سريعًا:

- حاضر.

أغلقت الهاتف لتحقق به لحظات، لم تتصور أن يحدثها ثانية وكان الأمر أصبح من المستحيلات، لم تتمهل أسرعت بارتداء إسدالها ونزلت إلى الحديقة لتجده يقف بها، لم تنتظر المزيد من التخمينات اقتربت منه:  
- خير.

حدق بها وكأنه لم يرها منذ مدة طويلة، هل تبدو مختلفة؟!!

- خير يا جاهين؟! كلمت سامر هيساعدنا؟!!

انتبه لنفسه وأنه أطل النظر لها، فأشاح ببصره عنها، وكأنه يخشى أن يحفظ معالم وجهها ثانية:

- إن شاء الله خير.

عادت الغصة وكأنها تنبهه أن ما قرر أن يفعل ليس بالشيء الجيد، لكنه لن يتراجع وهو يعلم هذا، والآن فليرتدي الرداء الأنسب لما ينوي أن يفعل ويتناسى أي شيء آخر.

- أنا عندي اللي يخرجها من ورطتها زي الشعرة من العجين.

نظرت له بنظرة أمل وسعادة واضحة، ها هو جاهين الذي تعرفه رغم كل محاولاته لإثبات العكس.

- طب قول مستني إيه؟!!

لاحظت ارتكان بسمة ساخرة على طرف شفثيه وكذبت عينيها لكنه قال ما يؤكدها:

- كده خبط لزق.. ببلاش.

عقدت حاجبيها، هل ما سمعته صحيح؟!!

أيساوم؟! .. جاهين يساوم؟! .. ولكن بماذا وعلى ماذا؟!  
تجمعت الكلمات على لسانها بصعوبة:

- مش فاهمة .. قصدك إيه؟!  
زفر قائلاً:

- عايزاني أساعد نانا وأخرجها ما عنديش مشكلة بس في المقابل عايز تنازل  
رسمي مكتوب منك ومن مرات عمي عن حق الإدارة بما يعادل أسهمكم في  
الشركة.

حدقت فيه بذهول تحول لغضب:

- أنت بتقول إيه؟! .. أنت فعلاً بتساومني وعلى مين على حرية نانا؟  
أفلت ضحكة ساخرة قائلاً:

- مابلاش أنت .. أنت ساومتِ على اللي أغلى من حرية نانا، ساومتِ على حياة  
أخوكِ ولا نسييتِ، نانا ماتخصينيش في حاجه دي جميلة هعملها معاكم مش أكثر  
بس برضو هشوف مصلحتي، القرار في أيديك، لو موافقة تيجي تقولي لي  
وتمضي على الورق المطلوب أنتِ ومرات عمي وبعدها أوعدك نانا تكون في  
البيت.

تركها يستدير بينما هي ترمقه بنظرات غاضبة حارقة تقول من بين أسنانها:  
- أخيراً شوفت وشك الحقيقي!!

توقف مكانه دون أن ينظر إليها لتستمر كلماتها:

- أخيراً الماسك اللي كان على وشك وقع، أنت فعلاً ما يهمكش غير مصلحتك  
وللأسف الكل فاهم غير كده، بس خلاص أنا عرفت مين جاهين الحقيقي.  
صمتت وأصابعها تعتصر بعضها البعض، تحرك دون كلمة يدخل إلى المنزل،  
تبقى مكانها مشتاة غضباً وضيقاً.

لا تصدق أنه بالفعل تبدل لهذه الدرجة.

أهذا جاهين المتفاهم، المتعاون، المحب لعائلته؟!!

ماذا أصابه؟! ولم أصبح هكذا؟!!

ودون شعور منها امتلأت عيناها بالدموع، تبكي!!

وضعت كفها على فمها تكتم شهقاته، ألا يكفي ما هي فيه من ضغوط لم يستمر الجميع في توجيه الضربات المؤلمة لها.

لم تستطع الوقوف أكثر لتجتو على ركبتها، وقد زاد بكاؤها، وقد أطبقت أصابع وهمية على عنقها تصيبها بالاختناق. حاولت أن تنال شهيقاً تلو آخر ونجحت بصعوبة.

أمسكت هاتفها وشعرت أنها بحاجة للحديث معه، الشخص الوحيد الذي لا يهتم إلا بها.

ولكن ماذا تخبره؟!

أنها الآن عرضة للمساومة على حقها المشروع في إدارة ما تملك. هزت رأسها بعنف:

- مش عايزة حاجه، رجعوني زي زمان تاني مش عايزة حاجة.

رن هاتفها لتتظر له وتكتم المزيد من البكاء، أيمنه الشعور بها بأسوأ لحظاتها.

أجابته؛ فأتاها صوته:

- بوسي، ها طمني في جديد؟!

حاولت أن تقول أي شيء بلا بكاء لكنها لم تستطع فقط استمع إلى نشيج بكائها ليقول:

- مالك يا بوسي، أنت بتعيطي؟!

- مم.. معاذ أنا تعبت.

- مالك بس في أيه؟!.. ما عرفتش تطلعوها.

هزت رأسها بلا وكأنه يراها.

- ردي عليا يا بوسي بتعيطي ليه؟!

- معاذ هو ممكن حد يحب ويكره أوي، ولا اللي بيكره ده يبقى عمره ما حب،

إنت ليه ماكرهتنيش رغم إنني بعدت عنك طول السنين دي؟!

هز رأسه بغرابة:

- بسمه أنت بتقولي أيه؟! أنا مش فاهم منك حاجه.

صمتت وقد لاحظت كلماتها العجيبة، أهذا وقت لتقارن، ولماذا تقارن؟! ألم تختار وانتهى الأمر؟!!

حاولت أن تهدئ من روعها:

- خلاص يا معاذ، أنا باين مضغوطة جامد بسبب موضوع نانا وبخرف، بس خلاص هتتحل إن شاء الله.

- طيب يا ستي اهدي بقى، بس إيه التخريف العجيب ده؟!!

- شكرًا يا معاذ إنك ماكرهتنيش رغم كل اللي حصل!!  
ضحك قائلاً:

- والله، العفو ابقى تعالى كل يوم.

أفلتت ضحكة من وسط عباراتها ليقول:

- أيوة كده، ما أحبش أشوفك بتعيطي أبدًا، وعلى فكرة بقى بعد موضوع نانا ما يخلص هنمشي في موضوعنا أحنا كفاية تأجيل لحد كده.

أومأت برأسها وهي تنظر إلى حيث اختفى هو:

- صح، كفاية لحد كده.

- طب قومي اغسلي وشك بقى وبطلي عياط، وبكره الصبح هكلمك تاني.

أومأت وهي تودعه وتغلق الهاتف، وقفت وهي تمسح عن وجهها العبرات التي أغرقتة، وقد زمت شفتيها غضبًا وحنقًا.

- ماشي يا جاهين، بس أنا هعرف أرجع حقي وحق أمي تاني.

دلفت للمنزل وصعدت الدرج، وقفت أمام غرفته تطرق بابها، لحظات قصيرة وخرج لها.

لم تغفل ارتجاف عينيه وهو ينظر لها، ملامح وجهها الباكي ظاهرة للعيان، لكنها تغاضت عن هذا قائلة:

- فين الورق؟

خفض بصره للحظة قبل أن يدس يده بجيبه ويخرج الورقتين، لتقول:

- همضي بتاعتي بس معلى بتاعة ماما هخليها تمضيها الصبح مش معقولة هصحبها دلوقتي.

أوما برأسه ليقول:

- ماشي، وعمومًا لازم تعرفي أن ده تنازل إداري بس، فلوسكم مش هقربلها.  
منحته نظرة ساخرة ممزوجة باستحقار، أيريد أن يحسن الصورة الآن؟! -  
مش هتفرق.

قالتها وهي تدور على عقبيها وتختفي من أمامه، ولم تشعر بأثر كلمتها عليه،  
وقد ضم قبضتيه بقوة، وهذه المرة الغصة كانت أقوى أثرًا وأطول ألمًا.  
أغلق باب غرفته يستند عليه، ويزفر بقوة مُتخلصًا من كم هذا التوتر، لكنه لم  
ينجح في هذا وعقله يردد عليه كلماتها... "أخيرًا شوفت وشك الحقيقي!!"  
زم شفتيه يرد عليها:

- بعد ما ورتيني وشك الحقيقي.

## الفصل الخامس عشر

يا حزين يا قمقم تحت بحر الضياع  
حزين أنا زيك و إيه مستطاع  
الحزن ما بقالهوش جلال يا جدع  
الحزن زي البرد ... زي الصداع  
عجبي!!

### رباعيات جاهين

جاء الصباح ولم يكن أفضلهم، أشرقت الشمس على أهل هذا المنزل الذي يعيش أيامًا عسيرة.

كل وجوه أصحابه لم تحمل أي معنى للسعادة.

كل الوجوه حزينة، متجهمة، وربما غاضبة.

كل الوجوه عادت للماضي رغم علمهم أن هذا لن يغير من الحاضر شيئًا، لكنها عودة لا تزيد القلب إلا حسرةً وندمًا.

أمسكت بالورقة التي تخصها بعد أن ذيلتها بتوقيعها، جفت الدموع ونضبت ولم يعد في إمكانها منحها المزيد، ها هي تتنازل عن حقها في إدارة أسهمها التي بالفعل لم تكن تديرها، لكن التنازل الإجباري هذا مختلف، يشعرها بالقهر والضعف، وبالكثير من الغضب والحنق على جاهين.

لا تصدق أنه تبدل هكذا، أكانت هذه طبيعته من البداية والتي غفلتها تمامًا؟! إلا أن حب بسام له وكلامه عنه يختلف عن هذا كثيرًا.

وعاد ذلك خاطر يلح عليها منذ أمس، جاهين تغير عليها هي فقط، جاهين يؤذيها هي فقط، جاهين ينتقم منها هي فقط.

"يعني جاهين شافكم، يالهووي، كويس أنه ما جابكيش من شعرك واداله هو علقه"

كلمات قالتها نانا حين قصت عليهما ما حدث يوم رأت معاذ.

نانا!!

كم تفتقد تلك الفتاة، لا بأس، لا يهم إدارة بضعة أسهم من أجل عودتها.  
لنتتم:

- هتفضل تاخذ حقك مني لحد أمتى يا جاهين، أنت ليه مش شايف غير نفسك!!  
أمسكت بالورقة الخاصة بأما لتذهب إليها، الوقت لا يزال مبكرًا لكن هي  
تستيقظ دومًا مع الفجر. وبالفعل كانت مستيقظة تنظر لها بتجهم أرجعته بسمة  
لغياب نانا، اقتربت منها قائلة:

- صباح الخير يا ماما، عاملة إيه النهاردة؟!  
- الحمد لله.

فتحت الورقة قائلة:

- معلىش يا ماما ممكن تمضي على الورقة دي.  
حدقت فاطمة بالورقة ثم بابنتها:

- ورقة إيه دي؟!!

- حاجه ليها علاقة بالشركة، هبقى أفهمك بعدين امضي بس عليها ضروري.

- ده وقته يا بنتي مش تشوفي...

- يا ماما نانا هتطلع النهاردة إن شاء الله.

- بسام اللي مديهالك?!!

رفعت بصرها لأما ترمقها لحظات:

- لأ، جاهين، امضي يا ماما.

أمسكت الورقة والقلم الذي منحته بسمة لها لتقول:

- خير جاهين مايتخيرش عن بسام.

لم ترَ البسمة الساخرة التي ارتكنت على شفتي ابنتها، وقعت الورقة ببطء  
وبخط ركيك، فهي لم تكمل تعليمها لكن هذا لم يمنعها من تعلم القراءة والكتابة.  
طوت بسمة الورقة فأوقفتها فاطمة:

- نانا مش هتطلع?!!

- لا ياماما، إن شاء الله النهاردة تطلع، ماتقلقيش.

لم يظهر على وجه فاطمة أي علامات فرح فقط تنظر لابنتها بصمت، عقدت بسمه حاجبها من رد فعل أمها ثم تغاضت عن هذا، فهذا البيت معبأ بكل الطاقة السلبية المتاحة في هذا العالم.

غادرت غرفتها وتوقفت أمام غرفته، طرقت بابها ببطء، مرت لحظات قبل أن يظهر أمامها وهو لا يزال بملابسه البيتية.

رفعت الورقتين وهي تتفادى النظر له.

أما هو فأمسك بالورقتين، وما إن فعل حتى استدارت مبتعدة.

وبرغم أن الأوراق معه وتحقق له ما يريد، لم يكن سعيداً كما توقع.

حدق في توقعيهما، وتغضن وجهه حين رأى توقيع فاطمة الهزيل، وتعاضم داخله شعور من يأخذ ما ليس له ممن هم أضعف منه.

فعاد صوت نفسه تدعمه

"أنت مبتئذيش حد، أنت بتحمي نفسك، وكل شيء هيرجع زي ما كان في يوم من الأيام"

عاد للداخل، يبدل ثيابه ويوقظ بسام، ذهب إلى القسم لإحضار نانا، وتذكر أن يتصل بمحمد أيضاً يخبره ويرفع عنه هم الانتظار والترقب.

.....

أخبروها بالأمس أن خروجها صار وشيكاً وعليها الانتظار لليلة أخرى فقط، لتستمر في ذلك العذاب النفسي المهين، تجلس في ركن قصي، تكوم نفسها فتبدو من بعيد كجسد متكور لا يبدو له معالم، لا تنظر لأحد، لا تكلم أحداً، فقط تبكي وتدعو ربها، أو تغفو فتستيقظ فزعه خوفاً من غدر من حولها من البشر. وجاء نداء الإنقاذ، ودعوتها للقدوم لإتمام إجراءات الخروج تصحبها همزات ولمزات ضاحكة من الأخريات.

"هتوحشينا يا قطة، ابقى خرينا نشوفك"

قالتها من أوسعتها ضرباً ولم تلتفت نانا لها، خرجت وهي تترنح ضعفاً وألماً مما يعتمل بجسدها.

وصلت مكتب الضابط الذي أشار لها فجلست حيث يوجد المحامي أيضاً.

وبعد دقائق أخرى ظهر جاهين وبسام، لتنتهي الإجراءات بعد أن جاء كلام  
المجني عليه عن طريق محاميه مغايرًا للسابق وأنه عثر على ما كان يظن أنه  
سرق منه، وأنه أخطأ في الأمر.

وأصبحت نانا حرة.

اقترب منها جاهين:

- حمد الله عالسلامة يا نانا، يالا بينا.

لم ترفع بصرها له، بل لم ترفع بصرها عن الأرض منذ أخرجوها من زنزانتها  
المظلمة، زمت شفيتها تكتم وصلة بكاء جديدة تداعب جفونها التي تورمت من  
بكاء دام طويلاً.

قال لها:

- قادرة تمشي.

أومات برأسها برغم عدم معرفتها بالإجابة حقًا، وقفت تتبعه.

خطواتها بطيئة بل زاحفة، عيناها تعلقت بكعب هذا السائر أمامها فقط للتأكد  
أنها تسير في الطريق الصحيح.

الرؤية مشوشة، والعقل غائب، والقلب يئن!

الضعف تلبس كل جسدها وبالكد تجد القوة التي تسير بها على قدميها، لاح لها  
ضوء النهار فور خروجها من المبنى.

توقف دليلها فتوقفت، ليتزحزح من أمامها، وظهر آخر.

رفعت رأسها لتراه.

ملامح مكفهرة، وأسنان تصطك غضبًا أم غيظًا؟.. لم تفهم، وليتها لا تفهم.

تعلم أنها الآن فقط خسرت كل شيء.

عبراتها التي لم تجف منذ أن وطأت هذا المكان لم تشفع لها عنده.

تمنى أن يمنح وجهها صفة تلو أخرى لكن وجهها المتورم جعله يعدل عن هذا  
لقد تلقت ما فيه الكفاية.

- يارب تكوني فوقتِ بقي.. بس لنفسك مش لأي حد لأنك خلاص خسرتِ،

خسرتِ كل حاجه.

عاد جاهين يحول بينهما:

- مش وقته يا محمد.

دار على عقبه يغادر، ليس لديه المزيد يقوله أو يفعله، أراد فقط أن يطمئن بعينه أنها أصبحت حرة، وانتهى الأمر له عند هذا الحد.  
أما بسام اكتفى بالصمت، اتجهوا إلى سيارة جاهين يفتح لها الباب الخلفي قائلاً:

- معلش بسام مرضيش يجيب حد من البنات، هما مستينك في البيت.  
اكتفت بإيماءة صغيرة، لتستقر في مكانها.

جلس جاهين أمام عجلة القيادة يجاوره بسام، الذي لم ينطق بحرف معها، حتى وكزه جاهين ليحثه على قول أي شيء، لكنه أشاح بوجهه بعيداً يطالع الطريق، مط جاهين شفثيه واكتفى بالتركيز في القيادة.

.....

دارت مها في الحديقة، على غير هدى، بينما تجلس بسمة تراقبها مشفقة.  
طلبت منها كثيراً الجلوس حتى يعودوا لكنها لا تستطيع فور أن تجلس وكأنها جلست على أحجار من جمر لتهب واقفة مرة أخرى، يأست بسمة من إعادة الطلب وتركتها.

- بجد يا بسمة المرة دي هتيجي!!

- إن شاء الله يا حبيبتي اهدي بقى، كل شوية تسأليني.

اقتربت تجلس جوارها، يهتز جسدها برتابة، يغلبها الشك في أن هذا الكابوس سينتهي، كل يوم يقولون لها غداً ولا تخرج، فهل سيصدقون تلك المرة؟!  
بالأمس ظلت بغرفتها تصلي وترجو ربها حتى أنها لم ترَ بسام، ولم يشغلها كثيراً عدم رؤيتها له، فقلبها يئن خوفاً ورعباً على شقيقتها الوحيدة.  
قلبها الذي انتفض الآن مع سماع صوت محرك السيارة التي ظهرت وتعرفتها، سيارة جاهين.

هبت واقفة وكذلك بسمة، وقفت السيارة وترجل بسام منها ومن بعده جاهين الذي دار حول السيارة يفتح الباب الخلفي وظهرت نانا لهما.

صرختا وهما تعدوان إليها، حتى أنهما تعلقتا بها قبل أن تكمل رحلة هبوطها من السيارة.

أشاح جاهين بوجهه وقرر الدخول للمنزل وكذلك فعل بسام، بينما أصوات بكاء الفتيات يتعالى.

مها ألصقت وجهها بصدر أختها غير عابئة برائحة السجن التي لم تترك أختها بعد، وبسمة احتضنت وجه رفيقتها ورأت ما فيه من تورم لتقول من بين دموعها:

- إيه يا نانا ده مين اللي عمل فيك كده.

نظرت لها بعينين تنضح ماءً، لتحاول التحرك لكن قواها لم تساعدتها بل هو شعور الأمان الذي يخفض مستوى الأدرينالين بالجسم لتهوى بين أذرعهم فاقدة للوعي، لتصرخ مها باسم أختها.

ظهر الشابان على صوت صراخها ليريا نانا مغمضة العينين بينهما. أسرع جاهين إليهما وكذلك بسام فقال الأول:

- وسعوا طيب.

ابتعدتا فحملها من فوره ليدخل بها إلى المنزل قائلاً:

- اطلب دكتور يا بسام.

ظهرت فاطمة أعلى الدرج وكذلك خرجت ميادة من غرفتها وهي ترى ابنها يضع نانا الغائبة عن الوعي على الأريكة، تقترب مهرولة:

- إيه مالها؟ يا الله هي وشها متبهدل كده ليه، هما ضربوها.

نزلت فاطمة على قدر صحتها التي تأثرت كثيراً مؤخراً ليتلقى القلب ضربة جديدة بروية وجه نانا الذي يظهر كم عانت، رمقتها بعيون باكية وإن حملت اللوم بين طياتها.

مها تبكي وهي تمسح على وجه أختها المتورم، بسمة تجثو هي الأخرى جوارها، تركهم جاهين يتابع اتصال بسام بالطبيب، الذي لم يتأخر في الحضور وحين سأل عن وجهها المتورم أخبروه أنها تعرضت للضرب حين تم القبض عليها خطأ.

طمأنهم على حالتها الجسدية وأن ما هي فيه إرهاق وقلّة طعام، وطلب منهم منحها حمامًا دافئًا ووجبة خفيفة تنام بعدها وكتب لها بعض المقويات. واستعادت نانا وعيها بالفعل لتعتمد على مها وبسمة في الصعود لغرفتهما، ونفذا كلام الطبيب.

وتناولت نانا بضع لقيمات ورفضت المزيد لتنام على فراشها ودثرتها بسمة جيدًا وهي تقبل رأسها.

خرجت من الغرفة، مها تجلس في الخارج باكية، اقتربت منها تربت على كتفها:

- إيه بس يا مها، الحمد لله أهي بقت معانا.

هزت مها رأسها تقول بألم:

- شايقة عملوا فيها إيه، إيه البني آدمين دي، إزاي يأذوا حد كده؟

رمقتها بسمة بشفقة لتضم رأسها إليها:

- أنت حد قلبه أبيض أوي يا مها، عمرك ما هستوعبي الناس اللي ممكن تأذي كده.

- ليه يا نانا عملتي في نفسك كده... لبييه؟!!

- بس يا مها لتسمعك هي مش ناقصة، هي محتاجانا دلوقتي نخفف عنها ونقف جنبها خلي اللوم ده في الآخر.

توقفت عن الكلام وإن لم تتوقف عن البكاء ولا زالت بسمة تضمها وتمسد رأسها.

.....

أطمأن من رفيقه أن البلاغ يسير بشكل جيد وحتماً سيتم الإمساك بشهاب قريبًا جدًا، وربما اليوم على أقرب تقدير، مع إصدار قرار من النائب العام بالتحفظ على كل أمواله. زفر براحة، الآن عليه أن يعاود التركيز في مشاكله هو.

وأولها حديثه مع سما الذي لا يجب أن يتأخر عن ذلك.

حمل مفاتيح سيارته، خرج من مكتبه فانتبهت زينة له.

وقف أمامها يقول:

- يالا علشان هتيجي معايا.

- على فين؟!!

- شركة الهيثم.

اتسعت عينهاها:

- فعلاً، خلاص اتصالحت مع مامتك وأخوك.

- لأ.

ذهبت فرحتها سريعاً، فأردف:

- أنا هروح أتكلم معاها وعائزك أنتِ بقى تروحي الحسابات وتطلبي منهم كشف كامل بميزانية السنة دي، وقولي لمدير الحسابات إني أنا اللي طلبت منك كده، وهو هيدوهولك.

أومات برأسها دون تعليق، تحرك وهي من خلفه، تخبر حسن سريعاً بخروجها وإذا تأخرا فليغادر هو.

ظل صامتاً في السيارة، انشغل عقله بما يجب أن يقوله لها، هو لا يفكر في المصالحة لأنه يعلم أنه لو بدأ الأمر سيعود لنقطة الصفر وعليه أن يبقى تحت طوعها لبقية عمره، وهذا ما لن يقبل به أبداً، لن يحيى بقية عمره على حسب شروطها هي!!

إذاً عليها هي أن تبدأ بالمصالحة ليُعلمها جيداً برغباته وحرите التي لن تنالها منه مرة أخرى، إلا أن هذا الظن يبدو مستحيلاً، لم يكن قد رآها لفترة طويلة ومع ذلك حين دخلت مكتب المحامي لم يرَ في عينيها أي نظرة شوق واحدة ولو كذباً، وكأنه لا يعينها في شيء، فهل بعد ذلك ستتنازل كي تصالحه؟.

- هو معلش يعني، أنت رايح تتصالح يعني ولا رايح تتخانق.

انتبه لزينه التي تقريباً نسي أنها معه بالسيارة، فقال ولازال يتابع الطريق:

- أنا رايح أجيب حقي اللي هي مصره تحرمني منه.

- يعني هتتخانق.

أقلت ضحكة قصيرة وهو يهز رأسه تعجباً منها، صمتت لحظات أخرى لم تدم طويلاً:

- طيب يعني مش الأحسن أنكم تتصالحوا، دي أمك برضو وده أخوك وأنتو مالكوش غير بعض، هما مش بيوحشوك، مامتك يعني وأخوك. صمت حتى ظنت أنه لن يجيب.

- هي لأ، هو آه.

لوت شفتيها مرددة:

- هي لأ!!

لتزفر قائلة:

- ماعلينا، هو بيوحشك علامة مبشرة يبقى نحاول نصلح الدنيا بدل ماهي خربانه كده، وترجع لأخوك ولمامتك.

نظر لها بطرف عينية وعاد لمتابعة الطريق، أيخبرها أن عودته لسما تعني أنه سيخسرهما هي للأبد، أعليه أن يشاركها مشاعره الآن وأن كل ما يفعله هو أنه يريد المزيد من الاستقلال بحياته فيستطيع أن يجعلها جزءاً منها. اسكتي يا زينة، أنتِ ماتعرفيش حاجه.

زمت شفتيها ضيقاً وهي تشرح ببصرها للطريق. نعم هي لا تعرف شيئاً وتتمنى أن تعرف عنه كل شيء، لكنها ليست إلا سكرتيرة مكتبه ولن تعرف إلا ما يخص حدود العمل.

وهكذا ستكون له دائماً.

وصلا إلى الشركة وترجلا من السيارة، دخلها سامر بثبات وتبعته هي، تلاحقه تحيات الموظفين الذين افتقدوا مديرهم لفترة طويلة.

وصلا للمصعد ليقول سامر:

- روعي أنتِ الحسابات على طول، وابقى استني هنا لحد ما أرجع.

- حاضر.

وافترقت عنه تذهب إلى قسم الحسابات وأكمل هو طريق الصعود حتى يصل للدور الذي كان مكانه الدائم لسنوات طويلة، وأصبح الآن من المحرمات.

وقفت السكرتيرة حال رؤيته:

- سامر بيه!!

- حد معاها جوه.

هزت رأسها بلا ففتح الباب وأغلقه خلفه.

التقت أعينهما في الحال، ولم يبدُ عليها أي رد فعل للحظات، ثم بدت تظهر ابتسامة ساخرة على شفثيها:

- معقول، الباشمهندس سامر بنفسه في مكتبي، خير يا رب.

اقترب بخطوات هادئة، وقف أمام مكتبها وظل صامتًا. عقدت حاجبيها:

- أتمنى تكون عقلت.

فرج شفثيه أخيرًا:

- عقلت!! أنا نفسي أفهم؟!.. أنتِ بتعملي فيا كده ليه؟! ليه مصرة تتصرفي

كسيدة أعمال مش كأم؟! ليه مصرة تجبريني أكرهك؟!!

خفضت بصرها للحظة ثم نظرت له ثانية:

- أنت عارف إن كلام العواطف ده مش بيوجب معايا نتيجة، فلو عندك موضوع

خش فيه على طول.

هز رأسه بياس، لا فائدة فيها، وعليه أن يفقد الأمل كذلك.

- أنا عايز حقي، مش من حقتك تتحكمي في ميراثي من أبويا، وأشمعنا أنا اللي

تتحكمي فيا بالشكل ده؟!.

- لا ماتقلقش علشان تعرف إني مش بفرق، معاذ ماضي على ورقة زيها.

ضحك ساخرًا:

- والله، ده على أساس المساواة في الظلم عدل، اسمعي أنا ماليش دعوة

بمعاذ، أنا مش هسمح لحد يتحكم في مالي، ابطلي الورقة دي يا هرفع قضية

وهاخد حقي بالقانون، أنا مش قاصر والورقة دي لا تجوز.

- يااه، هي حصلت تودينا المحاكم!!

زاد غضبه وهو يرمقها بحنق لتقف وهي تستند على مكتبها بكفيها:

- بلاش يا سامر تجيب معايا الآخر لأنك أنت اللي هتندم زي كل مرة، والمرة

دي هتكون الأخيرة، ارجع الشركة أحسن لك، أديني بقولك للمرة الأخيرة.

رفع حاجبيه محاولًا استيعاب كلماتها:

- ده تهديد مباشر ولا إيه؟! .. وكمان الأخيرة، إيه هتقتليني!!

حدجته بنظراتها الباردة دون رد، فمال ناحيتها قائلاً:

- طيب افتكري بقى إن أنا جيت لحد هنا، ودي حاجة مش هتتكرر، حقي هاخده،

وهتصرف فيه بمزاجي أبيع اللي أبيع وأسيب اللي أسيبه، وهيجي يوم وأنتِ

اللي هتبقى بره الشركة دي، وافتكري كلامي ده كويس يا سما.. هانم.

ضمت قبضتيها تكم غضبًا، استدار هو يبتعد تلاحقه كلماتها الساخطة:

- زي ما أنت عايز يا سامر، للأسف كل كلامك مش هيحصل وأنتِ اللي

هتشوف بنفسك، وافتكر إن أنتِ اللي اخترت.

خرج وهو يضرب الباب خلفه بعنف حتى أن السكرتيرة انتفضت في مكانها

وهي تحرق بوجهه الذي احمر غضبًا.

تحرك بعصبية ليتجمد مكانه حين سمع صوته:

- سامر.

التفت ينظر لوجهه الذي حرم منه لفترة لا بأس بها، رغم أنه كان يبتعد عنه

لفترة طويلة بسبب العمل إلا أن اتصالاتهما ببعضهما كانت تعوض ذلك أم

الآن فلا صوت ولا صورة.

وقف كل منهما في مكانه، يتبادلان النظرات وحسب، ومعاذ لم يستطع أن يخفي

نظرات الافتقاد لأخيه الأكبر، أما سامر فغضبه لازال هو المسيطر فلم يرَ معاذ

تلك الرجفة التي أصابت أخاه بروئيته، وأراد أن ينهي هذا الموقف قبل أن تظهر

مشاعره، دار على عقبه وأكمل طريقه، هرع معاذ خلفه ليمسك بذراعه:

- سامر أرجوك استنى.

توقف سامر وتجنب النظر له، فوقف معاذ أمامه:

- سامر، أنا مش مصدق، أنت رجعت، أنت واحشني أوي، ممكن نتكلم... تعالى

نتكلم.

جذب سامر ذراعه من بين أصابع أخيه بقوة:

- مافيش حاجة نتكلم فيها، أنا مارجعتش، أنا جيت أقولها كلمتين وماشي.

زم معاذ شفتيه قائلاً:

- طيب وأنا، أيه خلاص مابقتش مهم عندك.  
رمقه سامر بغيط:

- أنت اللي بتقولي الكلام ده، بعد كل اللي عملته؟!!!

- سامر أنت مش عايز تعترف ليه أن أنت كمان غلطت في حقي، وخذت قرار  
يخصني لوحدي.

أغلق سامر عينيه قبل أن ينظر له بنفس الغضب:

- أنت مافيش فائدة فيك، مش خلاص خدت اللي أنت عايزه.

- أنا عايزك أنت كمان.

قالها معاذ بإصرار، فضحك سامر بسخرية، وضع إصبعه على صدر معاذ ينقره  
بقوة مرة تلو أخرى وهو يقول:

- أنت دايمًا عايز كل حاجه، أتعودت تاخذ كل حاجه.

ورغم ألم تلك النقرات القوية لم يتحرك معاذ وهو ينظر لسامر باستجداء، بينما  
أردف الأخير:

- والغلطة غلطي أنا وأنا اللي دفعت التمن وأوعى تفتكر إنك في أمان، يوم ما  
سما تعرف مين البنت دي هتشوف منها اللي عمرك ما شوفته واللي حاولت  
أحميك منه، لكن خلاص، هي خلصت عندي.

خفض معاذ بصره بينما يبتعد سامر من أمامه، أخسره للأبد بالفعل!؟

عاد ينظر له ليجده يختفي داخل المصعد فناده وهو يهرع إليه:

- سامر.

زفر بحنق لأنه لم يلحق به ضغط زر المصعد المجاور ليلحق به.

وصل سامر للدور الأرضي، غادر المصعد ودار ببصره بحثًا عن زينة التي

ظهرت وهي تلوح له، تحرك ناحيتها فرفعت له مظروف صغير:

- ده الورق اللي أدهوني.

- تمام خليه معاك، هنرجع المكتب.

أومات برأسها تحرك فتبعته، لكنهما توقفوا مع صياح باسم سامر، التفتا لمعاذ  
الذي يعدو نحوهما.

- سامر، أرجوك اسمعني، أنا مش طالب غير أننا نقعد شوية مع بعض، كده مش هنتفاهم.
- نتفاهم على إيه؟!!
- سامر علشان خاطري، ده أنت كنت بتقول إني أنا ابنك مش أخوك، هو أنا ماوحشتكش.
- هز سامر رأسه.
- "وحشته على فكره"
- التفتا لزينة التي تقف تتابع ما يقولان فعقد سامر حاجبيه غضبًا، فهزت كتفها بلا مبالاة مردفة:
- دي شهادة حق.
- ابتسم معاذ وقد منحته زينة بعض الأمل:
- وأنت كمان وحشتني أوي يا سامر، أنا أول ماشوفتك فرحت جدًا نسيت كل حاجه وكنت مبسوط إني شايفك، سامر أنت ماتعرفش أنت مهم عندي أد إيه؟!!
- ودي فرقت معاك في حاجه، ده أنت عملت فيا اللي ماعملوش ألد أعدائي.
- أراد التحرك مجددًا فأمسك به معاذ:
- سامر أنا مش عايز حاجه، ارجع الشركة، خد المنصب إلكي أنت عايزه، خلىنا نرجع زي زمان بقى.
- أمسك سامر بكفه يزيحها:
- سيبنى دلوقتي يا معاذ، أنا مش فايقك.
- زفر معاذ بيأس وهو يتركه ويبتعد، بينما تتابع زينة ما يحدث بصمت وحزن، لم تتصور أن يكون سامر عنيدًا هكذا.
- نظر معاذ لها:
- ممكن تكلميه طيب، أنا عايز أقعد معاه وأتكلم، عايزه يسمع كل حاجه مني.
- أشفقت زينة عليه:
- حاضر هكلمه خلاص، ربنا يصلح الحال.
- "زينة يالااا!"

صاح بها سامر الذي وصل لباب الخروج ، تحركت تلتحق به يتبعها معاذ محاولاً حثها على إيجاد أي وقت مناسب يأتي له في المكتب ويتحدث إليه، وطلب منها العنوان.

وصلا للخارج وأملت عليه العنوان سريعاً، وقف سامر أمام باب سيارته ينظر لزينة بضيق وهو يعاود النداء كي تسرع.

- خلاص بقى ده هيلوع فيا أنا.

أسرعت إليه لتقف على الجانب الآخر من السيارة معذرة، شخص ببصره ناحية معاذ، الذي لا زال يقف وعيناه تحمل الكثير من الرجاء قبل أن يترك النظر إليه ويركز في الطريق بعينين متسعيتين ويصرخ باسمه بشكل مفاجئ:  
- ساء الامر.

التفت سامر للجانب الأيمن ولم يجد الوقت ليتفادى مقدمة تلك السيارة التي تندفع ناحيته بسرعة رهيبه، فحاول القفز إلا أن كل ما فعله هو ارتفاعه عن الأرض بضع سنتيمترات، لترطم به السيارة وهي تحتك بسيارته بقوة، فانزلق فوق سطحها الأملس يضرب زجاجها بجسده ويكمل جسده دورته فوق السيارة التي لم تنخفض سرعتها على الإطلاق، حتى استقر جسده على الأرض بعنف. وكان آخر ما وصل لعقله قبل أن يغرق في الظلام صراخ زينة المتواصل.

جلس في صالة الانتظار، وقد غلبه توتره، يريد الخروج من البلاد بأسرع وقت، لا يمكنه أن يطمئن لسامر أو يثق بما يقول.

وصل تنبيه رسالة جديدة إلى هاتفه، فتحها سريعاً يقرأ حروفها القليلة:  
"تم يا باشا"

اتسعت بسمته في الحال، يتمتم:

- معلش بقى يا سامر بيه، أنت اللي اخترت نهايتك المأساوية دي.

وصل له نداء رحلته ليستعد للمغادرة، تحرك وعلى شفثيه ابتسامة ثقة وانتصار، حتى وإن لم ينل كل ما يريد لكنه سيعود حتماً فالحيل لم تنته كلها بعد.

أنهى إجراءات السفر العادية ليقف بجواز سفره أمام الضابط الجالس على جهاز الكمبيوتر يتأكد من تأشيرته قبل أن ينتبه للاسم فعاد لجهازه يضرب أزراره، رفع رأسه ينظر لشهاب الذي تخلت ثقته عنه سريعاً:

- خير في حاجه!!

أغلق الرجل جواز السفر يعيده مع التذكرة لشهاب قائلاً:

- للأسف يا فندم، مش هتقدر تسافر.

عقد شهاب حاجبيه قائلاً بتوتر غاضب:

- ليه بقى؟!.. الفيزا فيها حاجه.

- لا يا فندم سليمة، بس اسم حضرتك نزل النهاردة في قائمة الممنوعين من السفر.

- يعني إيه الكلام ده؟!!

- لو سمحت يا فندم ماتعطش اللي وراك، حضرتك القرار جاي من مكتب

النائب العام من بدري، تقدر تاخذ محامي وتروح هناك تعرف في إيه إحنا هنا جهة تنفيذية، فلو سمحت اتفضل.

حدق به شهاب بغير تصديق، ليبدأ التحرك مبتعداً عن الطريق وعاد إلى الصالة التي كان ينتظر فيها، جلس بتثاقل وقد شعر بأن أمره انتهى بالفعل.

أمسك هاتفه يتصل برجله وما إن سمع صوته:

- أنا اتمنعت من السفر اتصل بالمحامي خليه يتصرف، وإياك يكون عملية

سامر دي بان فيها أي حاجه هقتلك أنت فاهم، أنا لازم أخرج من البلد بأي طريقة اتصرف.

- حاضر يا باشا، حاضر.

أغلق الهاتف يعتصره بيده وقد اصطكت أسنانه بعنف. وكل هذا لم يمنع من أن يدق قلبه بخوف مما هو قادم.

.....  
لم تتم نانا كثيراً، استيقظت فزعة وصارخة، لتندفع مها وبسمة لها، تضمها الأولى والثانية تحاول أن تسقيها بعض الماء.

انخرطت نانا في البكاء، ومها لم تتأخر في مشاركتها، وبسمة تحاول اسكاتهما معاً.

- خلاص يا نانا، إللي حصل حصل، واديك أخذت درس عمرك، بلاش تفكري في أي حاجة دلوقتي، يومين وهتروقي وتنسي كل حاجه.  
استمر بكاء نانا بنشيج ولم تحاول قول كلمة واحدة.  
- نانا، اتكلمي أنت من ساعة ما جيت ماقلتيش كلمة واحدة.

دفت نانا وجهها بوسادتها، استمر بكائها، ليس لديها ما تقوله، إنها حتى الآن لا تذكر إلا لحظات رعبها تلك، ضربات تأتيها من كل جانب لا تعرف ممن ولماذا؟!!

تلك الرائحة المقززة لازالت تملأ حاستها ولم تفارقها، حتى عيناها لازالت تؤلمها إذا نظرت للنور الذي كانت تتمنى رؤيته منذ حبست.  
أخبرهما أنها تبحث عن إحساس بالأمان افتقدته تماماً حتى وهما معها،  
أخبرهما عن رعبها من عودة هؤلاء الرجال وحبسها مجدداً وهذه المرة بجريمة أخرى؟!!

استمرت أفكارها السيئة ومعها زاد بكائها أكثر ولازالت بسمة ومها تحاولان تهدئتها.

"بتعيطي دلوقتي!!!"

التفتتا إلى فاطمة التي قالت كلمتها وهي على باب الغرفة، وعيناها تبكيان بصمت، قل نحيب نانا وهي ترفع رأسها لفاطمة، التي لم ترها منذ وصلت للمنزل ولم تنتبه لها.  
وقفت بسمة:

- ماما أنت لسه تعبانة، إيه الللي طلعتك؟!!

لم تهتم فاطمة بكلمات ابنتها واستمرت في نظرها لنانا مردفة:

- هان عليك!!!

زمت نانا شفيتها تكتم بكاءها وهي تنظر لفاطمة.

- هان عليكِ تعبي عليكو كل السنين اللي فاتت، هان عليكِ بهدلتني علشان أنتو ماتتبهدلوش، الناس قالتلي مالك بيهم كفاية عليكِ بنتك وأنا قلت لأ دول بقوا لحمي، لو ماسترتهمش أنا مين هيسترهم، حرمت نفسي من كثير علشان ما حرمكوش أنتو إنكم تناموا بليل مطمئنين ومش شايلين الهم.

دفنت نانا وجهها بين كفيها تجهش بالبكاء وكذلك مها أما بسمة فقد نظرت لأمها بعينين دامعتين.

وصرخت فاطمة:

- هان عليكِ يا نانا، عايزاني أروح أقول لربنا أيه، أقول لأمك إيببييه، ضعيت الأمانة اللي شلتها بمزاجي.

لظمت وجهها مرددة:

- بتروحي لرجالة بيوتهم يا نانا.

عقدت بسمة حاجبها لتقف قائلة:

- مين قالك الكلام ده!!؟

- أنا عرفت كل حاجه، بتخبي عليها زي ما كانت بتخبي عليكِ زمان.

- ماما كفاية أنتِ تعبانة.

قالتها بسمة برجاء في محاول لتهدئة الوضع، لكن فاطمة لم تصمت وهي تعود بحديثها لنانا.

- شوفتيني رocht لراجل بيته قبل كده، أنا علمتك كده، دانا طول عمري بقول يا رب استرنا دنيا وآخره، عمرك شوفتيني بدعي دعوة غيرها، جبتك الراجل اللي هيسترك وكنت هتعيشي معاه وأنتِ اللي مرضتيش، حرام عليكِ، والله حرام عليك!!

انهارت فاطمة من البكاء حتى قدميها لم تسعفها لتقف المزيد من الوقت،

هرعت لها بسمة ومها تسندها لتجلس على أقرب مقعد مرددة ببكاء:

- أنتو بتعملوا فيا كده ليه، حرام عليكو، ده أنا هموت وهقابل ربنا وهيسألني عنكم، ليه مصرين تسقطوني في الامتحان ليبيبييه.

ضمتها مها إليها باكية:

- لا يا أبله بطة ماتقوليش كده، أنت أحسن أم في الدنيا وكفاية أنك سترتي بنتين مش من دمك، أكيد في حاجة غلط، نانا لا يمكن تعمل كده، اتكلمي يا نانا قولي إنك معملتيش كده.

دست نانا وجهها في فراشها مجددًا، وابتسمت فاطمة بسمة حزن وحسرة وهي تقول:

- ياريتهم كلهم كانوا زيك يا بنتي، أنت بس اللي بدعي ربنا يتقبل عملي الصالح فيها، بس الاتنين دول ربنا يهديهم، ربنا يهديهم.

ظلت ترددها وهي تستند على مها ورفضت مساعدة بسمة، قائلة:

- نزيليني أوضتي يا بنتي.

دعمتها مها لتغادر وجلست بسمة حيث كانت تجلس وهي تراقب نانا بصمت، إلا أن كلمات أمها لوهلة شعرت وكأنها تقولها لها هي وليس لنانا، والعجيب أنها تألمت لها، وبشدة.

## الفصل السادس عشر

زحام و أبواق سيارات مزعجة  
للي يطول له رصيف.. يبقي نجا  
لو كنت جنبي يا حبيبي أنا  
مش كنت أشوف إن الحياة مبهجة  
عجبي!!

### رباعيات جاهين

يقولون لن تدرك معنى الشيء إلا حين فقدته، فقط حينها ستشعر كم يعني لك، فوجوده جوارك أو على الأقل في محيط عالمك يفقدك الشعور بتميزه، أما حين يكون قاب قوسين أو أدنى من الاختفاء تصاب بالجزع وتتمنى أن تتمسك به لآخر لحظة بعمرك.

هوة تزداد باطراد في صدره، شعور أصابه من قبل ولم يتصور أن يتكرر مرة أخرى، اقتنع لوقتٍ طويل أن كل شيء يهون إلا هي، ولم يظن أن أخاه يعني له الكثير، أصيب قلبه بذات الألم الذي ناله حين فقد حبه، ولكن هذه المرة لشخص آخر.

"سامر"

الشخص الذي يبكيه الآن ولسانه لا يردد غير دعاء واحد  
"خليه معايا يا رب... سيبه معايا يا رب"

يجلس أرضاً في حالة سيئة، وجهه تغرقه الدموع، وكفيه يغلفهما الدماء التي وجدها تغادر جسد أخيه المسجي أرضاً بسخاء، يخفيها خلف ظهره كي لا يراها، يقتنع نفسه أنه سيكون بخير، سيخرجون له الآن ليطمئنوه أن كل شيء على ما يرام.

لكن الوقت يمر ولا يظهر أحد، وقلبه يكاد ينخلع.

"يا رب، رجعهولي وهعتذرله يا رب، مش هخليه يزعل مني أبداً"

لا زال يردد كلمات من حين لآخر، يريد أن يستيقظ أخوه يخبره شيئاً واحداً. أنه أخطأ، أخطأ حين قال أن بسمه فقط هي كل عائلته لقد اكتشف للتو أن سامر أيضاً عائلته، سامر كان أباً قبل أن يكون أخاً، سامر كان صديقاً قبل أن يكون أباً، سامر مثل الكثير بحياته حين كان كل شيء على ما يرام، حين اعتاد وجوده كالهواء الذي يتنفسه ولم يتصور نفاذه، وهو لن يقوى على خسارته أبداً.

هذا الألم الذي بصدرة يخبره أنه لن يتحمل، هذا الألم الذي تعلق بقلبه وهو يصرخ باسم أخيه وقد سكن جسده تماماً ينبؤه بمقدار ما يعينه له. ناداه كثيراً، ترجاه أن يفتح عينيه، وبدلاً من هذا أغرقت الدماء كفيه وهو يمسك برأس أخيه، ليصرخ بهلع:

"سامر بيمووت، حد يساعدناااااا"

زادت عبراته، تعالى نشيج بكائه، ولحظات الألم تتجدد، وعاد لما يملك في تلك اللحظة، الرجاء الذي يخالطه الكثير من الدموع.

"أخويا يا رب، أخويا"

ولم يكن حال القابعة بقربه على كرسي حديدي بأقل سوء منه، دفنت وجهها بين كفيها تبكي، تخفي النور عن عينيها علها هي الأخرى تنجح في إبعاد تلك الصورة التي لا تنفك تتكرر أمامها، جسد سامر وهو يتلقى تلك الضربة القوية ويطيح أرضاً.

صوت ذلك الارتطام، صوت عجلات السيارة السريعة، صوت ضربة جسده للأرض.

تضرب عقلها مرة تلو أخرى بلا رحمة، وهذا خاطر العجيب بأنها رأت هذا ولم تستطع إنقاذه وكأنها كانت تستطيع أن تفعل أي شيء.

الأمر تم في لحظات، لحظات مثلت لها الرعب المحقق، والكثير من الندم وتأنيب النفس، ربما لو لم تتأخر في الحديث مع معاذ لكان داخل السيارة وأصبح بأمان، ربما لو كانت هي من تقود السيارة لكان في الجانب الآمن، برغم أنها لا

تستطيع القيادة، فقط أفكار متواترة يدفعها شيطانها لتردد "لو" وهي لا تسمن ولا تغني من جوع.

أستفدده حقاً؟!!

وهل كان لها يوماً لتخسره؟!!

لكنه كان حياً، وهذا كان كافياً حتى لو يعيش في بلد آخر، أما الآن!! فقد يموت سامر!!

هزت رأسها نفيًا تنفض هذا الخاطر عنها، لتردد هي الأخرى.

- يا رب.. يا رب..

مر الكثير من الوقت، وهذا ما شعر به كلاهما، إلى أن ظهر أحدهم عند الباب، لتهرع زينة ومن قبلها معاذ.

"وقفنا النزيف، وفي كسر في الدراع لحسن حظه مش مضاعف ورضوض في الجسم هيدخل قسم العناية الحرجة لكن النزيف كان كثير وقلل وصول الدم للمخ نتمنى ما يأتش عليه لما يصحى، وآسف جدًا ممنوع الزيارة على الأقل أول ٢٤ ساعة، ادعوله"

واختفى كما ظهر، وزاد بكاء زينة، بينما تحجرت العبرات في عيني معاذ وهو يحدق بالباب الذي يختفي أخوه خلفه.

.....  
علت الابتسامة شفثيه وهو يراجع أوراق المناقصة التي أراد شهاب أن يشاركهم فيها، انتهى أمر هذا الشقي ودون أي خسائر، وكأن همًا كبيرًا قد أزيل عن صدره، نانا في المنزل وشهاب سيسجن وأضف إلى هذا تحكمه الرسمي الآن في كل حقوق التصويت للورثة أمام عمته، فأمه وأخته تحت إدارته بالفعل، وبسام لا يخالفه والآن بسمة وفاطمة أيضًا، سميحة لن تقوى على تحدي كل هذا، وسيأتي الوقت الذي يكشف فيه كل أوراقه، ويزيحها هي عن طريقه.

- بتضحك على إيه؟!!

قالها بسام بغير سعادة، نظر له جاهين:

- مش أحسن ما أفضل قاعد مكشر زيك، يا ابني خلاص الدنيا اتحلت قالبها نكد ليه؟!!

- اتحلت، جايز، أنا حاسس إن حياتي أنا اللي عماله تتعقد.

- ليه بس؟!!

هز رأسه بيأس:

- مصيبة نانا دي اللي حاسس إنها هتفضل زي البطحة إلي علي راسنا، وزن عمتي سميحة اللي مش عارف أخلص منه، وجوازي من مها اللي عمال يتعطل كل شوية لحد ما بقيت شاكك أنه هيثم.

اعتدل جاهين قائلاً:

- بسام، جوازك ده حاجه تخصك أنت لوحدك ومها طبعًا، وأنا شايف اتنين بيحبوا بعض ومتفقين، أي بقى لخبطة حوالين الدائرة دي ماتهتمش بيها، أنت راجل وتقدر تتجوز وقت ما تحب، عمتي سميحة أنت عارفها كويس، خلاص آخرها تحطها قدام الأمر الواقع زي ما عملت قبل كده وخطبت مها، وياريت فعلاً تستعجل في موضوع الجواز علشان ترتاح من كل الهم ده.  
لملم الأوراق التي أمامه ليضيف:

- وانا أعتقد خدت درس عمرها ومستحيل تغلط نفس الغلطة دي تاني، وعمومًا يا سيدي ممكن تروح تكلمها بما أنك هتكون جوز أختها وراجل العيلة. ضاقت عينا بسام مفكرًا ليلوح جاهين:

- ولا أقولك بلاش أحسن تلبخ وبدل ما تكحلها تعميها.

أشاح بسام برأسه ضيقًا، فقال جاهين:

- يا ابني أهم حاجه حلينا مشكلة نانا وسامر خلصنا من الزفت شهاب ده، بالنسبة لي بقى غير كده شكليات.

اندفع محمد للمكتب مهرولًا. حدق به جاهين وبسام ليقول الأول:

- استر يا رب، في إيه يا ابني؟!!

- بيقولوا سامر من ساعة واحدة بس عمل حادثة جامدة أوي.

هب كلاهما وقوفًا وقد اتسعت عينا جاهين:

- إزاي يعني؟! خبط حد بعربيته.

هز محمد رأسه:

- لأ، أول ما خرج من الشركة عربية خبطته، وكله بيتكلم في أنها كانت قصداه.

استند جاهين بكفيه على مكتبه قائلاً:

- مات؟!!

قالها بخوف واضح.

- الإسعاف نقلته المستشفى وكان عايش.

- تعرف تجيب عنوان المستشفى؟!!

- هتصل بزينة أكيد تعرف.

- طب يالا.

تركهما ليجري الاتصال.

ظل جاهين مكانه، يقترب منه بسام الذي قال بتردد:

- تفتكر ده بسبب..

لم يرد أن يكمل، فأخر ما يتمناه أي منهما أن مساعدة سامر لهما كلفته حياته،

هز جاهين رأسه:

- إن شاء الله لأ، مش هو، شهاب المفروض هيتقبض عليه، مش هو.

تكرارها لم ينفِ الظن الذي ترسخ بعقله أكثر من أي شي آخر، سامر دفع ثمن

مساعدته لهم.

عاد محمد ليخبرهما بعنوان المشفى كما أخبرته زينة.

- قالتك حالته إيه؟!!

سأله جاهين.

- بتقول لسه في خطر، وصوتها رايح وحالتها صعبة، سمعت أنها شافت

الحادثة بعينها.

أمسك بمفاتيح سيارته:

- يالا يا بسام، خلي بالك أنت يا محمد لحد ما نرجع.

.....  
جلس كل منهما على مقعد مقابل للآخر، يغلفهما الصمت والقلق والتوتر،  
كلمات الأطباء لم ترح أيًا منهما، وليس لديهما إلا الدعاء والأمل في رحمة الله،  
وإن كفت عيونهم عن الدموع.

رفعت بصرها تنظر له:

- هي مامتك ما عرفتش؟!!

ظل على حاله من الشرود لكنه أجاب:

- أكيد عرفت، إذا كان واحد كلمك من شركة تانية دلوقتي.

- أومال هي فين، هو في أحسن من كده وقت تيجي تشوف ابنها وتصالحه.

- هتبع حد، عمر ما حد فينا دخل مستشفى وجاتله، هي بتكره المستشفيات

حتى لما بابا مات سامر بس اللي كان معاه.

حدقت فيه بغير تصديق قبل أن تشمنز ملامح وجهها:

- أم إيه دي؟!!

لم يعلق معاذ، ولم يستغرب ما تفعل أمه، فهذا هو المعتاد، لكن لوهلة تمنى لو

عرف كيف كان وقع الخبر عليها، فهو ابنها في النهاية ابنها الكبير وكان ابنها

الوحيد لعشر سنوات قبل أن يأتي هو لهذا العالم.

وقفت زينة لتقول:

- أنا هكلم أبويا، نسيت أكلمه خالص.

تحركت مبتعدة، نظر لها وهي تقف بعيدًا تستخدم هاتفها، دس يده في جيبه

ليخرج هاتفه هو الآخر، ودون شعور مرت أصابعه على شاشته ليتصل بها،

حتى أنه لم يع أنه يفعل ذلك، وكأنه يفعل شيئًا معتادًا منه طوال الوقت. حدق

بالشاشة التي تنير باسمها، ليتمتم:

- بوسي.

لم يأتيه رد، زفر بإحباط وأراد وضع الهاتف جانبًا لكنه عدل عن ذلك وكتب لها

رسالة.

"سامر عمل حادثة.. أخويا بيموت"

ظل يحدق في الهاتف بترقب، علا رنينه ليحبيب:

- معاذ، إيه اللي أنت كاتبه ده؟!!

ومع سماع صوتها عادت مشاعر حزنه تغلب عينيه فتدمعان:

- سامر بيموت.

- لا إله إلا الله، أنت فين؟!!

- في المستشفى، حالته خطيرة ومش هنظمن غير بكرة.

وصل لها صوت بكائه المكتوم:

- اهدى يا معاذ، إن شاء الله تظمن عليه؟!!

- أنا اكتشفت أنني بحبه أوي يا بوسي، أنا خايف عليه أوي، حتى مش عارف

أشوفه، عايز بس يسمعني أقوله أنا آسف، والله آسف.

تألم قلبها لصوته الباكي:

- إن شاء الله يقومك بالسلامة، ماتخافش، وهتصالحه وهتقوله كل اللي أنت

عايزه.

- يا رب.

- أنت في مستشفى إيه؟! علشان أعرف أجي.

لاحت بسمة حزينة على شفثيه، حبيبته لا تريد أن تتأخر عليه برغم علمها أن

سامر هو السبب في فراقهما.

- كنت فاكرك عمرك ما هتسامحي سامر؟!!

- إيه اللي أنت بتقوله ده، أنا مش هنسى أنه صرف علينا لحد ما خلصت

تعليمي من غير ما أمي تشتغل.

أوما برأسه ليمليها العنوان، ويخبرها بانتظاره لها.

وفي غرفتها هرعت تبدل ثيابها، وعقلها يعيد ملامح سامر في عقلها، هي لم

تنسه تمامًا، لازالت تذكره وتذكر شعورها بالخوف منه حين كانت صغيرة،

وكيف كانت تختفي خلف أمها إذا مر أمامها برغم أنه كان ينظر نحوها باسمًا

على حركتها تلك، ومع ذلك كانت تهابه.

وبرغم كل ما فعل لم تكرهه، ربما في وقتها كرهت ما فعل، وبغضته بشدة، لكن مع تعودها على الأمر وتفهمها لفعله ذلك هدا غضبها كثيراً، خاصة أنه لم يتوقف عن مدهم براتب أمها بل وأحياناً أكثر كل شهر حتى أنهت تعليمها الجامعي، وهذا شيء قدرته عليه كثيراً.

خرجت من غرفتها بعد أن ثبتت حجابها، مرت جوار غرفة أمها تقف لحظات، وقد غلبها التردد، أتخبرها بما حدث وأن عليها الذهاب، وماذا لو منعها؟! لا تستطيع ألا تذهب، هي على الأقل تزور مريض. عادت كلمات أمها اللوامة لنا تترق أسماعها، أغلقت عينيها قائلة:  
- معلى يا أمي سامحيني لازم أروح.  
وأسمعتها نفسها سبباً تلو آخر بأنها لا ترتكب جرماً.

.....  
لم يستطع جاهين أن يكتم توتره وقلقه البالغ من أن يكون كل هذا بسبب شهاب، أو غد هو لهذه الدرجة؟! يقتل؟!  
لن يسامح نفسه لو كان هذا ما حدث، المفترض أن يكون هو هنا في تلك المشفى وليس سامر.

وصل مع بسام للمكان الذي أرشدتهما إليه الممرضة، بحث بعينه في الممر الهادئ تقريباً إلا من بضع أشخاص، يلتزم الجميع الصمت، ملامح وجههم تحمل هم ذويهم في تلك الغرفة المسماة العناية الفائقة وكل منهم يخشى أن يأتي له خبر النهاية.

وقع بصره على زينة التي كانت تقف في الجوار، أسرع إليها:  
- زينة، طمئيني؟!!

- أهلاً يا بشمهندس، والله ما عارفين حاجه، أخوه بيحاول يشوفه جوه مش سامحين خالص، بيقولوا لما تعدي مرحلة الخطر.  
نظر إلى حيث أشارت، إلى باب العناية المغلق.  
قال بسام:

- طيب يعني آخر حاجه وصلتكم إيه؟!!

- وقفوا النزيف، حالته لسه خطيرة، ده اللي فهمت.

- زينة أنتِ شوفتي الحادثة فعلاً؟!!

سألها جاهين بترقب، فخفضت بصرها وكأنها لا تريد التذكر واكتفت بهز رأسها إيجاباً.

- كان مقصود فعلاً زي ما بيقولوا؟! مش حادثة بالغلط؟!!

قالها جاهين، ارتسم الغضب والحزن على وجهها:

- اللي حصل مش طبيعي، العربية كانت جنب الرصيف، الشارع واسع جداً، فجأة العربية قربت منه وخبطته من غير ما تقف أو حتى تهدي وكملت طريقها عادي، وعلشان تخبطه اتكحتت جامد في عربيته، منهم لله، منهم لله. رددتها وهي تكتم رغبة جديدة في البكاء، ليتبادل جاهين وبسام النظر وعينا الأول تحمل الكثير من الندم والحزن.

"أهو خرج"

قالتها زينة وهي تسرع لمعاذ الذي خرج من العناية مهدل الكتفين، ووجه يقطر كمدًا، وقد ضم قبضتيه بقوة.

توقف جاهين وبسام ينظران له بصمت.

جاهين تذكر آخر مرة رآه فيها، المرة التي قلبت حياته رأسًا على عقب، المرة التي رأى فيها أسوأ مشاهد حياته، وتلتها كلمات من الفتاة التي أحب لتطعن كرامته بسهولة، صك أسنانه وكأنه يلوم حاله، ليس هذا الوقت المناسب للتفكير في تلك الأمور، وليس مشكلة سامر الآن أن هذا هو أخوه.

أما بسام فلم يكن أقل حالًا من جاهين، لم يذكر معاذ جيدًا فلم يلتقيا كثيرًا، لكن رؤيته الآن أصابته بالتوتر، فهذا الشاب هو أحد أهم أسباب الخلاف في عائلته،

ولا يعلم أعليه تقبله بالفعل لأجل بسمة، وماذا عن جاهين؟!!

نظر لجاهين، وجده يحدق بوجه معاذ بعينين حملتا غيظًا لم يستطع كتمانها، أمسك بسام بذراعه، التفت له فقال:

- جاهين، إحنا هنا علشان سامر، ماتنساش ده.

نظر له بصمت واكتفى بقول:

- أكيد.

أما زينة فسألت معاذ إن كان تمكن من رؤية سامر، أجابها بإيماءة صغيرة بأنه فعل. لتقول بأمل:

- سمحوا لك تشوفه، يعني اتحسن، كلمته، شافك، هو صاحي؟!!

كلمات كثيرة قالتها، نظر لها وقد أشفق على حالها وحاله:

- لأ، شفته من ورا إزاز، مش دريان بحاجة.

تملكها الإحباط، أطرقت رأسها قبل أن تتذكر الزائرين.

- صحيح، الباشمهندس جاهين وبسام جم يسألوا عليه.

نظر حيث أشارت، تبادلوا النظرات بصمت قبل أن يخطو بسام أولاً ناحيته مصافحاً:

- إزيك يا معاذ، أنا بسام الشربيني يمكن ماتفتكرنيش.

- لا إزاي، فاكرك.

أوما بسام:

- ربنا ينجيه إن شاء الله ونظمن عليه.

- يارب، شكراً.

"طب هو عامل إيه دلوقتي؟!!"

قالها جاهين الذي وقف خلف بسام، نظر له معاذ بصمت، بدا وكأنه يتفحص

ملامحه، ليرفع بسام إحدى حاجبيه وهو يرى حرب نظرات قصيرة فُتحت

بينهما، فرج شفتيه أخيراً قائلاً:

- زي ماهو، مافيش جديد.

قالها باقتصاب، ليشيح بوجهه بعدها:

- ماكنش في داعي تتعبوا نفسكم، هو كده مش حاسس بحاجة.

لوت زينة شفتيها لتتمتم:

- إيه اللي أنت بتقوله ده؟!!

ثم أشارت لبسام وجاهين:

- اتفضلوا استريحوا، يمكن ربنا بيعت لنا خبر حلو بزيارتكم دي، اتفضلوا.

نظر لهما بطرف عينيه وظن أنهما سيرحلا، لكنهما جلسا بالفعل في الاستراحة القريبة. أمسك هاتفه يتصل بها، علها في الطريق عليه أن يخبرها أن أباها هنا.

ظل الهاتف يرن دون رد، زفر وسار بضع خطوات إلى أن وصل للممر الذي يأتي منه الزوار، استند على الحائط ولم يشعر بنظرات جاهين التي كانت توجه له بثبات.

شاب صغير بالنسبة له، يقارب بسمة في السن كثيراً، أحقاً هذا الذي تريد أن تكمل حياتها معه؟!!

وقبل أن يسرح في المزيد من الأفكار التفت على تربيت بسام على كتفه، نظر له فقال:

- ما تيجي نمشي يا جاهين، على رأي أخوه، هو مش حاسس بحاجه، أدينا اطمنا، ولما يفوق إن شاء الله نبقي نيجي نزوره.

- اطمنا على إيه؟!!

قالها جاهين بضيق:

- سامر ممكن يكون بيموت بسببنا، بسبب مشكلة أنا زقيته فيها تحت مسمى الجدعنة، وأهو هيدفع حياته علشانها.

- يا سيدي لأ، أولاً مش متأكدين من اللي أنت بتقوله ده، كمان بإذن الله يطلع منها سليم، جاهين المتفائل راح فين، هو إحنا بدلنا ولا إيه؟!!

- لو عايز تروح روح أنت، أنا بس عايز أسمع أنه بقى كويس.  
هز بسام كتفيه وهو ينظر لمعاد:

- لا أروح إيه، هنمشي سوا إن شاء الله.

شاركه جاهين النظر لمعاد الذي يمسك هاتفه يكرر اتصالاً تلو آخر وبدا عليه الضيق لعدم الرد، التفت نحوهما لتلتقي العين ثانية، لقاء استمر ثواني قبل أن يشيح برأسه، وجودهما يصيبه بالتوتر، ولا يعلم السبب.

ظهر زائر آخر أسرع ناحية معاذ ليتحدث إليه ويطمئن على سامر، فلم يتمكن من رؤية تلك التي تهرع نحوه هي الأخرى لكن أباها وابن عمها رأياها بوضوح، ليندهش بسام ويغضب جاهين.  
"معاذ"

التفت لها متفاجئاً بوجودها:

-بوسي!! أنتِ مش بتردي على التليفون ليه؟!!

- مش سامعاه من دوشة الطريق، إيه في حاجة حصلت؟!!

التفت ينظر حيث يجلسا وتبعته هي بعينها لتتسعان وهي تنظر لهدين الوجهين اللذين يطالعانها بمشاعر مختلفة.

- كنت عايز أكلمك أقولك ماتجيش، أخوك هنا.

ابتلعت ريقها وحاولت التماسك:

- ليه يعني، هو أنا جياك شقتك، دي مستشفى وأخوك حالته خطيرة إيه

المشكلة لما آجي، أنت في مقام خطيبي.

ارتسمت ابتسامة باهتة على وجهه، كم يريد أن يستعيد الكثير من مشاعر

الفرح معها الآن، لكن مصاب أخيه بدل داخله الكثير في لحظة.

- طب يالا يا للى في مقام خطيبي.

قالها فتبعته، اقتربا منهما وقد وقف بسام بينما بقى جاهين جالساً، محافظاً على

ملامح جامدة لا تعني شيئاً.

أما بسام فحرق بأخته بضيق أرادت الكلام فسبقها معاذ:

- بسمة جايه تظمن على سامر، هي برضو تعرفه زي ما تعرفني، عشرة

سنين.

"عشرة سنين"

رددها عقل جاهين ساخرًا وهو يمنع أصابعه من التحطم من كثرة ضمه لها

بقوة.

قال بسام لأخته:

- طب كنتِ كلميني بدل ما تيجي لوحدك.

- معلش، الخبر لخبطني.

عاد معاذ للكلام:

- كان المفروض نتقابل في ظروف أحسن من كده يا بسام، بس معلش تتعوض إن شاء الله ونتقابل تاني وأنا معايا سامر.

وقف جاهين فجأة:

- أنا مضطر أمشي تعالوا أنتو براحتكم.

لم يعلق أحد تابعه ثلاثهم وهو يبتعد فنظر بسام لأخته بغضب واضح قائلاً:

- إحنا كمان مضطرين نمشي، ممكن تديني نمرتك علشان أبقى أطمئن على سامر.

أوما معاذ برأسه:

- ماشي ممكن تاخدها من...

قطع كلامه حين رمقته بسمة باستتكار، فعدل عن قوله وهو يمسك الهاتف:

- طب مليني نمرتك وأنا هرن عليك.

فعل بسام ما أراد وصافحه وتحرك وهو يجذب أخته خلفه وهي تحاول التملص مرددة:

- بسام سيبني أنا ممكن أمشي لوحدي.

حررها بالفعل وتبعته.

وصلا للشارع فلم يجدا جاهين، فهز بسام رأسه والتفت لأخته:

- طبعا مشي، أنت أراي تيجي هنا من غير ما تقولي، أنت مش وعدتيني إنك مش هتقابليه.

- بسام ده ظرف طاريء وأنا فعلاً كنت مخضوضة، ثم معاذ ده هيخطبني.

- نعم!! لا معلش لما يبقى يخطبك، والموقف اللي حظيتينا فيه ده مافيش أسخف منه.

عقدت ذراعيها قائلة بعناد:

- علشان جاهين مش كده، مافيش حاجة في الدنيا بضايقتك غير جاهين وموقف جاهين وإحساس جاهين، وأنا مش مهم.

لوح بكفه:

- ماتبطني بقى الكلمتين اللي كل شوية تقوليهم دول، على فكرة جاهين ده أخويا وأنتِ أختي، وماعنديش استعداد أفاضل بينكم، ويالا بقى علشان أروحك مش هنقف نتخاق في الشارع.

أشار لعربة أجرة واتجه نحوها فلم يسمعها تردد:

- أنت لحد دلوقتي بتفضله هو بس.

لوح لها فلحقت به، ركبت في المقعد الخلفي وجلس هو بجوار السائق.

ولم ينتبها لذلك الذي ظل بسيارته وإن ابتعد بها عن مرمى بصرهما، يمسك مقودها بقوة، يكاد يعتصره، والذي يضايقه أكثر هي حالته تلك، والتي تصور أنه تغلب عليها بسهولة، لكنه غاضب وبشدة، تلك النار التي تتأجج بصدرة تخبره هذا الذي يريد إنكاره. فهل هكذا سيكون الأمر دائماً إذا تمت تلك الزيجة، هز رأسه برفض تام. محدثاً نفسه.

"لا يا جاهين مش العيل ده هو اللي يعمل فيك كده، خليها تشربه"  
زفر محاولاً التخلص من تلك الطاقة السلبية التي اختزنها طوال الدقائق الماضية، وقرر أن يفكر في الأهم.

"سامر"

أمسك هاتفه متصلاً بمحامي الشركة وما إن سمع صوته حتى قال:

- حاول تعرف شهاب اتقبض عليه ولا إيه وضعه بالظبط، وعايزك تقدم بلاغ في اشتباه محاولة قتل سامر شاكر.

استمع لمحامييه، ثم قال بغضب:

- يعني إيه مش من أهله، هو مش أي حد بيشوف جريمة يبيلغ عنها، وأنا شاكك إن الزفت ده اللي عملها، والله لو طلع هو ما أنا سايبه، مش هستنى لحد ما يهرب بعملته، لازم يتمسك.

أنهى المكالمة بعصبية وهو يضرب مقود السيارة بقوة، وكأنه ينفث عن كل الغضب الذي يعتمل داخله، ولا يجد له منفذاً.

لمحت زينة أباها فأسرعت إليه، أمسك بذراعها يسألها عن حالة سامر، هزت رأسها لتقول بصوتها الذي لا زال محبوباً من صرخاتها المتتالية.  
- زي ماهو ماحدث بيقول أي جديد، تعالى سلم على أخوه.  
سار جوارها، وقف أمام شاب يجلس مستنداً برأسه على كفيه، شعر بالشفقة عليه، ربت على كتفه بود، رفع معاذ رأسه يرى وجه عجوز بشوش لم يتعرف عليه.

- ربنا معاه إن شاء الله، أخوك مايبسبش حد، اللي زيه ربنا مش هيسيبه، الرسول عليه الصلاة والسلام قال "صنائع المعروف تقي مصارع السوء"، وهو ياما عمل معروف وده مصرع سوء هيخرج منها برحمة ربنا الواسعة.  
حدق به معاذ لبرهة، كلماته مريحة وقريبة من القلب، لا يعلم لم ذكره بشاكر الذي لا يذكر عنه الكثير.

- أنت مين؟!!

ابتسم عبد الحكم قائلاً:

- عمك حكم، حد بيحب أخوك وبيتمنالاه الخير.

ثم أشار للواقفة جواره:

- وأبوها.

نظر لزينة التي تعلق بصرها بأبيها وقد حلت السكينة ملامحها، وقف يضافحه:

- أهلاً وسهلاً، شكراً على كلامك ريحني.

- إن شاء الله كلنا نرتاح لما نطمئن عليه.

تركه يجلس بالجوار وجلست زينة معه، عاد معاذ لمقعده يراقبهما من مكانه،

ظهرت شبح بسمة تحمل حزناً على شفتيه، أخوه استطاع أن يعثر على عائلة

جديدة في الوقت الذي كان فيه بعيداً عنهما وكما هو متوقع، كلاهما يحبانه.

رن هاتفه ليلفته إليه، حدق في الاسم للحظات، هز رأسه بأسى، هي لن تتغير

أبداً.

أجابها وإن تمنى ألا يفعل.

- إيه الأخبار؟ سامر فاق؟!!

استمع لها بصمت، زفر قائلاً:

- مش المفروض تكوني أول واحدة هنا، أنا مش متخيل أم ابنا بين الحياة والموت وقاعدة في مكتبها كده عادي.

- لما يفوق ابقى كلمني.

أغلقت الهاتف، حدق بشاشته للحظات، ثم نظر لزيئة وأبيها، متمماً:

- خليك، ربنا بعته غيرك.

أسند رأسه على الحائط، أغلق عينيه ممنيًا نفسه بخبر قريب أن سامر سيعود كما كان وأفضل، فقط فليعود، وكثير من الأشياء لن تكون كسابقته.

.....

مع قرب غروب شمس هذا اليوم العصيب، والذي انتهى في المنزل كالعديد من الأيام، خصام هنا وعراك هناك، دلف بسام إلى غرفة أمه التي ساعدتها مها في تبديل ملابسها كي تذهب لزيارة الطبيب مع إصرار بسام.

ومع دخول بسام أرادت مها الخروج لكنه قال:

- مش هتيجي معنا.

نظرت له وأشاحت ببصرها قائلة:

- أبلة بطة قالت مش لازم، وأنا خايفة أسيب نانا لوحدنا.

- لوحدنا ليه مش بسمة معاها.

قالها بسام، تدخلت فاطمة:

- سيبها يا بسام، كفاية أنت معايا، يالا بينا.

أسرعت مها بالفرار وهذا ما يشعر به بسام، أنها تفر منه منذ عادت نانا.

وقفت فاطمة جواره:

- معلىش يا ابني، هي مكسوفة من كل اللي حصل وخايفة من اللي جاي، وأنت محتاج تظمنها.

أوما برأسه قائلاً:

- حاضر ياماما، نظمن عليك بس ونشوف هنعمل إيه؟!!

تبعته حتى وصلا لسيارته لتركب جواره، أشعل محركها قائلاً:

- أنا مش فاهم ومش عايزة بسمة تيجي ليه؟!!

- يالا بينا كفاية أنتِ.

أنهت جملتها مع دخول سيارة إلى الحديقة، ترجلت سميحة من مقعدها الخلفي واتجهت للمنزل بعد أن لمحت من بالسيارة ولم تتوقف.

عقدت فاطمة حاجبيها:

- هي جت بدري كده ليه؟!!

- أكيد خلصت شغلها.

انطلق بالسيارة ولم ينتبه لقلق تلبس فاطمة مع علمها أن سميحة دخلت للمنزل مع الفتيات الثلاث ولا أحد آخر معهن.

أما سميحة فلقد وقفت خلف نافذة تطل على الحديقة تتابع رحيلهما. نادت للخادمة تسألها عن الفتاتين اللتين في الدور العلوي، أخبرتها أنهما لم تخرجا. أشارت لها لتذهب، صعدت الدرج بهدوء لتدخل إلى الممر الذي قلما تزوره، وأكلمت صعودها إلى أن وصلت.

"معقولة، عمتي سميحة بنفسها جاية تسلم على نانا، ده أنتِ معملتهاش لما اتخطفت"

عقدت حاجبيها فلم تتوقع وجود بسمة أيضاً، بينما وقفت مها وكذلك نانا وهما يحدقان فيها بدهشة.

خطت نحوهن وظلت بسمة جالسة مكانها تكتفي بالنظر لها.

- لأ، أنا جاية أقولها كفاالارة، مش بيقولوا كده برضو.

خفضت نانا رأسها مع التقاطها لكل مشاعر الشماتة التي تقطر بها حروف كلماتها، وقفت بسمة قائلة بعصبية:

- ارفعي راسك يا نانا، كفارة دي تتقال لرد السجون، وأنتِ واحد أتبلى عليكِ وخرجت منها.

ضحكت سميحة بسخرية:

- شيء متوقع، ما أنتو كلكم زي بعض، ومصرين تنصفوا على حسابنا.

قالت جملتها الأخيرة وهي تحدج مها بنظراتها، ليحمر وجه الأخيرة. أما بسمة فزاد غضبها صائحة:

- إحنا أنصف منك، على الأقل مش بنسلط ناس على لحمنا يتخطفوا، وأوعي تفتكري إني ناسية.

صفت سميحة بكفيها وكأنها تحي عرضًا ما:

- هااايل، فاطمة يوم ما هتربي أكيد هتربي كده، واحدة قليلة الأدب وواحدة حرامية والتالته بتعرف تصطاد الراجل الصح.

فغرت مها فاها بغير تصديق، لتضرب بسمة الأرض بقدمها تمنع نفسها من أن تسرع فتضرب رأس تلك المرأة بالأرض:

- اخرسي، اخرجي من هنا.

عادت خطوة للوراء:

- يا مامي، خوفتيني، هتضربيني ولا إيه؟!!

ضمت بسمة قبضتيها تكتم غضبًا لتستدير سميحة وقبل أن تغادر قالت:

- لو عندك شوية عقل سيبيه، بسام يستاهل أحسن من كده.

اغرورقت عينا مها بالدموع، وعادت بسمة للصراخ:

- بقولك اخرجي برة.

علا صوت بكاء مها وهي تسرع للغرفة، تبعثها نظرات بسمة. وجلست نانا على مقعدها بهمٍ وغمٍ، لازالت آثار أفعالها لم ولن تنتهي، وكما توقعت، مها أكثر من سيدفع الثمن.

اختلفت سميحة كما ظهرت، وصرخت بسمة صرخة مكتومة:

- أأه، بكرهها، بكرهها.

تبعث مها التي جلست على فراشها تبكي، جلست جوارها تضمها إليها:

- بس يا مها، دي هي قاصدة تضايقتك، ماتديهاش الفرصة، كنت ردي عليها يا هبله، قوليلها بيحبني وشايفني أحسن واحدة، مش تقدي تعيطيلي.

استمر بكاء مها وبسمة تربت عليها:

- ولا يهتمك منها، بسام لا يمكن يسيبك، أنا متأكدة، الست دي هي اللي لازم تسبينا، لاالزم.

ضافت عيناها مفكرة، يجب أن تجد الطريقة للتخلص منها تماما، يجب أن يعرف بسام من تلك المرأة التي يصر على مناداتها "ماما" وهي من ستفعل هذا.

.....  
الميزة الوحيدة لمرور الوقت حين الأزمة هي التعود!!  
التعود على البقاء تحت ضغط الانتظار والترقب.

التعود على تلك المشاعر التي تهدأ تدريجياً وإن كانت لا تختفي تماماً.  
ولكنها ليست ميزة تصاحب الجميع، فقط بعض البشر، وهي كانت منهم.  
فركت رقبتها بإرهاق واضح، نظرت لأبيها الذي يتابعها بشفقة، فابتسمت:  
- أنا تمام ماتقلقش.

نظر لساعته قائلاً:

- اتأخرنا على أختك لازم نروح.

نظرت له وكأنها تفاجأت من جملته، فلم تتصور أن عليها الرحيل، ثم انتبهت أنها بالفعل عليها أن تذهب، أتفكر في أن تقضي ليلتها هنا؟!!!  
وكان أفكارها كانت له كتاباً مفتوحاً:

- أكيد يعني مش هنبات هنا.

شخصت ببصرها لهذا الجالس بالقرب وقد أغلق عينيه وكأنه نائم، لكنها متيقنة من استيقاظه.

- يالا يا زينة، ومن بكرة الصبح هنكون هنا، يالا يا بنتي.

أطرقت رأسها بحزن، هي حتى لم تتسن لها رؤيته على الإطلاق، ولا يحق لها أن تطلب.

وقفت قائلة بوهن:

- حاضر يا بابا.

وقف معها ليتهاجها إلى معاذ، قال عبد الحكم:

- أنت نمت يا ابني.
- فتح عينيه ليعتدل واقفاً:
- لا أبداً، صاحي.
- إحنا هنمشي، بس من بدري هتلاقينا هنا.
- نظر معاذ لزينة فهو أيضاً تصور أنها لن تذهب أبداً:
- أه، طيب، زي ما تحبوا.
- خفضت زينة رأسها بيأس، تحركت مع أبيها وهي تنظر إلى الغرفة التي تمتنت أن ترى الراقد داخلها، نظر معاذ حوله ليجد الممر خالياً تقريباً.
- لحظة.
- أوقفهما فالتفتا له:
- الدنيا هادية دلوقتي، ممكن أحاول أخليكم تشوفوه.
- لم تكتم زينة سعادتها البالغة بهذا الاقتراح، ليحاول معاذ الحديث مع الممرض المسؤول عن المرور إلى العناية، استمر حوارهم معه للحظات أخرى قبل أن يقترب:
- راجل رخم.
- لوت زينة شفيتها بإحباط، فأردف معاذ:
- وافق بس كل واحد لوحده.
- مش مهم.
- قالتها زينة بسرعة قبل أن تنتبه لنظرات أبيها، فصمتت أما هو فاستمر في النظر لابنته ثم قال:
- ماشي يا ابني، هدخل أنا الأول.
- عضت زينة شفيتها وشعرت أن فرصتها ذهبت، بالطبع سيخرج ليخبرها أنه بخير ولن تراه.
- اختفى هو بالداخل فقال معاذ:
- ماتقلقيش أنتِ كمان هتشوفيه إن شاء الله.
- أومات له لتقول:

- أنت طيب وبتحب أخوك أوي، كان لازمته إيه الخناق والخصام؟! لم يتوقع منها هذا التعليق، نظر لها لكنها كانت تتابع الباب الذي دلف منه أبوها. لم يجد الرد المناسب فاكتفى بالصمت. وعاد عبد الحكم، ودق قلبها بعنف، ترجته بعينها أن يسمح لها بالمرور وقف أمامها قائلاً:

- ربنا معاه، شوفيه وتعالى على طول.

تنفست الصعداء، هرعت دون تأخر خشية أن يغير رأيه.

مع مرورها شعرت ببرودة زائدة، ورائحة العقاقير تنفذ بقوة عبر أنفها. أشارت لها الفتاة حيث يمكنها الوقوف. اقتربت بأقدام فقدت ثقتها من الخوف من أن تراه في حالة سيئة.

ومع ظهوره أمامها فغرت فاها ووضعت كفها على فمها.

مغطى بالضمادات من رأسه حتى قدميه، وجه متورم ومليء بالخدوش،

خرطوم طويل زج بفمه يساعده على التنفس، لكنه ساعدها هي على البكاء بشكل أسرع. هيئته آلمتها كثيراً، وضعت كفها على الزجاج الفاصل بينهما، تتمم باسمه الذي تعلم أنه لا يسمعه.

"يا آنسة والدك قال أخرجك على طول، وأصلاً الزيارة ممنوعة، ممكن بقى تطلعي."

لهذا دخل عبد الحكم قبلها إذاً، فكرت هكذا وهي تمسح عبراتها، التفت للفتاة:

- هو نايم، ولا في غيبوبة.

- لا مش نايم، هو مش دريان بحاجه، الحادثة صعبة وجسمه محتاج النوم ده، ادعيه.

قالتها الفتاة بروتينية بعض الشيء، ألقت زينة نظرة أخرى عليه وقد ملأتها مشاعر تفاؤل لا تعلم سببها فتمتمت:

- بكرة لما أجي هتكون فتحت عينك، سامع يا سامر.

وخرجت بعدها راحلة مع أبيها، وبقي معاذ في انتظار عودة أخيه.

## الفصل السابع عشر

اقلع غماك يا تور وارفض تلف  
اكسر تروس الساقية واشتم وتف  
قال: بس خطوة كمان.. وخطوة كمان  
يا أوصل نهاية السكة يا البير تجف  
عجبي!!

### رباعيات جاهين

انتهت زيارة الطبيب بشكلٍ مطمئن لبسام. غادر معها وعادا للطريق، بدت فاطمة هادئة، شاردة، تتابع الطريق الذي لم تره لفترة طويلة بقيت فيها بالمنزل.  
"ماما"

ناداها، التفتت له:

- الدكتور قال مش عايزين زعل ولا ضغط ولا أي حاجه، يبقى ياريت نسمع الكلام وماتشغليش بالك بحاجه.

لم تعلق على كلماته، الهواء الذي يلفح وجهها كان مريحًا جدًا، انتبهت لصفحة النيل التي ظهرت لتقول:

- اقف هنا شوية يا بسام.

أوقف السيارة بالفعل، وعطل محركها، أسندت فاطمة رأسها على باب السيارة تعلق بصرها بمياه النيل التي تعكس أضواء ما حوله.

استمر شرودها الصامت، وتركها بسام علها تنال بعض الهدوء الذي تحتاج.

أما هي فقد عاد بها عقلها لما مضى، تبحث عن الخطأ الذي ارتكبته لتصل

الأمور مع الفتاتين تلك المرحلة، خاصة نانا، تلك الفتاة التي انضمت لبيتها

الصغير وهي ابنة ستة عشر ربيعًا، تلك الفتاة التي تميزت بالعناد والنظر لما

هو أفضل دومًا، بعكس مها الصغيرة ذات العشر سنوات، ومعهما بسمة التي

صاحبت نانا كثيراً وكانت الأقرب لها رغم فارق العمر بينهما، وكثرت نصائحها لهن.

"انتو بنات خدوا بالكم من نفسكم"

"مالكوش دعوة بغيركم"

"الولد اللي يقرب لبنت من ورا أهلها هيئذيا"

"اتقوا الله في نفسكم"

كلمات كثيرة قالتها كلما سنحت الفرصة وقضت الوقت معهن، وكانت مها الأكثر طاعة كيف لا وهي التي لا تعرف غيرهن ولا تتحدث لغيرهن، أما ابنتها وانا فلا، وهي نسيت كم قد يكون تأثير الغير مخيفاً، وربما هذا هو خطؤها، ليست كلماتها فقط هي التي تربي، أشياء كثيرة ربت معها وهي لم تدر.

"ماما"

نظرت له ليري عبراتها المحتجزة بين جفنيها، هز رأسه :

- مش قلنا مش عايزين زعل.

أومات برأسها بصمت، فاعتدل قائلاً:

- ماما هو أنتِ ليه ماحكتليش عن معاذ ده قبل كده؟! هو يعرف بسمه منين؟!!

تنهدت بحسرة:

- أقولك إيه يا بني، أقولك بنتي كانت تعرف شاب من ورا ضهري، ودي حاجه

تتقال.

ضاقت عيناه:

- طيب وماخطبهاش ليه، ماتجوزوش ليه؟!!

- العقل يا ابني، مافيش عقل هيقبل إن ابن البية يتجوز.....

قطعت حروف كلماتها وهي تنظر له، كم أخفت عليه الأمر كي لا تؤلمه، أعليها

أن تقول كل شيء الآن، أتخبره أنها عاشت خادمة هي وأخته وقد حرمتا من

حقهما الذي ناله وحده.

حثها على الكلام:

- يتجوز إيه؟!... علشان فقيرة يعني؟!!

هزت رأسها نفيًا:

- لا مش ده بس، بسمة كانت.... بنت الخدامة بتاعتهم.

فغر فاه للحظة قبل أن تتغضن ملامح وجهه:

- ك...كنتِ خ...  
ارتعشت شفتاه ولم يشعر بقدرته على قولها.

- أنتِ مش قلتيلي كنتِ شغالة في مستشفى باين، أنتِ ماقلتليش...  
زفرات متتالية نالها في محاولة لترتيب كلماته. اكتسى الحزن والههم ملامحها:

- وعلشان كده ماقلتلكش، هتستفيد إيه لما تعرف بهدلتنا زمان، أوجع قلبك

وقلبي ليه، أقولك إني كنت خدامة في قصر الهيثم وأختك كانت معايا، قلت

لنفسي أسكت وخلص إيه الفائدة لما يعرف.

- ليه كده يا ماما، هو مش أنا ابنيك، مش المفروض أعرف كل حاجة عنكم،

علشان كده مش عارف أقرب لبسمة ولا أفهمها، أنا ماعرفش عنكم أي حاجة،

أي حاجة!!

- يا ابني، والله ما سهلة عليا إني أقولك، الوحيد اللي قلت لازم يعرف كان

جاهين.

- إيه؟!.. جاهين عارف؟!!

نظرت له:

- أيوة عارف، لما قال عايز أختك قلت دي أمانه، لازم يعرف هيناسب مين،

افرض عرف بعد كده وقال ضحكوا عليا.

- جاهين عرف وأنا لأ؟!!

هزت رأسها بيأس:

- ماكنتش هقول لحد، بس لما طلب أختك قلت كنا شغالين إيه وبنعمل إيه، بس

ماقلتلوش فين وعند مين، والشهادة لله فضل باصص وساكت بعدين قالي، أي

بهده اتبهدلتوها هي بسببنا أحنا، محدش يقدر يحاسبكم عليها، وانتو دلوقتي

في بيتكم وأنتِ مرات عمي وهي بنت عمي.

تنهدت وهي تعيد بصرها للخارج:

- خسارة، كان نفسي تكمل معاه، أمر الله.  
أمسك بسام بمقود سيارته محاولاً التماسك عن الغضب الذي ملأ جوانبه، قائلاً:  
- يعني كنتو عايشين في قصر الهيثم، علشان كده معاذ عارف بسمة وسامر  
كمان.

- أيوة، معاذ ده كان عيل أكبر منها بسنة واحدة، بيلعبوا مع بعض قدام عيني  
وهما صغيرين، ماخطرش في بالي أنهم هيكبروا وحكايتهم كمان هتكبر، ولما  
عرفنا كان لازم نبعدهم، وبعدنا وعدت سنة ورا الثانية وقلت خلاص حكاية  
وخلصت، ماتخيلتش أن معاذ ده هيطلع لنا تاني، زي عفريت العلبة اللي بيطلع  
يخضك وهو قصده يضحكك.

ابتسم ساخرًا، ولسان حاله، هل من مزيد؟!  
منذ أول مفاجأة في حياته بعودة أمه للحياة وظهور أخت والمفاجآت والمتاعب  
لا تتوقف، ويبدو أنها لن تتوقف أبدًا.

- نفسي تقول لأختك إنه ماينفعهاش، الجواز دي يا بني هتفضل كلها مشاكل  
عمرها ما هتفرح فيها ولا بيها، هما الاتنين سرقاهم سكينه حب العيال اللي  
عاشوه، الحب اللي سرق البركة من الجواز دي من قبل ما تتم، لا أخوه ولا  
أمه هينسوننا وينسوا أحنا كنا إيه، أمه لا يمكن هتقبل بيا ولا ببنتي، هو يعني  
لازم تعيش اللي عيشته وتشوف اللي أنا شوفته علشان تصدقني.  
ظل على صمته، أدار محرك السيارة وعاد للطريق. وشاركته هي الصمت وإن  
لم يتوقف قلبيهما عن الأنين.

وصلا للمنزل، ساعدها على التمرج إلى أن وصلا للدرج.  
"سام"

جاء النداء من خلفه، التفت لها بينما قررت فاطمة الاستمرار في الصعود.  
- ممكن أتكلم معاك شوية.

هدنة!! كم يتمنى أن يصرخ في وجه الجميع ليطلب هدنة.  
نظر لأمه التي وصلت لأعلى ليزفر عائداً أدراجه:  
- نوناا، اطلعي ساعدي ماما.

دلف خلف سميحة التي دخلت غرفتها، أغلق الباب خلفه جلست لتربت على  
المكان الخالي جوارها:

- تعال اقعد.

جلس بصمت وإن حمل وجهه همًا.

- كنتو فين؟!!

- عند الدكتور، ماما قلبها تعبان.

- ألف سلامة، ربنا يشفيها.

نظر لها ولم يشعر بأي صدق في كلماتها، وكأنها تؤدي واجبًا لا أكثر.

- الله يسلمك.

قالها هو أيضًا كواجب رد.

ترددت للحظة قبل أن تحسم أمرها:

- بسام، هو أنت ناوي تكمل فعلاً؟!!

عقد حاجبيه مرددًا:

- أكمل؟! أكمل إيه؟!!

- مع البنت اللي أنت خاطبها دي.

أغلق عينيه زافرًا:

- ياماما، حرام عليك أنا تعبت، هو في إيه؟!.. ماتسيبيني براحتي، كفاية بقي.

علا صوته في نهاية كلماته، أمسكت كفه قائلة:

- حبيبي ممكن تهدي، أنت فاكر إني فعلاً مبسوطة إني بضايقتك، أنا بفكر معاك

بالعقل، العقل لازم يحكم كل حاجه في حياتنا حتى حبنا، ده جواز، نسب، أولاد

ومستقبل هتعيشه، لازم تختار صح، مش القلب بس اللي المفروض يختار،

خلي عقلك كمان معاك، لو عايز تعيش بطريقة صح وبعيد عن المشاكل، أختها

دي مش هتريحك أبدًا، دي اللي هتبقى خالة ولادك، أنت متخيل.

تغضن وجهه وشعرت هي بأنها اقتربت فأردفت:

- أنت لسه بعيد، مش مضطر تكمل، وأنا من بكرة هرشحك البنات اللي

يناسبوك فعلاً، ومتأكدة إنك هترتاح لأي واحدة فيهم.

هب واقفاً فأفزعها وقد تسارعت أنفاسه، رمقته بتوجس، تحرك مغادراً غرفتها دون أي تعليق، زمت شفيتها وقد ملأتها مشاعر الحيرة أفشلت في إقناعه، أو ربما نجحت، رد فعله لا يمنحها أي إجابة.

وصل باب غرفته وقبل أن يدلفها نادته، التفت لها فاقتربت:

- عايزة أتكلم معاك ضروري.

نظر لها بلا أي تعبير واضح، عقدت حاجبها:

- أنت كويس، في حاجة حصلت.

هز رأسه بلا وقال بصوتٍ شعرت أنه بعيد:

- بسمه ممكن نتكلم بكرة علشان خاطري أنا تعبان، واليوم ده كان طويل أوي.

أشفت عليه، أومات بنعم ليدخل إلى غرفته وأغلق بابها، سار بخطوات متعبة

إلى فراشه، جلس على طرفه وكأنه يلقي حملاً لا جسداً، مسترجعاً كلمات أمه،

هكذا كان الحال الذي لا يعرف عنه شيئاً، أمه كانت خادمة في قصر كبير وكذلك

عاشت أخته الوحيدة، وكل هذا لماذا؟!!

أحقاً بسبب اختيار أبيه، أم بسبب تعنت عمته؟!!

أكانت الأمور كلها لتصبح مختلفة لو بقي أبوه على قيد الحياة؟!!

مد يده لدرج الكومود يخرج صورة أبيه التي يحتفظ بها داخله، استلقى على

فراشه يطالعها، قبل أن يبتسم بحزن:

- كنت حاسس بإيه يا بابا لما فضلت حبك على عيلتك، كنت مبسوط ولو كنت

كملت كنت هتفضل مبسوط، ولا ربنا هداك لده لأن عمرك قصير فخلاك تختار

اللي بتحبها علشان تعيش معاها آخر أيامك، كان نفسي تكون موجود معانا، أو

كان نفسي أنا أفضل معاهم، أعيش اللي عاشوه وأشوف اللي شافوه، أنا

حاسس إنني بعيد عنهم أوي يا بابا، بعيد أوي!!!

أغلق عينيه التي قررت أن تذرف بعض العبرات عليها تخفف كل تلك المشاعر

الحزينة التي تملأ جوارحه، وخياله يمنحه أحلام حياة أخرى كان المفترض أن

يعيشها ولكنه لم يستطع فقط لأن عمته قررت أن تفصله عن أمه، فسرقت منه ماضيه وها هو يكاد يخسر حاضره ومستقبله معهما.

لاحت شمس الصباح ليبدأ يوم جديد، ودارت الحياة دورتها التقليدية، غير عابئة بهموم من فيها أو حتى أفراحهم. ودبت الحركة في قصر الهيثم كالعادة، واستيقظت سميرة على وكزات متتالية، لتنتفض فزعة:

- إيه؟! في إيه؟!!

- الحقي الهانم فضلت في الجنيينة ماطلعتش، أنتِ مش قلتِ هتشوفيها أنا روحت نمت وسيبتكم.

فركت سميرة عينيها:

- الفجر كان قرب سألتها لو كانت عايزة حاجه قالت لأ وروحي نامي، افكرتها هتطلع.

- دي زي ما هي في مكانها ماتحركتش.

وقفت سميرة لتطالع النافذة الصغيرة لتجد سما بالفعل كما تركتها أمس ولم تبدل ثيابها حتى، زفرت بأسف:

- ربنا يطمئنها عليه.

هزت الفتاة رأسها:

- أنا مش مصدقة أول مرة أشوفها كده، بس هي لا زعلانة ولا فرحانة ساكتة كده وخلص.

- سما هانم مش من النوع اللي بيعبر عن مشاعره، بطلي رغي بقى واعملي الفطار هعملها فنجان القهوة بتاعها واطلعها.

وصلت سميرة لسيدتها، لتحمل كوب أمس وتضع الكوب الجديد:

- سما هانم، حضرتك ما ارتاحتيش من أمبارح، تحبي أطلع الفنجان فوق أحسن، علشان ترتاحي في أوضتك.

هزت رأسها بلا، فأردفت سميرة:

- طب الفطار أجيبه هنا برضو.

كررت نفس الفعل بالرفض، نظرت لها سميرة لحظات قبل أن تقول بود قلما  
تبدية لسما:

- إن شاء الله هيقوم منها سليم، اطمني، ويرجع بيته هنا بقي بالسلامة.

- روعي شوفي شغلك.

بهتت للحظة قائلة:

- حاضر يا هاتم.

أسرعت راحلة من أمامها.

نظرت سما لهاتفها الصامت، معاذ لم يتصل بها منذ أن حدثته.

هل مات؟!!

هزت رأسها بلا، كانت ستعرف، ربما الحالة كما هي ولم تتحسن لذا لم يكلمها.

أسندت رأسها على ظهر كرسيها المبطن، لا تريده أن يموت، بالتأكيد لا تريد

هذا. ولم تكن تريد كل هذا الخصام والخلاف، لكنه من اختار، فماذا عساها

تفعل؟!!

ضحكاته الطفولية التي كانت تسمعها منه وهو صغير تتردد في عقلها منذ أمس

ولا تستطيع إسكاتهما، تذكر تلك الانتفاضة القصيرة التي أصابتها حال سماعها

خبر الحادث، انتفاضة وأدتها كما اعتادت أن تند كل مشاعر لا تروق لها، وهي

تكره أن تضعف لأحد أي أحد، حتى لو كان هو!!!

يعلم كم تعني الشركة لها، هي من علمته كل شيء ولم تنس أن تعلمه أن تلك

الشركة هي حياتها التي قضتها كلها من شبابها حتى تلك اللحظة، ربته وربت

معاذ ليكملا المسيرة بعدها، فقط بعدها لا أن يقصوها وهي حية ترزق وكأنها لم

تتعب يوماً من أجل ذلك المكان، هو أكثر من يعرف هذا عنها، ولهذا استنكرت

كثيراً تصرفاته التي تتالت منذ أن رفضت زواجه من تلك الفتاة، أصبح أكثر

عنداً لكل شيء، وما صبرها على كل هذا حرصه على العمل والنجاح كما اعتاد

أن يفعل، لكن هذه المرة الأمور أكثر سوءاً لا مانع عنده أن يبيع أسهم الشركة

لآخرين، لا مانع عنده أن يقسم ما تعبت لأجله كل تلك السنوات فقط لأنه حقه

من الميراث.

ضمت قبضتها بقوة، مرددة:

- يا ريت الحادثة دي تفوقك وترجع زي ما كنت، أرجوك ارجع زي ما كنت، بلاش تجبرني أكون أسوأ من كده.

رن هاتفها فأجابته على الفور:

- ها أخباره إيه؟!!

استمعت لمحدثها لحظات، عقدت حاجبها قائلة:

- طيب خليك قريب، ولو في أي جديد عرفني.

أغلقت الهاتف لتمسك بكوب قهوتها ترتشف منه ببطء.

أنهت صلاتها ودعت الله كثيرًا أن يكتب له النجاة، غادرت غرفتها لتهيء أختها سريعًا قبل أن تذهب إلى جارتهم.

أعدت إفطارًا سريعًا لأبيها الذي كان يتابع حركتها المتوترة السريعة، وهي تعلم أنه يفعل لكنها لا يمكنها أن تتصرف بعكس ذلك.

منذ أمس وهي تتهرب من الحديث معه، هو فقط ينظر لها وهي تبتعد، كم تخشى أن يطلب منها ما لا تطيق، تتمنى أن تخبره أن يمهلها فقط حتى يشفى سامر وستفعل كل ما يريد، هي واثقة أنه أصبح مدركًا لمشاعرها التي لم تعد قادرة على كتمانها، وهي أيضًا أصبحت تريد الابتعاد، لم يعد الأمر ممكنًا أكثر من ذلك، فقط يعود سامر وبعدها ستبتعد قبل أن تخسر نفسها أكثر.

وضعت الأطباق قائلة:

- يالا يا بابا؟ علشان نلحق نروح المستشفى، إحنا قلنالنا امبارح هنكون عنده من الصبح، ولا أنت مش عايز تروح.

رمقها لحظات:

- لا إزاي، هروح.

أومأت برأسها وهمت بالابتعاد ثانية، لكنها توقفت وهي تزفر بتوتر وضيق:

- بابا أنت زعلان مني؟!!

قالتا دون النظر له وكأنها تخشى ما قد تراه. صمت عبد الحكم وطال صمته حتى التفتت تنظر له فابتسم بهدوء قائلاً:

- هزعل ليه؟! .. أنا عارف بنتي كويس، بنتي مش هتعمل اللي يغضب ربنا أو يزعلني، مش كده؟

زمت شفيتها وقد واثتها رغبة للبكاء لكنها لم تستجب لها، وقالت:

- أكيد يا بابا، أنا عارفة حدودي كويس.

اتسعت بسمته أكثر ليقول:

- عموماً أحنا نطمئن على الرجل اللي مآذناش في حاجه وماشوفناش منه غير كل خير، وبعدها نبقي نتكلم.

وهي لا تريد أكثر من هذا، أسرعت تضم أباها إليها وهي تقبل خده:

- ربنا مايحرمنيش منك يا بابا.

- طب يالا البسي حجابك، لقميتين وهنتحرك.

ولم يتأخرا في الوصول للمشفى، وجدا معاذ جالساً متكئاً في نفس مكان أمس، اقتربا منه وتركت لأبيها الكلام.

ألقي السلام، انتبه له معاذ، سأله عن سامر، أخبره أن كل شيء كما هو والحالة لم تتغير لا للجد ولا للأسوأ.

ربت على كتفه مطمئناً:

- خير يا ابني، إن شاء الله خير.

أوما برأسه محاولاً الابتسام فلم ينجح في ذلك، نظر عبد الحكم لهيته فقال:

- ما تروح تغير وتظبط نفسك كده وأنا وبنتي هنفضل هنا، لو في أي حاجه حصلت هكلمك على طول.

صمت معاذ مفكراً، فأضاف عبد الحكم:

- أكيد في ناس هتيجي تسأل على أخوك، مش لازم يشوفوك كده، روح يا ابني ظبط حالك وتعالى.

هو بحاجه لحمام بارد، أوما برأسه:

- معاك حق، أنا مش هتأخر.

- ولا يهملك أحنا هنستنى.

أشار لزيينة فجلست وهو تبعها، تحرك معاذ مغادرًا، مرهقًا متعبًا وحزينًا، أوقف أول عربة أجرة وعاد لمنزله، تغلبه أفكاره ما بين سيء وجيد، ما بين أمل النجاة ويأس الموت، مر بالحديقة فانتبه لتلك الجالسة لكنه تجاهلها، رآته هي الأخرى، وقفت تنظر له، تأكدت من تجاهله فصاحت باسمه، التفت لها مانحًا إياها نظرة لم ترق لها، عقدت حاجبيها:

- إيه اللي حصل، سامر عامل إيه؟!!

حدجها بنظراته:

- ماتروحي تزوريه وأنتِ تعرفي بنفسك.

أنهى جملة وأكمل طريقه، صاحت به:

- اقف وكلمني يا ولد.

التفت صائحًا هو الآخر:

- بظلي تقوليلى ولد.

بهتت لصراخه فيها، تبعته ببصرها وهو يدلف للمنزل متممة:

- اتجنن ده ولا إيه؟!!

وصل لأعلى، وقف أمام غرفة سامر التي تركها منذ مدة، وكلما تذكر أنه السبب

يزيد حزنه أضعافًا، فتح الباب يدلف إليها، مرتبة، أنيقة، مثل صاحبها.

وضع كفه على عينييه اللتين عادتتا تذرفان الدموع.

- هترجعلها يا سامر، هترجعلها ولكل حاجة كنت بتحبتها.

مسح عبراته ليردف:

- والمرة دي أنا اللي هقف جنبك، زي ما طعنتك هسندك يا سامر، وهتشوف،

بس ارجع.

.....

انتهى من ارتداء ملابسه، خرج ليقف أمام الدرج الموصل إليها، فكر كثيرًا

بالأمس، لم ينم إلا قليلًا، صلى واستخار ربه، هو واثق الآن مما يريد، عليه أن

يضع فقط بعض النقاط على الحروف.

ورغم أن الوقت لا يزال باكراً لكنه يعلم أنها مستيقظة، صعد الدرج بحذر وقبل أن يصل للباب ناداها:

- مهاا، مهاا.

انتظر هنيهة، فسمع صوت نانا:

- اتفضل.

تخطى الباب ليجد نانا تقف بجوار باب الغرفة المغلق.

- هي بس بتلبس إسدالها وهتطلع.

أوما لها وهو ينظر لكدمات وجهها التي بدأت بالتعافي، بينما هي تخفض بصرها عنه.

- أنتِ اتعلمتي الدرس يا نانا صح؟!!

ارتجفت شفتاها ولازالت تتجنب النظر له، فأردف:

- ساعات بنحتاج قلم جامد علشان نفوق، بس الكارثة بقى ناخذ القلم ونكابر ونكمل بعناد، يا ترى أنتِ من أنهى شخصية؟!!

فُتح باب الغرفة لتظهر مها التي ارتسم على وجهها الغضب وقد بدت عيناها محمرتان.

- لو سمحت سيبها في حالها، هي مش ناقصة.

عقد بسام حاجبيه ولم يفهم سبب ذلك الهجوم، فقال:

- هو أنا قلت إيه، أنا مش من حقي أكلمها.

زمت شفتيها وعادت العبرات التي قضت ليلتها معها في الهطول:

- لأ، سيبوها في حالها بقى ماهي قاعدة ساكته طول الوقت ومش بتضايق حد، عايزين إيه تاني؟!!

- هو في إيه يا مها؟! مالك؟!!

زعمق بها، لتتجمع العبرات في عينيها، فأردف:

- أنا من حقي أتكلم معاها، هي هتبقى جزء من العيلة دي، وماينفمش تغلط الغلط ده تاني، مش دي اللي هتبقى خالة ولادي.

رفعت نانا بصرها إليه، وقد بدأت عيناها هي الأخرى تتألق بعبرات حبيسة.

- أنا عايز لولادي خالة محترمة!!

زعلق بها ليتهاجمد كل ما حوله حتى عبرات مها الهاطقة وقد اتسعت عيناها عن آخرهما وهي تحطق به ذهولاً وغبباً قبل أن تخفض بصرها قائلة:

- صح.. أنت عندك حق... احنا ماننفعش أنا وأختي ماننفعش من الأول ماكنش ينفع نيجي هنا ولا نكون جزء من عيلة مش بتاعتنا.

عقد حاجبيه مدرگًا لكلماتها التي تخرج تزامناً مع المزيد من الدموع:  
- من حقك تختار أم وخالة أفضل مننا.

أخرجت خاتم خطبتها وقد تحول غضبه إلى ذهول عارم وهي ترفع الخاتم أمام وجهه:

- اتفضل.. وشكرًا على كل حاجه.

صاحت بها نانا التي ظلت صامته منذ البداية:

- مها.. بتعملي إيه!؟!

بينما ضغط بسام على أسنانه:

- أنتِ فهمتيني غلط... أنا ما قصد...

قاطعة صائحة:

- كفااااا... أنت تقصد.. وأنا كرامة أختي من كرامتي أنا لا يمكن أسيبها أو أبدلها أو اتكرلها.. مستحيل... اتفضل.

تركت الخاتم على منضدة بقربها لتندفع ناحية أختها ممسكة بذراعها:

- ياله نمشي من هنا... خلاص مش هينفع نفضل هنا.

هزت نانا رأسها بيأس وهي ترى المزيد من النتائج المدمرة لأخطائها الحمقاء لتتبادل مع أختها العبرات وكأنه سباق ما:

- هنروح فين بس... استهدي بالله.

- عند محمد... هو جدع وهيقبل يسيبنا شفته الصغيرة وممكن يروح عند أي

حد صاحبه لحد ما نشوف هنعمل إيه!؟!!

لم يتمالك بسام نفسه ليصرخ باسمها في هدير صاخب:

- مهاا... واضح إنك مش مستوعبة لأي حاجة.. أحنا هنوقف كلام دلوقتي لحد ما نهدي ومش هسمحك تخرجي من هنا ولا تروحي عند محمد ولا غيره أنت فاهمة.

التفتت تصرخ به في عند مساو:

- بصفتك إيه؟!!!

ارتسم الجمود على وجهه قائلاً بصرامة:

- عندك ميت صفة اختاري منها اللي تحبيه وزى ما قلت مش مسموحك تسببي البيت لا أنت ولا أختك.

تركهما مغادراً تاركاً خاتم الخطبة حيث وضعته هي، بينما احتضنت مها أختها ليزيد نشيج بكائها لتشاركها حميمته نانا مربته على ظهرها، هامسة بألم:

- آسفة.. سامحيني... آسفة.

اندفع في طريقه وقد وصل غضبه ذروته حتى أنه اصطدم ببسمة التي تفاجأت به:

- بسام، أنت كنت فوق؟!!

لم يجبها وأكمل طريقه لتنادي عليه:

- بسااام، قلت لي هنتكلم الصبح، بسااام.

زفرت بضيق لعدم وقوفه وذهابه دون أن يلتفت لها، دارت على عقبيها تصعد لأعلى، وجدت الفتاتين تبكيان بشدة، أسرعت نحوهما:

- في إيه؟! بسام كان هنا صح؟!.. إيه اللي حصل؟!

ابتعدت مها عن أختها تختفي بغرفتها، فأمسكت بسمة بكتفي نانا:

- نانا أنتِ كمان بظلي عياط، هو بسام عمل إيه؟!!

دفنت نانا وجهها بين كفيها:

- يارب امووت، يا رب اموت علشان كلكم ترتاحوا، خدني يا رب. وكزتها بسمة بقوة:

- إيه اللي بتقوليه ده، حرام عليك.

أمسكتها لتدفعها للوقوف:

- قومي يا نانا، تعالي جوه عند أختك عايزة أفهم، قووومي.  
تبعتها بالإجبار، وأغلقت باب الغرفة وهي تلح عليهما أن تهدأ لتخبراها بما  
حدث.

.....

وصل للعمل وطرقات على رأسه تتوالى فأصابته بآلام الرأس، مر على محمد  
وسأله عن جاهين، أخبره أنه اتصل به يخبره بذهابه إلى مكتب النائب العام مع  
المحامي يقدم شهادته فيما يخص حادث سامر وعلاقته بشهاب.

- هو شهاب اتقبض عليه؟!!

أوما محمد:

- أيوة امبارح بليل.

- الحمد لله.

- مالك شكك تعبان أحنا لسه في أول اليوم.

هز كتفيه دون تعليق، ليدخل إلى مكتبه، جلس مهموماً.

نبوءة جاهين تحققت، حذره من الكلام كي لا يزيد الطين بلة وها هو فعلها، إلا  
أن غضب مها غير المبرر هو الذي زاد عصبيته، ألا يكفي ما فيه من ضغوط  
فبدلاً من أن تتفهمه تهاجمه دون حتى أن تسمع كل ما يريد قوله، وبعدها تخلع  
خاتمه من إصبعها، بهذه البساطة تريد إنهاء الأمر.

ألا يعني لها شيئاً؟!!

أم أن هذه الزيجة بالفعل لم يكتب لها النجاح؟!!

زفر بحنق وهو يستند برأسه على مكتبه، فلم يشعر بجاهين الذي دلف إليه،  
وانتبه لحالته:

- مالك؟!!

رفع رأسه:

- مافيش، طمني عملت إيه؟!!

- خدوا شهادتي بس هيطلبوني تاني.

- يعني فعلاً طلع شهاب السبب؟!!

- أنا متأكد إنه هو، هو لسه بينكر بس مسيره يعترف.  
جلس مضيئاً:

- أنت خدت نمره أخوه؟!!

- أيوة معايا.

- طب كلمه كده وخليه يطمنا.

نظر له قبل أن يومئ برأسه، أمسك هاتفه ليتصل به، وكان الرد سريعاً،  
وبكلمات قليلة علم أن حالة سامر كما هي، لم تسوء ولم تتحسن.  
دعا جاهين من قلبه أن ينجو سامر من تلك الحادثة، يكفي ما يشعر به من  
تأنيب ضمير لأن هو من زج به في تلك المعضلة.

"جاهين"

نظر لبسام الذي قال:

- أنت ليه ماقتليش اللي ماما قالتها لك عن حياتهم زمان.  
رمقه بصمت، ثم هز رأسه:

- يعني، أعتقد هي اللي المفروض تقولك مش أنا، وأنا حسيت أنها مش عايزة  
حد يعرف، ولولا...

قطع كلماته للحظة فهو سيفهم، مردفاً:

- أنا كمان ماكنتش هعرف.

أوما برأسه:

- تعرف بقى كانوا شغالين عند مين كل ده؟!!

هز رأسه نفياً ليردف بسام:

- قصر شاكر الهيثم.

حدق فيه جاهين بغير تصديق:

- عند سامر.

- أيوة، وبسمة ومعاذ تقريباً متربيين مع بعض، بس طبعا كابين البية وبننت....

لم يقلها وهو يزفر بضيق.

ضاقت عينا جاهين:

- وبعدين؟! إيه اللي حصل؟! منذ البداية وهو لديه هذا الفضول في معرفة طبيعة علاقة بسمة ومعاذ، فما رآه يخبره أن معرفتهما بالفعل ليس وليدة لحظة أو أيام قليلة.
- لما خدوا بالهم، ما عرفش مين بالضبط، بس ماما بتقول بعدوا كذا سنة، مش عارف بقى قابلها فين تاني؟! مط جاهين شفتيه، هو يعرف الإجابة، يوم خطبته.
- هكذا إذاً، المشهد الذي رآه كان بين اثنين افترقا والتقيا دون سابق إنذار، وكان عليه هو أن يدفع الثمن.
- عموماً أهى رجعت بقت بنت بيه هي كمان، مبروك مقدماً.
- وقف يتبعه بسام ببصره:
- من قلبك يا جاهين.
- أوقف حركته للحظة ثم أكملها قائلاً:
- مش هتفرق.
- اقترب من باب المكتب مضيئاً:
- لو عرفت حاجه عن سامر بلغني.
- خرج وأغلق الباب خلفه، وعاد بسام يضع رأسه على مكتبه، وما زالت همومه تتضاعف بلا توقف.

استمرت محاولات بسمة في تهدئة مها، التي كانت غارقة في البكاء، وكذلك نانا، أخبرتهما أن بسام لا يعرف شيئاً عن كلمات سميحة ولن يفهم سبب غضبها أبداً، وأنه كان على مها أن تحدثه أولاً في هذا بدلاً من العراك مباشرة.

- خلاص يا بوسي، مافيش فايده، عمتك صح، أنا ما انفعوش.

- بقولك إيه ماتعصبنيش، والله العظيم بسام بيحبك، هو بس بيثيل هم كل اللي حوالية والدنيا حواليا مدربكة، معلى اديله شوية وقت بس أنا متأكدة لو عرف بالي عملته سميحة مش هيسكت، هو آه مش هيعملها حاجه لأنه بيعتبرها أم،

أم أربعة وأربعين دي، بس هيتصرف بطريقة تانية، زي ما تمم الخطوبة وزي ما وقف جنب جاهين، على فكرة أخويا بيعرف يجيب من الآخر لما يتزنى. لم تعلق مها واستمر بكاؤها لتضمها بسمة :

- علشان خاطري كفاية عياط، لو بتحبيه اصبري عليه، ماظنش أبدًا إن كان قصده وحش كده، بسام مش بيعرف يأذي حد، هو بس محتاج يكون أشد من كده.

رمقتها نانا وهي تكتم شهقاتها كي لا تزيد بكاء أختها، ومن داخلها يعتصر قلبها ألمًا، ولم تجد غير مناجاة ربها لعلها المنجية.

"سامحني يارب، أنا غلطانة يا رب، ماتحملش حد ذنبي يارب، أعمل إيه علشان غلطي تتصلح، أعمل إيه؟! ساعدني يا رب"

لم يخطر ببالها أن هناك من الأخطاء ما قد لا يجدي معها ندمًا وأنها لن تكون الوحيدة التي ستدفع الثمن، فخطأ الفتاة مثلها يدفع ثمنه كل من يخصها.

.....

مع حلول الغروب تركت الفتاتين، وصلت لباب غرفة أمها التي لم ترها منذ أمس، كلما اقتربت منها خطوة، يحدث ما يبعتها عنها خطوات، وهي لا تعرف من السبب، أتعت أمها أم عندها هي؟!!

لكن هذا الحال لا يريح أحدًا، وهي تعلم هذا جيدًا.

طرفت على الباب برفق تريد الاطمئنان عليها، نظرت لها أمها بصمت حمل حزنًا، اقتربت منها لتجلس جوارها:

- ازيك النهاردة يا ماما؟

- الحمد لله.

- الدكتور قال إيه؟

- هعيش.

رمقتها بسمة وهذه المرة غلبها حزنها على غضبها بسبب ما آلت إليه علاقتها مع أمها.

- ماما، أنا تعبت بجد من الطريقة دي؟!!

- مش أكثر مني!!

- طب إيه، ما كفاية طيب، أنا مش فاهمة، ماتكلميني أحسن من إنك تبعدني عني.

مطت شفيتها لتقول بحسرة:

- وهو أنا لو كلمتك هتسمعيني، أنت ماتفرقيش كتير عن اللي فوق دي، صوتكم من دماغكم، حتى الغلط مش بتعرفوا بيه.

- وإيه بقى الغلط اللي أنا عملته، فسخت خطوبتي، هو أنا أول واحدة تعملها.  
- إنتِ غلطك قديم، قديم أوي وعمري ما تخيلت أنك لسه عايشة فيه، افكرتك كبرت وعقلت وعرفت إنه كان لعب عيال، بس واضح أنه مافيش فايده.  
هزت رأسها قائلة:

- ماشي يا ماما كان لعب عيال، ودلوقتي مبقاش، في واحد عايز يتجوزني وأنا موافقة عليه، فين بقى المشكلة!؟

- مش بقولك صوتك من دماغك، يابنتي الجوازة دي خلاص، مافيهاش خير، اللي يبتي بعيد عن ربنا عمره ما يكمل على خير، بركتها راحت، رضا ربنا عنها راح، فوقي بقى.

هبت واقفة وقد عادت لها عصبيتها:

- ورضا ربنا وبركته مع جاهين وبس، مش كده.

لوحث أمها بكفها:

- جاهين خلاص راح هو كمان، راجل مين اللي يقبل يمسك واحدة شابطة في غيره، ربنا اداكي هدية من عنده راجل بجد، يخاف عليك ومن دمك ولحمك، وبدأها بالجواز مش بقعدات في الدرا ومن ورا ضهر أهلك، دي لوحدها كانت كفاية علشان أظمن إن ربنا هيسترها معاكم.

- جاهين ده مش ملاك، ده شيطان!!

نظرت لها أمها بذهول قبل أن تقول بغضب:

- اسكتي، هو أنتِ عايزاه يبقى وحش وخلاص علشان تبقي أنتِ اللي حلوة.  
كلمات آلمت بسمه بشدة هكذا دائماً تراها أمها، وكأنها لا ترى إلا أسوأ ما فيها.

- أنتِ بتعملي كده ليه، دايماً جاية عليا قصاد أي حد، بسام وأنا يبقى بسام، جاهين وأنا يبقى جاهين، ده لو العفريت الأزرق هتختاربه هو وأنا لأ برضو، أمتي هتقفي جنبي أنا؟.

- وهو يعني علشان أعجب لازم أقف جنبك حتى لو على باطل.

- باطل!! أتجوز الإنسان اللي بحبه وبيحبني باطل.

- ايوة بااa

حدقت في أمها قبل أن تملأ عينيها الدموع:

- ليه كده يا ماما، ليه مش عايزاني أفرح، ليببيه؟!

غادرت غرفتها باكية، رفعت فاطمة كفها تريد إيقافها وقد حن قلبها لابنتها لكنها ذهبت، لتذرف هي الأخرى الدموع:

- والله ما هتعرفني تفرحي في الجواز دي، يارب فهمها يا رب، نور بصيرتها يا رب.

استمر الانتظار إلى أن وصلوا لليوم الثالث، وسامر كما هو، صحيح أنهم نزعوا عنه جهاز التنفس الصناعي لتمكن رئتيه من العمل، وبشروهم أن في ذلك علامة طيبة، لكن سامر لم يستيقظ، لم يحرك جفنًا حتى. وهم ما بين أمل ويأس يدعون له.

أمسكت بكوب العصير لتمنحه لأسماء التي أصرت أن تأتي معهما هذه المرة، فوالدها ظل يصاحبها إلى المشفى لعدة ساعات ثم يرحل معها. تنتظر أن يخرج معاذ، فقد سمحوا بالزيارة لسامر في محاولة منهم لتشجيعه على الاستيقاظ بسماع صوت ذويه.

فكان يقضي معاذ معظم الوقت مع أخيه، يتكلم معه، يقص عليه الكثير من ذكريات طفولتهما، الشيء المحبب له دومًا وكانت تنال هي وأبوها أيضًا بضع دقائق.

خرج معاذ بالفعل، اقترب منهم:

- ها يا ابني؟!!

سأله عبد الحكم، فأجاب:

- نايم زي ما هو يا عم حكم. يالا ادخلوله أنتو كمان.

تلك اللحظات رغم أن زينة تنتظرها كثيرًا لكنها مؤلمة جدًا في نفس الوقت، أن تظل تحدث من يهيك ولا تجد منه ردًا، بل تخشى وبشدة أن تسمع أزيزًا ما ينبؤك برحيله الدائم.

أمسكت بكف أبيها كما تفعل في كل مرة وكأنها تستمد منه القوة، ومن الجانب الآخر تسير أسماء. دلفوا لغرفة سامر التي يستقر فيها وحيدًا تحيطة الأجهزة المراقبة لمؤشرات الحيوية.

ملامح وجهه شاحبة، وتبرز الكثير من المعاناة التي فيها جسده.

وقفت في مكانها لم تقترب أكثر كما تفعل دومًا، بينما اقترب عبد الحكم وأسماء، وضع كفه على ناصية سامر ودعا له دعاء الشفاء كما فعل أمس وأول أمس.

تقاوم زينة عبراتها، فالمشهد مهما تكرر لازال يؤلم.

- ها يا بطل، ماشبعتش نوم، يا لا بقى استئينا كثير، عمك حكم بيتعب من القعدة، وأخوك مش بياكل كويس خالص، على فكرة ده بيحبك أوي، ربنا يردكم لبعض.

نظر لزينة التي تراقب وجه سامر تتمنى أن ترى عليه أي لمحة توحى بأنه يسمع كلمات أبيها.

قالت أسماء:

- هو نايم يا بابا.

- ايوة يا حبيبتي، بس تعبان أدعيه ربنا يشفيه، كلميه يا سومة يمكن يسمعك. اقتربت الفتاة أكثر لتقول بصوت مرتفع بعض الشيء وكأنه قد ضعف سمعه.

- أزيك يا عمو سامر، يارب تخف، أنا بحبك أوي يا عمو سامر، وبحب الشوكلاتة اللي بتجبهالي، يالا خف وهاتلي واحدة كمان، واحدة بس أنا مش طماعة.

ابتسم عبد الحكم وهو يربت على رأس ابنته الصغيرة ونظر لزينة التي وضعت كفها على فمها تكتم شهقات تريد الإفلات، التفتت مقررة المغادرة فلن تتحمل المزيد.

لكنها تسمرت مع سماع صوت أسماء:

- عمو سامر صحي يا بابا.

دارت بجسدها بل بكل جوارحها تنظر للوجه الذي افتقدت رؤيته مستيقظًا، شهقت بغير تصديق، سامر بالفعل كان يفتح عينيه ببطء محددًا بالسقف، أسرعت نحوه دون إدراك لأي شيء، استندت بكفيها على طرف الفراش:

- سامر، سامر أنت سامعني، سامر أنت صحيت!!

ابتسم عبد الحكم وهو يميل ناحيته:

- حمدلله عالسلامة يا ابني، حمدلله عالسلامة.

دار بصره ببطء ينظر لمن حوله، رأى عبد الحكم وعلى الجانب الآخر رأى زينة التي تنظر له بلهفة واضحة:

- سامعنا، أنت سامعنا، قول أي حاجة؟!

أغلق عينيه، وأعاد فتحها وكأنه يومئ بنعم، تعالت ضحكاتهما وأسرعت ترتمي بين ذراعي أبيها فرحة، ليربت على ظهرها قائلاً:

- اطلعي يا بنتي قولي لأخوه خليه يجي ويشوف الدكتور فين.

تحررت من بين ذراعي أبيها، ودارت لتخرج لكنها وقفت عند الباب لتلقي عليه نظرة أخرى، تتأكد بأن الأمر لم يكن وهمًا، سامر قد فتح عينيه. سامر عاد.

## الفصل الثامن عشر

عاد الربيع كأنه طعم الحـب  
و الحب نار جوه العروق بتصب  
اتمتع ازاي بيه وأنا متقطـع  
من كتر خوفي لا في الخطيئة يطب؟  
عجبي!!

### رباعيات جاهين

لم يصدق أذنيه وزينة تهرع إليه تخبره أن سامر قد استيقظ، تسمر مكانه دون حراك، بعد أن تصور أنه سيطير إليه، لكنه يخشى ما قد يحدث.  
ماذا لو غضب لرؤيته، ماذا لو نبذه ولفظه بعيداً؟!  
أسيتحمل هذا؟!

يريد أن يخبره بالكثير، كم كلمات فكر بها وأعدّها لتلك اللحظة ولا يذكر منها أي شيء، أسيفهمه أخوه من نظرتة كما اعتاد أن يفعل معه في صغره.  
عادت زينة له:

- أنت واقف كده ليه؟! يالا علشان تشوفه.

- يمكن مش عايزني.

عقدت زينة حاجبها قائلة:

- إيه اللي أنت بتقوله ده، دي فرصتك علشان تصالح أخوك متضيعهاش، يالا!  
شجعتة كلماتها فتبعها، وقف عند الباب، يتأكد من أن أخاه بالفعل قد استيقظ، لتتسع بسمته فرحاً وهو يرى عينيه مفتوحتين، اقترب بخطوات مترددة إلى أن أصبح في دائرة بصره، ليحرك سامر رأسه ببطء ناظراً لأخيه.

وكان هذا كفيلاً بإنهاء كل تردده، أسرع لأخيه وكاد أن يرتمي عليه لولا أن جذبتة زينة من قميصه بشكل غير متوقع:

- حاسب.

انتبه لما كان سيفعل.

- أه، آسف، آسف.

ردها وقد عاد له ترده، وسامر يكتفي بالنظر إليه. دنا من أخيه ليستند على فراشه مقترباً منه، وقد ارتسمت الفرحة على وجهه:

- سامر، حمدلله على سلامتک، أخيراً صحيت.

تبادل النظر مع أخيه بصمت، كلاهما يطالع الآخر، نظرة سامر لا تحمل معنى واضحاً له، أما هو فتمنى أن يقرأ سامر كل كلمات الاعتذار التي يريد أن يقولها.

مال برأسه ليضع جبهته على صدر سامر برفق:

- أنا آسف، آسف جداً، أنا محقوكلک وبعذرک عن كل حاجه عملتها وضايقتک، سامحني يا سامر علشان خاطري، لو ليا خاطر عندک سامحني أرجوڪ. ابتسم عبد الحكم وهو يتابع ما يحدث، أما زينة فواتتها رغبة في البكاء لا تعرف سببها، واستمرت كلمات معاذ:

- أنا ماكنتش أعرف أنت مهم عندي أد إيه؟! بس خلاص عرفت، عرفت إني عشت عمري كله وأنا واقف وراك وبتحامي فيک، حتى وأنت بعيد عني، سامحني.. سامحني يا سامر.

كتم صوت بكائه، وهو على حاله.

حرك سامر بمجهود واضح ذراعه السليم، ليضع كفه على رأس أخيه، يربت عليها بوهن، نظر له معاذ وقد احتل وجهه الباكي بسمة سعادة، ردها له سامر قائلاً بصوت أقرب للهمس:

- وحشتني.

تعالت ضحكاته التي خالطت بكاءه وهو يدفن وجهه في صدر أخيه مجدداً، وقد ارتاح قلبه أخيراً. لقد استعاد أخاه مرة أخرى، وهذه المرة لن يخسره أبداً.

.....

تحقق بالسقف بجمود، لم يعد لديها ما تفكر فيه، ولم ترهق نفسها في التفكير  
بينما الكل يسير عكس تيارها هي، إلى متى ستبقى تحارب وحدها، أعليها  
الاستسلام الآن؟!!

ولم لا؟!!

هي مرهقة، ومتعبة، ولا أحد معها.

علا رنين هاتفها للمرة .....، لم تعد تحصي مرات اتصاله بها، وهي لا تجيب،  
وبماذا تجيب؟!!

ليس لديها حتى ما تقوله له.

قضت يومين في غرفتها لا تغادرها إلا للضرورة، وحتى الفتاتين لم ترهما،  
وهما لم تنزلا لها، وكأنهما أيضاً قررتا مشاركتها في هذا الاعتكاف الاختياري.  
لفت رأسها ناحية الباب الذي دقه أحدهم، سمعت صوت بسام ينادي عليها،  
فقالت ما قالت بالأمس وقبله:

- أنا مش عايزة أشوف حد.

صمت بسام لحظات قبل أن يعلو صوته:

- ما كفاية بقى يا بسمة، خلىنا نتكلم طيب.

- مش عايزة أتكلم مع حد.

صاحت بها بعصبية بالغة.

- بسمة، ممكن تهدي، دي مش طريقة تفاهم.

أسرعت للباب لكنها لم تفتحه وضعت كفها عليه ليزيد صياحها:

- مافيش حد بيتفاهم معايا من أساسه.

- ليه بس، مش اتفقنا إننا هنتفاهم مع بعض، افتحي يا بسمة الله يهديك، قولي

كل اللي أنت عايزاه أنا هسمعك، بس افتحي.

صمت وكذلك هي، ليكرر:

- معلش يا بسمة، علشان خاطري افتحي، أنا عايز أسمع منك حاجات كثير.

مرت لحظات أخرى حتى فتحت له الباب.

جلس على كرسي المزينة، جلست هي على فراشها فقال:

- اتخانقتي مع ماما تاني؟!!
  - قول عاشر، ماما مابقتش بتعمل حاجة غير إنها تخانقتي.
  - بسمة، خدي بالك أنها عيانة ومش حمل تعب وزعل.
  - ما أنا مرزوعة في أوضتي أهو، أعمل إيه تاني?!!
- زفر قائلاً:

- طيب المهم، أنا عايز أسمع منك عن معاذ.
  - بهتت للحظة ، قائلة بتردد:
  - معاذ، مش فاهمة، تسمع إيه?!!
- اعتدل قائلاً:

- بسمة أنا عرفت أنت تعرفيه منين ووضعكم كان إيه، ماما سمحتلي أشوف حته من الماضي اللي أنتو الاتنين قافلين عليه بالضبة والمفتاح، ولا كأي ابنها وأخوك اللي من حقي أعرف كنتو عايشين إزاي!! بس خلاص ما علينا، المهم دلوقتي الوضع اللي أحنا فيه ده، أنا وأنت وماما، وضع سخيف ومش منطقي، كل واحد فينا عايش في دايرته هو ومش بيدي التاني فرصة ولا حتى لنفسه يشارك الدائرة دي معاه، ولو فضلنا كده هنتمنى لو كل واحد فضل مكانه ومقابلش التاني، وأنا مش عايز كده، يا ترى أنت بقي عايزة إيه?!!

عم الصمت وعيناها بعيني أخيها:

- عايزة حد يفهمني، يقدرني، يحس بيا حتى لو مش مقتنع باللي بقوله.
  - هايل، أنا يا ستي هفهمك، وهقدرك وهحس بيك، ويمكن أقتنع كمان مين عارف، بس افتحي دايرتك يا بسمة، سيبنى أبقى جزء منها.
- طالعتة بحزن:

- ولو زقتني ووقعنتي زي ما كله بيعمل?!!
- هز رأسه نفيًا:

- مش هيحصل، أوعدك أني لا هزقك ولا هوقعك، اتكلمي أنا سامعك.
- خفضت بصرها تفكر، أعليها أن تفعل، ولم لا?! لم يعد لديها ما تخسره!!

أومات برأسها لتخبره، قصت عليه بكلمات حرصت على انتقائها، لكنها لم تكذب، أخبرته كيف أنها عاشت طفولتها ومراهقتها مع معاذ مكان عمل أمها، وأن هناك مشاعر كثيرة تولدت داخلهما، ومع هذه الهوة الكبيرة بينهما قررا أن عليهما الصبر حتى انتهاء الدراسة والعمل وبعدها سيتزوجا، إلا أن سامر لم يمنحهما الوقت، وأبعدها عنه بعد أن ودعته للسفر دون حتى أن تخبره بأنها لن تراه ثانية كي لا يعدل عن أمر السفر. وافتراقا، ومر عام تلو آخر حتى ظنت أنها فقدته للأبد، انتهت دراستها الجامعية وبعدها بوقت قليل ظهوروا هم في حياتها، وقد تأقلمت تمامًا مع فكرة أن معاذ لن يعود لها، بل لربما تزوج ونسي أمرها، وقبلت بخطبة جاهين لكن عند رؤيته قدرًا يوم خطبته، استعادت كل مشاعرها القديمة وعلمت أنه طوال تلك السنوات يبحث عنها. وكان لابد من فسخ الخطبة كي لا تظلم جاهين أو تظلم نفسها، وها هي الآن، تقف في مكانها، لا تقوى على فعل أي شيء آخر مع إصرار أمهما على عدم قبول معاذ. أنهت كلامها وهي تلتقط أنفاسها كمن كان يعدو طويلًا، لم يقاطعها بسام على الإطلاق، انتبه لكل كلماتها جيدًا كي لا يغفل عنه شيء، وكم أسعدها هذا، من وسط كل ما تشعر به من حزن، ملامح الاهتمام على وجهه منحتها شعورًا طيبًا، لعله ذلك الشعور الذي تشعر به الأخت حال اهتمام أخيها بها، شعور لم تعرفه كثيرًا بل هناك الكثير من المشاعر التي لم تختبرها مع بسام بعد. رن هاتفها الذي كان على المزينة بجوار بسام، نظر له ليجد اسم معاذ يضيء على الشاشة، نظر لأخته وبدا عليه اللوم:

- هو بيكلمك على طول ولا إيه؟!!

لوت شفتيها، ها هو عاد للوم سريعًا:

- لأ مش على طول، بس أنا بقالي يومين مايردش عليه خالص.

أمسك بالهاتف ليرد هو، وما إن فتح الاتصال حتى سمع معاذ:

- إيه يا بوسي، مش بتردي عليا ليه؟!!

"بوسي، دانا مابقولهاش بوسي" ردها بسام في عقله.

- أزيك يا معاذ.

جاوبه الصمت، فأردف:

- أنا بسام.

- أه، أهلاً.. هو في حاجه، بوسي بخير؟!!

- الحمد لله بخير.

لم يضيف المزيد، فقال معاذ:

- الحمد لله، أصل سامر صحي.

ابتسم بسام ببهجة:

- فعلاً، الحمد لله، حمد الله على سلامته.

- الله يسلمك.

- تمام، أنا هقول لبسمة، وهنجيلكم.

- أهلاً وسهلاً، ماشي سلام.

- سلام.

وضع الهاتف ليقف:

- سامر فاق الحمد لله.

هزت رأسها متممة بالحمد، فأردف:

- طيب قومي البسي علشان نروح المستشفى سوا.

رمقته لحظات بشك، فأكمل:

- ماهو أحنا نروح سوا أه، لكن تروحي لوحدك لأ.

هزت رأسها:

- أنا مش عازة أروح في حتته، أروح ليه، أنا خلاص فقدت الأمل في كل حاجه،

وتعبت والله تعبت.

- بس الأمل دائماً موجود، المهم نوصله صح؟!!

بدا على وجهها التساؤل، اقترب يجلس جوارها:

- اسمعي يا بسمة، أنا اتعلمت وفهمت أن التوبة تجب ما قبلها، أنا ما عرفش

أنتو كنتوا عايشين إزاي مع بعض بس فكرة أنكم اتربيتوا مع بعض وقريبين

أوي كده، وكبرتوا على كده، يعني في حاجات كثير حصلت محتاجة إنكم تتوبوا

عنها، ونقطة بقی ونبدأ صفحة جديدة، بس نبدأ صح، وأعتقد ساعتها هيكون في أمل، وسيبي ماما عليا أنا.

تسللت البسمة إلى شفتيها مرددة:

- بجد يا بسام!!

- أيوة بجد يا بوووسي.

ضحكت فلأول مرة يناديها باسمها المدلل، ليردف:

- أنا والله نفسي كلنا نكون مبسوطين، بس الدنيا متلخبطة جامد، فخلينا نمشي واحدة واحدة.

احتضنته فجفل من فعلتها، ليبتسم بعدها وهو يربت على ظهرها.

- شكراً يا بسام، شكراً أوي.

- العفو يا ستي، عدي الجميل، بس زي ما اتفقنا، هنبداً صفحة جديدة، يبقى مافيش مقابلات ولا تليفونات لحد ما نعرف هنعمل إيه اتفقنا.

- اتفقنا.

قالتها وهي لازالت تضمه إليها، وقد غمرتها مشاعر راحة غابت عنها طويلاً، ليته يبقى هكذا معها دائماً.

وقفت في الردهة تطالع المنزل من حولها، داخلها مشاعر حزن كبيرة، أهذا هو المنزل الذي كان يضج بصيحات ابنتها وقهقهات ابنها، حتى هدوء بسام كان يمكن استشعاره فيه، كان النسمة الهادئة لهذا المنزل الصاخب.

شخصت ببصرها إلى مائدة الطعام، التي كانت واجب على الجميع التجمع حولها على الإفطار والعشاء، مهجورة كبيت كبير كل أهله استقل بغرفته ليتحول إلى فندق لمجموعة من الغرباء.

هزت رأسها بحسرة، وقد ظنت أن خطبة ابنها ومن بعده بسام سيملاً هذا المنزل فرحة، إلا أن العكس هو الذي حدث.

انتبهت لبسام وبسمة وهما ينزلان الدرج، رآها بسام فألقى التحية، وكذلك بسمة، التي رأت في عيني ميادة نظرة بدت مختلفة، حتى بسام انتبه لذلك، فاقرب منها:

- مالك يا طنط ميادة؟! في حاجه؟!!

هزت رأسها بلا، واكتفت بالصمت:

- طيب أنا وبسمة رايعين نزور حد في المستشفى، وهنتعشى بره فماتستوناش.

مطت شفيتها:

- وهو في حد في البيت ده بيتعشى مع حد، ماكله بقى بيتعشى لوحده.

أشاحت بسمة ببصرها بعيدًا وقد شعرت أن كلمات ميادة تضربها هي بالذات، قال بسام:

- معلش يا طنط، إن شاء الله كل حاجه هتبقى أحسن، نشوفك بعدين، يالا يا بسمة.

تبعته بسمة دون أن تنظر لميادة ثانية، التي ظلت تتابعها وهي تبتعد، هذه الفتاة التي غيرت من ابنها كثيرًا، دون أن تدرك هذا، ولا تعلم أتلومها أم تلوم ابنها على عدم تمسكه بطباعه فقط من أجلها. يتبدل كثيرًا حين تكون في الجوار، أعليها أن تطلب منه مغادرة هذا المنزل للأبد والعيش بعيدًا؟!، في كل الأحوال المنزل هنا لم يعد مريحًا.

هزت رأسها رفضًا للفكرة، أبعد كل تلك السنوات هم من سيتركان المنزل لمن أتوا من بعدهما بسنوات، زفرت مرددة:

- الله يسامحك يا سميحة، لو يعني كانوا عاشوا مع بعض من زمان مش كان أحسن، وكنا فضلنا عيلة زي ما احنا.

"ماما"

نادها من خلفها، التفتت له.

- جاهين، حمدلله عالسلامة.

ضحك مقتربًا منها:

- هو أنا كنت مسافر ولا إيه؟!!
- هي جت عليك، ماكل اللي في البيت ده مسافر، هو حد بيشوف حد.
- اممممممممم، شامم ريحة تقطيم جاية في السكة.
- ضحكت على كلماته، لف ذراعه على كتفها:
- سيبك أنت من كل اللي في البيت، المهم أنت معايا يا قمر.
- ربتت على كفه:
- شوفت بسام كان لسه خارج.
- أوما برأسه:
- أه شوفت العربية وهي طالعة، المهم أنا جعان وعايز أكل، ناكل سوا.
- يااريت، أخيراً مش هاكل لوحدي.
- تبعها إلى المطبخ وهو يمازحها، بينما تنظر له بحب وشوق أم إلى طبيعة ابنها  
المرحة، والتي استعاد بعضها فقط معها.

.....

النور يضفي على أي كان مشاعر راحة غامرة، وهي تشعر الآن أنها تسير في  
النور، بعيداً عن الظلام الذي كانت تستشعره منذ أن كانت تختبئ لتلتقي به في  
حديقة المنزل إلى آخر مرة رآته بها.

هي تسير بجوار أخيها بشعور مختلف، لأول مرة تعرف أنها تلتقي معاذ دون  
مشاعر الخوف وتأييب الضمير التي تقاومهما بغضبها وعندها، هي الآن أهدأ  
ما يكون، لا تخشى شيئاً، فأخوها معها.

انتبه لهما معاذ فور اقترابهما، أسرع نحوهما يصافح بسام الذي قابله بابتسامة  
ودودة، نظر لبسمة بلوم عرفت سببه؛ عدم ردها على اتصالاته، فتغاضت عن  
هذا قائلة:

- حمدلله على سلامته.

- الله يسلمك.

قال بسام:

- ممكن نشوفه.

- هو دلوقتي مش ميعاد زيارة بس أنا هحاول أدخلكم، ثواني.  
تعلقت بسمة بذراع أخيها، لا زالت مشاعرها فرحة بوجوده معها، وتعبّر عن  
هذا بكل طريقة ممكنة.

ابتسم هو الآخر دون أن ينظر لها، فليكن؛ هو يقترب أكثر، وهذا ما يريد،  
وعليه أن يبدأ هكذا ليكسبها، ربما كل شيء بدأ في الانهيار منذ موقفها مع  
جاهين، لذا عليه أن يبدأ بالإصلاح من عندها أولاً، ويأمل أن ينصلح كل شيء  
آخر بعدها. وحتى إن فشل، فسيكون على الأقل فاز بعلاقة حقيقية مع أخته.  
عاد معاذ يرشدهما إلى حيث يرقد سامر.

لم تكن رآته منذ أن فارقت القصر، أربع سنوات وأكثر، هذا الرجل الذي قرر  
أنها لا تصلح لأخيه وعليه أن يبعدها، وقد وعت هذا جيداً، أما الآن فالأمر  
مختلف، ها هي تدخل برفقة أخيها بسام وافي الشربيني، من أصحاب شركة  
الشربيني الكبرى، لم تعد أقل منهم في شيء.  
اقترب بسام أولاً، رأى سامر مغمض العينين، تمتم:

- هو نايم.

هز معاذ رأسه:

- لأ، سامر في ناس جاية تزورك.

فتح سامر عينيه ببطء، ميز وجه بسام الذي ينظر له مبتسماً:

- حمدلله عالسلامة يا باشمهندس.

- الله يسلمك.

قالها بصوت منخفض يوحي بمدى تعبته.

- أنا بسام أعتقد عارفني.

هز رأسه بنعم فأردف:

- جاهين لسه مايعرفش، هقوله إن شاء الله ونيجي بكرة في ميعاد الزيارة،  
مش هنطول عليك بقى تقوم بالسلامة، أختي كمان عايزة تسلم عليك.

بدأت الدهشة على وجه سامر، هو لا يعرف أخته، فلم تهتم بتحيته؟! لكنه حاول  
ألا يبيدها له، اقتربت بسمة لتصبح في مرمى بصره، ضاقت عيناه حين  
استشعر أنه يعرفها، رآها من قبل!!

قال بسام:

- دي بسمة أختي، المفروض أنك تعرفها، هي اتربت في بيتكم تقريبًا.  
"بسمة"

حرق في وجهها بذهول وعقله يردد الاسم، فقالت:

- حمد لله عالسلامة يا باشمهندس، عدت سنين من آخر مرة شوفت حضرتك  
فيها.

نقل بصره بينهما بغير تصديق والتفت لمعاذ الواقف على الجانب الآخر مبتسمًا  
دون تعليق، عاد ببصره لبسام وبسمة ليقول الأول:

- دي حكاية طويلة معاذ بقى يبقى يحكيها لك، احنا هنمشي علشان مانتعبكش،  
تقوم بالسلامة إن شاء الله.

تحرك بالفعل تتبعه أخته، ربت معاذ على كتف أخيه:

- هرجلك.

لحق بهما، لكن بسام لم يتوقف كثيرًا فقط هنا ثانية، يعتذر لضرورة الذهاب،  
وكما جاءت بسمة معه ذهبت معه، تملكه الضيق فلم يستطع أن يتحدث معها  
على الإطلاق بسبب أخيها، لكنه قرر أن عليه الصبر كما طلبت منه بسمة  
سابقًا، ومن الجيد أن أخاها معها؛ هذه علامة مبشرة، فتقبل أخوها له يعني أنه  
قطع نصف المسافة.

عاد لسامر الذي قال:

- أراي؟ إيه اللي لم الشامي على المغربي!!?

ضحك معاذ لتلك الدهشة المرتسمة على ملامح أخيه قائلاً:

- هحكلك يا سيدي، قبل ما الدكتور يجي ويطرطني.

.....

لا زالت البسمة تعلق وجهها، رغم أنها لم تتحدث إلى معاذ، فلتصبر إلى أن تنال ما تتمنى بالشكل الصحيح كما قال بسام، لعل حينها تعود البركة التي قالت أمها أنها سلبت منهما.

- تحبي نتعشى في مطعم، ولا ناكل في العربية.

هزت رأسها:

- في العربية.

- ماشي هوديكي مكان حلو، كان جاهين دايمًا يودينا عنده واحنا راجعين بليل من أي مناسبة.

ضحك قائلاً:

- كنا بنضحك ضحك ساعتها.

لتنزوي بسمته:

- كانت أيام حلوة.

رمقته بطرف عينها:

- وطبعًا أحنا السبب في إنها راحت.

منحها نظرة سريعة، قائلاً:

- لأ، بطننا من ساعة ما لوجي اتجوزت، ماهي اللي كانت بتحب الحكاية دي وجاهين كان بيعملها علشانها.

أومات برأسها قائلة:

- هي لوجي دي مش هتنزل مصر أبدًا، ما عندهاش فضول تشوف قرايبها الجداد.

ابتسم قائلاً:

- ماهي شافت صوركم كنا بعتلها صور عيد الميلاد والخطوبة كمان، وأكد هتنزل إن شاء الله، أنا نفسي أشوف نوح جدًا.

أشار إلى مطعم صغير في زاوية شارع هادي:

- أهو هنا، هختارك على ذوقي ولا تختاري أنت؟

- على ذوقك.

أوقف السيارة وسرعان ما اقترب منهما العامل بالمطعم ليأخذ منهما الطلبات،  
التي أملاها عليه بسام ليذهب.

- شكرًا يا بسام.

قالت لها له بامتنان فأراح جسده في كرسيه ناظرًا لها:

- مش لما تاكلي الأول.

- لا مش على كده، على أنك معايا دلوقتي، مش معايا هنا يعني، لأ، أنا حاسه  
أنك معايا واقف جنبي، كان نفسي أحس كده من زمان.

صمت لحظات، وابتسم قائلاً:

- صدقيني وأنا كمان، احنا اتحررنا من حاجات كتير كان المفروض نعيشها

سوا، مش عارف ليه مصريين نفضل محرومين منها، بس أنتو اللي مصريين  
تبعدونني، ليه ماجتيش حكيتلي أبداً عن زمان، ما أنا سألتك قبل كده، وقلتي كنا  
عايشين وخلص، حتى ماما، لما سألتها عن معاذ ساعتها بس حكيتلي، مع أنها  
حكّت لجاهين، وأنا لأ.

انتبهت بسمة لكلماته:

- حكّت إيه لجاهين، وأمتي؟!!

تفحص ملامح وجهها ليقول:

- لما أتقدم لخطوبتك، ماحبتش تخدعه وقالتله انتو كنتو عايشين إزاي بس  
بدون ذكر أسماء، خافت يوم ما يعرف يعايرك باين!! مع أي واثق إن جاهين  
حتى لو اتجوزك وعرف بعدها كان أول واحد هيخبي حتى عليك أنه عرف  
حاجه.

لم تعلق على كلماته، لهذا أمها متعلقة بجاهين أكثر، لأنه تقبل ماضيها  
برحابة صدر، ولم لا يفعل، أليس هم السبب في تلك الحياة التي عاشوها، كان  
من المفترض أن تنشأ في هذا البيت وبهذه الحياة مثل أخيها تماماً، فلم عليها  
أن تشكره على تقبله لماضي لم يكن بإرادتها.

جاهين لو كان رآها وهي صغيرة، وهي مثل نونا التي في المنزل تلك ما كان  
ليراها أو يهتم بها من الأساس، شخصيته تقول هذا بسهولة.

- وصل الأكل.

قالها بسام ليخرجها من أفكارها، شاركتها الطعام وقررت أن تهتم بتلك اللحظات القليلة التي تعيشها مع أخيها دون عراك أو خلافات متبادلة، خاصة أنهما قررا أن يكون الحوار عن ماضيها الذي لا يعلما عنه الكثير، تخبره بالمواقف التي لا تنساها واختارت المضحك منها وهو كذلك.

وكالعادة مرت اللحظات السعيدة سريعًا وعليهما الآن العودة للمنزل.

- تصدق إني مش عايزة أروح البيت، حساه بقى كئيب أوي.

قالتها وهي ترتشف من العصير الذي أحضره لها بعد الطعام.

- معلش، بكرة كله يبقى كويس.

- احنا محتاجين فرح، ماتجوز يا عم أنت بقى.

مط شفتيه ليقول:

- أنا بايني مش وش جواز ولا إيه، هي ماقلتلكيش اللي عملته فيا، أنا بس

سايبها اليومين دول لحد ما تعقل.

وضعت عبوة العصير جانبًا بعد أن أنهتها لتقول:

- لا معلش، مها عاقلة جدًا، اللي حصل بسبب موقف أنت ماتعرفوش وأنا كنت

هحكيلك في ساعتها بس أنت قلتلي تعبان وأجلت الكلام وبعدها اتخانقت مع

ماما وماعرفتش أتكلم مع حد.

- موقف إيه؟!!

قالها باهتمام، لتزفر بسمة قائلة:

- عمتك، طلعت لها فوق، وسمعتنا كلنا أحلى كلام، من نوعية انتو ماتربتوش،

وقالت لمها وش كده سيبيه لأنه يستاهل الأحسن منك.

حدق في وجهها بذهول:

- أنت بتقولي إيه، عمتي سميحة عملت كده؟! أزاى؟!!

رمقته بضيق:

- يعني أنا هكذب عليك، أنت شايف سميحة دي ملاك، وأنا مش بشوفها غير

أسوأ خلق الله، كفاية اللي عملته فيا وفي أمي!!

- بسمه، هي قالت إيه بالظبط؟!!

عقدت ذراعها قائلة:

- زي ما قلتك، سيبه لأنه يستاهل الأحسن منك، وده كان كفاية علشان لما تشوفها تاني يوم تكون بالعصبية دي، مها فقدت الثقة في نفسها وفيك يا بسام. ضم قبضته بعصبية.

لن تكف عن التصرف من خلف ظهره، لم تصر على اتخاذ القرارات بالنيابة عنه؟!، هو لم يعد ذلك الطفل المدلل.

أشعل محرك السيارة ينطلق بها، رمقه بسمه لحظات وقد ارتسمت كل ملامح الغضب على وجهه، لم تقل المزيد، عليها أن تنتظر تصرفه هو، وهي تعلم أنه سيتصرف بالشكل الصحيح.

لم يتأخذ طريق المنزل، عقدت حاجبها تسأله:

- هو أحنا رايعين فين؟! مش هنروح؟!!

- مشوار صغير الأول قبل ما نروح.

اكتفى بتلك الكلمات، فهزت كتفها باستسلام، وانتظرت، مر المزيد من الوقت إلى أن أوقف السيارة، انتبهت إلى وقوفها أمام مسجد كبير.

- هو أنت لسه ماصلتش العشاء؟!!

حدجها بنظرته قائلاً:

- انزلي.

سبقها لتتبعه مرردة:

- طيب أنت جاي هنا ليه؟!!

لم يدخل من باب المسجد الرئيسي، بل التف حوله إلى أن وصل إلى باب كتب عليه، قاعة المناسبات.

حدقت في اللافتة لحظات وعادت تتبعه بغير فهم، سأل عن المسؤول عن

المكان فأرشدوه، وقف أمامه وبعد إلقاء التحية قال:

- لو سمحت، عايز أحجز أقرب ميعاد لكتب كتاب.

فغرت فاها وهي تحدق في وجه أخيها الذي حمل ملامح حزم واضحة، لتسلل بسمه إلى شفثيها، بينما يخبره الرجل أن أقرب ميعاد سيكون عصرًا وليس مساءً وذلك بعد أسبوعين.

أوما له بترحاب:

- تمام، حلو جدًا، مش مشكلة العصر.

أملى الرجل بياناته وقام بدفع قيمة الحجز. وخرج بعدها وهي بجواره.

ابتسامتها تزداد اتساعًا، أما هو فيسير بملامح هادئة:

- أنت فاجئتي.

ركن ابتسامه على طرف شفثيه:

- ليه يعني، ما ده اللي كان هيحصل من الأول، دلوقتي بقى أعمل مع مها إيه،

أعتقد لو روحت قائلها انا حجت من غير ما هي تعرف يمكن تغند زيادة.

وصلا للسيارة ليأخذها أماكنهما.

- آه طبعًا، يبقى تتكلم معاها الأول، تصالحها يا بسام، مش لازم بهدية زي ما

عملت المرة اللي فاتت، مها عايزة تظمن، تحس بقيمتها عندك، وده مش

هيوصلها إلا بكلامك معاها.

أوما برأسه إيجابًا، وانطلق بالسيارة ومعاها أطلقت ضحكات بسمه المتتالية،

رمقها بدهشة:

- بتضحكي كده ليه؟

قالت من وسط قهقهاتها:

- أصلي مش متخيلة وش سميحة لما تعرف.

واستمرت ضحكاتها أكثر، أما بسام فلم يشعر برغبة في مشاركتها، لا أحد

يشعر به ويعرف كم الأمر صعب عليه، أن يفعل ما يحب ويكون هو نفسه ما

تكره سميحة، أمه الثانية، من ربه واعتنت به كثيرًا ليس بالأمر الهين، لكنه لا

يستطيع أن يستسلم لرغباتها، هو أحب مها بالفعل، ويعلم أنها الأنسب له،

بغض النظر عن أي ظروف أخرى يدري أنها قادران على تجاوزها معًا.

لاحظت بسمه ما به فأوقفت ضحكاتها:

- أنا عارفة هي إيه بالنسبة لك، وعلشان كده بطلت ألومك، أتمنى أنت كمان ماتلومنيش.

أوما برأسه دون تعليق، وهل يمكنه أن يجبرها على حب امرأة كانت السبب في كل ما أصابهما من مآسي.

.....

السعادة التي تغمر قلبها في صباحها هذا لا تضاهيها سعادة أخرى، وكأنها لم تفرح هكذا لوقت طويل، كيف لا وقد اطمأنت عليه أخيرًا، سامر عاد بل وتحدث إليها، صحيح القليل جدًا من الكلام لكن هذا كان كافيًا جدًا لها. لم تفهم معنى أن يقفز القلب من مكانه فرحًا إلا حين نظرت له لتجده قد فتح عينيه، تناست كل شيء حتى وجود أبيها، وحمدًا لله أنها لم تتناسى نفسها أكثر من ذلك وإلا حدث ما لا يحمد عقباه.

ضحكت وهي تعد الإفطار على نفسها كثيرًا، كلما تذكرت رد فعلها. أنهت الإفطار ووضعت أمام أبيها قائلة:

- هلبس حالًا يا بابا.

- لأ.

تسمرت مكانها وتصلبت ملامح وجهها إثر كلمته، نظرت له بترقب فأردف بحزم واضح:

- سامر فاق الحمد لله واطمنا عليه امبارح أنا هروح أطمن النهاردة وهبقى أجي أطمنك، مافيش داعي أنت تروحي.

ضمت قبضتيها تمنع ارتعاشهما المفاجئ:

- بس.. هو... لسه في العناية.. و....

- خلاص يا زينة كفاية، سامر فتح عينه، يعني شايفك، وأنت بقيت واضحة أوي، مش هينفع تروحي احنا قلنا لحد ما نطمن عليه وأدينا اطمنا.

قالت برجاء واضح:

- طيب يا بابا بس...

قاطعها بإصرار:

- لا يا زينة خلاص، أنا هروح وهظمنك.

أطرقت رأسها وقد زمت شفيتها حزناً، هز رأسه قائلاً:

- يا زينة الموضوع مبقاش مدير وسكرتيرة، وده بيه يا بنتي، وعارف مكانته كويس، وأحنا كمان عارفين مكانتنا كويس، القلوب بتاعة ربنا، بس أعمالنا بقى دي بتاعتنا أحنا.

- أنا غلظت في حاجه يا بابا؟!!

لا زالت تأمل منه بعض المسامحة.

- لا يا بنتي، أنت ماشية صح، بس ليه نفضل معرضين نفسنا لفتنة ممكن تكفيننا على وشنا بعدين، أنا واجب عليا حمايتك، وبقولك كفاية كده.

ظلت على صمتها لحظات، ألن تراه ثانية حقاً، لتقول آخر ما تملك من حجج:  
- طب والشغل؟!!

ابتسم أبوها وقد شعر بالشفقة عليها:

- هو فين يا بنتي والشغل فين، لسه بدري، وعموماً لو جاب سيرة الشغل هقوله أني محتاجك معايا في البيت علشان أختك، وإنك خلاص مستقيلة.

نظرت له وقد لمعت عيناها حزناً، لم يعد هناك سبيل لأي شيء، دارت على عقبها تهرع من أمام أبيها وتختفي بغرفتها، زفر عبد الحكم:

- ربنا يصبرك يا بنتي، ويهون عليك.

أما هي فجلست على فراشها، تضم قبضتها على ملابسها موضع قلبها، القلب الذي كان يقفز فرحاً ها هو يئن كمدًا.

لن تراه ثانية؟!!

لن تتحدث إليه؟!!

لن تسمع صوته؟!!

أحقاً انتهى كل شيء هنا؟!!

لم تتمالك نفسها أكثر، تطلق لعبراتها العنان، وعقلها يحدثها بأن هذا ما كان يجب أن يحدث من البداية، سامر لم ولن ينتبه لها أبداً، فلم العذاب؟! لكن قلبها يعاند مؤمناً بحب شعر به، ليزداد أنينه سخطاً وغضباً.

لتردد ببكاء:

- يارب، يا مقلب القلوب يا رب.  
وهل لقلبها سوى خالقه؟!!

.....  
استبشر كثيرًا حين أخبره بسام بعودة سامر لوعيه، فما إن أنهيا أول اجتماع  
لهما حتى انطلقا سوياً للمشفى.  
كلاهما صامت وإن اختلف ما يفكران فيه، جاهين عقله انشغل بالكلمات التي  
سيقولها لسامر، فلا زال ضميره يؤنبه على ما حدث وأن الوحيد الذي تضرر في  
كل هذا هو من لا ناقة له ولا جمل.  
أما بسام، يرتب الكلمات التي سيقولها لها، فبالأمس أخبرته أخته أن ينتظر  
للغد حتى تكون تحدثت معها قليلاً، ثم يحدثها هو، التفت لجاهين وكأنه تذكر  
للتو:

- نسيت أقولك، أنا حجزت لكتب كتابي امبارح.

حذق فيه جاهين بذهول، قبل أن يعاود الانتباه للطريق:

- أمتي ده؟! وما قلتليش ليه؟، وكمان بتقولها كده أكن يا دوب افكرت.  
ابتسم بسام:

- معلش، الواحد دماغه مدوشه، أنت عارف إنها زعلانة مني أصلاً، بس أنا  
خلاص بقى قلت أخلص نفسي من الموضوع ده، أنا مش هسيب مها، وعمتي  
سميحة لازم تفهم ده، وهي مش هتفهم كده إلا لو الجواز تم فعلاً.  
- وأمتي بقى إن شاء الله؟.

- مش الخميس الجاي لأ اللي بعده.

- يا نهارك، كمان!! هتلقوا تعملوا إيه في كام يوم؟!!

- هنعمل إيه يعني، أول ما أصلحها هنختار الأوضة بتاعتنا وخلص ورانا إيه  
تاني نعمله، ما احنا هنعيش كده كده في الفيلا مش بره.

وصلا للمشفى فقال:

- طب يالا، نكمل بعدين.

قاد بسام الطريق الذي حفظه بالأمس.

معاذ يقف يحدث أحدهم، اقترب بسام وجاهين لتحيته، رد لهما التحية ثم أنهى كلماته مع مرافقه.

ابتسم لهما:

- أهلاً وسهلاً.

- حمدلله على سلامته.

قالها جاهين ليرد معاذ:

- شكرًا.

- ممكن أشوفه.

- أه طبعًا الزيارة بدأت.

تحرك جاهين ليقول بسام:

- طب ادخل أنت يا جاهين وسلملي عليه، أنا هتكلم مع معاذ شوية.

حدق فيه جاهين بصمت، وهو يشير لمعاذ إلى مكان الاستراحة حتى يتحدثا،

تحركا معًا بالفعل، ولا زال جاهين يتابعهما ببصره، عقد حاجبيه وقد تملكه

ضيق واضح وهو يرى بسام جنبًا إلى جنب مع هذا الفتى، وكأنهما صارا

صديقين أو ما شابه، وكان الكثير يجري وهو لا يعلم عنه شيئًا!!

هز رأسه ينفض عنه تلك الأفكار، ودخل للقاء سامر.

بينما استقر بسام ومعاذ متجاورين، ابتسم بسام قائلاً:

- ازيك يا معاذ عامل إيه النهاردة؟

- الحمدلله تمام، بدل اطمنت على سامر.

- الحمدلله، أنا بسمة حكلي عنك.

نظر له معاذ بترقب دون تعليق فأردف:

- وعرفت إنكم متربين مع بعض تقريبًا، وإنكم بعدتم عن بعض بفعل فاعل،

تحديدًا سامر أخوك.

أوما معاذ برأسه وقد تسرب له بعض التوتر، أكمل بسام:

- طيب ممكن أسألك، إيه اللي هيخلي أخوك يغير رأيه ويقبلها رغم الماضي ده،  
وكمان والدتك لو عرفت مش هيكون في مشكلة؟  
قال بتفأول:

- سامر أنا ماتكلمتش معاه في الموضوع ده لسه، في الحقيقة كنا مختلفين،  
بس إن شاء الله لما اتكلم معاه وعلى الوضع اللي بوسي فيه دلوقتي إن شاء  
الله مش هيكون في مشكلة.

- هو أنت على طول بتقولها بوسي.  
أقلت ضحكة قصيرة:

- أنا كنت فاكِر إن اسمها الحقيقي بوسي، فين على ما عرفت إن اسمها بسمه،  
لو بيضايقك إني..

- لا، عادي، هما فعلاً كلهم بينادوها بوسي.  
أوما معاذ له قائلًا:

- صدقتي يا بسام، أنا مش عايز حاجة غيرها، أنا مستعد اثبتلكم بأي طريقة  
أنتو عايزنها إني هعمل المستحيل علشان أخليها سعيدة.

- مصدقك، بس الفكرة بقى في اللي حواليكم، ماعتقدتش أن والدتك هتقبل  
والدتي، وعلشان كده أمي رافضة الجواز دي.

- طيب وليه نخمن الأسوأ، مايمكن ماما ماتفتكرش، وبكده يبقى مافيش مشكلة  
من الأساس.

عقد بسام حاجبيه وهو يرمقه بصمت رفع معاذ كفه قائلًا:

- أنت مش معايا أن المنطق والعقل بيقول ليه نحكي حاجة هتزود مشاكلنا،  
دلوقتي ماما هتتعرف على بسمه على إنها أختك وبنت عيلة الشربيني، ووالدتك  
مرات وافي الشربيني، حتى لو شبهت عليها مش هيجي في بالها إنها اللي  
كانت شغالة عندنا.

تغضنت ملامح بسام وهو يسمع تلك الكلمات عن أمه، حتى أنه أشاح بوجهه  
كي لا ينتبه معاذ لهذا، لكنه انتبه بالفعل فقال:  
- آسف، أقصد..

- فاهم، يعني إنت شايف إن ده الحل، ننكر الماضي بكل اللي فيه.  
هز رأسه:

- لا طبعًا مش كل اللي فيه، أنا بقول نسكت عن كلام مش هيزود ولا هينقص  
لكنه بالعكس هيعمل مشاكل، ليه نحط العقدة في المنشار.  
نظر له بسام قائلاً بإصرار:

- طب لو العقدة اتحطت وهي اتأكدت هي مين وبنت مين؟! هتعمل إيه؟!  
صمت معاذ مفكرًا، عقد حاجبيه قائلاً:

- هعمل أي حاجة علشان ماخسر هاش، حتى لو أمي فضلت رافضة مش مهم.  
- لا يا معاذ!! مهم، الجواز مش أنت وبسمة وبس، ده أنت وهي وأنا وأمي  
وأخوك وأمك، عيلة كبيرة يا تكون متفاهمة مع بعض يا هتعيشوا طول عمركم  
بفرحة ناقصة.  
زفر معاذ قائلاً:

- اسمعني يا بسام، أنا مش هسيب بوسي، أبدًا مش هسيبها، أيًا كان مين  
موافق أو رافض، أنا اتحرمت منها كتير وكل ده علشان غيرنا بيقرر بالنيابة  
عنا إيه اللي مناسب لينا وإيه لأ، بس خلاص أحنا كبرنا، الفرحة الناقصة دي  
في أيديكم أنتو مش احنا. أنا ليه حاسس إن أنت بتحاول تقنعني برضو نفترق،  
ليه مصرين تبعدونا عن بعض وربنا حلها من عنده وبقينا مناسبين لبعض  
أكثر، وأنا بقولك أهو بما إنك أخوها والمسؤول عنها، أنا عايز أتجوز أختك،  
إيه المطلوب مني تاني؟.  
هز بسام رأسه:

- أنت مش فاهمني، برضو بتتكلم على أنت وهي وبس، ومصرّ تلغي أي  
أطراف تانية من دماغك، أنا عايزك تفكر...  
هب واقفًا وقد تملكته بعض العصبية:

- أنا مش محتاج أفكر في حاجة، أنا عارف كويس أنا عايز إيه، كفاية، بعدنا  
عن بعض بما فيه الكفاية وما عنديش استعداد نستمر كده، ياريت إنتو بقى اللي  
تفهمونا، أنا مش هسيبها أبدًا.

تحرك مبتعدًا عن بسام، ولم ينتبه لهذا الذي كز على أسنانه بسبب ما سمع من كلمات؛ أشعلت داخله نيران غضب لم يتصورها.

سارة سيف الدين

## الفصل التاسع عشر

أنا قلت كلمة وكان لها معنيين  
كما بطن واحده وتوأمين زين وشين  
لو دنيا شر..التوأم الخير يموت  
لو دنيا خير..الشر ح يعيش منين ؟

عجبي!!

رباعيات جاهين

" أنا مش هسيبها أبدًا "

لم أغضبته تلك الكلمات، ماشأنه هو بالأمر كله، ألم ينهه بينه وبين نفسه،  
وكان قلبه يأبى ذلك، فليقرر العقل ما يشاء لطالما كان للقلب رأي آخر، لكنه لم  
يكن أبدًا ذاك الشخص العاطفي الذي تتحكم به مشاعره، وهذا ما يثير غضبه،  
فقط فيما يخص تلك الفتاة تتملكه مشاعره للحظات يستمر في مقاومتها حتى  
يتغلب عليها.

أو لعلها كرامته المجروحة، وهو الذي في وقت من الأوقات كانت تسعى  
الفتيات لوصاله وهو من كان يردهن خائبات، أحان الوقت ليشرب من نفس  
الكأس؟!، ويبدو أن طعمه المرير سيبقى في حلقه طويلًا.

"جاهين!!"

قالها بسام بدهشة حين انتبه لوقوف جاهين على مقربة منه:

- أنت خرجت بسرعة كده ليه؟!!

رمقه جاهين بنظرة بدت جامدة، وكأنه يريد أن يخفي كل تلك المشاعر التي  
تتأجج داخله:

- مارضتش أتعبه، يالا بينا.

تفحصه بسام بنظراته، وهو يسير بجواره، ولم يستطع أن يمنع نفسه من  
التساؤل، هل سمع من كلام معاذ شيئًا؟! أم هناك ما حدث بينه وبين سامر؟!!

- هو حصل حاجة عند سامر، ضايقتك في حاجه؟!!

اكتفى بإيماءة نفي دون المزيد.

انطلقا بالسيارة معًا، قال جاهين:

- هتطلع على الشركة تاني؟! ولا هتروح فين؟!!

- لا نزلني في أقرب مكان وهكمل بتاكسي للبيت، ورايا هم ما يتلم.

تصور أن جاهين سيبتسم لكنه لم يفعل، عقد حاجبيه وقبل أن يسأل قال جاهين:

- خلاص هتجوز أختك؟!!

اتسعت عينا بسام للحظة، بينما عض جاهين شفتيه، وهو يلوم حاله، لم سأل

هذا السؤال السخيف؟!!

استرخي بسام في كرسيه يفكر لحظات، قائلاً:

- هي فكرة، أنا وهي نتجوز في يوم واحد، مش فكرة حلوة برضو؟!!

ضغط جاهين بأصابعه على مقود السيارة أكثر وأكثر، محاولاً ألا يبدو عليه أي

شيء وهو يسب حاله، لكن بسام لم يكن أعمى، رأى تصلب حركاته، فظهرت

بسمة مأكرة على شفتيه مضيئاً:

- هو أنا كان حلمي إن كلنا نتجوز في يوم واحد، وده كان هيحصل لو اتجوزت

أختي، بس أعمل إيه بقي، ابن عمي طلع مايبحبش أختي، والمفروض أجوزها

للي بيحبها مش اللي مايبحبهاااa

ضغط جاهين مكابح السيارة بشكل مفاجيء حتى كاد بسام يصطدم بمقدمتها،

فصاح به:

- إيه يا ابني، أنا عريس، عايز أخش دنيا مش أطلع منها.

أوقف جاهين السيارة بالجوار، ونظر له قائلاً من بين أسنانه:

- تصدق إنك مستفز.

لم يتمالك بسام حاله مع هيئة جاهين المغتظة فضحك ملىء فيه، فزاد غضب

جاهين ليلوح بسام:

- طب اهدى بس، في إيه أنا عملتك إيه؟!!

زفر جاهين بضيق، هداً بسام واعتدل يتحدث بجدية:

- مالك يا جاهين، مش أنت اللي قلت إنك محبتهاش أبدًا، أنت اللي قلت ولا أنا؟  
تبادلًا النظرات الصامتة وإن حملت تحديًا من بسام وترددًا من جاهين، اعتدل  
الأخير ينظر أمامه قائلاً:

- أعتقد ده أقرب مكان في طريقي، خد تاكسي من هنا.  
استمر في تحديقه به ثواني أخرى، ثم دار ببصره في المكان:  
- تمام، شكرًا.

فتح باب السيارة ينزل منها لكنه أغلق بابها ومال ينظر لجاهين قائلاً:  
- على فكرة، أنا اتكلمت مع بسمة وفهمت، وهخليها تقعد مع ماما كمان  
ويتفاهموا، وبعدها الدور عليك.

رمقه جاهين بعدم فهم، فأردف بسام:  
- ماهو مش هتفضلوا متخاصمين كده على طول، دي بنت عمك برضو، سلام.  
أشار لأول عربة أجرة لمحها وأسرع إليها، وانطلق جاهين بدوره إلى وجهته.

.....

وصل للمنزل في وقتٍ قصير، أرسل لأخته وهو في الطريق رسالة يطمئن بها  
على الأحوال، ردت بأن الأمور على ما يرام وأنها تنتظره عند الفتاتين في  
الأعلى لكنه عقد حاجبيه حين قرأ كلماتها الأخيرة.

"نقي كلامك بلاش دبش!!"  
تمتم بغیظ:

- أنا كلامي دبش يا بسمة، ماشي.  
صعد الدرج إلى أن وصل إليهن.  
تجلس بسمة بجوار مها التي قررت أن توليه ظهرها، وفي ركن آخر تجلس نانا  
تتابع فحسب.

اقترب أكثر متنحنًا.  
- أزيكم؟.

ردت بسمة:

- كويسين الحمدلله، تشرب شاي.

ابتسم ونظر لنانا قائلاً:

- نانا، معلش لو ضايقتك آخر مرة، بس أنا ماكنش قصدي، متأكد إن جواك خير أعتقد وقته جه، وكمان عارف إنك هتكوني خالة كويسة لولادي، أنا آسف. ابتسمت بهدوء وهي تومئ برأسها، تقبل بهذا اعتذاره، نظر لبسمة يطمئن على ما يفعل، غمزت له بعينها أن أكمل وهي تشير برأسها لتلك القابعة بجوارها توليه ظهرها.

- مها.

قاومت ارتعاشه أصابت كفيها وهو يناديها، ولم تلتفت، فأردف:

- عمتي سميحة كانت شايفة إن ماما مش مناسبة لبابا، وكانت مقتنعة بده، لكن بابا ما اقتنعش لأنه حبها، وعلشان كده ساب كل حاجه واختارها، ووصلنا احنا للدنيا.

قالها وهو ينظر لبسمة بود، فتبتسم بدورها وهي تومئ له بأن يستمر.

- عمتي ماكنتش شايفة أي حاجه حلوة في ماما، وما اعتقدتس أنها هتشوف، هي أفكارها كده ومعتقداتها كده، واحنا مش مضطرين نتأثر بده، زي ما بابا ما اتأثرش، وياريت أنتِ كمان متتأثريش، وأنا بقولك آسف بالنيابة عنها، لازم تعرفي إن أمي هي فاطمة اللي بتحبك وبتقدرك جداً وأختي كمان فمتشغليش بالك بأي أطراف تانية، أنا كفيل بيها.

صمت لحظات على أمل أن تلتفت له فلم تفعل، زفر قائلاً:

- مها، أنا عمري ما تخيلت نفسي زوج وأب إلا معاك، أرجوك، خليني أحقق حلمي، واقبلي تتجوزيني.

وضعت بسمة كفها على قلبها تعبيراً له عن تأثرها بآخر كلماته، ولم تكن المجاورة لها بأقل تأثيراً، فلقد احمرت وجنتيها وهي تضم كفيها على بعضهما بقوة.

مرت لحظات أخرى ضاقت عيناه وقد تسرب القلق لقلبه، أبعد كل هذا لازالت غاضبة!؟

- مها، ماحدش هيضايك تاني، ولو حصل وعمتي ضايقتك، قوليلي على طول، أنا هتصرف.

لا زالت على حالها فناداها مرة أخرى بل ثالثة. وكزتها بسمة قائلة:

- ماتردي بقى هيفضل ينده كده كثير.

رأت بسمة حمرتها الشديدة، ابتسمت قائلة:

- بسام السكوت علامة الرضا، خير البر عاجله، كتب الكتاب الخميس ده لا اللي بعده، موافقون، موافقون إن شاء الله.

حدقت فيها مها بارتباك، لتتظر بسمة في عينيها قائلة:

- ولا الأخت عندها رأي تاني.

أطرقت رأسها وتسالت بسمة متقطعة إلى شفيتها.

وقفت بسمة لتشير لأخيها بإبهامها أن كل شيء على ما يرام، تنفس الصعداء أخيراً ليقول:

- طيب، بكرة بقى نطلع كلنا سوا علشان نختار أوضة النوم.

تحركت مها سريعاً لتختفي بحجرتها رفع بسام إحدى حاجبيه مردداً:

- هي كلمة أوضة النوم عيب ولا حاجه.

انفجرت بسمة ضاحكة وكذلك نانا التي كتمت ضحكاتهما بصعوبة، خطت بسمة ناحية أخيها تستند على كتفه وهي لا زالت تضحك قائلة:

- تصدق بقالي كثير ماضكتش من قلبي كده.

انزوت بسمة نانا وهي تنظر لهما، هي أيضاً لم تضحك هكذا لمدة طويلة، حتى ظنت أنها فقدت تلك القدرة البشرية، وها هي عادت لها.

شخصت ببصرها وتناست من معها، أحقاً ستستعيد نفسها القديمة تلك التي تبدلت كثيراً كلما كبرت وكبر معها طمعها؟!!!

.....

طمأن الطبيب سامر وأخاه بأن حالته أصبحت مستقرة تماماً، وسيتمكن من الخروج من العناية إلى غرفة عادية في الغد، لكنه سيبقى في المشفى لعدة أيام.

تمكنت السعادة من معاذ الذي قال:

- حمد لله عالسلامة يا بطل، كام يوم كمان وتطلع من المستشفى دي، بس هترجع البيت بقى، بيتنا يا سامر.
- رمقه سامر بصمت، فهو لا ينتوي هذا أبدًا، وما الذي سيدفعه للعودة؟، إنها لم تره وجهها حتى الآن، ألا يعينها حقًا لهذه الدرجة!!؟
- هي عرفت إني صحيت!!؟
- علم بالطبع عن من يتحدث:
- آه، حد قالها بس غيري، لما روحت عرفت إنها عرفت.
- هي ماجتش خالص صح!!؟
- صمت معاذ لحظات لكنه ضحك قائلاً:
- وهي سما هانم من امتى بتيجي مستشفيات يا عم.
- نظر له بملامح باهتة، وارتكنت على شفثيه بسمة ساخرة:
- آه صحيح، من امتى!!؟
- شعر معاذ بحزنه في كلماته، ربت على كتفه قائلاً:
- إن شاء الله كله هيرجع زي ما كان وأحسن.
- زينة وعم حكم لسه ماجوش.
- هز رأسه نفيًا:
- لا لسه، بس أكيد على وصول، تعرف إنهم كانوا معايا من أول يوم، ماسابونيش خالص.
- غمز بعينيه مردفًا:
- وزينة دي بقى الحقيقة كانت هتجنن عليك.
- ضحك ضحكة قصيرة، شاركه معاذ فيها، وفرح أنه استطاع أن يضحكه ثانية، فأردف:
- هي عيلة حلوة أوي، هي وباباها وحتى أختهم الصغيرة وكلهم بيحبوك يا سامر، دايمًا الناس الكويسة بتحبك.

ارتسمت ملامح الراحة والسعادة على وجهه، فقط الحديث عن هؤلاء أصبح أحد مصادر السعادة لديه، لا زال يذكر نداءها له فور أن فتح عينيه، لأول مرة تناديه باسمه مجردًا من أي ألقاب، قالتها بأريحية وإن كانت قلقًا عليه، كانت مميزة، شعر أنه أحب نطق اسمه منها بدون حواجز.

- أنت بتحبهم يا سامر؟!!

سأله معاذ، فأوماً برأسه، فمال ناحيته أكثر قائلاً بلهجة مأكرة:

- وزيبينة، بتحبها؟!!

رمقه سامر مرددًا بغیظ:

- خليك في حالك؟!!

ضحك معاذ مرحًا:

- ما أنا في حالي، خف أنت بس وأنا أخذك نطلب بسمه وبعدها أروح معاك نطلب زينة، ونعمل فرح واحد.

أدار رأسه دون تعليق، لا ينكر أنه تفاجأ كثيرًا من كون بسمه ابنة عائلة الشربيني، وكيف لهم أن يتركوا زوجة ابنهم وابنته تعانين هكذا دون أدنى اهتمام ويكتفوا بالاحتفاظ بالولد، أي عقول تلك؟!!

لكن هذا لم يشعره أن زواجهما سيكون سهلًا، أيًا كان الوضع الحالي فسمًا لن تغفل عن كون فاطمة كانت خادمة في قصرها، ليست سما بطبيعتها ومفاهيمها تلك والتي تتنازل عن تلك الصورة المنمقة التي ترسمها لكل شيء حولها، حتى ابنيها.

- معاذ، لو عايز جوازتك تتم لازم تتخلص من سلطة سما.

عقد معاذ حاجبيه:

- يعني إيه، سامر أرجوك، أحنا بنقول كل حاجة هترجع زي الأول.

- مافيش حاجة هترجع زي الأول، سما بتتحكم فينا وفي أسهمنا كمان، ولازم نسترجع حقنا ده.

نظر له معاذ بعدم فهم، وشعر بعدم الراحة من تلك الكلمات وكأن هناك حربًا سيخوضها قريبًا وسيعود ثانية للاختيار ما بين أمه وأخيه.

"السلام عليكم"

أخرجه ذلك الصوت من أفكاره، التفت يرى عبد الحكم الذي دنا منهما.  
ابتسم سامر لاستقباله ونقل بصره لنقطة ما خلفه، متصورًا أن زينة ستظهر  
ولكنه لم يرها. وقبل أن يسأل كان معاذ يقول:

- أزيك يا عم حكم، أومال فين زينة؟!!

- في البيت، أختها محتاجاها وبتوصلكم سلامها.

تمتم الاثنان بصوت يكاد يسمع.

"الله يسلمها"

قال سامر:

- هي أسماء بخير؟!!

- أه يا بني ماتقلقش، الدراسة بقى أنت عارف.

أوما برأسه متفهمًا وإن أصابه الإحباط بعدم رؤيته لها.

تحدث عبد الحكم لهما بود، وعلم أن حالة سامر استقرت، فرح بهذا وهو يحمد  
الله ويشكره.

لم يطل البقاء، وغادر مع انتهاء موعد الزيارة.

اقترب معاذ من أخيه مشاكسًا:

- معلىش بقى، هتيجي بكرة إن شاء الله، تصدق استغربت إنها ماجاتش، دي

كانت بتيجي معاه كل يوم.

صمت سامر دون تعليق، غياب زينة بالفعل غير متوقع له، أحقًا أختها بحاجتها

أم أن هناك أمر آخر. لو لم تأتِ غدًا أيضًا فالأمر حتمًا له معنى آخر، لكنه لم

يرد أن يسبق الأحداث.

التفت لأخيه قائلاً:

- معاذ، أنا عايزك تكلم المحامي.

عقد معاذ حاجبيه:

- ليه؟!!

- هرفع قضية على سما.

فغر معاذ فاه:

- ليه كده يا سامر، بقولك عايزين نرجع زي الأول.

رد سامر بعصبية:

- يووه، مافيش حاجة هترجع زي الأول.

أنهى كلماته بتأوه ليرفع معاذ كفيه:

- طيب اهدى، أنت لسه تعبان.

- أنا كويس الحمد لله، اسمع يا معاذ عايز تفضل تحت سلطتها براحتك، لكن أنا خلاص مبقاش ينفع، سما ممضيانا على ورق يحرمانا من حقنا في التصرف في أسهم الشركة، مش هسمح إن ده يستمر، هطلب بطلان الورق ده، أنا مش قاصر علشان تتحكم فيا، عايز أبقى حر.

هز معاذ رأسه ليقول برجاء:

- سامر علشان خاطري، بلاش أي حاجة دلوقتي لحد ما تطلع من المستشفى، إحنا نتكلم معاها وإن شاء الله تلين وتديك اللي أنت عايزه، أنا متأكد إنها مش فرحانه باللي بيحصل ده، سامر أنا نفسي أفرح ومش هعرف أفرح وأنتو الاتنين كده.

رمق أخاه بشفقة، أحقًا يظن أنها قد تتغير، هو أيضًا ظن هذا حين فتح عينيه وتذكر ما حدث وأنه بقي على قيد الحياة، ظن هذا حين تخيل قدومها إليه قلقًا وخوفًا عليه!!، ظن هذا حين انتظر منها أن تتصرف كأم!!  
والآن لا يتوقع منها أي شيء.

- معاذ، ريحني، كلم المحامي خليه يجيلي، وأنت خليك بره الموضوع ده، مع إني أنصحك ترفع معايا نفس القضية يمكن من نفسها تتنازل وتبطل تحكم فينا. أظرق برأسه وقد تملكه اليأس. لا فائدة، سامر لن يغير رأيه!! وهو الذي تصور أن الأمور ستنتحلح.

ماذا عليه أن يفعل؟! ألا يكفيه ما يحمل من هم، زواجه ببسمة الذي لا يعرف كيف ومتى سيتم؟! أعليه أن يدخل في عراك مع أمه الآن؟!  
عاد يرمق أخاه برجاء صامت، لكن سامر منحه نظرة حزم لا رجعة فيها.

.....  
جلست بصمت، ستترك له زمام الأمور، لن تنكر أنها منذ فعلت تشعر براحة أكبر، وكأن هناك من يحمل المسؤولية عنها، مجرد مشاركته لها في كل ما تفكر فيه، جعل كل شيء أقل توترًا.

وهو اختار أن يبدأ بالأخبار السعيدة، لتتهلل أساريرها عند سماع خبر تحديد موعد عقد القران، فتحت ذراعيها لتضمه إليها بسعادة بالغة:

- ياااه، ألف مبروك يا حبيبي، الحمد لله يا رب، عشت عمري خائفة ماكنش معاك في يوم زي ده، مها طيبة وتستاehl كل خير وأنت كمان يا حبيبي، ربنا يسعدكم يا رب.

تابعت سرورها الشديد وتساءلت ألن يقدر لها أن ترى سعادة أمها تلك بزفافها، تنهدت بصمت وهي تشيح ببصرها بعيدًا، وهو ما رآه بسام، فحرر نفسه من ذراعي أمه قائلاً:

- إن شاء الله تفرحي بيا وبسمة كمان.

نظرت لأمها ترى رد فعلها، لتلتقي أعينهما، وقالت فاطمة:

- يارب يا ابني، هو أنا ليا غيركم.

ربت بسام على كفها:

- ربنا مايحرمنا منك يا ماما، بس ياريت بقى تتفقي أنتِ وبسمة شوية مش معقولة كل شوية أصالحكم.

فتحت فمها لكنه قال موقفاً إياها:

- ماما، ممكن تسيبي موضوع معاذ ده عليا.

ضاقت عيناها تنظر له بصمت.

- دي أختي يا ماما، أكيد نفسي أشوفها مرتاحة في حياتها، ومش هي بس كلنا

إن شاء الله، أنا عايزك تهدي وتعرفني أني معاها في الموضوع ده هي مش

لوحدها، ولو واثقة فيا ومطمنة يبقى ماتشيليش هم، ممكن؟!!

رمقته لحظات والقلق لا زال بادياً على وجهها، ابتسم قائلاً:

- بلاش نضيع كل اللي جاي في خناق وخلافات، كفاية اللي ضاع قبل كده،  
علشان خاطري ياماما.

خفضت بصرها لتقول:

- اللي تشوفه يا بني، وكفاية إنك معاها مش عايزة أكثر من كده، وهي عارفه  
إن رفضي خوف عليها مش عند وخلص.

اقتربت بسمة تجلس جوارها:

- ماتخافيش عليا يا ماما، أنا وعدت بسام أنه يكون معايا في كل حاجه، مش  
هعمل أي حاجه من ورا ضهره.

- ربنا يهديكم ويصلح حالكم، ومايحرمكوش من بعض.  
ابتسم بسام:

- طب يالا بقى نعملها تاني.

رددت بسمة بتساؤل:

- هي إيه دي؟!!

- ننام على دراع ماما، أصلها عجبتي أوي المرة اللي فاتت.  
ضحكت فاطمة:

- يا حبيبي، تعالوا، يالا كلها كام يوم وهتمام على دراع مها.

- الحمد لله إنها مش هنا كان زمانها بتجري دلوقتي.

قالها وضحك ثلاثهم معاً.

.....

في اليوم التالي استقر سامر في غرفته الجديدة، شعر براحة أكبر بعيداً عن كل  
تلك الأجهزة التي كانت تتصل بجسمه، وبخروجه من قسم العناية كان مهيناً  
طبيباً للشهادة فزاره وكيل النائب العام يسمع شهادته فيما يخص شهاب  
ومحاولة قتله، لم يستطع سامر أن يؤكد أو ينفي لكنه يثق بأن لا عدواة له مع  
أحد تستدعي مثل هذا الفعل غير شهاب، بما يملكه من أوراق ضده والتي قدمها  
للنيابة بالفعل.

انضم له معاذ بعدها يسأله عن أمر شهاب هذا، فلم يخبره الكثير، فقط رجل أعمال فاسد كان يريد تسليمه للعدالة، فحاول قتله.

- ها كلمت المحامي؟!!

مط معاذ شفتيه:

- أنت لسه مصمم، يا سامر طيب اصبر لما تطلع من المستشفى إيه العند ده، الدكتور قال برضو يلزمك الراحة الجسدية والنفسية علشان فترة النقاهة تعدي على خير، أرجووك اصبر شوية.

زفر سامر بضيق:

- قلتك أنا كويس، ثم أنا بطلب منك ليه؟، هاتلي تليفوني.

- تليفونك عمل حادثه معاك واتكسر.

- والخط كمان، وكل الأرقام اللي فيه؟!!

- لا يا سيدي الخط معايا.

- هات تليفون جديد وركبلي فيه الخط، دلوقتي.

- حاضر.

قالها بنزق وهو يستدير، رأى عبد الحكم عند الباب فابتسم لاستقباله:

- أهلاً عم حكم اتفضل، أنا طالع مشوار صغير وراجع.

أوما له وهو يقترب من سامر يصافحه ويهنئه على انتقاله المبشر.

شكره سامر وانتبه أنه وحده مثل أمس، فتأكد أن الأمر أكبر مما يظن، ليست

هي من تتأخر عليه كل هذا الوقت وهو بالمشفى.

فقرر أن يكون صريحاً:

- هي زينة فين؟!!

ابتسم عبد الحكم قائلاً بود:

- في البيت يا ابني، خير عايزها في حاجه؟!!

خفض بصره وقد قرر التعذر بالعمل:

- آ..آه، أخبار المكتب ما عرفش عنه حاجه أنا غايب بقالي كذا يوم، فقلت يعني

تروح تتظمن على المكتب وتشوف الدنيا ماشية إزاي وتيجي تظمني.

تحدث دون النظر لوجه عبد الحكم، الذي صمت لحظات وقال:  
- أنا عارف إن مش وقته، بس أنا طلبت منها تسبب الشغل.  
اتسعت عيناه بدهشة صادقة، فأخر ما توقعه أن يسمع هذا.  
- ليه كده يا عم حكم، هو أنا ضايقتها أو ضايقتكم في حاجه؟!  
ربت عبد الحكم على كتفه:

- لا يا ابني، ربنا يبارك في صحتك، بس أنا محتاجها في البيت، معلىش حاول  
تلاقي حد تاني.

"حد تاني"

رددها عقله بعدم استيعاب، ومن ستكون له كزينة!!

بل هو لا يريد أحد غير زينة!!

عاد ينظر لعبد الحكم وقال بإصرار:

- معلىش يا عم حكم، أنا مش في ظروف تسمحلي أني اتكل على حد غريب، أنا  
بعتمد على الثقة في شغلي أكثر من أي حاجه، وحاليا ما عنديش الثقة دي إلا  
في زينة، وحالتي ماتسمحش إنني أدور على حد جديد دلوقتي، فممكن زينة  
تكمل شغل لحد ما ألاقي الحد ده.

شخص عبد الحكم ببصره دون تعليق، أعليه أن يكون أيضاً أكثر صرامة  
ويرفض تلك الكلمات والحجج، هذا الرجل لا يدري ما الذي تعانيه ابنته، وليس  
مضطراً للزج بها في هذا المعترك ثانية فقط من أجل العمل.

"عم حكم!!"

ناداه، نظر له، فأردف:

-كنت أعتقد إنني قربت منك، أنت محتاج زينة في البيت فعلاً ولا في سبب  
تاني؟!!

وكيف له أن يخبره بالسبب، لن يرخص من ابنته أبداً، هز رأسه:

- حاضر يا ابني، مش أحنأ اللي نسيب حد محتاجنا هخليها تروح المكتب وبكرة  
هتيجي معايا تطمئنك.

ابتسم سامر بود، استأذنه عبد الحكم للذهاب، لكنه أوقفه بنداؤه عليه مرة أخرى، التفت له فقال:

- استنى يا عم حكم شوية عايز أكلمك في موضوع مهم.

اقترب منه ثانية ليشير سامر إلى الكرسي المجاور:

- اقعد يا عم حكم، يمكن الكلام يطول.

جلس وهو يتربق تلك الكلمات التي سيقولها سامر، وما إن بدأ بالحديث حتى اتسعت عيناه تدريجيًا فلم يتوقع أن يسمع تلك الكلمات منه.

.....

انغمس في التفكير، أخبرها هنا في العمل أم مساء في المنزل؟! وهل سيشكل هذا فارقًا، يعلم جيدًا رد فعلها على كل هذا. لكنه لن يتراجع فليمتص ثورتها كما اعتاد أن يفعل دومًا كلما عارضها في أمرٍ ما.

- سرحان في إيه يا عريس.

قالها جاهين وهو يقف أمامه، أجابه بسام:

- بس يا عم أنا لسه ما قلتش لعمتي، بدل ما تسمعك وتبقى الصدمة صدمتين.

- طب ما تقولها وخلص نفسك.

أوما بسام برأسه:

- هقولها بليل في البيت أحسن، النهاردة هنشتري أوضة النوم وأكيد لما توصل

البيت هتعرف فالأفضل أقولها.

- عادي خليفهم يأخروا وصولها يومين ولا حاجه مش مشكلة.

أوما برأسه مؤيدًا. قال جاهين:

- جهزت الورق، هت حضر معايا الاجتماع المصغر ده ولا هحضره لوحدي؟!!

- لا معلى احضره أنت أنا نازل كمان شوية واجتماعاتك ما بتخلصش، بتفضل

تفحص وتمحص لما أنا بز هق وبزهق للمهندسين اللي تحت إيدك.

لوى جاهين شفتيه:

- ده شغل يا حبيبي، اتعلموها بقى.

التفت يغادر المكتب، ومع وصوله للممر لحق به بسام:

- استنى معاك سيولة في خزنتك، أنت عارف مابشيلش فلوس سايلة كثير معايا، بعتمد على الكريدت.

دس جاهين يده بجيبه وأخرج مفاتيحه:

- في الخزنة بتاعتي فيه، خد اللي أنت عايزة.

لوح له شاكرًا وأسرع لمكتب جاهين الذي انضم لمجموعة صغيرة من المهندسين للحديث عن أحد آخر مشروعاتهم.

لكنه تسمر فجأة حين تبادر لذهنه أمر، ترك ما في يده من أوراق قائلاً:  
- آسف افكرت حاجه هرجعلكم تاني.

أسرع في خطوات شبه مهرولة، وقد تدفقت الدماء لقلبه بقوة مع زيادة شعوره بالتوتر. اندفع إلى غرفه مكتبه، وتوقف مكانه.

بسام يقف أمام خزنته بوجه محتد، يحدق في تلك الأوراق التي بيده، لم تكن الكثير من الأوراق فقط ورقتين حملت إحداها إمضاء أمه والثانية إمضاء أخته. ضم جاهين قبضته وهو يلعن غباءه الذي أنساه أمر تلك الورقتين اللتين لم يسع حتى لإخفائهما بخزنته بشكل جيد على اعتبار أنه هو من يفتحها طوال الوقت.

التزم الصمت وهو يفكر في أي كلمات قد يقولها لبسام الآن، ليس بهذه الطريقة ظن أنه سيعرف، كان سيخبره بنفسه في الوقت المناسب، بحث وبحث فلم يجد أي كلمات قد تشفع، فبقي على صمته.

أدار بسام رأسه ينظر له بلامح تحولت لغضب واضح مع الكثير من الاستنكار.  
- إيه ده يا جاهين!!

فرج شفثيه على أمل أن يقول أي شيء فلم يجد، فصاح بسام:

- إيه ده؟!!

رفع كفه:

- اهدى طيب.

- اهداااا!!

أسرع يقترب منه، وقف أمامه يرفع الورقتين أمام وجهه قائلاً بعصبية:

- إيه ده؟!.. أنت ممضي أمي وأختي على تنازل؟!، ده اللي هو إزاي، وليه ،  
وازاي تفكر تعمل حاجة زي كده من ورايااا.  
أغلق جاهين عينيه للحظة، ثم نظر له قائلاً:  
- كنت هقولك.

- لا والله فيك الخير، أمتي بقي إن شاء الله، ومن سمحك تتصرف كده مع  
أهلي، هو في إيه، كلكم بتتصرفوا من ورايا، ليه؟، عيل!!، مش مالي عين حد  
فيكم!!.

أمسك جاهين بذراعه:

- يا ابني اهدى بقي.

جذب بسام ذراعه بقوة ملقياً الورقتين بوجه جاهين قبل أن يزيحه من طريقه  
دفعاً وغادر المكان.

بقي جاهين مكانه، أطرق رأسه زافراً ينظر للورقتين القابعتين أرضاً، لقد  
ساعات الأمور أكثر مما تصور.

ضم قبضتيه بقوة يمتلكه الغضب هو الآخر، غضب من نفسه، من عمته، ومن  
بسمة، غضب من كل شيء أجبره أن يرتدي قناعاً لا يناسبه.

- جاهين بيه، المهندسين في الاجتماع.

وقفت السكرتيرة على الباب تتحدث بترقب، فأجابها بصوت حاد:

- الغي الاجتماع دلوقتي، هناجله، واقفلي الباب مش عايز أي مكالمات.  
- حاضر.

قالتها وهي تغلق الباب الذي تركه بسام على مصراعيه وهو يغادر غاضباً،  
حانقاً، مصدوماً.

حتى جاهين الذي ظن أنه قريب له بما يكفي، يتصرف من خلف ظهره بهذا  
الشكل، ألا يكفي ما تفعله معه عمته وهي تحاول دوماً اتخاذ القرارات بدلاً منه،  
وكم كان يخبر جاهين أن هذا يسبب له الضيق لكنها كأمه ولا يريد أن يغضبها،  
ثم يأتي هو ليفعل نفس الفعل، وحتى بسمة لم تخبره على الإطلاق بهذا الأمر،  
رغم اتفاقه معها على أن يكونا الأقرب لبعض.

أفـل هو في أعين الجميع ولا يدري!!؟  
ولم خيانة الثقة سهلة إلى هذا الحد!!؟  
سار على قدميه حتى وجد نفسه قد ابتعد عن مبنى الشركة نفسها بمسافة  
ليست بالقصيرة، استند على أقرب حائط، وشعور داخلي بالضيـق والحزن  
يتعاضم داخل صدره.

سـارة سيف الدين

## الفصل العشرون

ياللي أنت بيتك قش مفروش بريش  
تقوى عليه الريح يصبح مفيش  
عجبي عليك حو اليك مخالبا كبار  
ومالكش غير منقار وقادر تعيش  
عجبي!!  
رباعيات جاهين

أجمل أنواع السعادة هي التي لا منغصات فيها، فقد نعيش سعادة ما لكننا نفتقد فيها أحداً أو شيئاً فلا تكتمل، لكن هي تعيش سعادتها بأفضل حالتها، حتى أنها تكاد تشعر أن زقزقة تلك العصافير وحفيف تلك الأشجار تعبيراً منهم على سعادتهم معها.

فأخيراً زار الفرح القلوب، وهي قلبها لطالما كان راضياً بكل ما تلاقيه، فلم تتصور أن فضل الله سيكون عليها عظيماً.

بكاؤها الأيام الماضية لم يكن فقط حزناً على أختها وما يحدث، وإنما هي بالفعل كانت تخشى وبشدة أن تفقده إلى الأبد. لكنها تذكرت كلمات سمعتها يوماً، ما كان لك سيعود حتى لو أفلته، وهي أفلته، أرادت أن تعرف هل سيعود أم هي تعيش حلمًا لا أكثر.

وعاد!!

نظرت إلى الخاتم الذي رده بسمه لإصبعها وهي تلومها على خلعه. أحقاً بعد أيام قليلة سينتقل للكف الأخرى، ستكون زوجته.

"مهاااا"

انتبهت للنداء.

- أنا بكلم نفسي، بسام بعث رسالة دلوقتي مش قادر يسبب الشغل، فأنجل موضوع العفش ده.



أهذا ما يسمى بالوقوع في شر العمل!!  
وماذا عن الشر الذي كان يتعرض له منذ زمن ولا زال، أليس هو من قاوم أي  
مشاعر سلبية قد تملكه لتفريق عمته بينهما في المعاملة في كل شيء حتى  
العمل؟!!

ألن يشفع هذا له في أي شيء؟!  
تَعَلَّم أن يحب بسام ويكون له أختًا حقيقيًا، كما علمه أبوه منذ حملته بين يديه  
أول مرة.

أحقًا فقد كل هذا في لحظة؟!!

لحظة فكر فيها لنفسه دون أن يؤدي أحدًا.  
دار ببصره في المنزل الهاديء، سيارة بسام في الخارج تخبره أنه هنا بالفعل،  
جلس على أقرب أريكة، رتب الكثير من الكلمات التي سيقولها له، وهذه المرة  
سيقول، يجب أن يدافع عن نفسه، سيخبره بكل شيء لعله يصفح، بل يجب أن  
يصفح!!!

لا يتصور أن بعد كل هذه السنوات سيخسر بسام بسهولة.  
تنفس بعمق، صعد الدرج ببطء، يسأل الله أن يختار الكلمات المناسبة في  
الوقت المناسب كي لا يزيد الأمر سوءًا.

وصل لغرفة بسام، طرق بابها، مرة تلو أخرى، لا مجيب.

- بسام، أنا عارف إنك هنا، ممكن تفتح، أنا لازم أتكلم معاك.

لا زال الصمت هو الرد، ضرب الباب وقد تملكته العصبية:

- بسام بقولك افتح، لازم تسمعي.

وكان الرد ضربة أخرى من الداخل مع صوت بسام الغاضب:

- مش عايز أسمعك، أنا حر.

فغر فاه للحظة، قبل أن يزوم شفثيه بغيظ، دار برأسه فتوقف عند تلك التي تقف

في نهاية الدرج العلوي، تنظر له بدهشة، تبادلا النظر للحظة قبل أن يتحرك

نحوها، وهي تنظر له بترقب.

- معلىش، ممكن تخبطني عليه، أكيد هيفتح، هو مش عايز يفتحي.

عادت لها دهشتها قبل أن تواريها سريعًا:

- هو في إيه؟! عملتله إيه هو كمان، أذته إزاي؟! ما أنت دلوقتي مش بتعمل حاجة غير أذيتنا.

تغضنت ملامح وجهه وقد آلمه ما قالت:

-أنا عمري ما أذته، ولا أذيتك!!

قالت بتهكم:

-فعلاً، أو مال اللي أنت عملته ده بتسميه إيه؟!!

-دي مجرد ورقة كان قصدي بيها أحمي نفسي من عمتي وبس، عمري ماكنت هاخذ حاجة مش بتاعتي.

ضاقت عيناها، لم يخطر ببالها أن هذا هو سبب ما فعل، لقد تصورت أنه يكيد لها فحسب.

هزت رأسها وكأنها ترفض مجرد تفهم ما فعل.

-بسمة، من فضلك!! أنا لازم أكلم بسام، خبطي عليه لو سمحت.

لوت شفيتها أعليها أن تفعل.

نظر لها برجاء واضح، نظرة تذكرتها حين كان يرجوها يوماً أن تأتي لتتقذ

أخاها الوحيد، أيشعر أنه يكاد أن يفقده الآن أيضاً، ما الذي حدث بينهما

بالضبط؟!!

زفرت وهي تتحرك لغرفة أخيها يتبعها هو.

طرقت الباب جاء صوت بسام سريعًا:

- قلتك مش عايز أسمعك.

تفاجأت من نوبة غضبه التي نادراً ما تراها، تنظر لجاهين بشك، وقد زاد

فضولها.

أشار لها أن تتكلم.

- افتح يا بسام، ده أنا.

مرت لحظات، فتح الباب على عجل وظهر أمامها بوجه مكفهر:

- أنت إزاي ماتقوليليش على اللي عمله جاهين ده؟!!

رفعت حاجبيها، وقد أصابتها دهشة مؤقتة، قبل أن يعي عقلها كل ما يحدث، بسام علم بأمر التنازل ويبدو أنه غاضب جدًا. وقبل أن تنطق بحرف ظهر جاهين بجوارها وحرص على وضع كفه على إطار الباب كي لا يعيد بسام إغلاقه:

- بسام، لو سمحت اهدى، أنت لازم تسمعي.

حذق بسام فيه بغضب، تحرك جاهين يدخل إلى الغرفة فأفسحت بسمة له الطريق.

- شكرًا.

قالها قبل أن يغلق الباب خلفه، لترمق الباب بنزق:

- يا سلاام.. طيب.

زفرت وهي تعود لغرفتها.

وبالداخل تبادل جاهين وبسام النظرات للحظات.

- بسام لو سمحت، أنا بس عايزك تسمعي، ماليش حق إني أدافع عن نفسي، أفهمك وجهة نظري.

- ده كان قبل ما تعمل كده، مش جاي تفهمني دلوقتي.

- ماشي عندك حق، بس أهو حصل، اسمعي.

ابتسم ساخرًا وهو يجلس على طرف فراشه:

- أفضّل، اضحك على الأهل بكلمتين.

عقد جاهين حاجبيه:

- أنا عمري ما شوفتك كده.

لوح بكفه بعصبية:

- كلكم شايفني كده، عمتي سميحة اللي من زمان بتقرر من ورايا كل حاجة

تخصني، وأمي اللي ماعرفتنيش حاجة عن حياتهم، حتى أختي اللي تصورت

أننا خلاص قريبين بجد، برضو خبت عليا اللي أنت عملته، وأنت.. كلكم.. كلكم

شايفني كده.

- مش صحيح.

هز رأسه بعدم صبر:

- اخلص يا جاهين، أنا مش طايقك.

ارتكنت بسمة حزينة على شفتي جاهين:

- بس أنا طايقك.

أشاح بسام بوجهه عنه، اقترب جاهين قائلاً:

- فاكِر، لما كان عندك أربع سنين، ودايما عايز تفضل معايا، لما أزهد أقولك ابعِد أنا مش طايقك، كنت تمسك فيا وتقولي بس أنا طايقك، أول مرة سمعتها منك ضحكت كثير أوي، وفضلت بضحك كل مرة، عارف أنك بتقولها لي علشان أضحك.

نظر له بسام بحزن واضح:

- فاكِر، وفاكِر كمان أنك كنت أخويا وصاحبِي وكل حاجة عندي، فاكِر لما كنت بخاف واجري علشان أنام جنبك، فاكِر لما كنت عيان وبستخبي وراك لو حسيت إن حد بي فكر يَأدِينِي، أنا فاكِر بس واضح إن أنت اللي مش فاكِر أي حاجة، أنت مابقتش بتفكر غير في نفسك ومصلحتك، أنت ليه بقيت كده، إيه اللي علم أسود جواك وخلاه يظهر دلوقتي؟!!!

صاح بها وهو يقف أمامه. أطرق جاهين برأسه زافراً ثم نظر له:

- جايِز، بس أنت تعرف العلامة السوداء دي جات منين، واتعلمت فيا إزاي؟!!!  
قالها وهو يشير لصدره مردفاً:

- لما الأقي عمتي بتفضلك عني في كل حاجة، كل حاجة بعملها مالهاش قيمة لكن اللي أنت بتعمله بس اللي مهم، الشغل اللي دخلته قبلك بسنين وتعبت فيه، عايزة تديهولك أنت أول ما تحط رجلك فيه، بس لأنني اتعلمت أحبك ما عرفتش أغير منك، كل ضيق و غضب كنت بوجهه لعمتي وأكتمه جوايا وبس، ما قدرتش أكرهك، لأنني شايفك أخويا، بس كرهت اللي بتعمله عمتي، كرهت تفضيلها ليك، والإحساس اللي بقاوم إنه يتزرع جوايا، لدرجة أنني خفت أكرهك، حطيت همي في الشغل، اشتغلت أكثر وتعبت أكثر، على أمل أنها ترضى عني، أنول ثققتها وقبلها الأمان، لكن هي عمرها ما ادتهوني، دايماً حاسس أنها ممكن تبعدني

عن الشغل بأي طريقة، مرضيتش حتى تساوي بينا، وفي اللحظة اللي بعدت فيها كانت عايزة تخليك الكل في الكل.

هز بسام رأسه، لا يصدق أنه يسمع كل هذا، أهذا ما حمله جاهين بداخله طوال الوقت وهو لا يدري.

- طب وأنا عملت إيه؟ لما كانت عايزة تخليني الكل في الكل عملت إيه؟!، وقفت معاها ولا معاك، عملت اللي هي عايزاه ولا اللي أنت عايزه، أنا طول عمري كنت بقف معاك أنت وجنبك أنت، بس واضح أن كل ده مش فارق، أنت لسه شايفني العيل الصغير اللي بيجري وراك في كل حته.  
زفر بحنق وهو يدير ظهره له:

- أنا كبرت، آه مش بغلط في عمتي لأنني باعتبارها أمي، بس عمري ما جيت عليك علشانها أو علشان نفسي، والمفروض أنت عارف ده كويس، لكن للأسف أنت مش واثق فيا، ولا عاملي أي حساب.  
صمت يلتقط أنفاساً تهرب منه غضباً، وجاهين التزم الصمت.  
التفت له والألم يبدو جلياً على وجهه:

- بعد كل اللي عملته بتمضي أختي وأمي على تنازل، لبيبيه، ما أنا خلّيت أختي تصوتك يوم الاجتماع واديتك صوت أمي، اديني سبب واحد للي عملته.  
قالها وقد عاد صوته يعلو، دارت عينا جاهين في محجريهما، وقد زادت كلمات بسام همه أضعافاً وشعر أن موقفه يضعف أكثر وأكثر:

- ماشي، معاك حق، أنا عارف ومتأكد إن عمرك ما هتنديني، بس هي اللي كانت بتضغط عليا.

أفلت بسام ضحكة ساخرة وهو يهز رأسه بعدم اقتناع، يردف جاهين:  
- بسام افهمني، أنت ماتعرفش هي كانت بتكلمني إزاي، أنت لو مكاني يمكن كنت كرهتها وكرهنتي، وأنا قاومت كل المشاعر السلبية دي على أد ما قدرت.  
- اطلع بره يا جاهين.

رمقه جاهين بعينين متسعيتين.

- للأسف أنت مش مقتع المرة دي أو العيل اللي هو أنا مش قادر يصدقك، مش خلاص قلت وجهة نظرك، اتفضل بقى، سبني في حالي.  
هز جاهين رأسه رفضاً:

- بسام أ....

- لو سمحت كفاية، أنا تعبان، اتفضل من هنا.

قالها متجهاً لباب الغرفة، فتحه مشيراً له بالمغادرة، وبلغت غصة جاهين مبلغها، حتى عجز عن قول المزيد، غادر الغرفة فأغلق بسام الباب على الفور، استند عليه جاهين بظهره وهو يفرك وجهه بيأس بالغ.

تحرك ببطء ولم يدخل غرفته بل نزل الدرج، ومن خلف بابها الذي واربته، رآته وهو يبتعد، بدا مهموماً حزيناً، عقدت حاجبيها متممة:

- تستاهل، أنت اللي جبته لنفسك.

إلا أن ملامحها لانت بعدها وقد تسرب إليها شعور بالشفقة عليه بل وعلى أخيها، هي تعرف كم كانت علاقتهما رائعة حتى أنها لطالما أصابتها بالغيرة، لكنها لم تتمن أن تفسد.

خرجت من غرفتها وأسرعت لغرفة أخيها، يجب أن تتحدث إليه، فأخر ما تريده الآن أن تدفع هي الثمن.

طرقت الباب تناديه، لحظات صمت وبعدها نباحاً أن تدخل.

رآته يستند على إطار النافذة يوليها ظهره، اقتربت منه وشرعت في توضيح الأمر:

- أنا يادوب علاقتي بيك كانت اتحسننت، خفت أقولك تخرب الدنيا بينا تاني، أنا كنت مسيري هقولك، بس ماحسنتش إن ده الوقت المناسب.

ظل على صمته ووضع، نادته برجاء:

- بسام أرجوك، ماتقوليش أننا هنرجع نبعد عن بعض تاني بسبب حاجه ماليش يد فيها. خلاص يا سيدي ماتزعلش لو حصل أي حاجه تاني بقى سواء تزعل

أو تفرح هبقى أقولك، بس ماتبقاش تندم بعد كده.

التفت ينظر لها بوجه حزين، فقالت:

- خلينا نبدأ باللي يفرح، أحنا اشترينا حاجات كتير لمها، وكمان اتفقنا على الفستان بتاعها، بس محتاج يتظبط وهنستلمه أول الأسبوع.  
حاول الابتسام لكنه لم يستطع:

- ماشي يا بسمة، خلاص روعي نامي، وبكرة الصبح ننزل سوا المشوار اللي أجلناه النهاردة.  
أشارت لوجهه:

- وأنت بقى هتيجي معانا بالوش ده، أنت عايز مها تقول علينا إيه، غاصيبينك على الجواز.

نجحت في اقتناص ابتسامة حقيقية منه تشاركه إياها وهما يتبادلان النظر.  
رفع كفه ليضعه على كتفها:

- شكرًا يا بسمة.

اتسعت بسمتها، تقرب منه تضمه إليها، رفع إحدى حاجبيه قائلاً:

- أنتِ عندك أزمة في معدل الأحضان؟!!!  
ضحكت وهي تدفن رأسها ب صدره:

- أنا عشت محرومة من أب وأخ، سييني براحتي.

ربت على ظهرها وقد زالت بسمته التي كانت على وجهه، هي حرمت من الأخ لكن هو وجدته في جاهين، وكم يؤلمه الآن هذا الشعور القاتل بأنه يفقد تلك العلاقة التي كانت الأميز عنده طوال سنوات عمره.

أما بسمة فكانت سعيدة، خشيت أن تعود لنقطة الصفر مع أخيها، ولكن هذا لم يحدث، تريد أن تبقى قريبة منه طوال الوقت، فمنذ استشعرت نعمة هذا الإحساس وهي لا تريد فقده.

.....

راقب ابنته التي عادت البسمة لوجهها لمجرد أن علمت بأنها عادت للعمل مؤقتًا، تتحرك بحماسها المعتاد في المكتب الذي يزوره لأول مرة معها، هي المرة الأولى التي يراها تعمل. بدت واعية لما تفعل، ملمة بالكثير، ابنته تجيد المسؤولية مثلما تعلمت أن تفعل منذ فقدت أمها، ومن بعدها أخاها.

نظرت له مبتسمة:

- خلاص يا بابا قربت أخلص.

أوما لها بود، انضم لها المهندسان ليتبادلوا بضع كلمات قبل أن يختفيا بمكتبهما.

أغلقت حاسوبها قائلة:

- خلصت، يالا بينا.

تقاوم باستماته تلك الفرحة التي تصول وتجول على وجهها بوضوح، وتعلم أن أباهما يقرأها جيداً، وماذا عساها تفعل؟ فقدت الأمل تماماً ولم تصدق أن أباهما قبل بأن تعود للعمل ولو فترة محدودة.

دقات قلبها تتعالى كلما اقتربت، وهي تحذر نفسها من التهاون.

دلف أبوها وهي خلفه، وأول ما سمعته؛ صوته الخالي من علامات الإرهاق والتعب مرحباً بأبيها.

وظهرت هي أيضاً لتتسع بسمته قائلاً:

- زينة، أزيك؟

لم تتصور أن يكون هو البادئ بإلقاء التحية المفترض أن تبدأ هي، ولن تنكر أسعدها هذا وكأنه كان يترقب حضورها كترقبها لرؤيته.

- الحمد لله، حمد الله عالسلامة يا باشمهندس.

- الله يسلمك.

تملكته راحة غريبة مع رؤيتها وسماع صوتها، وكأنه أصبح بأمان، هذه الفتاة أصبحت تمثل له الكثير، وهو أصبح مدركاً لهذا جيداً.

أخرجت ما معها من أوراق، وقررت أن تبدأ في الحديث سريعاً عن العمل، قدمتها له وبدأت في سرد ما علمته من المكتب خلال الأيام الماضية، وأخبرته عن قدوم مروان وراما لزيارته اليوم فور عودتهما من موقع العمل.

جلس عبد الحكم في الجوار يتابعهما متمماً:

"يا رب قدر لها الخير وابعدها عنها الشر"

لم يطل بقاؤهما وإن تمنى سامر أن يظلا لكنه يعلم أن عبد الحكم لن يفعل،  
غادرا بالفعل على أن يأتيًا غدًا.

استقر في فراشه يطالع السقف بصمت، تحدث للمحامي صباحًا، ولعله الآن  
يخبر سما.

سيكون مخبولًا لو اعتقد أن سما ستقبل بالهدنة وتعطيه ما يريد، لكنه لن ينكر  
أنه يتمنى.

يتمنى أن ينتهي هذا العراك سريعًا وبدون خسائر، هو يريد أن يستعيد حقه،  
حرية فيما يملك، وعليها أن تفهم هذا.

انضم له معاذ الذي كان يزفر بضيق.

- في ايه، بتنفخ ليه؟!!

دس هاتفه في جيبه:

- بوسي مش بترد على التليفون.

- الغايب حجته معاه.

جلس على كرسيه بنزق:

- أنا مش عارف أعمل إيه؟!!

- في إيه؟!!

- في جوازتي يا عم.

هز رأسه بيأس:

- مافيش فائدة، مابتفكرش في حاجه غير البنت دي.

- يا سيدي سيبوني أتجوزها وأنا بالي يروق وأفكر في حاجات تانية.

نظر له بشفقة، ودهشة أيضًا، ما سبب تعلقه الشديد بتلك الفتاة؟! في الماضي

قرر بالنيابة عنه، أما الآن فلا، سيخبره فقط بما يجب أن ينتبه له.

- معاذ أنت لازم تفكر كويس في الموضوع ده، سما لا يمكن هتقبل بفاطمة ند

ليها.

- يا سيدي مش هتفتكرها.

- ماتتكش على ده، ممكن تفتكرها وحتى لو ما افتكرتش، الخدامين اللي في القصر مش هيعرفوها وسما هتلاحظ، أنت لازم ترتب نفسك لكل ده الأول. هز رأسه بضيق:

- أنتو ليه مصرين تعقدوها.

- أنت اللي مبسطها أكثر من اللازم.

شرد ببصره مفكرًا.

من داخله يخشى حقًا بمعرفة أمه لحقيقة بسمة وأمها، فما هما عليه الآن قد لا يشفع.

هو حتى لم يرسم أي خطة، خطته الدائمة التمسك ببسمة حتى النهاية. لو تمت الزيجة لن يطلقها أبدًا مهما فعلت أمه، وستقبل في النهاية بالأمر الواقع، ولن يظل يتوقع الأسوأ.

.....

تابعت كلمات المحامي بوجه جامد لا يحمل أي ملامح، سامر يريد أن تلغي هذا العقد بشكل ودي أو سيضطر إلى رفع دعوة لوقوع ضرر عليه. ولديها مهلة تفكر في الأمر حتى خروجه من المشفى. لا زال عنيدًا كم هو، ويبدو أنه لن يتغير.

- ها يا سما هانم، اقوله إيه؟!!

ركنت بسمة ساخرة على شفيتها:

- لا ماتشغلش بالك، أنا هقوله، هو مش قرر يديني مهله لحد ما يخرج من المستشفى، ماشي، أنا هروح وأتكلم معاه.

أومأ لها المحامي يقف مغادرًا:

- تمام يا هانم، بعد إذنك.

استرخت في كرسيها تحديق بالسقف، لا مفر، سامر هو الذي يدفعها لهذا دفعًا فلا يلومن غير نفسه.

أطبقت أصابعها بقوة، انغrust أظافرها الطويلة في لحم كفها، تقاوم عصبية تريد أن تتفلت على ملامح وجهها الجامد، زفرت بقوة تغادر مقعدها.

وقفت أمام النافذة الزجاجية الكبيرة، تنظر للاشيء، تنفست ببطء تعيد لها هدوءها.

لم يعد هناك حل آخر، وما يضايقها شعورها أن كل ماضي سيكون هباءً منثورًا، وكأنه لم يكن.

تمت:

- خسارة كل اللي فات ده، ألف خسارة.

التفتت تطالع صورة جمعتها مع شاكر وولديها، سامر حين كان في الخامسة عشر ومعاذ في الخامسة.

ابتسمت رغمًا عنها حين لم ينجح على الإطلاق في جعل معاذ ينظر للكاميرا وفضل أن ينظر لهم، لعائلته.

لتنزوي بسمتها سريعًا قائلة:

- للأسف يا شاكر، مش هقدر أنفذ وعدي.

.....

وقفت في الردهة تفرك كفيها بتوتر، ظهر بسام على الدرج، تعلق بصرها به، رآها فألقى التحية.

أجابته وهي تدنو منه.

- بسام حبيبي، أنت خارج!؟

نظر لها ولم تكن نظرتة الحزينة لتخفى عليها:

- أيوة يا طنط، هشغل العربية وبسمة ومها نازلين، رايعين نتفرج على الأوض.

حاولت الابتسام فلم تستطع:

- طيب يا حبيبي مش هعطلك، بس لما ترجع، علشان خاطري ماترجعش وتطلع إلا لما تعدي عليا.

طالت نظرتة لها بصمت، أخبرها جاهين!؟ أتريد أن تقدم له الأعذار التي لم ينجح فيها ابنها.

اكتفى بأن أوما برأسه وهو يغادر المنزل، نزلت الفتاتان تلتحقان به وهما يلقيان التحية عليها.

تابعتهم حتى انصرف الجميع.

جلست على أقرب أريكة وقد غلبها حزن شديد، لم تتصور أن الأمور بين ولديها ستصل لتلك المرحلة، فهي دومًا اعتبرت بسام ابنًا لها أيضًا. ولكن كيف تلومه؟، جاهين مخطئ تمامًا ولا يمكن لأحد أن لا يرى هذا، حتى هي.

هزت رأسها بأسى تتذكر حين دلف إلى غرفتها ليلاً بدا يحمل همًا كبيرًا، لم يرد أن ينطق بحرف فقط جلس جوارها ثم وضع رأسه في حجرها طالبًا منها أن يبقى هكذا لبعض الوقت، آخر مرة لجأ فيها لهذا الفعل؛ حين فقد أباه، مما أشعرها أن الأمر جلل، مررت أصابعها على شعره كما يحب منها أن تفعل، وسألته ما الخطب، صمت وطال صمته وحين تكلم اتسعت عيناها بذهول. ابنها ضاق من سميحة فساوم ابنة عمه وكل هذا من خلف ظهر بسام، أهذا جاهين ابنها حقًا؟! وكأنها تستمع لشخص آخر.

اعتدل حين شعر بتصلب جسدها من كلماته، نظر لها فلم تهدأ حتى لامته، عنفته، وحملته كل الخطأ، كيف له أن يكون هكذا؟! كيف يفعل ما أرادته سميحة دومًا بتفريقهما؟! ألم تخبره أن يبقى مع بسام ويكونا إخوة بحق وحينها لن يخسر أبدًا?!.

كلمات كثيرة قالتها إلى أن هب وهو يهز رأسه:

- كفاية يا ماما، كفاية.

- أنت اللي كفاية، ارجع بقى يا جاهين، ارجع ابني اللي أنا ربيته وعارفاه. رمقها لحظات وغادر غرفتها بصمت.

في الصباح الباكر شعرت بسيارته تغادر المنزل.

لن يمكنها تحمل فساد علاقة جاهين وبسام، هما فقط عمودا هذا المنزل، وبدونهما معًا سينهدم لا محالة.

تأمل أن يستمع بسام بقلبه الطيب لها ويغفر لجاهين زلتة، حتماً سيفعل، لا تصدق أنه سيقاطعه للأبد.

.....

المكان هادئ تماماً من حولها، منذ ما حدث ومها لا تتركها بمفردها، ولكن عليها أن تعتاد الأمر، أيام قليلة وتزوج مها، وستبقى هنا بمفردها كل صباح وليلة، برغم سعادتها لأختها التي وجدت ما يفرح قلبها بحق، إلا أنها ستفتقد وجودها الدائم معها، تلك الصغيرة التي كانت مرتبطة بها كثيراً ستصبح مع آخر، بعيداً عنها حتى لو سكنتا في نفس المنزل.

لم تتمالك عبراتها فحررتها أخيراً، لطالما كتمتها في وجود مها كي لا تحزنها. وأخذها عقلها له، هذا الشاب الذي لولا عنادها المتواصل لربما كانت زوجته الآن، رجل أحبها بصدق وحين استكبرت على النعمة فقدتها، وهي تستحق. لم تفقده هو فقط، هي فقدت الكثير، حتى الأم التي كانت ترعاها وتدعو لها فقدت تعاطفها، عليها أن تتحدث معها، عليها أن تطلب منها الغفران.

مسحت عبراتها وقررت أن تحدثها الآن، رجت ربها أن يرق قلب فاطمة الحاني عليها، لربما إذا سامحتها سيعود كل شيء كما كان، لربما ستجد السعادة التي فقدتها للأبد.

نزلت الدرج بالفعل، وقفت أمام باب غرفتها، تقاوم توترها وخوفها من كلمات تقرير جديدة من فاطمة. عليها أن تتحمل وتتحمل!! هي تجني ما صنعت يداها. طرقت الباب ودلفت ببطء، فاطمة تنظر تترقب القادم، هي تعلم أن بسام خرج مع الفتاتين.

ظهرت نانا بوجهها الخجل النادم، أطرقت رأسها وهي تخطو ناحية فاطمة التي تتابعها بصمت، وفي اللحظة التالية كانت تجثو على ركبتيها تمسك بكفي فاطمة:

- سامحيني يا أمي، علشان خاطري سامحيني، أنا اتعلمت درس عمري والله اتعلمت.

سكتت وساد الصمت رفعت رأسها تنظر لوجه فاطمة، ترى الدموع في عينيها، شاركتها البكاء في لحظة وكأنها كانت تنتظر الإذن، دفنت وجهها بين كفيها:  
- أنا عارفه إني وجعتك، بس أنا والله ماكنت هعمل حاجة تغضب ربنا، ده لما فكر يلمسني ضربته والله يا أمي، وكان عندي استعداد أقتله كمان.  
فتحت فاطمة فمها:

- ومرواحك لبيته ماكنش يغضب ربنا، ومعرفتك بيه وهو غريب عنك ماتغضبش ربنا، ليه كده يا بنتي، ليه؟!  
أجهشت نانا بالبكاء:

- معاك حق، أنا أستاهل كل اللي جرافي، أنا تبت والله، بكيت لربنا كثير ودعيت يسامحني، مش هعمل كده تاني، سامحيني يا أمي علشان خاطري.. سامحيني.  
هزت فاطمة رأسها حزناً عليها وشفقة، والقلب لم يعد يحتمل المزيد من الأحزان:

- ربنا يسامحك ويسامحنا كلنا، ربنا يهديكم كلكم وما أشوفش فيكم وحش أبداً.  
رفعت وجهها إليها وقفت ترتمي في حضنها وتضمها بقوة.  
- ربنا ما يحرمانك ولا من دعائك.

حررتها فاطمة وهي تمسك وجهها بكفيها، تمسح عنه عبراته:  
- يا نانا، أنتو أمانة في رقبتي، الحمد لله هظمن على أختك أهو عقبال ما اظمن عليك أنت وبسمة يا رب.

- وأنا مش هعمل حاجة توجعك تاني أبداً.  
ربتت على وجنتها:

- ربنا يصلح حالك ويفرح قلبك.  
ابتسمت نانا وهو تطالعها بحب تعلم أنها تحمله لها في قلبه، بادلتها فاطمة الابتسام:

- فاكرة الرز بلبن اللي كنت بتعملهولنا ونتخاق عليه، وحشني أوي.  
هبت واقفة:

- بس كده من عنيا هنزل أعمله حاااالا.

أسرعت بالخروج من الغرفة تتبعها دعوات فاطمة لها وللبنات بالستر والعافية.

وحين يجد السرور لنفسه مكانًا على الحزن أن يتتحى، استطاع أن يندمج سريعًا مع أخته في مزاحها الدائم معه ومع مها. مها التي أرهقته بخجلها الزائد كلما وجه لها حديثًا، حتى أنه أصبح يتحدث إليها من خلال بسمة، إذا أراد أن يسأل عن شيء ينطق اسم بسمة وهو في الأصل ينظر لمها، وراقت لها تلك اللعبة وسائرته فيها، وبسمة بينهما تضرب كفاً بكف. حتى قالت ما جعل وجه مها يحمر خجلًا.

"انتو هتخلفوا إزاي؟!!"

فوكزها بسام هامسًا في أذنها:

- بس لتقع مننا.

ضحكت بسمة كثيرًا وكذلك هو، وحتى مها رغم أنها لم تسمع ما قال. وأخيرًا استقروا على ما يريدون، اختارت مها غرفة ذات واجهة بيضاء يحيطها إطار من اللون البني الداكن، أعجب اختيارها بسمة ولم يعترض بسام، هو لم يكن يهتم بهذا كثيرًا.

تم الاتفاق على تركيب الغرفة الأسبوع القادم.

مر بسام على مطعم للوجبات السريعة لتناول الغداء بعد تلك الجولة، أخذ منهما طلباتهما وذهب لإحضارها، أمسكت بسمة بكف مها:

- ألف مبروووك يا ميهووو، والله أنا فرحانة جدًا.

- الله يبارك فيك حبيبي عقبالك.

- والله ما عارفه يا مها، أنا هتجوز فعلاً ولا كله خيال في خيال.

- مش قلت بسام معاك دلوقتي، يبقى خير إن شاء الله، اسمعي كلامه لأنه أكيد عايز مصلحتك.

وكزتها بشكل مفاجئ للتأوه مها:

- خفي على الواد شوية، إيه الكسوف ده كله يا مها، آخر الأسبوع الجاي فرحك يا بنتي.

أطرقت مها رأسها:  
- أعمل إيه طيب طبعي كده.  
هزت رأسها بياس:  
- يا خوف يا بدران، تجري منه وتروح تنامي في حضن أختك.  
هذه المرة مها من وكزتها:  
- بس يا بوسي بقى ماتكسفنيش.  
انضم لهما بسام بالشطائر التي طلبوها والمشروبات، ومن كثرة الجوع انهمك  
الكل في الطعام.

وصلوا للمنزل بعد انتهاء جولتهم بنجاح، صعدت مها سريعًا تتبعها بسمة التي  
رأت أباها يقف في منتصف الردهة مفكرًا، اقتربت منه تسأله ما الأمر.  
نظر لها مجيبًا:

- طنط ميادة عايزة تتكلم معايا، أكيد علشان جاهين.  
ابتسمت بسمة وهي تربت على كتفه:  
- أنت فرحك بعد كام يوم، ما أعتقدش أنك هتكون مبسوط وأنت متخانق معاه،  
سامحه يا بسام علشان تفرح بجد، وأنا عن نفسي الموضوع مش فارق معايا،  
بس ده لا يمنع أنك تخليه يقطع الورقتين دول.  
هز رأسه قائلاً:

- اللي عمله أذاني أوي، ماتخيلتش أنه بيستهون بيا للدرجة دي وكمان مش  
واثق فيا.

- معلىش، بص أنت ممكن ماتصالحوش على طول، اتعبه الأول خليه يجيب  
آخره، وبعدها بقى لما يصعب عليك ابقى سامحه.  
ضحك قائلاً:

- يا سلام.  
- في الحقيقة هو صعب عليا وهو بيتحايل علشان أخليك تكلمه فتقريبًا كده  
خصامك ليه واجعه أوي.

- أقصى مدة اتخاصمنا فيها كانت يوم واحد، وبالليل ماتمناش إلا واحنا متصالحين.

- ربنا يصلح الحال، أنا هطلع بقى زمان مها ونانا مسكوا الرغي لما ألحق شوية.

- استتي، كنت عايز أقولك حاجة.

نظرت له بتساؤل، أردف:

- أنا اتكلمت مع معاذ، والحقيقة مش فاهم هو بيرتب لإيه بالظبط، هو واضح أنه متمسك بيك جدًا، بس مش بيفكر غير في كده، واللي حسيته إنه عايز ماما تفضل في الضلمة أو نعتمد على أن أمه مش هتفتكرها وده معجبنيش، بصي يا بسمه، أنا هعزمه يوم كتب الكتاب وهنرجع كلنا نكمل السهرة هنا، عايزك تقعدى معاه وتتكلموا، وتفهمي الدنيا هتمشي ازاي، أنا ماعنديش مانع أقبل معاذ ده خصوصًا إنك على وعدك معايا مش كده؟! هزت رأسها إيجابا فأكمل:

- بس اللي مش هقبله، أي وضع يقلل من كرامة أمي، وماظنش أن أنتِ كمان ممكن تقبلي ده، مش معقولة بعد تعبها معاك كل السنين دي هتقبلي إنك تداريها أو تخبيها، ولا إيه؟!!

- آه طبعًا، طيب هو بيتصل بيا كتير وأنا مش برد، ممكن أرد عليه المرة دي وأعزمه على كتب كتابك، وأقوله يعني إني وعدتك ماتكلمش معاه ونتقابل بقى يوم كتب الكتاب.

- مافيش مانع.

- شكرًا يا بسام.

أسرعت بالصعود. أما هو دنا من غرفة ميادة يطرق بابها، فأذنت له. استقبلته ببسمتها الودود وهي تشير له ليقترب جالسًا، جلس على المقعد الذي يقابلها، اختار الصمت لتبدأ هي الكلام، وبدأت بالاعتذار، الكثير منه، حتى رفع كفه:

- كفاية يا طنط حضرتك مش مضطرة تعتذري أبدًا.

ملأ وجهها الهم:

- بسام حبيبي، أنت عارف إني بعاملك زي جاهين، مافيش أم في الدنيا تحب تشوف ولادها متخصصين، أنا عارفه إن اللي عمله كبير أوي، بس ده أخوك الكبير، وكلنا بشر ولينا يعني وقعاتنا، سامحه علشان خاطري يا بسام، هو أكيد لا يمكن يتصرف بالطريقة دي تاني.

- جاهين مش واثق فيا!!

- لا يا بسام، هو مش واثق في سميحة، وعدم ثقته دي خلته يخبط المرة دي جامد، وهو في سبب تاني هو مش عايز يعترف بيه.

عقد حاجبيه بتساؤل:

- سبب إيه؟!!

- من ساعة اللي حصل بينه وبين أختك، وهو زي ما يكون قرر يكون أناني في تفكيره، هو حبهها جدًا يا بسام، ولما عملت معاه كده حس إن حبه للي حوالية مش كفاية علشان يضمن وجودهم معاه، هو تخمين مني، بس مش لاقية تفسير لتغييره المفاجئ ده غير كده.

- بس هو قالي إنه محبهاش.

ابتسمت ميادة بحزن:

- وصدقته، ده بيقول كده علشان يداوي كرامته المجروحة مش أكثر.

- تفتكري هو لسه بيحبها يا طنط؟!

أطرقت رأسها للحظة:

- مش عارفه يا ابني، جاهين ملامحه بتتغير لما بيشوفها بيحاول يكون قاسي ووحش أوي قدامها مش فاهمه ليه؟!، هل ده حب اتحول لكره، ولا كره بيحاول يخلقه ومش عارف.

صمت بسام ولم يعلق.

- عارف المكسب الوحيد للي حصل ده إنه فهم إن اللي بيعمله ده هيخسره

نفسه وكل اللي بيحبهم، وأعتقد هيبداً يفوق بقى ويرجع زي ما كان.

وقف بسام قائلاً:

- على العموم يا طنط، سيبينا كده كام يوم، وربنا يسهل.  
وقفت بدورها:

- أنا متأكدة من قلبك الطيب.

ابتسم لها بود وهو يحييها مغادرًا غرفتها، عادت تجلس، وقد اطمأن قلبها  
كثيرًا مع كلام بسام الهادئ، سيبقى صاحب القلب الأطيب في هذا المنزل.

.....

جاء الصباح ومعه انطلقت مع أبيها للمشفى. وصلا إلى غرفة سامر، طرق  
بابها عبد الحكم بهدوء ليذلف إليها وخلفه زينة، توقف كلاهما وقد تملكتهما  
الدهشة حين وجدا الفراش خاليًا.

- هو راح فين؟!!

قالت زينة، هز عبد الحكم رأسه بحيرة:

- مش ممكن يكون خرج فجأة كده، ده لسه قدامه أسبوع على الأقل.  
أسرعت زينة تخرج من الغرفة وتبعها أبوها، أوقفت أول ممرضة رأتها تسألها  
عن صاحب تلك الغرفة.

" جاتله أزمة شديدة إمبراح ورجع العناية تاني بليل."

شهقت زينة بفزع وهي تنظر لأبيها بخوف، قال:

- لا حول ولا قوة إلا بالله، ماكان كويس، سلم يا رب، تعالي يا بنتي أكيد  
هنلاقي أخوه هناك.

بالفعل وصلا ليجدا معاذ يجلس مهمومًا على أحد الكراسي، فاقتربا منه سريعًا  
وسأله عبد الحكم:

- إيه يا بني اللي حصل؟!!

وقف حين انتبه لهما قائلاً:

- والله ما عارف، أنا سايبه كويس أمبراح.

قالت زينة:

- طيب يعني الدكتور قال إيه والأزمة دي شكلها إيه؟!!

- دلوقتي حالته مستقرة بس عايز يخليه تحت الملاحظة شوية، هما قالولي إن في واحدة زارته بليل وبعد ما مشيت على طول حصلتله أزمة ضيق شديد في التنفس والدكتور خاف ليكون حصل حاجة في الرئة علشان كده رجعه العناية تاني، بس بيقول كل حاجة كانت سليمة.

عقدت زينة حاجبيها:

- واحدة مين؟!!

هز رأسه بنفي:

- ما عرفش أنا ماشوفتش بس وصف الممرضة فكرني بماما بس هي مابتحبش تيجي مستشفيات أبدًا، مش مقتنع إن هي، ولما دخلت أوضته لاقيت الورقة دي على الأرض وسألت الممرضة قالت إنها كانت في إيدته لما جاتله الأزمة. نظرا لتلك الورقة وزينة يكاد فضولها أن يقتلها فقال أبوها:

- ورقة إيه دي يا بني؟!!

فتحها لهما قائلًا:

- دي شهادة ميلاد قديمة، باسم ناس ما أعرفهاش.

مدت زينة يدها لتمسك بها، شهادة ميلاد لشخص اسمه حسين والأب إسماعيل والأم فايضة.

## الفصل الحادي والعشرون

سمعت نقطة ميه جوه المحيط  
بتقول لنقطة ما تنزليش في الغويط  
أخاف عليك م العرق.. قلت أنا  
ده اللي يخاف م الوعد يبقي عبيط

عجبي!!

رباعيات جاهين

تملك التوتر من الجميع، معاذ الذي لا يعرف ماذا أصاب أخاه ومن هي تلك المرأة التي زارته، وهذا لم يختلف كثيرًا عما تفكر به زينة أو عبد الحكم. نظرت زينة لمعاذ قائلة:

- مش معاك صورة لمامتك توريها للممرضات اللي كانوا هنا.  
هز رأسه نفيًا:

- لأ، اللي كانوا بليل هنا مشيوا والموجودين بتوع الصبح، ماشفوش حد.  
- أومال مين اللي وصفها لك؟!

سأل عبد الحكم، فأجاب:

- عاملة النظافة اللي في القسم بتاعه.

- طيب ماتروح تسألها تاني، لو كانت قريبة من المكان وسمعت أي حاجه يمكن نفهم.

قالتها زينة، فهز معاذ رأسه بنعم، تحرك بحثًا عن تلك المرأة.

نظرت زينة لأبيها:

- تفتكر تكون أمه فعلاً؟! لا مش ممكن، هتعمل إيه يضايقه كده، ولا هو اللي تعب، وإيه الشهادة دي كمان.

- الصبر يا بنتي، مش بيقولك حالته دلوقتي مستقرة أكيد هندخل نشوفه، ساعتها هنفهم.

مر المزيد من الوقت، عاد معاذ والحيرة ترسم بوضوح على وجهه، جلس جوارهما فسألت زينة:

- ها عرفت حاجه؟!!

- قالتلي إنها ماكنتش سامعة حاجه الأول، وفي الآخر صوت سامر بقى عالي، وماسمعتش غير جملة واحدة مفهومة.

- جملة أيبيه؟!!

قالت بنفاد صبر، فنظر لها قائلاً:

- كان يقول أنتِ كدابة، كررها بعصبية، بعدها الست خرجت، شوية الممرضة دخلت ولافته تعبان.

تبادل عبد الحكم وابنته النظرات، والكل لا يحمل إلا تخمينات في رأسه، وقف معاذ:

- ميعاد الزيارة الصباحية بدأ، يالا ندخل.

تحرك عبد الحكم مع زينة، الكل يفكر في ما سيقوله سامر من تفسير، والخوف أن يقرر الصمت ولا يحدثهم في شيء.

انتبهوا له في فراشه، يطالع السقف بجمود، ملامح وجهه ثابتة تمامًا، وإن غلب عليها الحزن، أو الضيق.

وصل له معاذ أولاً التف عبد الحكم وابنته على الجانب الآخر.

- سامر، أنت كويس؟!!

وصل له صوت معاذ، اتجه ببصره له، نظر له وكأنه يتفحص ملامح وجهه، وعقله يسأل، ألم يسمع من قبل أن معاذ يشبهه، لم الآن يشعر أنهما غير متشابهين على الإطلاق.

- سامر، مالك؟! هو إيه اللي حصل؟ مين الست اللي زارتك بليل دي قبل ما تتعب؟! هي قالتك حاجه ضايقتك؟!!

أشاح ببصره عنه، أسئلة كثيرة طرحها معاذ عليه، أسئلة أعادت له كل كلمة وحرف، كل ألم ووجع، كل حقيقة عاشها وأضحت سرابًا.

فتح شفثيه يرجو الهواء الذي شعر به ينفد من حوله كما شعر أمس، وللأسف لم يجده.

فأعاد محاولة التنفس، فلم ينجح، أزمة أمس ستعود!!  
قالت زينة بفرع:

- الأزمة رجعتله تاني، سامر... سامر اتنفس.

اتجه ببصره لها، زينة!!

الحقيقة الوحيدة التي يملكها الآن، أسيفقدها هي الأخرى!!  
صرخ معاذ:

- ساعدونا لو سمحتوا.

أسرعت الممرضة إليه وهي تطلب منهم جميعا المغادرة، عاد معاذ للوراء وهو يحدق بفرع في أخيه الذي يقاتل فقط ليتنفس.

أمسك عبد الحكم بذراع ابنته:

- يالا يا زينة!!

لم تطاوعها قدماها على تركه وأبوها يجذبها لتتحرك:

- يالا يا بنتي علشان يعرفوا يساعدوه.

أرادت التحرك معه، لكنها انتفضت فعليا حين أمسكت أصابع برسغها بقوة آلمتها، التفتت تنظر لسامر الذي أطبق أصابعه عليها وهو ينظر لها بعينين متسعيتين.

استمر جسدها في الانتفاض فلم تتصور أن يفعل هذا أبداً.

أعدت الممرضة الصراخ:

- لو سمحتوا اطلعوا برة.

ظلت تحدد بسامر، أما عبد الحكم فأمسك بيد سامر قائلاً:

- يا ابني سيبها ، خليه يساعدوك، ساعد نفسك يا ابني.

حررها بالفعل وبدأ جسده في التلوي طلباً للهواء وإن ظلت عيناه تتابع حركة زينة قبل أن تظلم الرؤية في عينيه ويفقد وعيه.

خرجت زينة مع أبيها بأقدام بالكاد تحملها، أمسك عبد الحكم بكتفيها يجلسها على أقرب مقعد، بينما معاذ يهز رأسه بخوف واضح:

- هو في إيه؟! أخويا جراه إيه?!!

ظل عبد الحكم ينظر لابنته التي استمر انتفاض جسدها، حتى كفيها، ربت على كتفها:

- اهدي يا بنتي، بتترعشي كده ليه?!!

نظرت لأصابعها لتلاحظ ارتعاشهم اللا إرادي، أطبقت عليهم معًا في محاول للسيطرة ولا فائدة.

وفي النهاية استسلمت لما هي فيه وشرعت في البكاء، ضمها عبد الحكم إليه:  
- صلي على النبي يا بنتي، لا حول ولا قوة إلا بالله.

كم يشعر بالشفقة عليها؟! هل أخطأ بالعودة بها إلى هنا?!!

هز رأسه بحيرة وبمزيد من الخوف على ابنته وهذا القابع بالداخل.  
لحظات أخرى ليظهر الطبيب، أسرع معاذ يسأله عن حالته.

- الحمد لله بخير، هو عموماً أول ما يفقد الوعي بيتنفس عادي، الموضوع نفسي بحت لأن عضويًا ما بيشتكيش من حاجه.

تابعت زينة كلماته بعدم فهم، ما الذي يعنيه بنفسي?! هل أصيب سامر بمرض نفسي?!!

- يعني إيه يا دكتور نفسي دي?!!

سأله معاذ، فأجاب:

- هو في حاجه تقريباً ماثرة عليه بالسلب، ضغط نفسي ما، زعلان من حاجه،

ده موضوع شائع وشفناه كثير سواء مع الناس السليمة أو اللي في فترة

نقاها، المهم دلوقتي تبعدوه عن أي كلام ممكن يضايقه، هو مش محتاج يفضل في العناية، بس هخليه لحد بكرة زيادة اطمئنان.

انصرف الطبيب، والحيرة ترتسم على وجوه الجميع، ما رأوه بالداخل أفزعهم

وكأنه يحتضر والطبيب يقول لا شيء خطر مجرد ضغط نفسي!!

قال عبد الحكم:

- أنا بقول يا ابني تروح تشوف والدتك يمكن هي اللي قابلته، افهم منها إيه اللي حصل، علشان نعرف نساعده.  
هز معاذ رأسه:

- وأنا لحقت أقول حاجه، أنا بس سألته إيه اللي حصل؟!  
- مايمكن اللي حصل هو المشكلة، روح يمكن تفهم وتفهمنا.  
فكر لحظات:

- طيب أنا هروح أقابلها، خليك هنا معاه.  
- حاضر يا ابني ماتقلقش.  
جلس عبد الحكم بجوار ابنته التي لا زالت عبراتها تغادر جفنيها بصمت.

.....  
دخل بسام إلى مكتبه، رآه يجلس أمامه، رمقه للحظة وأدار وجهه ، اتجه لمكتبه دون أي كلمات.

انتبه للورقتين المستقرتين على سطح المكتب.  
ظل يحدق بهما ليأتيه صوته:

- الورق أهو، اعمل فيه اللي أنت عايزه.  
أمسك بسام بالورقتين، ابتسم بسخرية وهو يقرأ ما تحويه من كلمات، وصل لتوقيع أمه الركيك، وتملكه الغضب في لحظة.  
مزق الورقتين بعنف ملقيًا بهما في سلة المهملات، وجاهين يتابع.  
- صح، وأنا معترف بغلطي وبقولك آسف.

حدجه بسام:

- بالبساطة دي!!

وقف جاهين:

- طيب قولي اللي يرضيك وأنا هعمله، لكن ماتقتعنيش إننا هنفضل كده، هتقاطعني يا بسام، هتعمل فرحك من غيري.

زم بسام شفتيه، ينظر له بحزن مرددًا:

- أنت اللي اخترت.

أنهى جملته وتحرك مبتعدًا، ناداه جاهين، لم يتوقف.  
زفر جاهين بغضب وهو يضرب سطح المكتب بقبضته.  
تحرك بسام بخطوات سريعة لمكتب عمته، فكرة بسمة لا بأس بها، ليلومه أكثر  
وأكثر، ولكنه لن يستطيع هجره طويلًا، هو أيضًا يتألم لهذا، يريد أن يخبره أنه  
يتمنى مسامحته بسهولة ونسيان كل شيء، لكن لا بأس من أن يلقنه ذلك  
الدرس، ربما جاهين الأكبر إلا أن الأصغر يمكنه أن يعلم الأكبر أحيانًا.  
دلف مكتب سميحة التي استقبلته مبتسمة.

- إزيك يا بسام، بقابلك في الشغل أكثر من البيت.  
ابتسم قائلاً:

- أنت مابقتيش بتقضي أي وقت في البيت يا ماما.  
كلمة ماما التي لازال يمنحها إياها أصبحت أكثر تعلقًا بها منذ عادت فاطمة.  
اتسعت بسمتها قائلة:

- عموماً أنا كنت هندهك يوم كده ولا اتنين بس يالا بقى أفاتحك دلوقتي.  
ضافت عيناه بتساؤل، أردفت:

- أنا مافهمتتش أنت اقتنعت بكلامي ولا لا، بس أنا قلت أنت أكيد عاقل وهتقتنع،  
فعندي ليك شوية ترشيحات لبنات ممتازين، وماتقلقش خدت بالي من موضوع  
اهتمامهم بالدين ما أنا عارفاك.

مط بسام شفتيه وهو يرى العاصفة تلوح في الأفق. بدا لها تعبير وجهه غير  
مبشر:

- في إيه؟! طيب شوف اختياراتي الأول.  
تمتم لنفسه "لا مفر"

- مافيش داعي أنا خلاص اخترت.

- بجد، برافو عليك، بالسرعة دي، ميبين؟!  
هز كتفيه:

- مين يعني، خطيبيتها.

اتسعت عيناها تحديق فيه بذهول تحول إلى غضب مكتوم وهي تزم شفيتها بقوة.

وقف بسام يقترب منها، وضع كفه على كتفها واثني ركبتيه ليكون قريب من وجهها.

- ماما، أنا بحبها ومش عايز أعيش مع حد غيرها، وفرحتي دي مش هتكمل من غيرك، لو بتحبيني بجد افرحي معايا وليا.

ظلت على حالها تحديق في لا شيء.

- تعرفي لو قربت من مها هتحبها جدًا دي طيبة أوي.  
لوت شفيتها قائلة:

- ماهي فاطمة كانت كده برضو لحد ما قتلت أبوك.  
زفر بغضب، اعتدل واقفًا:

- بابا مات لأن ده عمره، ماحدث قتله، أنت ليه مصرّة تحطيني أنا وبابا في خانة واحدة وماما في خانة تانية خالص، مع أن فاطمة تبقى أمي برضو، أنا مش ابن وافي بس، أنا ابن فاطمة كمان.  
هبت واقفة:

- لأ، أنت ابني أنا، أنا اللي ربيتك مش هي.  
هز رأسه بيأس:

- بلاش نتكلم في النقطة دي لأنها هتزعك، أنا تغاضيت عن كل ده تقديرًا ليك ولتربيتك واهتمامك، عموماً كتب الكتاب والفرح خميس الأسبوع الجاي، ، ويا رب تفرحي لابنك اللي أنت ربيتيه بجد، زي ما أمه اللي اتحرمت من تربيته فرحانه.

لم ينتظر منها ردًا، تابعت مغادرته وهي تضم قبضتها بقوة. متممة:

- برضو عايزة تكسبي كل حاجه وتخسريني أنا يا فاطمة، لكن لأ، مش أنا اللي أخسر بسهولة.

.....

وصل إلى المنزل بعد أن أنهى اتصاله مع السكرتيرة الخاصة بوالدته، زادت دهشته حين أخبرته أنها لم تأت للعمل اليوم.  
سأل الحارس إن كانت هنا أم خرجت فأخبره أنها لم تغادر. أسرع للداخل واتجه إلى مكتبها على الفور، أو مكتب والده الذي أصبحت تجلس فيه حين تبقى في المنزل.

فتح الباب بسرعة، نظرت له من خلف المكتب الذي تجلس أمامه.  
- أهلاً، كنت مستنياك، اقبل الباب.

نظر لها بشك وهو يغلق الباب، اقترب منها:

- أنتِ روحتِ لسامر إمبراح بليل؟!!

- أنتِ بتسأل، يعني ما قالكش؟!!

توقف مكانه يحدق فيها بذهول:

- يعني روحتِ؟! أنتِ عملتِ فيه إيه؟!!

حافظت على هدوء ملامحها:

- عملتِ إيه؟! هو قالك إيه بالظبط؟!!

أسرع لمكتبها يستند عليه بكفيه مردداً بعصبية:

- ما قاليش حاجه، سامر كان بيموت قدام عيني، ده رجع العناية تاني، أنتِ قتلته إيبويه؟

شخصت ببصرها:

- رجع العناية! أنا سألت وقالوا إن حالته مستقرة.

صاح بصوت أعلى:

- أنتِ عملتِ فيه إيه؟! مش قادرة تصبري لما يخرج، ده أنتِ ما زرتيهوش ولا

مرة، ويوم ما تزوري ابنك ترجعيه العناية تاني.

- سامر مش ابني.

فغر فاه وقد بهت لكلماتها:

- إيه؟!!!

زفرت قائلة:

- اقعدي يا معاذ، دلوقتي هتعرف أنا قتلته إيه بالظبط.
- ألقى بجسده على الكرسي المجاور. استندت على المكتب بمرفقيها:
- سامر مش ابني ولا ابن شاكِر.
- ظل يحدق فيها وهو يهز رأسه بغير استيعاب:
- ولا أخوك.
- ابتسم بسخرية، تحولت لضحكات متقطعة:
- إيه اللي بتقوليه ده؟! دي طريقة عقاب جديدة دي ولا إيه؟! أنتِ بتعملي فينا كده ليه?!
- وقفت تسير بضع خطوات للنافذة:
- أنا ماكنش فارق معايا أعرف حد الحقيقة، اتعودت على وجوده، ثم هو كان ذكي جدًا ومفيد، ولحد آخر وقت كنت بقول هيفضل معانا، بس خلاص، هو مصر يسيبنا، مصر يبعد عننا وكمان عنده استعداد يبيع اللي مش من حقه ويحط وسطنا ناس غريبة.
- التفتت تنظر لمعاذ الذي يحمل وجهه الكثير والكثير من التعبيرات أكثرها الصدمة وعدم التصديق.
- سامر معانا من يوم ما كان عمره يومين، لدرجة إني صدقت أنه ابني، بس واضح أن العرق دساس زي ما بيقولوا، وهو اختار يمد لبره.
- كفاالاية.
- صاح بها واقفاً:
- أنتِ بتكذبي لبييه?!
- أنا ما بكذبش، اللي فات كله هو اللي كان كذب، وخلاص جه وقت الحقيقة، أنا رجعتك حقك ميراثك الشرعي اللي هو واخذ نصه.
- لوح بكفيه بغضب وقد اختنقت الكلمات في حلقه:
- حق إيه?! مش عايز حقوق؟ أنا عايز أخويااا، حرام عليك، حرام.
- بكره تستوعب وهو كمان.

تحركت تغادر الغرفة، ارتمت مرة أخرى على الكرسي، وقد غلبت العبرات  
عينيه، يتمتم:  
- سامر أخويا، مش هصدقك.

.....

رمقت هاتفها كثيرًا، فالיום ظل صامتًا، بعد أن كان يضج باتصالات معاذ بين  
الحين والآخر، أما اليوم فلم يتصل وقد حل المساء.  
أمشغول عنها؟! أم ربما غاضب منها؟! لتجاهلها اتصالاته، ربما كان عليها أن  
ترسل له على الأقل رسالة تخبره عن وعدها لبسام.  
هزت رأسها تتذكر كلماته الدائمة وتصرفاته، وكأنه كان سيقبل!!  
هي تعرف أنه سيعترض وسيلومها كما يفعل عادة.  
أمسكت بالهاتف تنوي الاتصال، لكن مع وصولها لقائمة الأسماء، أطفأت  
الشاشة مجددًا وهي تدس الهاتف بجيبها، ستتصل غدًا لو لم يفعل هو.  
الأفضل أن تفكر فيما سيتحدثان فيه بشأن أمهاتهما، عليه أن يعلم أنها لن تقبل  
بإبقاء أمها في الظل، لن يراعي أمه على حساب أمها.  
استنشقت الهواء بعمق، لعله يمنحها المزيد من الهدوء والتفكير السليم.  
خفضت بصرها للحديقة لتلمح تحركه، يجلس في مكانه المفضل، يستند على  
ذات الشجرة العملاقة، لم يحمل كتاب كعادته.  
عادت برأسها للخلف خوفًا من أن ينتبه لها، وجهه يحمل حزنًا، يبدو أن بسام  
لا يزال يعاقبه.  
ومع رؤية وجهه عادت الذكرى تضرب رأسها.  
" مايصحش ليا.. بس يصح لغيري!!"  
أغلقت عينيها تمنع تلك الذكرى التي دومًا تعاودها كلما رأتها حتى أنها أصبحت  
تفضل عدم اللقاء به، كم كانت مرتعبة في تلك اللحظات، وهو كان في أقصى  
أوقات غضبه، فإذا بها تشعل غضبه أكثر وأكثر بكلماتها، كلمات قالتها حينها  
ولم تلق لها بالًا، ظنتها دفاعًا عن نفسها، لكن النتيجة كانت سيئة، وتحول  
جاهين تمامًا.

جاهين الذي لو لم يحدث كل هذا لربما كانت زوجته الآن.

عادت تنظر له، كيف كانت حياتها ستصبح لو تزوجته بالفعل؟!.

ظهور معاذ غير كل شيء، وهي التي ظنت أن ظهوره سيعيد كل شيء إلى نصابه، لكن ما يحدث إلى الآن شيء آخر، مزيد من العقبات، الأزمات، وتلك الأخيرة كم تخشاها، تلك الأزمة التي قد تخلق بسبب أمه، هذه الأزمة الوحيدة التي على معاذ أن يتحملها وحده، هي لن تستطيع أن تقنع أمه بشيء، على معاذ أن يفعل.

زفرت ورفعت بصرها للسماء:

- يارب، كن وكيلى يا رب، أنت عارف بكرة فيه إيه، ساعدني، افتحي الباب اللي فيه سعادتني، وابدع عني اللي هيئذيني، أنا تعبت واثأذيت كثير، وريني الطريق اللي المفروض أمشييه، علمني أعمل إيه وأتصرف إزاي، ماتوكلنيش لنفسي يا رب.

رددتها بنفسٍ ضعيفة لرب قوي.

وعادت ببصرها له، يجلس على نفس الوضع دون حراك.

"بتبصي على إيه!"

أجفلت وهي ترتد للوراء، وضعت يدها على قلبها الذي تسارعت دقاته وكأنها ضبطت بالجرم المشهود.

- خضتيني.

قالت لنانا التي اقتربت من السور ترى من بالحديقة، فابتسمت وهي تنظر لبسمة:

- فكرتيني باللي بيقول.. "بتناديني تاني ليه؟ أنت عاوزة مني إيه؟! ما خلاص حبيتي غيري...."

أرادت بسمة أن تضربها فعدت للوراء سريعاً ضاحكة.

- بطلي كلام فارغ، أنا ماحببتوش علشان أحب غيره.

- ياريتك يا ختي حبيتيه، الحاجة الوحيدة اللي عملتها صح إنني أقنعتك بيه، بس خلاص حتى دي بوظتياها.

نظرت لها بسمه بضيق:

- أنتِ آخر واحدة تتكلمي، ما أنتِ طيرتي اللي أنتِ نفسك حبيتيه وكان عايز يتجوزك علشان طموح فارغ.

تبدل ملامح نانا أوضح لبسمه مدى قسوة ما قالت، أسرعت تعتذر لها:

- معلش، مش قصدي، يوووه، أنتِ اللي نرفزتييني.  
هزت نانا رأسها:

- لا عادي، أنتِ صح، أنا آخر واحدة أقدم نصيحة كويسة لأي حد.

- خلاص بقى يا نانا، ماتقليبهاش نكد.

جلست نانا وتبعته بسمه لتقول الأولى:

- خلاص يا بسمه، المهم هيجي يخطبك رسمي أمتي؟!  
هزت كتفيها:

- لسه مش عارفه، فاضلنا سلمة، يا طلغناها يا وقعنا على جدور رقبتنا.

- إيه السلمة دي؟!!

- سما هانم.

علمت نانا من تقصد، فلم تعقب، وعادت بسمه تشرذ فيما يجب أن يحدث، وما الذي قد يفعله معاذ؟!.

.....

جلست زينة تنظر له بصمت، الصمت الذي اختاره هو أيضاً منذ غادر العناية وعاد لغرفته، لا يتحدث مع أحد، وهما أيضاً يخشيان الحديث معه فتعود له الأزيمة.

مر يومان على ذات الحال، الغريب في الأمر اختفاء معاذ، لم يأتِ للمشفى منذ غادرها ليعرف من كانت مع سامر، وعندما حاولت مع أبيها الاتصال به لم يجبهما على الإطلاق، فأصابهما بالقلق.

اقترب عبد الحكم من سامر يسأله نفس السؤال التقليدي الذي يجيبه سامر بالنفي فقط.

- عايز حاجه يا ابني؟.

لكنه لم يجب بشيء هذه المرة، فأعاد أبوها السؤال، نظر له سامر:  
- عايز أخرج.

وقفت زينة، ترقب ردات فعله، مع عودته للكلام.

- تخرج فين، الدكتور قال أنت محتاج يومين تلاته كمان.  
قالها عبد الحكم.

- لأ، أنا عايز أخرج من هنا.

تبادل النظرات مع ابنته:

- بس لسه محتاج حد يخدمك، هترجع بيت أهلك يعني؟.  
"أهلك"

زم شفتيه، وبدأت أنفاسه بالتسارع، لكنه هذه المرة لن يسقط في براثن نفس  
الأزمة، عليه أن يقاوم ويقف على قدميه كما اعتاد أن يفعل، لكن هذه المرة  
الضربة وكأنها القاضية.

ربت عبد الحكم على كتفه:

- اهدا يا ابني، اوعى ترجعك الأزمة.

- أنا ماليش أهل.

قالها وكأنه يعترف لنفسه قبل الجميع، يدخل عقله الواعي والباطن مرحلة  
التأقلم والتعايش مع تلك الفكرة، لا أهل له!!

اتسعت عينا زينة مع كلماته تلك، وردد عبد الحكم:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

عاد سامر ينظر له:

- أنتو أهلي يا عم حكم.

وهذه هي الحقيقة الأخرى التي لم تعد تحتاج إلى أي إثبات عنده، من كان معه  
من بداية الأزمة إلى الآن، لا أحد سواهما.

ابتسمت زينة رغباً عنها رغم ما يحمل الموقف من حزن له.

- يشرفنا يا ابني والله.

- ممكن تستضيفني في بيتك.

تصلبت ملامح زينة وهي تحرق في وجه أبيها الذي تفاجأ كثيراً من طلب سامر.  
- يومين تلاته بس يا عم حكم، أقف على رجلي وبعدين هشوف هتصرف إزاي،  
أنا مش قادر أفضل في المكان ده، مش قادر، ومش عايز حد يجيلي ولا يتكلم  
معايا.

نظر لابنته ولأول مرة يشعر بقلّة الحيلة ونفاد المشورة، لا زال يذكر تلك  
الكلمات الخاصة التي تبادلها معه، تلك الكلمات التي جعلت عبد الحكم قريب جداً  
من سامر وأفكاره، هو يثق به، لكن ماذا عن ابنته؟! أعليه أن يعرضها لهذا؟!  
- بابا، أنا هقعد أنا وأسماء عند الحاجة زينب، وممكن الدكتور محمود الصيدلي  
يغيرله على جرحه وهو عندنا لحد ما يقوم بالسلامة.

لم يلتفت لها سامر، وكأنه يتفادى النظر لها، منذ ما حدث.  
هل هو نادم على ما فعل؟! أم كان أمراً لا إرادياً ولا يريد أن يُحمل الموقف  
أكثر مما يستحق.

لكنها لا تهتم، ومنذ متى اهتمت، هي فقط تريده بخير.  
هز عبد الحكم رأسه:

- خلاص يا ابني، تنور وتانس.

اتسعت بسمة زينة، رغم علمها أن هذا يعني أنها ربما لن تراه، فأبوها لن  
يسمح لها بدخول المنزل في وجوده، لكنها سعيدة أنه سيكون بقرب والدها،  
وكم هذا مريح.

هل الابتعاد قد يحمل معنى الاعتیاد، لقد تصور أن بسام لن يتحمل فكرة الخصام  
تلك طويلاً، لكنه كان مخطئاً، لا زال إلى الآن يتجاهله، إذا تحدث معه في شيء  
يكون بخصوص العمل فقط، ولا أي شيء آخر. وكان علاقتهما تحولت إلى  
علاقة عمل دون أي مشاعر ود مسبقاً.

أكان تصرفه كارثياً لهذه الدرجة؟

هو اعتذر مرة تلو الأخرى ماذا عليه أن يفعل أكثر من هذا؟!!

دخل محمد لمكتبه يعطيه بعض الأوراق المطلوب إمضائها. لكن جاهين شارده تمامًا.

- أيبيبية، يا باشمهندس.

- هه.

- اللي واخد عقلك؟!!

- خير يا محمد.

- امضي الورق ده.

تناول منه الأوراق لإمضائها، أردف محمد:

- طيب أحنا هنطلع دلوقتي، مش يالا.

عقد جاهين حاجبيه بعدم فهم:

- مين اللي طالع، وفين؟!!

- بسام هيجيب بدلة العريس، وقالي علشان أروح معاه، مش أنت كمان جاي.

ارتكنت بسمة حزينة ساخرة على طرف شفثيه وهو يشيح ببصره بعيدًا.

عقد محمد حاجبيه:

- أنا مش مرتحالك من الأول طريقتكم في الكلام بقت ناشفة ورسمي كده، بس

أنا مصدقتش، انتو متخانقين ولا إيه؟!!

لم يعلق جاهين، وقبل أن يقول محمد المزيد طرق أحدهم الباب وظهر بسام:

- يالا يا محمد، أنا بدور عليك.

وقف جاهين ينظر له بلوم واضح، ولسان حاله، أهكذا أصبح هو أقرب لك

مني؟!!

وكان بسام قرأها، فهرب ببصره بعيدًا عنه وهو يدور على عقبيه، أوقفه

محمد:

- استنى، جاهين مش هيجي معانا ازاي؟، أنت بجد واثق في ذوقي أكثر منه،

أنت متأكد!!!

قال بسام:

- جاهين مشغول.

- أنا مش مشغول، وحتى لو مشغول أنت عارف لو طلبت مني أكيد هاجي.  
نظر له بسام بصمت، ولم تلتن ملامحه على الإطلاق.

- صلوا على النبي يا جماعة، مالك يا بسام؟، أنت عمرك ما زعلت من جاهين.  
- أنت ماتعرفش حاجه.

قالها بسام بضيق، رد محمد:

- أكيد، بس عارف إن جاهين ده بيخاف عليك أوي، وعمري ما نسيت أول مرة  
اتقابلنا فيها وهو بيترجى بسمة تساعدك، لدرجة إني شكيت ده ابن عمك بس  
ولا أخوك، ده يا راجل حتى الأخوات ممكن ما يخافوش على بعض كده، أكيد  
في حاجات كتير عملها تخليك تسامحه، ولا إيه؟!!

أطرق بصره لحظات، أعليه الاكتفاء بهذا؟، هو بالفعل يريد معه في تلك  
اللحظات، نظر لساعته قائلاً:

- طب يالا بينا علشان مانتأخرش.

هز جاهين رأسه بيأس. بينما لم يفهم محمد قصد بسام فظل مكانه.  
التفت لهما بسام:

- يالا يا جاهين، هنطلع بعربيتك.

اتسعت ابتسامة محمد في الحال وهو يلوح لجاهين أن يسرع، فتبعهما بالفعل،  
وقد ارتسم الفرحة على وجهه أخيراً.

وتولى هو القيادة، واتجه بهما إلى المكان الذي قد قرر مسبقاً أن يشتري منه  
بدلة العرس سواء له أو لبسام.

اقترح على بسام أن يجرب البدلة البيضاء على القميص الأسود بدلاً من البدلة  
السوداء التقليدية، وقبل بسام الاقتراح، ومع ظهوره ضحك الاثنان بسعادة، وقد  
بدت البدلة ملائمة له تماماً، أشار محمد بإبهامه:

- جامدة جداً، شكلك عريس بجد.

أوماً له بسام شكراً، التفت ينظر لجاهين الذي يحدق فيه مع ابتسامة طفيفة  
على وجهه، انتظر تعقيبه فلم يقل شيئاً، فقط ينظر له بصمت.

- إيه؟! مش عاجباك؟!!

هز رأسه:

- لأ طبعًا، عجباني جدًا، أنا بس فرحان أوي إني شايفك عريس، أخويا الصغير بقى عريس.

بادله بسام الابتسام، بمشاعر حقيقية لم يستطع أن يخفيها، اقترب منه جاهين يضمه لصدره:

- مبروك، ألف مبروك يا أحلى عريس.

- الله يبارك فيك، عقبالك.

ربت جاهين على ظهره:

- سامحني يا بسام، ما أحبش تزعل مني أبدًا.

- مسامحك يا جاهين.

ضمه أكثر وأكثر، وقد استكان قلبه أخيرًا.

حرره وهو يعود للوراء ينظر لوجهه:

- بس تعرف، أول مرة أشوفك أحلى مني.

ضحك محمد وهو يضرب كفاً بكف:

- قمة التواضع.

شاركاه الضحك وقد زادت حولهم أجواء السرور والبهجة التي ربما افتقدوها جميعًا لوقتٍ طويل.

.....  
أن يمتلكك الخوف لرؤية أحدهم فتكون سبب انتكاسته، رغم حرصك الشديد عليه وشوقك للقاءه، وهكذا كان حاله، يبقى في سيارته معظم الوقت، يسأل عنه فقط في استعلامات المشفى ويغادر، واليوم أخبروه أنه مضى إقرارًا لمغادرة المشفى.

عاد لسيارته لا يعرف ما الذي عليه فعله، ذهب لأمه مرة تلو أخرى يرجوها قول الحقيقة، أن توقف ذلك العقاب النفسي له ولأخيه، لكنها تصر على أن تلك هي الحقيقة بالفعل.  
سامر ليس أخاه.

ومهما رفض الأمر لا فائدة.

لهذا أصاب سامر ما أصابه حين رآها وسأله، فهل هذا سيحدث ثانية؟! انتبه لرنين هاتفه، الذي يتجاهله معظم الوقت، لكنه انتبه لاسمها، ظل يحدق فيه والحزن يملؤ عينيه، كلما اقترب منها يحدث ما يشعره أنه يبتعد، كلما اطمأن لأمر فقد ذلك الاطمئنان في لحظات.

أجاب الاتصال قبل أن ينقطع.

- معاذ، أخيراً رديت أنت بتنتقم مني ولا إيه؟!  
- لا أبداً.

لاحظت صوته الباهت الفاقد لحيويته المعتادة خاصة معها:

- مالك يا معاذ في حاجه، أخوك كويس؟.

زم شفتيه على ذكر أخيه، يقاوم مشاعر الحزن التي تخنق حروف كلماته.  
- آه كويس.

- طيب الحمد لله، بقولك كتب كتاب بسام الخميس الجاي، لازم تيجي، فرصة نقد مع بعض ونتكلم، عايزين نشوف هنعمل إيه بالظبط.. هبعثك عنوان المسجد في رسالة، ماشي.

- ماشي.

- معاذ، أنت مش طبيعي ماتقولي في إيه؟!!

صمت لحظات ليقول:

- بوسي، ممكن توعديني!!

- بايه؟!!

نال شهيقاً فزفيراً:

- أنك ماتسيبنيش، أوعي يا بوسي، أنا خلاص مابقاش فاضلي غيرك.

تلبس صوتها القلق:

- ما أنا معاك أهو، أنت مش بتقول إن أخوك كويس، هو في حاجه أنت مش

عايز تقولها، بتخضني ليه؟!!

- آه كويس، هبقى أحكيك لما أشوفك، سلام دلوقتي.

أغلق الهاتف، وترجل من السيارة، يجب أن يراه، ماذا لو ذهب إلى مكان لا يعرفه.

دخل المشفى يقدم خطواته ببطء، وكأنه يخشى رؤيته، ماذا سيقول له؟!!

أنه لا يصدق، أم أنه لا يهتم وسيبقى أخوه مهما حدث؟!!

ما الكلمات التي من المفترض أن يقولها في موقف كهذا؟!!

وصل إلى الممر الذي به غرفة سامر، توقف مكانه حين رآه يسير بجوار عبد الحكم ومن خلفهما زينة تحمل حقيبة صغيرة، هم أيضاً انتبهوا له.

ليتوقف المسير، تبادل النظرات مع أخيه، وجهه شاحب، موهن القوى، اقترب هو منهم، وقد شعر بعبراته تغالب عينيه. وقف أمام سامر الذي يطالعه بصمت. - سامر، أ.. أنت خارج.

أوما سامر برأسه وقد ملأ عينيه الحزن، أردف معاذ:

- طيب، هتيجي البيت، ق.. قصدي هتروح شقتك، بص، لما تخف، أنا هقول لماما إنك لازم ترجع.. ترجع الشركة.. أصل.. ده...

كلمات متقطعة متوترة يقولها ولا يعلم إلى ماذا ستؤول، زينة تتابع بدهشة وكذلك عبد الحكم.

ابتسم سامر بحسرة، خطأ خطوة ناحية معاذ، يضمه إلى صدره مرتباً على ظهره:

- اهدى يا معاذ.

وانهارت دفاعاته ليجهش بالبكاء دون سابق إنذار وهو يتعلق بكتفي سامر. يقول من بين نحيبه:

- أنت أخويا يا سامر، مش مهم هي بتقول إيه، ولا عايزة إيه؟! أنت أخويا، مش كده؟!!

- أيوة يامعاذ، مش مهم أي حاجة تانية، أنا أخوك.

.....

نزلت الدرج العلوي بخطوات سريعة، وعند نهايته تسمرت وهي ترى سميحة تغادر غرفة أمها وتصفع بابها بقوة، عقدت حاجبها وأرادت اللحاق بها، لكنها فضلت أن تطمئن على أمها.

فتحت الباب، رأت أمها تتخرط في البكاء، أسرعت نحوها:

- مالك يا ماما، عملت إيه الولية دي؟!!

نظرت لابنتها بعيون غارقة في مائها. أمسكت بسمة بكف أمها:

- ماما بلاش عياط، قوليلي قالتك إيه؟!!

هزت فاطمة رأسها:

- أنا مش عارفه عايزة مني إيه؟! مش كفاية كل اللي عملته فيا، مش مكفيها العذاب اللي عشته.

- يوووه، ماما قوليلي قالت إيه؟

- مش عايزة مها، عايزاني أوقف الجوازة، عايزة تنكد على ابني.

- يا سلام، ودي حاجة تخليك تعيطي، تشرب من البحر، بسام مش هيتجوز غير مها.

رمقتها فاطمة بعينين زائغتين، طالعتها بسمة بشك:

- في إيه يا ماما، هي هددتك بحاجه؟!!

عادت فاطمة تجهش بالبكاء.

- أبوووس ايدك ياماما، كفاية عياط طول عمرك بتعيطي، خلينا مرة بقى نمسك

نفسنا ونجيب حقنا بجد، لحد النهاردة محدش صدقنا إن هي السبب في خطفي،

قوليلي قالتك إيه، خليني أوقعها في شر أعمالها.

أوقفت فاطمة بكاءها وهي تنال شهقات متتالية:

- بتقولي وقي الجوازة يا هتخسري كل حاجة زي ما كنت هتخسري قبل كده.

أمسكت بذراع ابنتها:

- ساعتها افكرت أيام خطفك، أنا كنت بموت، خايفة أوي لتعمل حاجة في مها

ونانا.

زمت بسمة شفيتها:

- لا والله، يعني هي بتعترف بنفسها إن هي السبب في اللي فات، طب حلو أوي، ورب الكعبة لفضحاها قدام بسام وأعرفه اللي بيقلها يا ماما دي تبقى إيه، اللي كان عندها استعداد ترمي بنت أخوها لكلاب السكك، ولا اتهزلها جفن. تشبثت فاطمة بابنتها:

- لا يا بنتي، بلاش بسام.

حدقت فيها بذهول:

- بتقولي إيه يا ماما، بعد كل ده؟!!

- يا بنتي هي في داهية ماتهنيش، بس أخوك، ده قلبه طيب وأبيض مش هيستحمل يعرف كده عن الست اللي ربتة وعاش معها عمره كله، فرحه بعد كام يوم، عايزانا ننكد عليه ليه؟!!

صمتت بسمة مفكرة، ربما أمها على حق، ماذا لو أدى كل هذا إلى تأثير بسام وربما إلغاء الزفاف أو حتى عودته للانطواء عنهم. لكنها تعلم أن لا هي ولا أمها فقط قادرتان على التصدي لسميحة، هو فقط بسام، أو.... هزت رأسها بغير اقتناع، ما الذي سيجبره على مساعدتهما في هذا؟!!. زفرت بضيق:

- بس يا ماما مين هيقف معانا لو مش بسام، ماحدثش.

- ليه يا بنتي، مانقول لجاهين، ماهو من ساعة ما دخلنا البيت ده وهو واقف معانا وضدها.

ابتسمت بسخرية:

- ده كان زمان يا ماما، قبل ما يحصل اللي حصل.

هزت فاطمة رأسها:

- لأ، لو عرف، مش هيسكت، أنت كنت خطيبته ومع ذلك عملت فيك كده.

- كنت يا ماما، كنت، مش هيهتم.

قالت فاطمة بإصرار:

- أنا متأكدة إنه هيهتم، لأنه راجل، نقوله هو بس وبعيد عن بسام خالص، بلاش يا بنتي نكسر ظهره في حاجه زي كده.

وقفت تدور في الغرفة برهة، بالفعل لم تعد خطيبته وربما لن ينسى إساءتها له، لكنها تذكر أيضاً أنه كان ضد سميحة في كثير من الأحيان كما أنه يتمنى دوماً أن يؤمن وضعه أمامها، ربما تحالفهما هذه المرة سيكون في مصلحة الجميع.

عادت تجلس بجوار أمها:

- لو كلمناه هيفضل شايفها شكوك مستحيلة وخلص، عايزين دليل يا ماما.

- وهنجيبه منين ده؟!!

صمت بسمة وتركتها أمها تفكر، هي تعلم أنها ستجد طريقة أفضل منها بالتأكد.

ظهرت ابتسامة مآكرة على وجه بسمة:

- لاقيتها، أنت يا ماما اللي هتجيبني الدليل، بس تعلمي إيلي هقولك عليه بالظبط، وسميحة بقي تقول على نفسها يا رحمان يا رحيم.

اعتدلت تخبر أمها بفكرتها، التي بدت ذكية وخرقاء في نفس الوقت، ذكية لأنها من بسمة وخرقاء لأن من سينفذها فاطمة، التي لا تعتقد أنها تملك القوة ولا الجراءة لما تطلبه منها ابنتها.

## الفصل الثاني والعشرون

يا قرص شمس ما لهش قبة سما  
يا ورد من غير أرض شب و نما  
يا أي معنى جميل سمعنا عليه  
الخلق ليه عايشين حياة مؤلمة  
عجبي!!

### رباعيات جاهين

ماضيك مهما كان بخلوه ومره يبقى ماضيك، هذا الطريق الذي سرتة خطوة  
خطوة إلى أن وصلت إلى ما أنت عليه الآن. الماضي الذي تستند عليه وتثبت  
أقدامك في الحياة به، لم يعد متاحًا له!! أصبح في لحظات كلوح زجاجي هشمه  
أحدهم بضربه قوية أسقطته في فراغ لا نهاية له.

ولا يملك حق الاعتراض!!

نظر حوله لتلك الجدران التي حملت لون الزمن عليها، أكثر من لون الطلاء.  
غرفة صغيرة لكنها دافئة، أو ربما هو شعوره لكل ما يتعلق بهذا المنزل،  
الدفء.

الشعور الذي افتقده منذ مات شاكر.

ومع تذكره لهذا الرجل، تغضنت ملامح وجهه، كيف له ألا يكون ابنه؟!  
لقد منحه من الحب والاهتمام الكثير، لم يبخل عليه أبدًا، ولا حتى مع ظهور  
معاد بحياتهم.

فلم يمنح كل هذا لطفل يثق أنه ليس من صلبه؟.

"مرتاح يا ابني؟!"

قالها عبد الحكم وهو يقف على باب الغرفة، نظر له سامر ليوميء برأسه،  
اقترب منه الرجل ليضبط الوسادة التي خلف ظهره.  
- معلىش بقى، البيت مش أد المقام.

- ماتقولش كده يا عم حكم، ماتتصورش أنا مرتاح هنا أد إيه؟!  
ربت عبد الحكم على كتفه:

- الله يكرم أصلك.

خفض بصره مرددًا:

- أصلي!!

حروف حملت كمداً داخله، ناظره عبد الحكم بصمت، لا زال كل شيء مبهمًا له، كلمات معاذ حملت معاني كثيرة، لم يعلق عليها ولا حتى مع ابنته، ينتظر أن يتكلم سامر ويعلم أنه سيفعل.

"بابا"

نادته زينة من الخارج، خرج لها من الغرفة وهو يعلق بابها خلفه.

- أنا خلصت وخذت كل الحاجات المهمة معانا، والأكل خلاص على السوا تابعه بقى.

أوما لها وهو ينظر لملامح وجهها التي تنطق فرحًا:

- أنت مالك بتضحكي كده ليه؟!!

رفعت حاجبيها بدهشة، أتفعل؟!!

سبت نفسها التي لم تعد قادرة على التحكم بانفعالاتها.

- أنا.. بضحك!! لا أبدًا.

هز أبوها رأسه:

- طب يالا انتو.

قالت أسماء التي تحمل حقيبتها:

- مش هقعد مع عمو سامر شوية؟

ابتسم لها عبد الحكم:

- هو تعبان يا سومة، بكرة بعد المدرسة ابقى تعالي سلمي عليه.

- أنت عايزنا هنا بكرة.

قالتها زينة بشك، فرمقها عبد الحكم بتحذير:

- لأ، سومة بس.

ضحكت ضحكات متقطعة:

- آه طبعاً، أكيد سومة بس، أومال إيه يعني؟!  
جذبت أختها وهي تحثها على الحركة تغادران الشقة، وعبد الحكم يتابعهما مبتسماً.

التفت لباب غرفة سامر الحالية، لكنه قرر أن يتركه يستريح وذهب للمطبخ يتابع ما وضعت ابنته على الموقد من طعام.

.....

دس يده أسفل الوسادة يخرج تلك الشهادة القديمة التي تركها معاذ له بعد أن أوصلهم إلى هنا وغادر.

شهادة ميلاده الأصلية كما قالت سما.

وهو الأحق الذي تصور أنها خالفت التوقعات وتصرفت كأم له لأول مرة، أنها رغم بغضها للمستشفيات جاءت تراه وتطمئن عليه، قلبه الأخرق تملكته الفرحة للحظات، قبل أن يعلم أنها هنا لفعل العكس، لتقطع كل صلة له بها، تخبره أنها ليست أمه ولم تكن كذلك في أي يوم من الأيام، تعلمه أنه لا يمت لعائلتها بأي صلة.

وحصل أخيراً على إجابة سؤاله المحير، لم سما تقاتله هكذا وهو ابنها البكر؟!  
الإجابة ببساطة، أنت لست ابنها يا غبي.  
واختنقت أنفاسه مجدداً وذاكرته تعيد عليه مشاهد كثيرة لم يجد لها تفسيراً إلى الآن.

حين نجح في الثانوية وأسرع إليها يخبرها بسعادة، فاكتفت بإيمائه مرددة  
"المهم تنجح في حياتك العملية"، وهو الذي كان يكذب في مذاكرته لعله ينال منها تقديراً ما.

وظهر مشهد آخر، مرض بشدة في الكلية ولم يرد أن يذهب للمشفى لأنه يعلم أنها تكرهها، وأصر أن يُمرض بالمنزل، لكن هذا حتى لم يشفع، اكتفت بترك أمره للخادمات وظلت هي في العمل طوال الوقت، ولم يرها إلا حين شفي تماماً من مرضه، وأول كلماتها له حينها، "جيد استعد للعودة للعمل".

وغيرها وغيرها، من المواقف التي لم يجد فيها الأم التي تخيل، وها قد منحتة سما التفسير.

هو لم يكن لها ابنًا، بل عبدًا، جسم إنسان وعقل أنفقت عليه ومنحته المسكن والمأكل والملبس وتوقعت منه كل الولاء لها. فكيف لهذا العبد الأخرق يتصرف وحده، كيف يجرو ويفكر في أن يحرر نفسه من قيدها الذي على رقبته، ولكنها نسيت أن هذا العبد لم يكن يعرف كل هذا، كان يرى نفسه حرًا، ابنًا، وليس ملكية دفع فيها بضع وريقات من المال.

زم شفثيه وقد اغرورقت عيناه بالدموع، في لحظات تأتي في حياته نادرًا. نظر للاسم الذي كتب في خانة الأب "إسماعيل"، عقد حاجبيه وقد تملكه الغضب، وكلماتها تعاد إلى رأسه.

"أبوك خد تمنك قبل ما يسيبك، واحنا كنا محتاجين وريث يبعد عنا عقارب القراب اللي ظهروا فجأة حوالينا أنا وشاكر لما عدت سنين من غير خلفه، وقالوا بس هنورثهم أكيد، أنت كنت حماية لينا وضمانة تبعدهم عننا، وأنا مافرقش معايا نتبناك منين بس شاكر بقى عقله رافض فكرة تبني مجهول النسب، وقرر يدور على حد خلف بشكل شرعي، ولقاه، أبوك اللي ماتت مراته وهي بتولد ابنه البكري راجل فقير مش لاقى يأكل نفسه هياكل عيل، مراته اللي كانت شغالة مش هو، شاكر عرض عليه فلوس علشان يسيبك ويمضي على ورق إنه مش هيسأل عنك أبدًا، وخذ الفلوس واختفى، وأنت بقيت سامر شاكر الهيثم، وشاكر اتعلق بيك جدًا أكنك ابنه بجد، كان نفسه في طفل، وحتى لما ولدت معاذ بعد عشر سنين ما حسنتش أنه اختلف، وفضل يقولي سامر ابننا وهيفضل ابننا، وقلت ماشي وماله، ما أنت فعلاً بقيت ابننا" أغلق عينيه وهو يضم قبضته بقوة.

كان ليبقى ابنها لو ظل طوع أمرها، وهو اختار العصيان فكان عليه أن يدفع الثمن. أم إنها كانت لتتخلص منه في كل الأحوال وهو من أسرع بالأمر لا أكثر.

"واديك اتربيت تربية عمرك ما كنت هتشوفها مع أبوك الحقيقي، وخدمتك في الشركة خدت حقها بعيشة ماكنتش تحلم بيها، دلوقتي بقى خلاص، كفاية أوي كده والحق يرجع لصاحبه، معاذ ابني وابن شاكر الوحيد"

وضع كفه على وجهه يحاول منع تلك العبرات لكنه على العكس، بكى!!  
بكى إلى أن أصبح نحيبه المكتوم مسموعًا له.

فُتح باب الغرفة وظهر عبد الحكم وهو يمسك صينية طعام صغيرة، وقف مكانه وقد تفاجأ بحالة سامر الذي نظر له وهو يمسح عبراته ويحاول السيطرة على حاله مشيحًا بوجهه بعيدًا.

دلف عبد الحكم للغرفة، وضع الصينية جانبًا، رآه يحاول منع نفسه من الاستمرار بأنفاس متلاحقة.

- لا يا ابني، ابكي، ماتوقفش، مش يمكن نفسيتك محتاجة الدموع دي علشان الأزمة ماتجلكش تاني، ماتعتبرش ده ضعف منك، العياط ساعات بيريح.  
قالها عبد الحكم وغادر الغرفة مغلقًا بابها خلفه.

ووصل له في الحال نشيج سامر الذي عاد بقوة أكبر، هز رأسه بأسى:  
- ربنا يصبرك على ما بلاك.

فركت صدرها وقد تصاعد منه ألم واضح، قلبها لن يتحمل مثل تلك الضغوط، برغم كل ما لاقته في حياتها لم يتعلم قلبها أن يقاوم، أن يقاتل، أن يغامر.  
وكيف له ذلك وهي التي تربت على أن تبقى في الظل كما علمتها أمها حتى معها هي.

لم يكن مسموحًا لها أن تعترض على شيء ولا أن تبدي رأيًا، والآن الكل يلومها على ما هي فيه، ولم لم يلُم أحد أمها على ما ربتها عليه!!  
"اللي زينا يمشوا في الحيط مش بس جنبه يا فاطمة"

"مالكيش دعوة بحد، مش هتعرفني تحمي نفسك يبقى ابعدني عن كل الناس"  
"اللي مالوش ضهر بيضرب على بطنه، واحنا مالناش حد"

قواعد أساسية تربت عليها حتى أصبحت تخاف من ظلال البشر على الأرض،  
وكأنها فريسة قد ينقض عليها أي أحد في أي وقت.

وأكثر من خافته كانت أمها نفسها، التي كان عقابها مؤلماً جداً.

زمت شفيتها وألمها يزداد، دلفت بسمه للغرفة تقترب منها:

- ماما هي قربت تيجي، خليك جاهزة بقي.

نظرت لابنتها برجاء:

- أنا قلبي واجعني أوي، مش عارفه هقدر...

ضاقت عينا بسمه:

- هتقدري يا ماما، وأنت قلبك مش واجعك ولا حاجة ده الخوف، الخوف اللي

عشش في قلبك لما بقي خلاص جزء من أنفاسك، جمدي قلبك يا ماما، الفرصة

جات أهي علشان ناخذ حقنا من اللي بهدلتنا كلنا، افتكري عذابك لما بعدت عنك

بسام وأنت قلبك يجمد، افتكري لما كانت السبب في خطفي وكان ممكن أضيع ،

افتكري إنها حرمتنا من حقنا في الحياة، افتكري كل حاجة عملتها فيك وأنت

مش هتخافي.

أمسكت بكف أمها:

- أرجوك يا ماما، مرة واحدة حسيني إنك فعلاً بتحبيني بجد وعايزة تجيبيلي

حقي.

مدت كفها تضعه على خد ابنتها:

- أنت وأخوك أغلى حاجة عندي.

- يبقى جه الوقت بقي اللي تحمي أغلى حاجة عندك بنفسك.

أطرقت برأسها:

- حاضر.

وصل لمسامعها صوت محرك سيارة، أسرعت إلى النافذة وعادت لأمها:

- أهي وصلت، الحمد لله على حظنا جت بدري، يالا يا ماما.

أمسكت كف أمها لتساعدها على النهوض.

- البسي العباية دي علشان جيبتها واسع.

ساعدتها في ارتداء العباة ومدت يدها بسماعات الهاتف الصغيرة.  
- حطي دي في ودنك كويس علشان تسمعي كل اللي هقولهولك، وخبيا جوه  
الطرحة.

أمسكت بهاتفها وأجرت اتصالاً على هاتف أمها وفتحت الخط بينهما.  
- بصي يا ماما، خلي التليفون في جيبك زي ما اتفقنا، طول ما أنا فاتحة الخط  
مش هيفصل، وأنا هسجل المكالمة وهكون سامعة سميحة بترد عليك بايه وأنت  
بقي ركزي في اللي هقولهولك وردي بيه، علشان نستفزها على أد ما نقدر،  
المهم أوعي تحس أنك بتسمعي حاجه ولا بتتلقتي الكلام، أرجوك يا ماما خليك  
طبيعية على أد ما تقدري.

أومات فاطمة برأسها ولازال قلبها يئن واختارت الصمت، ستفعلها من أجل  
ابنتها وابنها، عليها أن تنجح ولو مرة في الثار لهم جميعاً.  
- يالا يا ماما.

قالتها بسمة لتحمسها أكثر، وهي تفتح الباب.

خرجت فاطمة تتبعها نظرات ابنتها التي أخفت توترها مما قد يحدث، هذه  
فرصتهم الأخيرة لو فقدوها ربما لن تتمكن من التخلص من تلك المرأة أبداً  
وإظهار وجهها القبيح للجميع.

وضعت سماعة الهاتف وبدأت بتسجيل المكالمة، وقالت لتتأكد من سماع أمها  
لها:

- سامعاني يا ماما.

ردت فاطمة بصوت مرتعش:

- أه، سد سمعاك.

- اجمدي يا ماما، دي أضعف مما تتخيلي هي بس بتستقوى علينا أحنأ.

لم تعلق فاطمة وهي تستجمع شتات شجاعته التي لا تعرف متى قد ملكت مثلها  
لتحضرها الآن.

وقفت أمام باب غرفة سميحة، تحاول أن تنال شهيقاً تلو آخر، تهدىء من روع  
نفسها.

طرقت الباب برفق، لحظات وفتحت سميحة التي لم تبدل ملابسها بعد، وهذه هي المرة الأولى التي تأتي فاطمة لغرفتها، لذا نظرت لها بدهشة تحولت لسخرية:

- ده إيه الشرف العظيم ده، فاطمة هانم بنفسها عند أوضتي.  
" شايقة بتتريق عليك إزاي؟ أوعي ترحميتها، يالا قوللها إنك عايزاها ضروري في موضوع يخص بسام"  
كانت تلك كلمات بسمة لها.

- عايزة أكلمك بخصوص بسام.

فرمقتها سميحة بشك، ثم دلفت لغرفتها وتبعتها فاطمة وهي تغلق الباب، وتذكرت حث بسمة لها أن تكون قريبة من سميحة طوال الوقت كي يكون الصوت واضحًا.

اقتربت قدر المستطاع بينما تلوح سميحة بكفها:

- خلصي راجعة تعبانة وعايزة استريح.

انصتت لكلمات بسمة لتردد مثلها:

- أنا جاية بس أقولك، سيبى بسام ومها في حالهم، هما فرحانين ببعض، عايزة تبعديهم ليه؟!  
ضحكت باستهزاء:

- فرحانين ببعض، تلاقيا سحراله زي ما سحرتي لوافي وحرمتيه من أهله وماله.

صمتت بسمة وكأنها تفاجأت بكلامها أما فاطمة فقالت:

- أنا ماسحرتش لحد، أنا سيبت البيت باللي فيه وأخوك اللي جه ورايا.

قالت كلماتها ثم انتبهت إلى أن بسمة تسمع ذلك الحوار، فأردفت:

- أنت ليه دايمًا بترجعي لزمان، وافي الله يرحمه، خرينا في دلوقتي، بسام بيحب مها لو بتحببيه بجد باركيه.

اقتربت منها أكثر وهي تنظر لها بمقت حملته داخل قلبها سنوات:

- مستحيل والأحسن تمشي اللي أنا عايزاه.

"والإ"

قالتها بسمة لتردها أمها.

مطت سميحة شفيتها:

- بلاش تختبريني يا فاطمة لأنك دايمًا خسرانه.

- لا يا سميحة أنتِ اللي خسرانه، مين جنبك، بسام، جاهين، أي حد.. إنتِ

لوحذك، لكن أنا معايا ابني وبنتي وكمان ابن عمهم، ومن قبلهم وافي. معايا

عيلة عايشة وسطها بيحبوني وبحبهم، لكن أنتِ ماعكيش غير حقدك وكرهك

لكل اللي حواليكِ وأولهم نفسك.

زمت سميحة شفيتها بحنق، وفي الأعلى تمننت بسمة أن ترى وجهها وهي تلقن

أمها تلك الكلمات.

ومع صمت سميحة عادت لتسمع أمها التي كانت تعيد الكلمات بسرعة. سرعة

خشيت منها أن تعي سميحة ما يحدث، لكن سميحة لم تدرك ذلك. الغضب الذي

يعتيرها من كلمات فاطمة لم يمنحها القدرة على الإدراك.

- أنتِ ما بتتعلميش يا سميحة، خسرتِ وافي وهتخسري بسام بنفس الطريقة.

أنا مش هخاف من تهديدك، لأن اكتشفت إنك جبانة، جنبك خلاكِ ترجعي في

كلامك وترجعي بنتي ليا تاني لما اتخطفت، خوفتِ من بسام وجاهين، خوفتِ

لجريمته تتكشف، وللأسف ماحدث عايز يصدقنا، وأنا مش هأين عليا أكسر

قلب ابني المتعلق بيك، لكن مش مهم، مش هتقدري تكرريها تاني يا سميحة،

الغبي بس هو اللي بيكرر غلطاته.

"شاوري عليها يا ماما وقولي اللي هقوله ده"

ابتلعت فاطمة ريقها وهي ترفع كفها مشيرة لها بأصابعها:

- لو أنتِ غبية يا سميحة كرري غلطتك دي تاني، وساعتها بسام اللي هيجيب

حقنا كلنا، وابقى افتكري كلمتي دي كويس.

زفرت سميحة وقد بلغ غضبها مداه، أطبقت بأصابعها على رسغ فاطمة بقوة

أجفلتها، لتدنو منها أكثر وأكثر:

- أنا فعلاً غبية، اللي عملته في بنتك كان المفروض أعمله فيك أنت، أنت اللي كان لازم لا تتفع وافي ولا أي راجل تاني، أنت اللي كان لازم أرميها في السجن أو في أي بيت دعارة وأخلص منك.

وبرغم ثقة بسمة من ضلوعها في الأمر لكن سماع تلك الكلمات بنفسها كان صادماً ومؤلماً، حتى أنها لم تستطع قول كلمة واحدة ولم يكن حال فاطمة أقل أثراً، حدقت فيها بعينين متسعيتين تردد:

- أنت إيه؟! شيطان.

لا زالت تطبق على رسغها بقوة:

- الكلمتين الفارغين اللي قلتهم مش هيخوفوني، البنت دي مش هتتجوز وافي، ابغديها عنه لأنني مش هرجع في كلامي المرة دي، واللي مأكملتوش مع بنتك هكمله معاها وابقى قابليني لو عرفت تثبتي حاجه.

زمت فاطمة شفيتها:

- اسمه بساالم مش وافي، وافي مات.

تحشرجت الكلمات في حلقها:

- وافي اللي كان أكثر حاجه مزعلاه أنت، كان بيقولي سميحة وحشتني يا فاطمة، كان بيحبك وفاكر إن مسيرك تليني وتقبلي بيانا، لكنه مات، مااالت علشان مايشوفش اليوم اللي أخته حاولت تقتل فيه بنته بالحيا، عايزاها تعيش في عار طول عمرها.

دفعتها سميحة للخلف:

- أخرجي بره، أنت اللي حرمتيني منه، وعمرى ما هسامحك، برره.

التصقت فاطمة بالبواب، تحدق بها بحزن بالغ، أهذه من كان يهتم بها وافي؟! إنها لا تستحق.

فتحت الباب لتغادر الغرفة بأسرع ما تسمح لها خطواته المتعثرة، وقلبها المتألم، أغلقته خلفها بقوة، وصلت إلى الدرج تلهث وكأنها في سباق.

"ماما"

قالتها بسمة التي أسرع لها تدعم صعودها:

- خلاص يا ماما اهدي، ولا يهملك، آخر مرة هتكلمك كده تاني، نهايتها قربت.  
ساعدتها لتصل إلى فراشها وتستلقي عليه، أشارت فاطمة لدوائها الذي تحتاجه  
كثيرًا. منحتها بسمه قرصًا منه لتبتلعه برشفة ماء.

ربتت بسمه على كف أمها:

- برافو عليك يا ماما، اعترفت على نفسها ومش كده وبس وكمان بإنها ممكن  
تعمل ده تاني مع مها.

مدت فاطمة كفها تربت على خد ابنتها:

- لآخر لحظة كان نفسي تنكر، تقول إنك بنت أخوها ولا يمكن تعمل ده.  
ابتسمت بسمه بحسرة ساخرة:

- وأنا كمان اتصدمت لحظة، بس افكرت إنها عمرها ما عاملتني على إني بنت  
أخوها وعمرها ما هتشوفني كده، دي شايفة بسام بابا وشيفاني أنا أنت،  
وبتصرف على هذا الأساس، دي مجنونة عايزة تتعالج، ارتاحي أنتِ دلوقتي،  
وبكرة نكلم جاهين ونسمعه التسجيل وهو أكيد هيتصرف.

- ابقى خليه يجي هنا ونكلمه سوا.

هزت كتفيها:

- وماله، نامي يا ماما، وافرحي أنك جبتِ حقي وحق بسام ويمكن حق بابا  
كمان.

حاولت فاطمة الابتسام لكنها لم تنجح في هذا، وقفت بسمه تغادر الغرفة، لكنها  
عادت لأمها قائلة:

- ماما أنا نفسي أسمع حكاية جوازك من بابا، ممكن تبقي تقوليها لي.

حدقت بها فاطمة لحظات دون تعليق، أردفت بسمه:

- كلام سميحة مخليني عايزة أعرف، ومش فاهمة أنتِ ليه عمرك ما اتكلمتِ  
على حكاية جوازك، لدرجة إني فاكرة إنك هربت مع بابا واتجوزتوا.  
هزت فاطمة رأسها:

- هربت إيه بس، أنا كنت بخاف من خيالي، ههرب؟!.

أرادت بسمه الجلوس فأشارت لها أمها:

- بعدين يا بنتي، أنا تعبانة، نخلص موضوع سميحة ده وأنا هبقى احكيك.  
- ماشي يا ماما.

.....  
لم تعد فرحتها بعيدة، أيام معدودة وستصبح زوجته، كلما تفكر في هذا يتقافز قلبها فرحًا ويحمر وجهها خجلًا، وهي التي مع فقدها البصر فقدت اهتمامها بالجنس الآخر، واقتنعت أنها ستبقى بدون شريك في تلك الحياة، كانت راضية، لم تكن أبدًا الشخص الذي يسعى خلف أي شيء. وحدث عكس كل ما توقعت، ها هي ستتزوج وهي تبصره وتراه، وتحبه أيضًا.  
حمدت ربها كثيرًا أن حفظ قلبها لمن أرادها زوجة بالفعل.  
وها هو الحلم سيتحقق قريبًا.

رن هاتفها في هذا الوقت المبكر من اليوم، ابتسمت وهي ترى اسمه.  
أجابت اتصاله، فقال:

- صباح الخير.

- صباح النور.

- عاملة إيه النهاردة؟!!

- الحمد لله بخير.

صمت لحظات، قائلاً بنزق:

- طب وأنا مش هتسأليني عامل إيه؟!!

كتمت ضحكاتهما لكنه سمعها فقال بغیظ:

- بتضحكي، وماله، أنا هفضل ساكت وصابر كده لحد الفرحة بس بعدها بقي انسي.

وضعت كفها على فمها تكتم أي صوت منه، فأسرع بسؤالها كي لا تغلق الهاتف:

- المهم، مش محتاجة أي حاجة.

- لأ، شكرًا، بسمة مش مخلياني محتاجة حاجة.

ضحك مازحًا:

- ربنا يحفظها لنا أختي دي.

- أمين.

صمت لحظات وكذلك هي، عاد قائلاً:

- أنا بجد فرحان أوي يا مها.

زاد احمرار وجهها لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من قولها هي الأخرى:

- وأنا كمان.

صاح فرحاً:

- أيوة كده ردي عليا مش هفضل أتكلم لوحدي. أنت فييين يا خميس ماتيجي

بسرعة.

- خميس مين؟!!

قالتها باستفهام حقيقي لينفجر ضاحكاً:

- ده واحد صاحبي، ركزي يا مها، يوووم الخميس.

ضربت رأسها على غبائها وكذلك حرجها أمامه.

- طيب، سلام بقى علشان أشوف نانا.

عرف أنها تريد إنهاء المكالمة كعادتها، فقال:

- ماشي، الصبر مفتاح الفرج.

أنهت الاتصال وهي تحضن الهاتف بقوة، وتضحك بسعادة بالغة، ليتها تخبره

أنها رغم قلقها وتوترها تتمنى أن يقترب هذا الموعد أكثر وأكثر.

"خفي على التلفون ليتكسر"

قالتها نانا وهي تتابع أختها وسعادتها التي تنتقل لها بالتبعية، ضحكت مها

مرددة:

- أنا فرحانة، فرحانة أوي يا نانا.

ابتسمت لها بحب:

- أنت تستاهلي كل خير يا مها، ربنا يفرح قلبك كمان وكمان.

رفعت كفيها للسماء:

- ويفرحك أنت كمان يا أختي يااا رب، ويرجعك محمد.

انزوت بسمتها وحل مكانها الحزن، تلك الطيبة تظن أنه حقًا سيعود، محمد تحمل منها الكثير وصبر عليها أكثر، وهي حطمت كل هذا بعندها وطمعها، فكيف تأمل أن يعود بعد كل هذا، ربما محمد كان محبًا لها بحق، لكنها تعلم أيضًا أنه رجل وهي فعلت الكثير حتى تظن أنها خسرت كل رصيد لها عنده. اقتربت منها منها تربت على كتفها:

- ربنا قادر يقرب القلوب تاني يا نانا، المهم تفضلي قريبة من ربنا وهو هيديك كل اللي نفسك فيه.

- ونعم بالله، أنا اللي نفسي فيه دلوقتي أشوف أختي أحلى عروسة في الدنيا. الأ صحيح مش هتقولي لبسام تطلعوا شهر عسل. حدقت في أختها لحظات:

- ناناااا.

رفعت كفيها:

- لا والله ماقصديش حاجه، أنا بس علشان عارفك بتتكسفي وكده، تروحوا أول أيام مكان تاني أحسن، والله مش قصدي حاجه تاني. صممت مها وقد نالت الفكرة استحسانها، ربما سيخفف عنها الكثير من الضغط بالفعل، لو ذهبنا لمكان آخر، لكنها لن تستطيع أن تطلب هذا من بسام، كما أن الوقت ربما يكون ضيقًا ولن يجد المكان المناسب. زفرت قائلة:

- أنا مش هقدر أطلب منه حاجه، لو هو عايز هيقول.

هزت نانا كتفيها، دون تعقيب، تعلم أن أختها لن تفعل، وهي لا تتوي التدخل بينهما بأي حال، كان اقتراحًا لراحة أختها لا أكثر.

تناول القليل جدًا من الإفطار الذي أعده عبد الحكم، بينما الأخير يراقبه باهتمام، حاول أن يحثه على أكل المزيد لكنه رفض باعتذار.

حمل الطعام بعيدًا، فسأله سامر الجلوس ليتحدث معه قليلًا. مد يده بشهادة الميلاد قائلاً:

- عرفتموا إيه دي؟!!

نظر عبد الحكم في الشهادة:

- والله عقلنا بيودي ويجيب، والتخمينات كتير، بس أنا مستني أسمع منك.

- دي شهادة ميلادي الأصلية، مش أنا طلعت مش ابن شاكرا ولا سما.

قالها ساخرًا لكنها بدت سخريّة مريرة تحمل ألمًا واضحًا، أردف:

- أنا عرفت خلاص، هي بتعمل كده ليه، مابقتش مستغرب من أي حاجة.

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

عاد ينظر في تلك الشهادة:

- طب وأهلك دول فين؟!!

- الأم ماتت وهي بتولدني، والأب خد التمن واختفى، باعني علشان هو يعيش.

- ماتعرفش الظروف يا ابني، ماحدثش بيبيع ضناه، أكيد كان مضطر، وأكيد

كمان كان مطمئن إنك هتعيش أحسن عيشه.

هز سامر رأسه:

- مش فارق يا عم حكم.

- بس يا ابني معلى في السؤال، اشمعنا دلوقتي جت قالتك، ليه مافضلتش

ساكتة أو ليه ماقلتش من بدري.

زفر سامر، هو نفسه فكر كثيرًا في هذا السؤال:

- مش عارف، أنا كنت بالنسبة لها الوريث اللي هيبعد الحاقدين والطامعين،

وعشت معاهم عشر سنين على كده لحد ما معاذ اتولد، بس مافيش حاجة

اتغيرت، ومن أول يوم دخلت فيه الكلية دخلت معاهم الشركة، كنت بتعلم بسرعة

وكنت شايف إنها مبسوفة من ده، كنت ماشي على المسار اللي هي مخطاه

كويس، وتقريبًا ماتوقعتش إني أخرج منه أبدًا، ولما حاولت أخرج دلوقتي لاقت

إن مافيش فايده ولازم تخرجني من دايرة حياتهم للأبد، والله أعلم لما معاذ كان

يتعلم ويأخذ مكاني كانت ناوية على إيه، يمكن كانت هتخرجني برضو. ماحدثش

يعرف أبدًا سما بتفكر إزاي.

قال عبد الحكم مواسيًا:

- لعله خير يا ابني، وعلى فكرة كده أحسن، ادعوهم لأبائهم، ده دينا يا ابني،  
التبني حرام، كل ولد لازم يتسمى باسم أبوه.

أوما سامر برأسه، قال عبد الحكم وهو يردد اسمه الحقيقي:

- حسين إسماعيل، هو الحقيقة من سامر لحسين دي صعبة شوية.

ضحك سامر على تعليق عبد الحكم، وضحك الأخير معه:

- أيوة كده يا ابني اضحك شوية علشان تخف أسرع.

- هي زينة مش هتيجي.

أعاد له الشهادة:

- لا يا ابني، خير عايزاها في حاجه.

- أه، عايزاها تروح المكتب النهاردة وتقابل مروان، تقوله أني هفض شراكتي

معاهم ومش عايز منهم أي حاجه دلوقتي، المحامي اللي عمل الشراكة تبع

مروان، خليه يقوله يجهز الورق بأسرع ما يمكن يعني بالكثير بكرة أمضيه قبل

ما أبدأ إجراءات تغيير اسمي، وكمان قبل ما أحول كل حاجه باسمي لمعاذ، مش

عايزهم يخسروا المكتب بسببي.

حدق فيه عبد الحكم بعدم فهم:

- أنت هتكتب كل حاجه باسم معاذ؟!!

أوما برأسه:

- المفروض أسهم الشركة وحسابي في البنك، كله مرتبط بالشركة، بس سما

هانم قررت تسبيلي العربية والشقة مكافأة نهاية الخدمة.

- ربنا يعوضك خير يا ابني، خلاص أنا هكلم زينة وأقولها كل اللي أنت قلتة ده.

- شكرًا يا عم حكم، وتقولهم إني هاجي بنفسي بكرة أمضي الورق.

أجابه بتفهم، ليغادر الغرفة ويتصل بابنته.

استرخى سامر في فراشه، ودون إرادة منه، يتذكر كل كلماتها التي أوجعته بها.

"أنا المحامي قالي إني ممكن أرفع قضية نفي نسب وأقول إن شاكر اللي عمل

كل حاجه وأنا أطلع منها، بس أنت عارف ده هيكون تأثير سلبي عليك أنت

شخصيًا وعلى سمعتك، وكمان على الشركة، مايرضكش تكون مكافأتك لشاكر

وليا بعد السنين دي كلها إنك تئذينا، ياريت من غير مشاكل ولا شوشرة، تنقل ملكية الأسهم لمعاذ وكمان حسابك الجاري المرتبط بشغل الشركة، أما عربيتك وشقتك اللي أنت واخدها من زمان وفاكرني ماعرفش، فخليهوملك"

زفر وهو يهز رأسه بضيق، لم لا ينتقم من كل هذا وينقل كل المبلغ من حسابه ، أليس هذا أقل ما يجب أن يفعله بها، تعويضًا لكل سنوات عمره التي ظن فيها أنه يعمل في ماله فإذا به لم يكن غير وسيلة لا أكثر، ولو فعل لوجه ضربة موجعة لسما وشركتها.

ضاقت عيناه مفكرًا، أيمنه فعلها؟!!

أم لعل سما أخذت احتياطاتها كما تفعل دائمًا فهي دومًا تسبقه بخطوة، لكنه بالتأكيد بحاجة إلى المال، ليبدأ مشروعًا جديدًا، في مكان آخر بعيدًا عن هنا يجب أن يسافر ويبدأ حياته من جديد، الشقة والسيارة ربما لن تكفيان.

أعاد رأسه للوراء، عليه أن يفكر جيدًا فالعواقب قد تكون وخيمة عليه وعلى من حوله، ولا يملك الكثير من الوقت، ويجب أن يتصرف بسرعة لو أراد.

وقفت في الشرفة تترقب عودته، لا تصدق أنها أصبحت تملك الزر الطارد لسميحة، ذلك الزر الذي ستضغظه فيقذفها بعيدًا عنهم وربما إلى الأبد.

فقط تتمنى أن يتصرف جاهين بالشكل الذي يليق، وإلا حينها ستضطر إلى اللجوء لبسام مباشرة، الاعتراف أصبح بيدها لن تتهاون بعد الآن، سميحة يجب أن تدفع الثمن.

وصل بسام قبله، وهذا أفضل من أن ينتبه لهم، مرت ساعة وهو لم يظهر بعد. زفرت وهي تنظر في ساعتها تراقب الوقت الذي يمر ببطء. وصلت سيارته أخيرًا، أسرعت إلى باب غرفتها لتقف أمامها.

قلبا ينتفض بتوتر واضح، أثقة أمها في جاهين بمحلها؟، أم أن كل هذا سيذهب هباءً؟!!

ظهر في بداية الممر، يخلع عنه معطفه القصير، توقف وقد انتبه لتلك الواقعة هناك تنظر له وبدا واضحًا ترقبها وصوله.

تبادلًا النظرات بصمت، رفعت كفها، أشارت له أن يقترب دون أن تتطرق بكلمه، عقد حاجبيه وهو ينظر حوله، وكأنها تختبئ من أحدهم، تحركت لغرفة أمها تفتحها، وهي تشير له مرة أخرى أن يتبعها، اختفت بالداخل، ألقى بمعطفه على كتفه، وتبعها.

دلف للغرفة، وجد فاطمة على فراشها، وبسمة تقف على الجانب الآخر. اقترب ليلقي التحية على فاطمة:

- إزيك يا مرات عمي عاملة إيه؟!!

- الحمد لله يا ابني، بخير طول ما انتو بخير.

كلماتها الودودة نفت ذلك الظن الذي تكون برأسه أنه هنا ليتلقى لومًا من فاطمة على ما فعل، أو ربما تريد بسمة اعتذارًا ما، فضل أن يبقى صامتًا فهو جاهل لما تريدان.

قالت بسمة:

- في حاجه بخصوص سميحة عايزينك تعرفها، وتورينا بقى هتصرف إزاي؟! رمقت فاطمة ابنتها بضيق:

- اصبري يا بسمة، واحدة واحدة.

- واحدة واحدة إيه يا ماما، خلينا نخلص.

- يوووه.

قالتها فاطمة لتشريح بسمة بوجهها بنزق، ألا يكفي ما هي فيه من توتر بعودة كل شيء لذاكرتها منذ سمعت كلمات سميحة، تلك اللحظات الأكثر رعبًا التي عاشتها لم يكن إلا بتخطيط من أخت أبيها، عمتها، تلك الكلمة التي لم ولن تستشعرها أبدًا.

- هو في إيه يا جماعة ممكن أفهم، عمتي عملت إيه؟!!

فاطمة تشفق عليه كما تشفق على ابنها، لكنه سيكون أكثر تفهمًا وإدراكًا للأمر من بسام، هكذا تشعر.

- أنت فاكّر لما بسمة اتخطفت.

بدا الضيق على وجهه، فالأمر لم يكن لطيفاً لأي أحد، الكل كان يعاني وهو معهم.

زفرت بسمة:

- يا ماما ادخلي في الموضوع، بص يا جاهين اسمع ده وأنت هتفهم، الكلام عن خطفي، كانت بتكلم ماما.

مد يده يأخذ منها هاتفها، رأى تسجيلاً ما متوقفاً وعليه تشغيله، ضغط زر التشغيل، واستمع إلى صوت سميحة الذي كان واضحاً.

"- أنا فعلاً غبية، اللي عملته في بنتك كان المفروض أعمله فيك أنت، أنت اللي كان لازم لا تتفع وافي ولا أي راجل تاني، أنت اللي كان لازم أرميها في السجن أو في أي بيت دعارة وأخلص منك.

- أنت إيه؟! شيطان.

- الكلمتين الفارغين اللي قلتهم مش هيخوفوني، البنت دي مش هتجوز وافي، ابديها عنه لأنني مش هرجع في كلامي المرة دي، واللي مأكملتوش مع بنتك هكمله معاها وابقى قابليني لو عرفت تثبت حاجه."

فغر جاهين فاه بذهول وهو يستمع لتلك الكلمات، التي كانت تضرب مسامعه بقوة، لتصيبه بصدمة حقيقية، لم يتخيلها.

لم يشعر بنفسه إلا وهو يجلس على طرف فراش فاطمة، وكأن الأمر أصعب من البقاء واقفاً على قدميه.

أهذه عمته؟! أحقا فعلت؟!!

نظرت له فاطمة بشفقة، وبسمة بترقب.

دار ببصره لفاطمة التي قالت:

- معلش يا ابني، بس دي الحقيقة اللي محدش فيكو مصدقها، ومش قادرين نقولها لبسام.

التفت بسمة لتقف أمامه:

- ها، هتعمل إيه؟!!

نظر لها ولا زال عقله في حالة التثنت وعدم التصديق، تعلق بوجه بسمة الذي لم ينسَ أبدًا كيف كان حين عثر عليها، الكدمات الزرقاء وشفتاها الداميتان، انهيارها النفسي وارتعابها من الكل. اعتصر قبضته بقوة، فعلتها في ابنة أخيها وهو الذي كان يلوم كل ما تفعله معه، فعلتها مع الفتاة التي كانت خطيبته أيضًا ولم يعنها هذا في شيء.

تمتم:

- إزاي!! إزاي قدرت تعمل كده؟!  
منحته فاطمة الرد:

- عمرها ما شافتنى ولا شافت بنتي من العيلة دي، مش شايفة غير بسام اللي هو وافي بالنسبة لها وبس، ودلوقتي بتهددني في مها، أحنا لازم نوقفها عند حدها وأنا وبنتي مش هنقدر عليها.

زم شفتيه للحظة، ونظر لبسمة قائلاً بترقب متوتر:

- عايزين تبلغوا عنها?!  
- ياربييت.

قالتها بسمة بترحاب، قالت فاطمة:

- لأ يا ابني، مش عايزين فضايح للعيلة، الحمد لله بنتي طلعت منها على خير، وبسام مش هيستحمل كده فيها، أحنا عايزينك بس تتصرف معها، تعرفها أنك عارف، تهددها، تخليها تبعد عنا وتسيبنا في حالنا، وماتنذيش مها.

- لأ.

قالتها بسمة بحزم، فرمقتها أمها كي تتوقف لكنها لم تفعل:

- خلاص لو مش هنبغ عنها، تخرج من البيت ده، وتسبب الشركة كمان، تخرج من حياتنا خالص، ومن حياة بسام كمان، خليها تخسر كل حاجه، زي ما حاولت تخسرنى كل حاجه، دي أقل حاجة ممكن أقبل بيها، بعد كل اللي عملته فينا.

صمتت فاطمة ولم تعقب، تعلم أن ابنتها غاضبة ومن حقها أن تفعل، وهي أيضًا تتمنى أن تختفي سميحة من حياتهم إلى الأبد.

نظرتا لجاهين وكأنهما تترقبان رده، ظل ينظر إلى الأرض مفكرًا، عقله يعيد له الكثير من الأمور، بعد أن كان يلوم أباه وأمه، علم الآن أن سميحة لديها القدرة البالغة على الخداع، كما خدعت والديه في الماضي بشأن بفاطمة وحقيقة إحضارها لبسام، ها هي خدعتهم في ما هو أفظع، خطف بسمة ودفعها للفدية وكأنها تنقذ الموقف، كم كانوا سذجًا، أكانت تضحك عليهم حين تختلي بنفسها، ارتفع الغضب داخله كثيرًا، ألم تر كيف كانت حالتهم، حالة بسام، حالته هو، ألم يعن هذا لها أي شيء؟! رصيدها لديه ينفد يومًا بعد يوم، ولم يعد يحمل لها الكثير.

وقف وهو يمد يده بالهاتف لبسمة:

- ابعثلي التسجيل على تليفوني.

أومات له بالإيجاب، تحرك بخطوات بطيئة للخروج لكنه توقف قائلاً دون أن ينظر لهما:

- أنا عارف إن ده يمكن مايفرقش، بس أنا بجد آسف، آسف بالنيابة عن عيلتي اللي تسببت ليكم في كل ده، ولحد دلوقتي مش فاهم ليه!! بس ماتقلقوش، مش هتضايقكم تاني.

- أتمنى.

قالتها بسمة بشك واضح، التفت لها قائلاً بحزم:

- هتشوفي.

غادر الغرفة مسرعًا. جلست بسمة بجوار أمها التي قالت:

- أنا متأكدة أنه هيخرجها من حياتنا، أكيد هيقدر.

نظرت لأمها بدهشة، لا تعرف من أين لأمها بهذه الثقة بجاهين، وهي التي فقدت تلك الثقة منذ ما حدث بينهما، وخاصة مساومته لها للتنازل.

تنهدت قائلة:

- ياريت عندي نص ثقتك دي.

- هقولك زي ما قال، هتشوفي.

أمسكت هاتفها لترسل له التسجيل عبر تطبيق الواتس آب.

لكنها توقفت عند آخر رسالة كانت جاءت منها.

"لما بشوفك الصبح يومي بيكون أفضل"

ارتعشت شفتاها وهي تتذكر تلك اللحظات التي كانت تتتابها فيها مشاعر  
مختلطة من حين لآخر .

لمَ لم تحذف تلك الرسائل؟!!

مدت يدها تحذفها لكنها تراجع دون سبب واضح وأرسلت التسجيل مباشرة،  
وعادت تتصفح تلك الرسائل القليلة التي كانت تأتيها منه فترة خطبتها  
القصيرة وكانت ترد عليها بتحفظ واضح.

زمت شفتيها وهي تهز رأسها وكأنها ترفض استرجاع تلك الأوقات وحذفت  
الرسائل كلها.

## الفصل الثالث والعشرون

الدنيا من غير الربيع ميّته  
ورقة شجر ضعفانه ومفتفته  
لأ يا جدع غلطان تأمل وشوف  
زهر الشتا طالع في عز الشتا  
عجبي!!  
رباعيات جاهين

تلبستهما الحيرة بشدة، لم يستوعبا طلب سامر بفض الشراكة معهما، وتوترت  
راما كثيرا وكان كل ما حققاه إلى الآن سينتهي في لحظات.  
أسرعت تقف أمام زينة التي كانت تجلس بجوار المكتب.  
-زينة، أنت ماتعرفيش هو عايز يفض الشراكة ليه؟!  
هزت زينة رأسها نفيا:  
-لأ، بس أكيد عنده أسبابه.  
رددت بعدم فهم:

-إيه هي الأسباب دي، المكتب يادوب شم نفسه وعاملين شغل حلو مع شركة  
الشربيني وفي شركة تانية طلبت منا شغل، ليه عايز يمشي؟!  
وقفت زينة تقول:

-شوية وهيجي ابقى أسأليه بنفسك، أنا تصورت إنكم هتفرحوا إن المكتب  
هيبقى ليكم لوحدكم.

اقترب مروان على إثر كلماتها، قائلاً:

-بس الباشمهندس اسم ليه تقله في السوق وكده احنا هنخسره.  
هزت زينة كتفيها:

-أنا شايفة أن شغلكم بيتكلم عنكم، وإن شاء الله هتنجحوا، وحسب ما فهمت  
من الباشمهندس مش عايز منكم أي فلوس دلوقتي، بإذن الله مافيش أي قلق.

تبادلًا النظرات ولم يخف قلقهما بعد، عادا لغرفة مكتبهما حتى وصل سامر،  
الذي لم يتأخر كثيرًا، وقفت زينة لاستقباله.  
-حمدلله عالسلامة يا باشمهندس.

أوما برأسه لها، وظهر مروان وراما من خلفه.

-أهلاً باشمهندس، حمدلله على سلامتكم، أخبارك إيه دلوقتي.

-أحسن الحمدلله يا مروان، متشكر، تعالوا مكتبي، وهات معاك الورق.

استقر الجميع على مائدة الاجتماع الصغيرة، أمسك سامر بالورق يقرأ ما كتب  
فيه، والباقي يتابعه بصمت.

انتهى من الإطلاع ليضع الورق أمامه، أخرج قلمه يوقعه فأوقفه مروان:

-لو سمحت لحظة، أنا نفذت اللي طلبته مني بس أنا مش مقتنع بيه، ليه عايز  
تفض الشراكة والمكتب بدأ يشتغل كويس. أنا الحقيقة مش فاهم، حضرتك كنت  
مهتم بالمشروع ده وشايل همه جدًا، إيه اللي حصل؟!  
صمت لحظات ثم نظر له قائلاً بحزم:

-هسافر، ومش هرجع تاني.

بهت للرد وكذلك راما، أما تلك الثالثة فالوضع كان مختلفًا، اتسعت عيناها  
بصدمة وقلبها يهوي بين قدميها، أخفت أصابعها التي ارتعشت أسفل المائدة  
وهي تضمه على بعضهم بقوة. تنظر لوجهه الذي بدا هادئًا وكأنه يتحدث في  
أمر عادي له، سيسافر ولن يعود، هكذا سينتهي كل شيء.

تغاضى سامر عن ردود الفعل تلك، أردف:

- قلت يبقى مافيش داعي أفضل مشارك في المكتب، هيبقى مشروعكم أنتو، أنا  
بس طالب إن الأرباح السنوية لما تغطي تكاليف الشغل ويبقى ليها فائض،  
نقسمها سوا لحد ماتسدوا الفلوس اللي دفعتها فيه معاكم، وأنا مش هعجزكم،  
سددوا براحتكم، وأنا واثق فيكم.

تبادل مروان النظر مع راما قائلاً:

- مش عارف أقولك إيه يا باشمهندس، طالما دي رغبتك، وإن شاء الله من  
السنة دي نبدأ نسدد لحضرتك.

- ربنا يوفقكم، أنا هبقى أكلّمك وأقولك تبعّلي الفلوس إزاي، احتمال يكون عن طريق وسيط، حد تبعّته وهو هيبعتلي.

هز رأسه بتفهم، شرع سامر في إمضاء الأوراق ومد يده بها لمروان:

- مبروك عليكم، بالتوفيق.

لم يتبقّ شيء ليفعله، وقف قائلاً:

- أشوف وشكم بخير، مش عارف ممكن نتقابل تاني ولا لأ، ياريت حسن يفضل شغال في المكتب، لكن زينة أعتقد مش هتكمل، مش كده يا زينة؟.

جالسة كما هي بل شاردة تماماً فنأداها لتنتبه له واقفة:

- ها!!

- أنتِ هتكملي في المكتب ولا يدوروا على سكرتيرة تانية.

صمتت وهي تنظر له، عيناها حملت لومًا لم تستطع إخفاءه، عقد حاجبيه وهو لا زال ينتظر ردها، قالت أخيراً:

- لا يا باشمهندس، بابا قالي كفاية شغل شوية.

تبادلوا التحية والسلام، خرجت زينة تقف أمام مكتبها تودعه، على وجهها ابتسامة حزينة ساخرة، مدت يديها تلملم أشياءها التي لا زالت متراسة عليه.

زمت شفّتها وقد اعترأها غضب، ما بال هذا الألم المتصاعد في قلبها، من ستلوم؟! لا أحد سيلام سواها، هي من وضعت نفسها في تلك الدائرة وأغلقتها

عليها عن طيب خاطر، هي التي لم تهرب مبكرًا كي لا يزداد الألم.

استندت على مكتبها بكفيها تزفر بهم، تحاول المقاومة واستعادة زمام نفسها كما اعتادت أن تفعل.

"زينة"

جاءها نداؤه من خلفها، ظلت على حالها، لا يجب أن يرى وجهها هكذا، اعتدلت تكمل ما كانت تفعل قائلة:

- أيوة.

- هتروحي؟! أنا هاخذ تاكسي تعالي أوصلك معايا بدل ما تمشي لوحداك.

ضمت قبضتها بتوتر، تمت لو التفتت تصرخ في وجهه أن يتوقف، أن يبتعد ويدعها وشأنها.

زفرت بكل توترها وإحباطها وظلت توليه ظهرها:

- ماينفعش، زي ما جيت لوحدي هروح لوحدي، ومايصحش نروح سوا.  
عقد حاجبيه قائلاً:

- في إيه يا زينة مالك ما تبصيلي وأنت بتردي عليا.

أغلقت عينيها للحظة، دارت على عقبيها تنظر له بغيظ واضح:

- أروح معاك بمناسبة إيه، تقربلي، من محارمي، جوزي، لأ، يبقى سيبنى في حالي.

جذبت حقيبتها بقوة وهي تغادر المكان شبة مهرولة، أما هو فاستقرت على وجهه كل علامات الدهشة، وعقله يتساءل، ما الذي أصابها؟!  
استمر سيرها بخطوات سريعة غاضبة وكأنها في عراك ما، حتى أن أحدهم علق قائلاً..

"على مهلك هي الدنيا هتطير"

كان تعليقه كفيلاً بأن تنتبه لما تفعل، هدأت خطواتها قليلاً، أرادت أن تجلس في أي مكان، رأت مسجدًا صغيرًا بالجوار، أسرعت بالدخول إلى مصلى السيدات، جلست في أقرب مكان وجدته مستندة على الحائط، تلاحقها أنفاسها، وبدأ لومها لنفسها في الحال، ما سبب تلك الكلمات التي قالتها له، لم تقل من قيمة نفسها هكذا؟! وكأنها تريد أن تنبهه لما تشعر.

هذا الحب أصبح يأخذ منها الكثير، والمقابل لا شيء.

لم تشعر إلا بعبراتها تنهال على وجنتيها، واستسلمت لها وساعدها على ذلك خلو المكان من أي أحد.

.....  
التماسك لم يكن هينًا، أراد أن يبدو طبيعيًا طوال اليوم كي لا يلفت نظر بسام،  
وكم كان صعبًا.

كلما نظر لوجهه أشفق عليه من معرفة تلك الحقيقة، فاطمة على حق بسام لا يجب أن يعرف. لا أحد يمكنه تخمين ما سيحدث.

غادر بسام كالمعتاد قبله، بقي محمد معه بعض الوقت قبل أن يطلب منه أن يذهب هو الآخر.

نظر لساعته التي أشارت للتاسعة مساءً. أمسك الهاتف يتصل بسكرتيرة مكتب سميحة يسألها عن عمته، أخبرته أنها لا زالت بمكتبها.

حمل هاتفه ذاهبًا إليها، يجب أن يتصرف سريعًا، الزفاف نهاية الأسبوع وكم يخشى أن تنفذ تهديدها في مها لو لم توقف فاطمة الزيجة، وهذه ستكون الطامة الكبرى لتلك العائلة.

طرق الباب محاولًا الحفاظ على هدوئه، دلف إليها.

تجلس خلف مكتبها تعمل على جهازها اللوحي. وضعت جانبًا.

- خير!-

اقترب يجلس أمامها ينظر لها بصمت، لا زال هناك جزء بعقله لا يستوعب ما فعلت، أين كان عقلها وهي تفعل هذا؟ بل كيف خطر على عقلها ومن ساعدها لتنفيذ، لا يعلم أن لديها اتصالًا بمجرمين لا بد أن أحدًا ما ساعدها.

- في ابييه، أنت جاي تتفرج عليا، عندك خبر حلو قول ما عندكش اتفضل، زهقت من كتر الأخبار الوحشة.

وضع الهاتف على مكتبها وهو يضغط زر التشغيل، انطلق صوتها عبره مكرراً كلمات قالتها بالأمس وتذكرها جيدًا.

حدقت في الهاتف بذهول ثم في وجه جاهين الذي يتابع تعابير وجهها جيدًا.

- إيه ده؟! ..أنا ماقلتش كده، ده متفبرك.

ابتسم جاهين ساخرًا:

- متفبرك!!

هز رأسه يقف على قدميه ناظرًا لها بغضب واضح:

- لآخر لحظة مش مصدق، مش قادر أستوعب إنك عملت فينا كلنا كده، دي

بنت أخوك، توأم بسام اللي عندك أهم حاجه في الدنيا، ووقتها كانت خطيبتني،

للدرجة دي كلنا ما نساويش عندك أي حاجة، ما فرقش معاك العذاب اللي كنا عايشينه، ما فكرتيش فينا خالص.

وقفت هي الأخرى تلوح كفاها بتوتر لم تستطع إخفاءه:

- أنت بتقول إيه؟! ده كلام فارغ، ده مش صوتي، دي حد بيقلدني.  
ضرب سطح المكتب بقوة:

- كفاية بقي، هتضحكي علينا لحد أمتي؟! التسجيل ده ممكن يسجنك، فاهمة يعني إيه يسجنك، بتحرضي على خطف بنت أخوك، بتسلطي عليها كلاب شوارع، أخوك اللي ماخطرش على بالك وأنت بتعملي كده، بسام اللي لسه بيقولك يا ماما، أنا مش متخيل هيحصله إيه لو عرف!!  
صرخت:

- لأ.

رفع إحدى حاجبيه دون تعليق، سقطت على كرسيها وأصابها المرتعشة تمسح على وجهها بلا هدف، رفعت بصرها له:

- أنت عايز إيه?!

جلس هو الآخر، قائلاً:

- بداية كده، سيبني الناس دي في حالها، لو في أي حاجة حصلتهم لا هفكر في فضايح ولا عيلة ولا الكلام ده وهبلغ عنك بنفسي.

زمت شفتيها وهي تنظر له بصمت، أردف:

- ثانيًا، هتحضري فرح بسام اللي متوقع إن أمه التانية تحضر معاه وتفرح، بعد الفرح إن شاء الله ماما هتسافر للوجي ونوح تقعد معاهم شوية، هحجزلك

معاهم تسافري كندا تريح كده وتغيري جو، وياريت تحاولي تتأقلمي على

الاستقرار هناك لو لاقيت مشروع يناسبك اعمله أهو تتسلي، لكن قعادك

وسطنا هنا للأسف مباحش ينفع، وممكن برضو تزوري دكتور نفساني، لأن

الحقيقة بدأت أقتنع إنك مريضة يا عمتي، مريضة بذكرى عمي وافي، ومحتاجة

تصحي بقي من الوهم ده.

تابعت كلماته بذهول، استند بذراعه على المكتب:

- أخيراً بقي، ودي مكافأة منك ليا على إني عملت حساب العشرة وإنك عمتي وكل الكلام الحلو ده، بعد فرح بسام تطلبي اجتماع سريع لكبار المساهمين، لأنك تعبت من الشغل وعازية ترتاحي وترشحيني أنا أكون رئيس مجلس الإدارة، وبسام بقي ياخذ المكان اللي أنت كنت رسما هولاه، ويبقى المدير التنفيذي.

أنهى كلماته واقفاً:

- على فكرة أنا مش هقول لبسام فعلاً، مش علشان خاطرك، ده علشان خاطره هو، الحقيقة دي هتكسره جامد، فمافيش داعي.

دار على عقبية، وصل للباب، التفت لها قائلاً:

- وبرضو أنت الكسبانه في كل ده يا عمتي، كفاية إن صورتك هتفضل كويسه في عين الكل، بدل ما تخسري كل حاجه وكمان العيلة تتفضح.

فتح الباب مغادراً، تتابعه هي بأنفاس مكتومة، أطلقتها فجأة بصرخة قهر وهي تلقي ما على مكتبها من أوراق حتى جهازها اللوحي ارتطم بالأرض بعنف.

لم تصدق أن فاطمة الغبية فكرت بهذه الطريقة، أوقعت بها كغر ساذج وحصلت منها على اعتراف بلسانها.

جلست تتلاحق أنفاسها التي تخنقها بدلاً من أن تسعفها، وضعت كفها على عنقها وزاد شعورها بالاختناق، أغلقت عينيها تردد بلوم باكي:

- أنت السبب في كل ده يا وافي، ليه دخلت الناس دي حياتنا وخرجت منها أنت.

.....

وصل للشارع الذي به مسكن عبد الحكم، شارع ضيق ومزدحم أيضاً، على ناصيته مقهى به الكثير من الناس، حتى في الصباح كان يبدو مزدحمًا، وبطول الشارع يوجد محلات مختلفة، هذا كهربائي وهذا للهواتف المحمولة وهذه بقالة صغيرة، شارع مليء بالحياة إذا أراد أن يصفه، يمكنه أن يرى تلك الأنظار التي تلاحقه كغريب نزل ضيفاً على أحد ساكني الشارع، لكنه لا يعير أيها اهتماماً، ويفضل أن يبقى هكذا كي لا يفتح المجال للكلام مع أحد.

دلف للمنزل بما يحمل من أكياس، جلس على الأريكة الأقرب للباب بعد أن أغلقه وقد نال منه التعب، ظهر عبد الحكم سريعًا:

- إيه يا ابني، اتأخرت أوي، زينة رجعت من بدري، قلقنتي عليك.

ابتسم بود لهذا الرجل الذي يمنحه الكثير من المشاعر الطيبة بدون مقابل.

- اتمشيت شوية كنت مخنوق وجبت حاجات من الشقة وغيرت هدومي كمان.

- بس أنت جسمك لسه تعبان، المفروض تريح.

- ما أنا هريح أهو.

رفع كيسين من الأكياس التي معه:

- أنا عديت على مطعم حلو كنت بتعشى فيه، جبت لنا عشا والكيس الثاني ده

ابعته لسومة يتعشوا هما كمان.

- ليه التكاليف دي؟، أمسك إيدك شوية أنت لسه مش عارف هتعمل إيه؟!!

- دي عشوة يا عم حكم، بسيطة، ابعته دلوقتي علشان يكون سخن.

أوما له وهو يأخذ الكيس منه ويخرج، حمل حقيبته إلى الغرفة ليحمل منها

الملابس التي سيبدلها، نال حمامًا في شقته ليكون على راحته أكثر سيبدل

ملابسه فحسب.

لم يتأخر عبد الحكم وعاد سريعًا، وخرج سامر وقد ارتدى ملابس رياضية أكثر

راحة، نظر له عبد الحكم مبتسمًا، هذا الشاب يليق به ما هو فيه، والعجيب أنه

لم يعد ينتمي لذلك العالم العاجي الذي كان يعيش فيه.

جلس سامر يخرج الطعام ويرصه على المائدة الصغيرة:

- بيعملوا لحم مشوي ورز كاري حلو أوي هيعجبك يا عم حكم.

- رز كاري.

ضحك سامر:

- رز أصفر، مجرد أسامي يا عم حكم ماتشغلش بالك.

شرع في تناول الطعام معه، وتجنب عبد الحكم الحديث في أي شيء يخص

مشكلته بل كان يتحدث عن عمله الحكومي تارة، عن زينة وأسماء في

طفولتهما تارة أخرى، ارتسمت البسمة على وجه سامر وهو يستمع له عن

زينة وهي طفلة وكيف كانت عنيدة وتأخذ حقها من الجميع كبيرًا كان أو صغيرًا، وأن هذا كان يسبب له المشاكل أحيانًا.  
امتلاً عبد الحكم عن آخره قائلاً:

- ربنا يطعمك دائماً يا ابني، أنا تقلت في العشا أوي.  
- بالهنا والشفاف يا عم حكم.

ساعده في جمع الأطباق البلاستيكية في الأكياس مرة أخرى، قام عبد الحكم بإعداد كوبين من الشاي.

عادا للجلوس على المائدة، صمت عبد الحكم قليلاً ليقول:

- فكرت هتعمل إيه؟!!

تنهد سامر:

- والله لسه محتار وهي تقريباً قررت تسيبني يومين كده على ما أفوق من الصدمة المحامي بتاعها ماكلمنيش.

- أنا واثق إنك هتقدر تقف على رجلك تاني، استعين بالله.  
- ونعم بالله.

- طيب ، بخصوص الكلام اللي كنت قلتهولي وأنت في المستشفى، عن زينة فآكره؟!!

نظر له سامر بترقب وهو يومئ رأسه بنعم، أكمل عبد الحكم:

- أنا شايف إن خلاص، يعني الموضوع كده مش محتاج.

عقد سامر حاجبيه، خفض بصره وتبدلت ملامح الراحة على وجهه:

- خلاص!!، آه، أكيد من حقك تظمن عليها، وأنا مابقتش حد مناسب، حد حتى مش عارف أصله إيه؟! ومستقبله مجهول.

- لحظة يا ابني، أنت فهمت إيه؟ أنا قصدي أن سبب قلقك مبقاش موجود

والموضوع مش محتاج انتظار، أنت كنت قلقان من سما على زينة وعليا،

وعايز تضمن أنك هتقدر تتفصل عنها وساعتها تتقدم لزينة ومتعلقهاش بيك

من قبل كده، بس دلوقتي خلاص، أنت فعلاً انفصلت عنها، تتجوز بقى زينة ولا

أي حد، سما مالهاش دعوة، مش كده؟!!

رفع سامر حاجبيه يحدق بعبد الحكم بغير تصديق، لا يريد أن يحمل الكلمات معاني أخرى برغم أن الكلام واضح.

- أنت قصدك إيه يا عم حكم؟!!

اتسعت بسمته وهو يقول:

- هيكون قصدي إيه يعني، خير البر عاجله، أول لما تغير اسمك نكتب الكتاب إن شاء الله، إيه رأيك؟!!

انفرجت ملامح وجهه أخيراً وارتسم عليه السرور البالغ، وإن شعر بتأثر داخلي من هذا الرجل، ليردد بصدق:

- شكرًا، يا عم حكم.

- زينة بنتي جدعه، وأنت محتاج حد يقف جنبك وهي أكثر حد ممكن يعمل كده.

- ممكن تخليني أنا أقولها؟!!

همهم عبد الحكم وهو ينظر له، أشاح بوجهه بعيدًا يتذكر ردود فعل ابنته التي تتبدل في حال ارتبطت بسامر، فعاد له ببصره:

- لا يا ابني معش، أنا هقولها.

وفي عقله يردد "بلاش فضايح"

لم يستطع سامر أن يعارض، لكنه قام يحتضن عبد الحكم ضاحكًا، والأخير يربت على ظهره بحب أبوي صادق.

عاد يجلس قائلًا:

- طيب هنستنى بس يومين أرتب أموري وبعد ما تقلها عايز أقعد معاها برضو أفهمها وضعي بالظبط، علشان لما تقول قرارها يكون عن اقتناع.

- وماله يا ابني، زي ما تحب.

ارتشف المزيد من الشاي، ولأول مرة منذ فترة طويلة يتملك قلبه هذا الشعور بالفرح والسرور، ربما خسر الكثير لكن فوزه بها يعني له أيضًا الكثير.

.....

ترقبها يزيد من توترها، فور استيقاظها تفقدت رسائلها فلم تجد أي شيء منه، ألم يتحدث معها بعد، وهل يوجد وقت للتأخير؟.

نظرت لساعتها، هذا وقت ذهابهما، وقفت في شرفتها وبالفعل رأت بسام يغادر أولاً، انتبه لها فلوح بتحية ردتها له مبتسمة. تابعته وهو يركب سيارته مغادراً. لا زالت بسمتها على وجهها، لم تعلم أنها ستفرح هكذا لمجرد قربها منه، بل أحياناً لا تستوعب مقدار الحب الذي تشعر به نحوه الآن، ذلك الحب الذي لا يبحث عن أسباب سوى الانتماء إلى رحم واحد.

وذهب تفكيرها لسميحة، الشيء الوحيد المشترك بينهما حبهما لهذا الشاب، لكن حب سميحة ليس طبيعياً، تراه شخصاً آخر، بل وتريد أن تحصر سعادته فيما يرضيها.

هزت رأسها بعناد، لن يعكر صفو فرحة أخيها أي أحد، خاصة تلك المرأة. ظهر جاهين، نادته وهي تلوح، التفت لها، أشارت له أن ينتظر. أكمل الخطوات المتبقية لسيارته، استند عليها منتظراً. لحظات أخرى وظهرت عند الباب، يعلم أنها تترقب معرفة ما حدث، ولديها كل الحق.

وقفت أمامه ألقت التحية سريعاً وقالت:

- ها، كلمتها.

حاولت قراءة ملامح وجهه لكنها لم تحمل أي معنى، أوما برأسه:

- أيوة، اطمني وطمني مرات عمي، مش هتتذيكم تاني أبداً.

اكتفى بتلك الكلمات المقتضبة، وأراد الالتفات.

- لحظة.

نظر لها بتساؤل:

- طيب يعني، مش قلقان منها على نفسك!! مش ممكن تئذيك!؟!

ابتسم قائلاً:

- هتعمل إيه يعني، أنتِ خطفتك، أكيد يعني مش هتخطفني، ومستحيل تقتلني.

نظرتها حملت شكاً، فهز رأسه:

- أنا عارف إنك شايفة إنها ممكن تعمل أي حاجة وده من حقك، بس برضو دي عمتي اللي عشت معاها سنين طويلة، لا يمكن تئذيني بالشكل ده، أقصى حاجة ممكن تعملها هو الشغل، بس حالياً مش هتقدر، وماعندهاش فرصة. خف توترها كثيراً وإن لم يختف، ربما لن تهدأ إلا بابتعادها تماماً من حياتهم.

- وهتسيب البيت؟!

- ايوة بس مش دلوقتي بعد فرح بسام، هتسافر مع ماما كندا ودي حجة منطقية لبسام على الأقل.

ابتسمت براحة كبيرة:

- شكرًا يا جاهين.

رمقها لحظات وهو يشيح بوجهه عنها قائلاً:

- العفو

- في حاجة كمان.

عقد حاجبيه ولسان حاله.

"أحنا مش هنخلص ولا إيبيبيبيبيبية"

- خير، أنا عندي شغل.

أومأت له بتفهم:

- هو اعتذار وتفسير، وخليني أبدأ بالاعتذار.

نالت شهيقاً طويلاً وكأنها تستمد منه القوة.

- أنا آسفة، المرة دي آسفة بجد على كل حاجة عملتها وأذتك، صدقتي ده لا كان نيّتي ولا قصدي.

عقد حاجبيه أكثر وبدأ التوتر يغلبه، لا يحب أن تكلمه بلين، لا يريد أن يسمح لقلبه أن يستمع لها ثانية، لا يريد أن يعيد ما يقاومه طوال الوقت.

أراد أن يوقفها قائلاً:

- خلاص أنا نسيت كل حاجة.

- لا يا جاهين، ماحدش فينا عارف ينسى وعلشان كده عايزاك تسمع تفسيرتي، أنا مدينة ليك بيه لأنك كنت خطيبي. الموقف اللي شفته يوم خطوبة بسام...

رفع كفه بشكل مفاجئ مقاطعاً.

- خلاص يا بسمة، مافيش داعي نتكلم في الموضوع ده.

فآخر ما يريد سماعه هو تفسير مشاعرها الفياضة لحبها القديم الدائم، كيف تفكر في الحديث معه بهذا الشأن، ألا تعي حقاً أنه بالفعل أحبها يوماً؟!..

عقدت حاجبيها وقالت بعناد:

- لا مغلش، اسمعني للآخر، أرجوك اسمعني.

رد هو بعناد أكبر:

- أسمع إيه؟!، كفاية يا بسمة، مش محتاجة تفسري حاجه شفتها بعيني.

- علشان عصبيتك دي لازم أفسر، اسمعني بس أنا مش هضايقتك.

زفر وهو يضم قبضتيه بقوة حتى ابيضت أصابعه، أشاح ببصره بعيداً لا يريد أن يذكر ملامح وجهها وهي تحدثه في هذا، وللحظة أراد الانصراف فحسب، لم عليه أن يقف ويستمع لما سيؤلمه أكثر، لكن إصرارها أشعل فضولاً ما داخله، ليستمع كما تريد.

- أنت عرفت إني كبرت في البيت اللي كبر فيه معاذ، واتفرقنا أربع سنين،

تعايشت مع فكرة إني مش هقابله تاني أبداً، وعلشان كده وافقت على الخطوبة،

لأني من حقي أعيش حياتي بشكل طبيعي، المفاجأة إني شفته، وفي بيتي هنا،

ساعتها فقدت إحساسي بالزمان والمكان من كتر المفاجأة، لدرجة إني سألت

نفسي هو أنا فين؟! وإزاي أنا شايفاه قدامي؟!، وأكد ده كان إحساسه هو

كمان، لكن معاذ متهور عني واتصرف بتهور، أنا عارفه إني ماكنش المفروض

أسمح بكده مش علشان كنت خطيبتك بس، لأن أصلاً ده شيء مش مسموح

يحصل وعمرها ما حصلت بيني وبينه أبداً، ماتفتكرش إني كنت متساهلة أو

مش بيفرق معايا.

نظر لها وهي تنظر لكفيها مردفة:

- ولما استوعبت بعدته عني، ايدي دي كانت بتترعش، واتحولت الصدمة

لخوف شديد، مش عارفه ليه، كنت خايفة حد يشوفه، حد يعرف الماضي بتاعي

اللي ماحدث يعرفه، إني عشت بنت خدامة سنين في قصر كبير، وفضل الخوف

والتوتر مسيطر عليا لحد ما أنت كلمتني وحصل اللي حصل. أنا ماكنتش في  
حالتي الطبيعية وعارفة إني قلت كلام ماكنش ينفع أقوله.  
رفعت بصرها إليه:

- بس جه الوقت المناسب علشان أقوله، يمكن كل اللي قلته ده مايفرقش معاك  
كثير، بس أنا نفسي ارتاح وأنت كمان، لأن من ساعة اللي حصل وماحدث فينا  
عارف يرتاح.

تبادلنا النظرات بصمت، لتقول ولا زال صوتها يحمل حزناً واضحاً:  
- شكراً إنك سمعتني للآخر، وشكراً إنك ساعدتنا.

التفتت تعود للمنزل دون انتظار أي تعقيب منه تعرف جيداً أنه لن يمنحها إياه،  
هي فقط تريده أن يتفهم كل ما حدث، ويتوقف عن الشعور بالغضب الذي  
تستشعره من حين لآخر منذ فسخ خطبتها. وتتمنى أن تكون نجحت في هذا.  
أما هو فظل مكانه لحظات، ربما هي المرة الأولى التي تتحدث فيها بسمة معه  
من باب تصحيح الموقف أو حتى الاعتراف بالخطأ، هذا عكس شخصيتها التي  
تعرف عليها منذ دخلت هذا المنزل، ولا يعلم أهذه شخصيتها الحقيقية؟!، أم أنها  
تبذل ما فوق طاقتها فقط لتقول تلك الكلمات!.

زفر وهو يمسح وجهه بكفه، هو نفسه لا يعلم هل تلك الكلمات كافية لتطفئ  
نيران غضبه التي اشتعلت منذ ذلك الحين؟!  
فتح سيارته، ركبها وانطلق مسرعاً للعمل، وإن كان يثق أن كلماتها تلك  
ستصاحبه طوال يومه.

راقبت انصرافه من خلف النافذة بالردهة، أغلقت عينيها وهي تتنفس بعمق،  
تقاوم رغبة غبية بالبكاء، ربما هو الضغط الذي شعرت به وهي تقول تلك  
الكلمات، وكم تخشى ألا تعني له شيئاً، فهو لن يفهم كم بذلت من جهد لتوضح  
مواقف خاصة بها وهو شيء لم تعتد فعله من قبل خاصة مع شخص مثل  
جاهين.

التفتت تعود لغرفتها، لكنها انتفضت حين رأت ميادة خلفها بعدة أمتار قليلة.

وضعت كفها على صدرها فابتسمت ميادة ابتسامة لم تحمل الكثير من الود:  
- معلى خضيتك!

هزت بسمة رأسها نفيًا، أشارت ميادة للخارج:

- كنت بتكلمى جاهين؟!!

أومات بسمة إيجابًا، أردفت ميادة:

- طيب كويس، أحسن برضو ترجعوا تتكلموا عادى، وكان شيئًا لم يكن.

ظلت بسمة على صمتها ترمق ميادة فحسب، بينما الثانية تحدجها بنظرات  
مختلفة:

- صحیح إنت هتخطبى قريب زي ما سمعت.

- ها؟!.. أ.. أه إن شاء الله ربنا يسهل.

- مبروووك، ربنا يتملك بخير، وعقبال جاهين ابني، اللي أكيد ربنا هيعوضه  
كل خير.

خفضت بسمة بصرها للحظة، وشعرت بكلمات ميادة التي تريد أن تضربها بها،  
حاولت أن تبدو طبيعية وهي تقول:

- شكرًا، وآمين.. جاهين فعلاً يستاهل كل خير.

لوت ميادة شفيتها دون تعليق، دارت على عقبيها وبدأت أنها ذاهبة للمطبخ  
لكنها توقفت ونظرت لبسمة:

- أه، معلى احتمال كبير مقدرش أحضر خطوبتك المنتظرة لأنى هسافر للوجي  
بعد فرح بسام، نوح وحشني.

- تروحي وترجعي بالسلامة يا طنط.

وهذه المرة بسمة هي من تحرك، صعدت الدرج بخطوات سريعة، حتى اختفت  
بالأعلى.

أرادت أن تظمن أمها كما ظمأنها جاهين فدلقت إلى غرفتها لتخبرها أن كل  
شيء سيكون على ما يرام.

.....  
ومر المتبقي من الأيام بهدوء بالفعل، وجاء اليوم الذي يترقبه الجميع.

فاطمة التي تريد أن تصدق أنها بالفعل عاشت للحظة التي سترى فيها زفاف وليدها الذي سُرِق منها منذ ولادته حتى ظنت أنها حرمت منه إلى الأبد، بل وزفاف تلك الفتاة الرقيقة التي لطالما حملت همها إذا ما فارقتها دون أن تطمئن لمن ستوكل أمرها.

نانا التي خشيت أن تكون السبب في سرقة فرحة أختها بأفعالها، فحمدت الله كثيرًا على أن الأمور استقرت وها هي ستحضر زفاف أختها الصغيرة. بسمه التي فرحت كثيرًا لأخيها وأختها، فهكذا ترى كليهما، ستتم فرحتهما ولن يفسدها أحد. إلا أن هذا فقط لم يكن يشغلها، فالיום ستلتقي بمعاذ الذي غاب عنها طوال الأيام الماضية، وكلما اقترب الوقت شعرت بالتوتر، فتلك المقابلة ستحدد الكثير لما هو قادم.

أما مها فكانت في عالمها الخاص من السعادة والتوتر في نفس الوقت. قضت أيامها الماضية ترسم صورة تلو أخرى لشكل الحياة التي تنتظرها معه، وكلها كانت صورًا مبهجة، سعيدة وملينة بالحب. تطلعت لهيئتها بالمرآة، لقد تحقق حلمها كفتاة، ورأت نفسها بالفستان الأبيض، ببصرها هي دون أن يصفه أحد لها، ومع صغر حجم جسدها بدت رقيقة جدًا في فستانها مع حجابها الأبيض، وتدلى من على رأسها وشاح من قماش الدانتيل المطرز ليحيط بكتفيتها ويتدلى إلى نهاية فستانها ويتعداه ببضع سنتيمترات. "قمممممم يا خواااااتي"

قالت نانا وهي تضم أختها بقوة، صاحت بسمه:

- برالأااااااا طبطنا الطرحة بالعافية.

ضحكتا معًا وظهرت فاطمة التي ما إن رأت مها حتى اغرورقت عيناها بالدموع، حملت مها ذيل فستانها وأسرعت نحوها لتضمها إليها. رببت فاطمة على ظهرها:

- ألف مبروك يا حبيبتي، ربنا يهنیکم ويسعدکم ويبعد عنکم العين.

- آمین یا أحن أم فی الدنيا.

قالت بسمه بمشاكسة:

- بس بقى يا جماعة علشان أنا قلبي رهيف ودمعتي قريبة.  
نظرت لها فاطمة وكذلك لنانا قائلة:

- عقبال يا رب ما اظن عليكم أنتو كمان.

ابتسمت بسمة أما نانا فتجهمت ملامحها للحظة ثم قالت بضحك مفتعل:

- لا معلىش أنا قاعدة على قلبك يا أبلة بطة.

لوحى بسمة لها:

- لا معلىش أنت، أمي قلبها تعبان ومش هيستحمل قعدتك.

تشارك الجميع الضحك هذه المرة ، وطالعت فاطمة فتياتها الثلاث، ودعت لهن

بالستر والسعادة في الدارين.

.....

انتهى من ارتداء بدلته، وكذلك جاهين الذي ساعده على عقد ربطة العنق

الصغيرة. ابتعد خطوتين للخلف يطمئن على ما كان يفعل. رفع ابهامه قائلاً:

- تمام يا عريس، هایل.

اتسعت بسمته وهو يلتفت ينظر لهيئته بالمرأه. اقترب جاهين يضع كفه على

كتف بسام:

- ربنا يسعدك يا حبيبي.

- متشكر يا جاهين، عقبالك.

ابتسم جاهين وهو يومئ له قائلاً:

- خد.

رفع له ظرفاً فرمقه بسام بعدم فهم:

- تذكرتين طيران يا باشا، على شرم الشيخ، حجز خمس أيام في شالية

مخصوص علشان تبقوا براحتكم، الطيارة النهاردة بليل، يعني بعد العشا على

طول تقول بالسلامة.

- ياه يا جاهين، أنا مفكرتش خالص في السفر، بجد مفاجأة حلوة، متشكر

أوي.

- طب يالا بقى، أحنا هنكتب الكتاب الأول وبعدين هتصوروا.

- أيوة، المصور هيستنانا في الفندق اللي حجزناه للتصوير.  
- طب يالا علشان متأخرش.

- جاهين استنى.

التفت له باهتمام، فأضاف:

- أنا عايزك تاخذ بالك من بسمة النهاردة.

رفع جاهين إحدى حاجبيه:

- مش فاهم!!

- أصلي قائلها تقعد مع معاذ تتكلم لما نرجع هنا نكمل الحفلة، وأنا مش هكون فاضي يعني أركز معاهم، فخذ بالك أنت.

- نعم يا أخويا!!

كتم بسام ضحكته:

- هو أنت مش ابن عمها برضو ولا دي تهيؤاات، أنا عريس النهاردة مش فاضي. هو أنا بقولك أقعد معاهم، أهو عينك تبقى معاهم من وقت لتاني وبس.  
زفر جاهين:

- اللهم طولك يا رروح، يابني أنت مستغني عن وشك النهاردة.

ضحك بسام بقوة وهو يلوح له:

- ضحككتي والله.

بينما جاهين لم يكن يضحك على الإطلاق بل يرمقه بغیظ.

حمل بسام مفاتيح السيارة:

- أنا متأكد إنك مش هتسيبها لوحدها، يالا بينا بقى علشان نتحرك.

هز رأسه بياس وهو يتبعه وقد حمل مفاتيح سيارته هو الآخر والتي ضمت ميادة وفاطمة ومحمد.

وقف في نهاية الدرج في انتظار نزول العروس، ارتسم الفرح على وجهه بحبور فور رؤيته لها.

كما توقع، جميلة، أنيقة، ومحتشمة. لم يستطع أن يمنع نفسه من النظر لوجهها طويلاً، دقات قلبه تعالت دون إدراك منه، هل أحبها لتلك الدرجة؟!، أم هي مرحلة طبيعية لكل من هم مكانه في تلك اللحظة، لحظة استقبال العروس. ومع وقوفها أمامه وقد خفضت بصرها خجلاً، اتسعت بسمته أكثر.

"بحبها، أكيد بحبها"

حدث نفسه قبل أن تقول بسمه:

- يالا هنتأخر.

تبعن بسام ليستقرن بسيارته.

اجتمع الجميع وسط أجواء مفرحة داخل قاعة عقد القران، والتي ضمت الجميع، ولم يكن متاح غير ساعة واحدة لإنهاء العقد، فبدأ الأمر سريعاً واختارت مها محمد ليكون وكيلها وشهد على العقد جاهين وأحد زملاء العمل. انتهى الأمر بترديد الجميع لدعاء الزواج.

تلقي العديد من التهاني، قاومت مها الكثير من خجلها كما حثتها بسمه لتستمع بتلك الأجواء، وبالفعل اندمجت بها بسرور واضح.

الشيء الوحيد الذي لم يشعرها بالسعادة هي نظرة سميحة لها وهي تهني بسام، بدت كمن تحقد عليها أكثر مما تفرح لها، لكنها تذكرت كلمات بسام جيداً، وستعمل بها. خاصة أنها ترى حبها الشديد لبسام، حتى أنها احتضنته طويلاً وكأنها تودعه لا تبارك له فقط.

ومع قلة المباركين لم تستطع أن تنظر له، بينما شعرت بعينيته تعلقت بها هي. اقترب منها أكثر واحتضن كفها بيده، حتى أنها أجفلت من هذا فمال على أذنها قائلاً:

- لأبقى خلاص، أنتِ مراتي.

رفعت بصرها إليه، فكلمته تعني الكثير، وأولها أن نظرتها له لن يكون عليها شيء، بل هي حق لها الآن أكثر من أي امرأة أخرى على وجه الأرض، فهي زوجته.

- مبروك يا أحلى عروسة.

قالها وهو يتأمل ملامح وجهها التي كانت تخفيها عنه كثيرًا.  
- مبروك علينا.

بالكاد سمعها، فقال:

- يا ريت التون بتاعنا يعلى شوية متحسنينش إني هحتاج سماعات قريب.  
اندست بسمة وسطهما فجأة وهي تتعلق برقبتيهما:

- بتقولوا ايبيبويه!!

ضحكت مها، بينما رmq بسام أخته بغيط:

- هو مش خلاص، يالا نروح بقى.

قالت بسمة بسخرية:

- تروح ميبيين، لسه في فوتوسيشن، وبعدين العشا في البيت ومواال يا  
عريس.

هز رأسه مرددًا:

- أنا اللي جبت ده كله لنفسى.

.....  
مع الغروب بدأ التوافد إلى حديقة الفيلا، لحضور مأدبة عقد القران، والتي تم  
إعدادها بعناية على يد مجموعة من أفضل الطباخين.

وكان من الطبيعي في أي تجمع كهذا أن تراقب كل ما حولها بتمني للأفضل، أما  
هذه المرة فلقد اتخذت ركنًا قصيًا، لم تعد تلك الأجواء تستهويها، فهي تحمل  
بين طياتها الكثير من الخداع والغدر، وهي ذاقت منه الكثير واكتفت. إلا أنها لم  
تستطع ألا تنظر له، يقف بجوار جاهين يتبادل معه الحديث الباسم، يبدو سعيدًا،  
أحقًا تغلب على أي مشاعر لها، وهي التي منت نفسها بالكثير، لكن حين التقت  
أبصارهما لم يدم هذا طويلاً وكان هو أول من أشاح ببصره بعيدًا.

محمد صار أمنية بعيدة المنال، بعد أن كانت هي أمنيته!! ويبقى الإنسان ظلومًا  
جهولًا .

"قولي يا رب"

التفتت لبسمة التي جلست جوارها فقالت:

- يا رب.

نظرت لمحمد قائلة:

- تحبي أكلمه.

أمسك نانا بكفها:

- اوعي يا بوسي، خلاص، مبقاش ينفع، نصيبي هشوفه، وأنا دلوقتي مش عايزة حاجه غير إني أعيش بأمان.

- يعني خلاص، مش حاسه ناحيته بأي حاجه!!  
هزت كتفيها:

- ولو حاسه، هتفرق في إيه؟! خلينا فيك أنت، معاذ لسه مظهرش؟.  
هزت رأسها نفيًا:

- تخيلي لأ، ولا حتى حضر كتب الكتاب، مش عارفه إيه اللي جراه، حتى كلمته وماردش.

- الغايب حجته معاه.

نظرت إلى ساعتها وقد ملأتها الحيرة، أهذا معاذ الذي يعدو إليها قبل حتى أن تدعوه؟!، هناك أمر ما يجري لم تعرفه بعد.

- هو ده يا بوسي؟!.

قالتها نانا وهي تشير إلى أحدهم، نظرت بسمة لتجد معاذ يقف باحثًا عنها، تحركت مسرعة نحوه.

نظر لها بوجه هادئ أكثر من اللازم.

- معاذ، أزيك، أنت مجتش كتب الكتاب ليه؟!.

- معلى مش في مود أحضر حاجه زي كده، أخوك فين علشان أباركله.

أشارت له ليتبعها، تحرك خلفها، ولم يكن صعبًا على جاهين أن يراها، تغضن وجهه للحظة قبل أن يحاول أن يستعيد طبيعته، قال محمد:

- ياه، معاذ، من ساعة ما كنت قابلته ماشوفتش تاني

قال جاهين ساخرًا:

- ماتشوفش وحش يا ابني.

ضحك محمد على تعليقه، أما هو فظل بصره معلقاً بهما وهو يصافح بسام مهناً ليتأكد أنه رغم كل محاولاته، لا زال قلبه يمتلكه الغيرة بمجرد رؤية هذا الشاب.

حتى أنه ضم قبضته بقوة، وهو يسب حاله.  
لحظات أخرى وأشارت بسمة لمعاد إلى مائدة صغيرة مجاورة كي يجلسا إليها. بينما انشغل معظم المدعوين في اختيار ما لذ وطاب من على سماط عريض.  
قالت بسمة:

- تحب تاكل حاجه؟!!

هز رأسه نفيًا:

- ماليش نفس.

عقدت حاجبيها:

- هو في إيه؟! مالك؟! أنت متغير أوي.

نظر لها مطولاً، إلى أن قال:

- بسمة، ماتيجي نسيب كل حاجه ونمشي.

- مش فاهمة، عايز تمشي من هنا!!

- لأ، نتجوز ونسافر، ونسيب البلد دي بكل مشاكلها وعقدها إلى معطلانا.

اتسعت عيناها تحديق في وجهه بذهول.

معاد يبدو مختلفاً، مختلف تماماً!!

## الفصل الرابع والعشرون

وقفت بين شطين على قنطرة  
الكذب فين والصدق فين يا ترى  
محتار حـ اموت.. الحوت خرج لي وقالي  
هو الكلام يتقاس بالمسطرة  
عجبي!!

### رباعيات جاهين

طال تحديقها به وصمته وهو يترقب ردها، حتى هزت رأسها قائلة:  
- معاذ، أنت بتقول إيه؟! أنت مش طبيعي ممكن تقولي مالك بالظبط، في إيه؟!،  
شكلك زعلان أوي.  
أشاح ببصره عنها، وكيف له أن يكون طبيعياً وكل شيء حوله لم يعد كذلك، في  
يوم وليلة قررت أمه أن تقلب حياته رأساً على عقب بحقيقة تمنى للحظة  
الأخيرة أن تكون مجرد خدعة.  
وذهب لها مرة تلو أخرى يرجوها قول الحقيقة وهي لا تقول غيرها.  
"سامر مش أخوك"  
حتى أنه شك في نسبه هو ليسألها إن كان هو أيضاً ابنها، ضحكت ساخرة منه،  
أخبرته أن يسأل سامر نفسه فلقد حضر فترة حملها فيه وولادته.  
"معاذ"  
جاء نداؤها يعيده لواقعه الذي أصبح أكثر غيماً وظلاماً.  
- اتكلم، مالك؟!  
- سامر.  
- ماله مش الحمد لله بقى كويس.

- أيوة، بس ماما قررت تعرفنا معلومة صغيرة، معلومة عرفتني إن مافيش حاجة في حياتنا أكيدة، بجملة واحدة ممكن تخسري حقيقة عيشت عليها عمرك كله.

نظر لها بعينين حملتا كمدًا بالغًا:

- سامر مش أخويا، مش ابنها ولا ابن شاكرا، طلع مش أخويا.

اتسعت عيناها بغير تصديق، مرددة:

- سامر مش أخوك؟! معقولة!!

ومن على بعد عدة أمتار، لا زلت عيون جاهين تنظر لهما تارة وتتركهما تارة،

ولم يكن صعبًا أن يرى ملامح معاذ الحزينة، ويبدو أنها واضحة للكل حتى

محمد الذي يتابع المشهد مثله قال:

- هو ماله شكله زعلان كده ليه؟! مش أخوه خف خلاص.

أوما جاهين إيجابًا:

- أيوة، أنا كلمته أعزمه بس هو اعتذر وقال إن جسمه لسه تعبنا.

- أممممممم، طيب، أنا هروح أشوف أبله بطة.

وتحرك مبتعدًا، تراجع جاهين عدة خطوات، جلس على مقعد قريب، لم يستطع

إلا أن يتابع المشهد.

المشهد الذي حمل دهشة بسمة وهم معاذ.

ليقول الأخير:

- بوسي، أنا خلاص بجد مافضليش غيرك، خلىنا نبعد عن هنا، مافيش هنا غير

المشاكل.

- نبعده نروح فين، اهدى بس يا معاذ، أنت عايزني أسيب العيلة اللي ماصدقت

لاقتها، وعلشان إيه، خايفين من إيه؟!!

زفر بيأس تملك كل ذرة في كيانه، عليه إقناعها بأي شكل، عليها أن تستمع له

وتعي مقصده، ولكن كيف سيفعل هذا دون الحديث فيما قد يثير غضبها حتمًا.

- أنت عندك شك في حبي، في إنك أنت كل عيلتي، أنا مش عايز غير إننا نعيش

سوا.

- يعني برضو مُصر أمك ماتعرفش حاجة عننا.

عقد حاجبيه يقول بعناد:

- أنتِ عارفه كويس إنها لو عرفت لا يمكن توافق، ومش كده وبس وهتچاربنا كمان، ليه نفتح على نفسنا باب مشاكل هنقله بمجرد السكوت، السكوت بس.

- قصدك الهروب، الكذب.

- بوسي، متهيألي لما دخلتِ عيلتك الجديدة ماجرتيش تحكيلهم أنتِ كنتِ عايشة

إزاي ومامتك كانت شغالة إيه؟! وحتى في مدرستك مكنتيش بتختلطي بحد

علشان ماحدث يعرف؟! صح ولا أنا غلطان؟!!

ارتجفت شفتاها، فأردف:

- قولي إن أنا غلطان!!

زمت شفتيها:

- أنا كنت بعمل كده لأن ماحدث بي فهم، ماحدث بي قدر، كله بيحسب ويقدر

الناس بشغلهم وفلوسهم مش مهم بيتعبوا أد إيه في شغل شريف، كان لازم

مقلش لحد علشان يوم ما حد يتخايق معايا مالمقهوش بيشتمني بأمي وشغلتها،

أنا كنت بحمي نفسي من إني أكره شغل أمي أو أكره أمي نفسها، مش ذنبي إن

اتربيت وسط مجتمع طبقي في كل حاجة، مع إن ربنا اللي خلقنا طبقات علشان

ننفع بعض، لكن اللي بيحصل حاجة تانية خالص.

- طيب ما أنا كمان عشت وسط المجتمع الطبقي ده، بتلومي لي عليا إني فكرت

بنفس طريقتك وبقولك بلاش ماما تعرف عن مامتك حاجة، العقل والمنطق

بيقول نسكت وبس. وأنتِ رافضه، خلاص يا ستي هقولها، بس نمشي من هنا،

مانعش هنا، أنا هعمل حساب لنفسي في أمريكا وأحول ليه فلوسي، واقنعي

أخوكِ يوافق على جوازنا ومش مهم موافقة ماما، ونسافر على طول، ومافيش

داعي حد يعرف طريقنا، نعمل مشروع سوا ونعيش مع بعض، مش ده كان

حلمنا يا بوسي ولا نسيتيه.

أنهى كلماته وهو يمد يده يرغب في احتضان كفيها، لكنها انتبعت لتسحب يديها

في الحال، وقد اكتسى الغضب ملامح وجهها:

- أنت ليه محسني إن الأربع سنين اللي فاتوا ماعدوش عليك، أنت ماتغيرتش خالص يا معاذ.

هز رأسه بعد فهم:

- يعني إيه؟! أنا غلطان إني ماتغيرتش، أنا غلطان إن حبك في قلبي زي ما هو، وفضلت حلم عمري طول الفترة اللي فاتت، أنا مش فاهم.

- أيوة غلطان، ما أنا كنت زيك مش شايفة غير أنا وأنت، بس السنين اللي عدت واللي شفته فيهم لحد دلوقتي علموني كتير وأولهم إن مافيش حاجة اسمها أنا وأنت وبس، في ناس كتير حوالينا لازم نشوفهم ونعمل حسابهم كمان. يعني أنت أهو خسرت أخوك بكلمة، لكن أنا يا دوب كسبت الأخ ده، زي ما اتحرمت من أخوك عايز تحرمني من أخويا!! ومن أمي المريضة اللي لازم أكون قريبة منها طول الوقت، وأخواتي اللي اتربيت معاهم عمري كله، عايزني بعد ما بقالي عيلة ومكان أنتمي ليه ترجعني للغربة تاني وكمان مايعرفوش عنا أي حاجة زي الهربانيين من جريمة. وليه كل ده، طيب ما أمك ممكن توصلنا في أي مكان، لو مش هنقدر نحمي نفسنا هنا مش هنقدر نحمي نفسنا هناك، ما هو يا تقدر تقف قصادها يا كل حاجة بنقولها وبنعملها مالهاش أي ستين لازمة. نظر لها بصمت كما توقع؛ بسمة العنيدة لن تقبل بذلك الحل، وهو الذي كان يعول على حبهما الكثير.

- زي ما بقول دايمًا، أنت مش بتحبيني أد ما بحبك.

نالت شهيقًا فزفيرًا:

- معاذ، أنا بقول كفاية كلام، أنا حاسه إنك متأثر أوي بموضوع أخوك، ومش قادر تفكر كويس، بسام هيسافر كام يوم، لما يرجع تكون هديت وفكرت كويس وخذت قرار نهائي في الموضوع ده وتيجي تقوله ليا ولبسام، سفر وبعد عن أهلي مش هيحصل يا معاذ، أنا مش عايزة أتغرب.

أنهت كلماتها مغادرة، ظل يتابعها ببصره إلى أن اختفت، حدق أمامه في لا شيء، لا زالت حالة الغم والههم التي عايشها منذ عرف بأمر سامر تلازمه،

حتى أنه يشعر أن كل شيء لم يعد له قيمة واضحة، كل شيء يمكن أن ينتهي  
للا شيء.

هو متعب ومرهق جدًا وكل ما يريده منها أن تذهب معه بعيدًا، بقاؤه معها هو  
فقط الذي يشعره أن هناك في هذه الدنيا ما نهتم له ونعتني به. سما ليست نداءً  
سهلاً وهو رأى قدراتها على سامر القوي الذي كان يستند عليه، فماذا قد تفعل  
به هو بعد أن أصبح سامر غريبًا عنه الآن حتى لو ظل بينهما التواصل، لم يعد  
أخوه الكبير.

وضع كفيه على المائدة ينهض بتثاقل من يحمل همومه على كتفيه، دس كفيه  
في جيبه وسار مغادرًا، لا يشعر بأي من مظاهر الفرح التي حوله، فمن غم  
قلبه لا يرى سعادة الآخرين بسهولة.

.....  
ابتسمت فاطمة وهي تستمع لحديث محمد المرح، الذي افتقدته كثيرًا مؤخرًا،  
كرر تهنئتها بزفاف بسام ومها كام لهما معًا.

- عقبالك يا محمد، نفسي أطمئن عليكم كلكم أنت وبسمة وانا.

ابتسم وهو ينظر بعيدًا، نادته مرة أخرى نظر لها.

- نانا اتغيرت أوي، وأنا عمري ما شفتها لحد غيرك، ما تفكر تاني.

انسحبت بسمته، يرمقها لحظات، ثم قال:

- كويس أنها اتغيرت، المهم اتغيرت لنفسها مش لحد، أنا دلوقتي مش بفكر

خالص في الموضوع ده، انشغلت بشغلي ومرتاح كده.

- يعني إيه مرتاح كده، هتفضل طول عمرك لوحدك.

- أكيد لأ يا أبلة بطة، نصيبي هشوفه، وأنا مش مستعجل عليه، يجي براحته.

- يعني ممكن يجي مع نانا.

ضحك رغمًا عنه مع إصرارها، وشرده بعدها مرددًا:

- مش عارف يا أبلة بطة، ادعيلي وادعيلها بالخير، أيًا كان بقى مع مين.

- دعيا لكم على طول، أنت بس فكر تاني وبص على نانا ولو من بعيد هتصدق  
إنها فعلاً اتغيرت.

- ماشي يا أبلة بطة.

يعلم أنها لن تستسلم.

ظهرت بسمة عند الباب بلامح لم تكن سعيدة، قالت فاطمة:

- تعالي يا بوسي، مالك؟!!

اقتربت من أمها تربت على كتفها:

- ولا حاجة يا ماما، كله تمام.

نظرت إلى ساعتها:

- خلاص بسام ومها المفروض يستعدوا.

دارت على عقبيها، وأمها تتابعها، وجه ابنتها لم يبدُ بطبيعته، وهي تعلم هذا جيدًا.

حاولت بسمة الاندماج في فرح أخيها مرة أخرى، لكن الأمر لم يكن سهلًا،

حديثها مع معاذ كان مؤلمًا، أشعرها بضيق بالغ، إلا أنها تغافلت عن هذا.

نادت نانا ثم ذهبتا لمها، صعدن لأعلى كي تبدل ملابسها، بينما انضم بسام

وجاهين لفاطمة ومحمد حتى تنتهي مها وقد شرع المدعوون في الانصراف.

وقفت فاطمة تضم ابنها إلى صدرها، تتمتم في أذنه بدعائها الذي بث الطمأنينة لقلبه.

عادت للوراء تحيط وجهه بكفيها، طفلها الصغير، والذي عرفته كبيرًا، أصبح

عريسًا. وبرغم أنه يحمل من ملامحها الكثير لكن وجهه ذكرها بأبيه؛ وافي

الذي عاهدته شابًا حتى مات، لم تعرف كيف قد يبدو شكله إذا ما مر العمر به

معها، فقدته سريعًا، أسرع مما توقعت بل هي لم تتوقع فراقه أبدًا.

ودون أن تشعر ذرفت عيناها الدموع، لتمتد أنامل بسام يزيحها عن خدها:

- ماما، ماتعيطيش.

- دي دموع الفرحة يا ابني.

ضمها مرة أخرى.

- ربنا ما يحرمني منك يا ماما.

- ولا منك يا حبيبي.

"أحم أحم"

التفتا لجاهين الذي يشير لأعلي:

- العروسة نازلة يا باشا، الحق بقى غير هدومك ويالا علشان أوصلكم.  
ومن مسافة ليست بعيدة، وقفت سميحة تجاورها ميادة، الأولى تتابع بحسرة لم  
تستطع إخفاءها.

- افرحي يا سميحة لبسام، مش شايفة فرحان إزاي؟!!

- عمل زي أبوه بالظبط، مافرقتش معاه!! ربيت أبوه وكنت زي أمه وحرمت  
نفسى من الجواز علشان يفضل معايا وما ابعدهش عنه، وفي الآخر سابني  
وراح وراها، وده كمان ربيته وكبرته وبرضو سابني واختار واحدة تانية.  
هزت ميادة رأسها بعدم استيعاب:

- ليه يا سميحة مصرّة تساوي بين الأمرين، ما وافي كان مسيره هيتجوز  
ويهتم بعيلته أكثر منك، وبسام كمان، أنتِ للأسف كنتِ عايزة امتنانهم ليك إنهم  
يفضلوا دائماً معاكِ وده مستحيل.  
نظرت لها بضيق، ابتسمت ميادة:

- ممكن يفضلوا معاكِ ويعيشوا حياتهم برضو، كفاية إن حبه ليك مستمر.  
عادت ببصرها لهم، ذلك الحب الذي أصبح مهدداً الآن بسبب أمه اللعينة  
وخداعها لها. ولم يعد لديها الآن ما تقاقل به، ولو فعلت هذه المرة ستخسر كل  
شيء.

اكتفت بمتابعة تلك الصورة التي لم تعد جزءاً منها.

أنهى حديثه مع المحامي الخاص بسما، وتم الاتفاق على كل شيء، وما تصور  
أنه سيفعله بسهولة تراجع عنه، فالآن الأمر لم يعد هو فقط، بل زينة وعائلتها  
كلها معه، وعليه أن يبتعد عن سما تماماً ولا يضع نفسه في عراقك معها مجدداً  
فلتأخذ كل المال والأسهم لم يعد يريد منها أي شيء، وما بناه في الماضي فليعد  
بناءه ثانية، لقد تعلم الكثير منها ومن العمل معها وربما هذا هو رأس المال

الحقيقي الذي عليه استغلاله جيدًا، في مكان آخر وبين أناس آخرين، ويكفيه أن زينة معه.

لكن عليه أن يخبرها بكل شيء، فلتعلم كيف أصبح وكيف سيعيش، ويأمل ألا يغير هذا شيئًا، وتقبل به.

استمع لصوت باب المنزل وهو يفتح.

خرج من غرفته يرى عبد الحكم، يدخل وهو يحمل صينية طعام صغيرة.

- حظك حلو، الحاجة زينب كانت عاملة محشي وعملت حسابنا، هتاكل أحلى محشي في حياتك.

ضحك سامر لينضم له، لكنه لم يهتم بالطعام كثيرًا:

- قتلها.

بدا على وجه سامر الترقب، ابتسم عبد الحكم قائلاً:

- أيوة، وبكرة الصبح هتيجي تقعد معاك وتسمعك.

- طيب إيه؟! يعني رد الفعل مبشر يعني ولا إيه?!

كتم عبد الحكم المزيد من الضحكات التي تريد الإفلات وهو يسترجع اللحظات التي رأى فيها رد فعل ابنته والتي توقع أنه لن يكون هادئًا أبدًا.

بدأ حديثه معها بأن سامر تحدث بشأنها منذ أن كان بالمشفى وطلب منه الانتظار حتى يطمئن على حاله مع سما، كانت تستمع له بعدم تصديق وشك، وكأنها لا تعي ما تسمع، حتى قال بصوت أعلى:

"يا بنتي.. سمعتيني، سامر عايز يتجوزك، إيه رأيك?!!"

أخفت وجهها خلف كفيها وتسربت أصوات ضحك فرحة.

"واضح إنك موافقة."

نظرت له تفكر في كل لحظات إحباطها الأخيرة التي أبكتها كلما نامت، وهو تحدث في أمرها منذ هذا الوقت وهي لا تعلم. بدا لها هذا قاسيًا جدًا ومفرحًا أيضًا.

احتضنت أباه بقوة، وتحول ضحكها إلى بكاء.

بكاء ضغط عاشته منذ أن امتلأ قلبها بحب هذا الرجل، أما عبد الحكم فقد ابتسم بود وهو يربت على ظهر ابنته.

" سامر عايز يقعد معاك قبل ما تقولي رأيك النهائي، عايز يحكيك وضعه الحالي بالظبط، بكرة الصبح تكوني فقت من اللي أنت فيه ده، وأنا هاجي أأخذك."

ظلت متعلقة بأبيها، تتلاحق أنفاسها حتى تملك زمام نفسها مرة أخرى، ولم يبعدها حتى هدأت.

- ها يا عم حكم، بقولك رد الفعل كان إيه؟!.

رمقه بنظرة جانبية:-

- يعني أنت متوقع يكون إيه؟!.

- ها!!

ضحك وكذلك عبد الحكم قائلاً:

- قولي عملت إيه؟!.

- كلمت محامي وقالي هنرفع قضية في محكمة الأسرة لإثبات نسب، ومافيش شاهد غير سما، لما تشهد هيحكمولي والورقة اللي هخدها من المحكمة هقدر أغير كل ورقي باسمي الحقيقي.

- طب وهي سما هتشهد كده عادي، مش دي قضية تزوير.

- المحامي قال إحنا مش هنوجهلها اتهام، ومحاميها هيطلب التحفظ لعدم وقوع ضرر والموضوع هيخلص على كده.

- على خير يا ابني إن شاء الله.

ابتسم بسعادة حقيقية، لم يعد الحديث في الأمر مؤلماً كالسابق أو ربما لأنه أصبح يفكر في مستقبله وما عليه فعله لم يعد يهتم كثيراً بالماضي الذي تبدل.

فتح عينيه متملماً في فراشه وقد غمر ضوء الشمس الغرفة، دار ببصره يتفقدتها فلم يجدها جواره، اعتدل جالساً يبحث عنها بعينه، رآها تقف في الشرفة، تحيط كتفيها بذراعيها كمن تشعر بالبرد.

ابتسم مغادرًا الفراش، ارتدى معطفه المنزلي، نظر حوله فرأى الشال الخاص بها على كرسي مجاور لملابسهما المبعثرة ولم تجد لها مكانًا مناسبًا بعد. اقترب منها ليحاوطها بالشال وذراعيه في الوقت ذاته، يضع ذقنه على كتفها. أجفلت للحظة ثم ابتسمت.

- مالبستيش الشال ليه بدل بردانة؟! -

- مش بردانه أوي.

ابتسم متابعًا المشهد أمامهما، البحر الأزرق على مد البصر، هادئ نقي ومريح للأعصاب.

- مبسوطه؟! -

ارتسمت الراحة والفرح على ملامح وجهها:

- أكيد، أنا عمري ما تصورت إن أكون في سعادة زي دي، شايفة نعم ربنا بعيني ومعاك.

ضمها أكثر إليه مرددًا:

- حلوة معاك دي، والأحلى منها إنك بتتكلمي معايا.

- كان نفسي أقدر أتكلم معاك، بس ماكنتش بعرف، بس دلوقتي حاسه إنك أكثر حد ممكن أفضل أتكلم معاه.

حررها ليديرها نحوه، أمسك أطراف الشال يضيقه عليها أكثر يبثها الدفء، نظر لوجهها المبتسم، هذا الوجه الذي تأثر به من اللحظة الأولى، تلك الفتاة الضريرة التي تبحث عن الأمان، لا يعلم حينها لم أراد وبشدة أن يكون هو من يبثها هذا الأمان، وها هو حقق ما يريد، فما إن رآها بفستانها الأبيض، شعر أن هذه هي الخطوة الأخيرة لتحقيق ما يريد، ستصبح زوجته، خاصته، وعليه أن يكون ملاذها كما كتب لها مرة ولم ينس تلك الكلمات رغم أنها بلسان جاهين لكنه شعر بها تخصه كثيرًا.

ضمها إلى صدره هامسًا في أذنها:

- بحبك أوي.

اتسعت بسمتها أكثر وهي تريح رأسها على صدره:

- وأنا كمان.

.....

وحتى حين نحصل على ما نريد يظل التوتر يغمر حواسنا طوال الوقت، وكأننا نخشى أن الأمر لن يكون ناجحًا كما نتمنى ، أو ربما نخاف أن يصبح حلمًا أجمل من أن يتحقق.

ها هي تحل حجابها للمرة العاشرة ربما وتعيد ربطه من جديد، لا يبدو مضبوطًا عليها ككل مرة، ما بالها؟!!!  
"خلاص يا زينة؟!!"

جاء نداء أبيها من الخارج، زفرت وقد ارتعشت أصابعها لتسب حالها:  
" ماتتهدي بقى في إيه؟! لاااا ألمي مركزك كده ماتبقيش خفيفة."  
- حاضر يا بابا ثواني.

جاء صوت زينب:

- ما تسيبها براحتها يا أبو زينة، ربنا يفرحك بيها وبسومة كمان.

ابتسمت على كلمات تلك المرأة الطيبة التي لطالما عوضتها عن حنان أمها، وهي كانت عوضًا لها عن حرمانها من الذرية.

هذه المرة أصبحت راضية عنه قليلًا. غادرت الغرفة الصغيرة التي هي مخدعها مع أسماء.

وقفت أمامهما تبتسم بنفس توترها، نظر لها عبد الحكم برضا، بينما لوت زينب شفتيها:

- يا بنتي مش تحطي حاجه كده زي بنات اليومين دول.

- قصدك إيه يا عمة زينب، وحشة أنا.

- فشر، عسل يا حبيبتى.

- يالا يا زينة.

قالها عبد الحكم وهو يتقدمها إلى الباب، تبعته وكأنها في طريقها لامتحان صعب، بينما المفترض العكس، سامر هو من سيتحدث وهي ستقرر، ولكنها

قررت منذ زمن، هي معه أيًا كانت الأسباب والنتائج. لن تخسر تلك السعادة التي تعاشها منذ عرفت.

وصلت للبيت الذي فارقت مع دخول سامر، ولم تتصور أبدًا أن يكون هو نفسه المكان الذي يتقدم سامر لها فيه، لقد اقترب منهم أكثر مما تخيلت.

دلف عبد الحكم ينادي سامر وهي خلفه، خرج سامر من الغرفة، ابتسم عبد الحكم فور رؤيته، لقد بدا متأنقًا بملابسه غير الرسمية التي يحب ارتداؤها دومًا في المنزل على ما يبدو، قميص قطني أبيض بلا أزرار مع بنطال من نفس النوع أزرق اللون. كما أنه صفف شعره بعناية.

أما زينة فلم تنتبه فهو يبدو هكذا معظم الوقت، لا يفقد أناقته عادة، هي لم تره فور استيقاظه مثله، وقد فقد شعره تصفيفته المميزة، وإن كان هذا لا يقلل من هيئته شيئًا.

- اتفضلوا اقعدوا بقى لحد ما أعملكم شاي، هعمله على مهلي.

جلسا بالفعل، وآثرت هي الصمت، قال هو:

- أزيك يا زينة؟!

- الحمد لله.

ابتسم لردها المقتضب وصوتها الذي حمل توترها، شرع في بدء حديثه،

أخبرها كل شيء بجمل قصيرة واضحة، هو لم يعد سامر شاكر، وسيثبت هذا بالمحاكم، سيبدأ مشروعًا في مكان آخر لم يعد يريد البقاء هنا، وكل ما يتمناه أن تصاحبه في كل ما هو قادم.

كلماته في البداية آلتها، هي تذكر كيف كان حاله حينها، لكن المريح أنه أصبح

أفضل تقبلًا لكل هذا، أخبرها أبوها بالقليل وترك لسامر التوضيح. غمرتها

السعادة حين وصل بكلماته إلى أنه يريد أن تكون معه.

- بس أنا طريقي لسه مش واضح، ومش عارف هنجح زي ما نجحت قبل كده

ولا لأ، ومش عايز أجبرك تبدأي معايا المجهول ده، فكري كويس وأنا مستني

ردك.

صمت وكذلك هي، مرت لحظات، فرجت شفيتها تقول:

- عندي شرط واحد.
- عقد حاجبيه مترقبًا وقال:
- فكرة السفر مش هقدر ألغيها إحنا مش هنسيب مصر بس هنروح محافظة تانية فيها مشاريع إعمار أكثر.
- أومات برأسها بتفهم:
- مفهوم، هو حاجة تانية خالص.
- خير؟!!
- ممكن تحتفظ باسم سامر، بلاش تبقى حسين.
- بهت لردها للحظة، فنظرت له بطرف عينيها:
- أصلي اتعودت على اسمك يعني، فمش عارفه أستوعب الاسم التاني.
- زم شفتيه يكتم ضحكات أرادت التسرب، لم يستطع كثيرًا لتفلت ضحكاته القصيرة.
- تمام، مافيش مانع، ولو أن ده هيعطنا أكثر لحد ما اخلص الاجراءات.
- خفضت بصرها وقد تملكها الفرح والخجل معًا، ليكمل:
- موافق على شرطك.
- وقفت على عجل لتقول:
- وأنا كمان موافقة.
- وهرعت للخارج دون أي تعقيب آخر.
- مع خروجها ظهر عبد الحكم الذي قال:
- هي جريت كده ليه!!
- هز سامر كتفيه بعدم فهم، لكن وجهه الفرح السعيد كان كافيًا لتنتقل تلك السعادة لوجه عبد الحكم.

عيبه الدائم والذي لطالما حدثه سامر عنه، يتعامل مع كل الأمور بعواطفه، لكنه لا يعرف كيف يمكنه أن يفصل، إذا كان سعيدًا أصبح كل شيء مفرحًا، إذا كان حزينًا أصبح كل شيء كئيبيًا.

يكاد يجزم أن سامر تخطى الأمر وهو لا زال يعاني يوماً بعد يوم.  
زفر يداعب ذلك الخاتم الذي بين أصابعه، خاتمه الفضي، الشيء الوحيد الذي  
لم يتبدل أو يفقده منذ ناله منها.

ماذا عليه أن يفعل ليتحول حلمه إلى حقيقة، لمّ هو صعب لهذه الدرجة؟!  
يريد أن يتزوج ويعيش بمن يحب، ما الخطأ في هذا؟!!!  
"معاذ"

التفت ينظر لها تقف على باب غرفته، ترمقه بضيق واضح:  
- وأخرتها، مش فوق بقى ونرجع الشغل، أنا سيباك بقالي كتير وخلص بقى،  
كفاية.

ظل ينظر لها بصمت، خبط تقترب منه:  
- على فكرة الشخص اللي أنت تاعب نفسك أوي عليه خلاص، تأقلم وبدأ  
يتحرك، رفع قضية وهروح أشهد بصحة نسبه وخلص هيعيش حياته من  
تاني، أنت بقى هتفضل في الدوامة دي لحد أمتي؟!  
"سيبيني في حالي"

عقدت حاجبيها:

- نعم!!

وقف وقد ضم قبضته على الخاتم:

- أنت عارفه حياتي صعبة أد إيه لمجرد إنك أومي.

عقدت ذراعيها تنظر له بصمت، أردف:

- أكيد كانت هتبقى أسهل لو ليا أي أم تانية غيرك.

زفرت وهي تهز رأسها بيأس:

- وأنا كنت أتمنى يبقى عندي ابن عالاقل، مش واحد ماشيلي ورا قلبه وبس.

- يا ريتني ما ورثت قلب بابا وطلعت زيك من غير قلب.

- اخرس يا ولد.

صاحت به وقد تمكن من إشعال غضبها، لكنه في المقابل صاح هو الآخر:

- قلتلك بطلي تقوليلي ولد، وسيبيني في حالي بقى.

اتسعت عيناها مرددة:

- أنت اتجننت.

- اطلعي بر!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!.

صرخ وهو يطوح الكرسي الذي كان يجلس عليه، فارتدت للخلف بذهول، تغادر الغرفة مسرعة.

لا زال جسده ينتفض، استدار وهو يزفر بغضب بالغ، أمسك إحدى زجاجات عطوره المفضلة، ألقاها بكل قوة على المرأة ليتحطما معاً.

.....  
أنهت مكالمة مرحة مع بسام ومها وكذلك أمها، وضعت الهاتف جانباً قائلة:

- باين عليهم مبسوطين.

- ربنا يديمها عليهم يا بنتي، وعقبال ما أظمن عليك أنتِ كمان.

تلاشت بسمتها مع كلمات أمها، وقد شرد عقلها في معاذ الذي ظهر وعاد يختفي كما أصبح يفعل مؤخراً.

رمقتها أمها بحرص:

- أنتِ مش اتكلمتي مع معاذ؟! قالك إيه؟!!

ارتكنت بسمة حزينة على شفثيها، ماذا تخبرها، أنه لا يزال يريد أن تبقى في الظل، ألا تظهر في الصورة كي لا تفسدها:

- الموضوع باين عليه أصعب مما توقعت.

نظرت لأمها مردفة:

- أو مال بابا عملها إزاي؟! اتجوزك وفضلتوا هنا؟! ليه مقلكيش يالا نهرب،

ماكنش خايف عليكِ أو على نفسه من أهله.

شخصت ببصرها إلى إحدى صوره القريبة منها، زفرت بأسى وعقلها يستعيد الذكريات:

- أبوك كان عنيد أوي، ومايخافش من حاجه، لما رفضوا مجرد الفكرة وهو

أصر، سميحة خيرته ما بين حياته معاهم أو لوحدته من غير أي حاجه معايا،

اختارني وسابهم وطلب منهم يسبوننا في حالنا.

صمتت ولم تقل المزيد، اعتدلت بسمه:

- ماما، احكي لي عنه.

نظرت لها أمها طويلاً، أعليها الآن أن تخبرها بكل شيء، ولم لا هذا هو الوقت الأنسب. فلتعرف قصة زواجها لعل هذا يساعدها في التفكير فيما يخصها.

- حاضر.

قالتها واستعادت تلك الأيام والشهور التي حملت من الفرح الكثير ومن الحزن ما امتد لسنين متتالية.

حين كانت شابة صغيرة تساعد أمها في أعمال منزل عائلة الشربيني، وكونها الأصغر سنًا والأسرع حركة فقد تولت تلبية طلبات أصغر أفراد العائلة ومدللها الوحيد "وافي" الذي كان يكبرها بثلاث سنوات. وهي كانت جميلة الوجه، لكنها لم تشعر بتلك الميزة أبدًا إلا حين انتبه لها وافي، ولم يستوعب عقلها تلك النظرات، أو أصرت على عدم استيعابها، ومن داخلها كانت تحب أن تراه، فهو الوحيد الذي كان يحسن معاملتها هي وأمها، لم يكن يشعرهما أنهما خادمتان في منزله، بل أحيانًا كان يحضر لهما الهدايا في أوقات الأعياد، كان طيب اللسان، حسن المعشر ومحبيب من الجميع.

استمعت لها بسمه وشعرت وكأنها تصف معاذ على الأقل معها، فهو كان هكذا أيضًا.

أكملت فاطمة أن أمها أصابها القلق حين لاحظت اهتمام وافي بابنتها الشابة، فقررت أن تتوقف فاطمة عن تلبية طلباته وتتولى هي هذا، وبرغم أن هذا ضايقها لأنها كانت تحب رؤيته إلا أنها لم تعارض أمها، فمنذ متى كانت تعارض. وبالطبع لاحظ وافي تهريبها منه طوال الوقت والاختفاء من أمامه لأي سبب، ولم تتوقع هي أن يترصد لها بعد ذلك ليراها، وحين فعل انتفضت رعبًا من أن تراهما أمها، أما هو فلأول مرة يتحدث معها بشكل خاص، أنه يكن لها مشاعر خاصة، يريد أن يتوقف عن هذا العمل حتى يحدث أهله بشأنها، كلمات لم تتصور أن تسمعها منه، ماذا يعني أنه سيحدث أهله بشأنها؟!،

وحضرت أمها ورأتها فأنصرف هو سريعاً، اشتاطت أمها غضباً وهي تصرخ بها وهي كانت سعيدة وأرادت أن تشاركها سعادتها بسذاجة.  
"وإني بيه بيحبني"

وكان الرد صفة على الوجه لم تعرف ماذا فعلت لتتلقاها، ولولت أمها وهي تلطم خديها، وكلماتها حملت الكثير من الاستنكار وعدم التصديق، وكأنه يخدعها لينال منها ما يريد، وفاطمة ترفض مجرد التفكير في هذه الطريقة، هو ليس هذا الشخص اللئيم أبداً، هو شخص تعرفه جيداً ومع كلماته تلك يبدو أنها هي أيضاً تحبه وإن لم تصدق هذا.

أخرجتها أمها من المنزل، إلى بيتهما المتواضع في قبو إحدى البنايات المتهاكّة، وعادت هي للقصر لتجد سميحة أمامها تصيح وتسب وتلعن، تلك المرأة وابنتها التي أغرت ابنهم الصغير، ووإني يقف أمامها غاضباً ويرد كلماتها بقوة وعدم خوف، حينها علمت أمها أنه لم يعد لهما مكان في ذلك القصر ورحلت بصمت.

مرت أيام بكت فاطمة فراقه الذي أصبح واقعاً، ولم تتصور أنها ستحزن عليه لهذه الدرجة.

إلى أن طرق بابها يوماً، ذهبت تجيب فرأته أمامها، وكأنه حلم يتحقق أو سراب سرعان ما سيختفي، لكنه لم يختف، كان حازم الوجه وغاضباً، لا تعرف مما، سألتها لم اختفت هكذا وتركته يبحث عنها كثيراً، تلبسها الصمت، لم تجب لكنها تذكرت أمها لوحدها أن يذهب سريعاً قبل أن تراه أمها، أخبرها أنه هنا ليرى أمها. وظهرت الأم تنظر للشباب الغني الذي تمكن من الوصول لهما، أسرعته تجذب ابنتها بعيداً، تقف أمامه، ترجوه أن يبتعد ويتركهما لحالهما، فهما ليستا نداء لعائلته أبداً، تحدث معها بكلمات ثابتة، أنه لم يعد ينتمي لتلك العائلة، هم اختاروا المال وهو اختار سعادته وحبها، وعدها أن يعمل ويجتهد من أجل كسب الرزق وكفالتها وابنتها، وعائلته لن تقترب منهم أبداً، فقط فلتقبل به زوجاً لها. لم تقبل أمها، وظلت ترجوه أن يبتعد ويعود حيث كان،

فتلك الكلمات الرنانة سينساها مع شظف العيش وضحك الحياة. لكنه لم يقبل وأنه سيعود بالدليل على كلماته.

ابتسمت فاطمة حين وصلت لتلك المرحلة قائلة:

- اتكلم بإصرار أوي، كنت فرحانه إنه بيعمل كل ده علشانى. بس زي ما أمي قالت كنت خايفة ما يستحملش ويسيبني ويرجع لأهله لما العيشة تبقى صعبة. أومأت بسمه لها ولم تقاطع، ربما من هنا يبدو الاختلاف واضح بين أبيها ومعاذ.

أكملت فاطمة، خرج وافي ومر شهر كامل، شهر حمل مع كل يوم فيه أملاً واهياً بعودته، وظنت أنه تركها وعاد لأهله، وهكذا قالت أمها كلما رأتها تبكي وحدها. وفجأة ظهر أمامها مجدداً، فقد من وزنه الكثير، فلقد كان ممتلئ الجسم بعض الشيء، ورفع ما في يده لأمها، مبلغ من المال وورقة ورخصة قيادة، أخبرهما أن هذه هي وظيفته التي عمل بها طوال الشهر الماضي، كسائق لعربات النقل الضخمة وهذا أول راتب له، ويمكنه استئجار شقة صغيرة ليعيشوا جميعاً فيها، لم تصدق أمها ما رأت ولا هي نفسها، لكنها تعلقت بأمها ترجوها دون كلام، تنظر لها بعينين باكيتين ألا ترده، وفي النهاية رضخت الأم وقبلت، وتزوجت به أخيراً، وعاشت أسعد لحظات حياتها على الإطلاق حينها، لم تدم طويلاً بوفاة أمها المفاجئة بسبب مرض قلبها الذي ورثته منها وكانت تخفيه عنها ولا تتناول له علاجاً أو تهتم به، لكن وجود وافي جوارها خفف عنها هذا.

صمتت فاطمة فلقد اقتربت لحظات الوجد الحقيقية التي قلبت حياتها رأساً على عقب، فلم تتصور أنها ستبتلى في زوجها أيضاً.

اغرورقت عيناها بالدموع، ربتت بسمه على كفها تدعمها.

- لما عرفت إنني حامل كنت أسعد واحدة في الدنيا وهو كمان، حلمنا بكل حاجة أكنا هنعيش العمر كله سوا، لحد ما في يوم جالي اللي قالي إنه عمل حادثة جامدة وفي المستشفى وجاي ياخدني علشان أشوفه، جريت زي المجنونة، بترجى ربنا يكون كويس مع إن وش الراجل اللي قالي مكنش يظمن أبداً، بس

كنت خائفة أسأله حتى هو عامل إيه، ولما شفته، بكيت في ساعتها لأنني حسيت أنه خلاص هيسيبني، كان متبهدل أوي.

شهقت فاطمة وقد زاد بكأؤها ولم تستطع بسمة إلا أن تشاركها بصمت، أغلقت فاطمة عينيها وهي تتذكر كلماتهما الأخيرة والتي لم تنسها أبدًا.

"سامحيني يا فاطمة، كان نفسي أعيش أكثر وأفضل معاك، كان نفسي نربي ابننا أو بنتنا سوا، ومخلكوش محتاجين حاجه، أنا حببت حياتي معاك بكل تعبها وفرحها، خدي بالك من نفسك ومن اللي في بطنك"

"ما تقولش كده أنت هتعيش وهتفضل معايا، أنا مش هقدر أعيش من غيرك"

"لا هتعيشي علشان اللي في بطنك.... معلىش ماعرفتش حتى أعلمك تبقي أقوى، بس لازم تبطلي خوف يا فاطمة واوعي تعلمي اللي في بطنك الخوف... سامحيني إني هسيبك لوحدك... ربنا معاك... ربنا معاك"

رددها إلى أن خفت صوته وأغلق عينيه إلى الأبد.

ضمت بسمة أمها بقوة تبكيان معًا، لأول مرة تقترب بسمة من أبيها وأمها بهذا الشكل.

قالت أمها من بين عبراتها:

- أنا عايزاك تعيشي مرتاحة، مش عايزاك تشوفي اللي شفته، ولا تحدفني نفسك وسط عيلة عمرها ما هتقدرك ولا تحبك، ماتعرفيش بكرة في إيه، ومين اللي هتحتاجيله أكثر، ياريت تفهميني يا بنتي، أنا اتبهذلت بعد أبوك كثير أوي، واتحرمت من ابني، وعشت في الضل أدور عليه من بعيد، غلظتي إني دخلتك معايا في نفس الحياة، يا ريتني خليتك بعيد، يا ريتني يا بنتي ما حطيتك وسط الناس دي.

ربت بسمة على ظهرها:

- اهدي يا ماما، ماتخافيش عليا، مش بتقولي إني طالعة لبابا، يبقى ماتخافيش عليا.

عادت للخلف تمسح عبرات أمها عن وجهها، تبتسم أمها بحزن، قبلتها بين عينيها وغادرت الغرفة بصمت.

استرخت فاطمة على فراشها، ولا زالت آلام الذكرى تفعل في قلبها الأفاعيل.  
أغلقت عينيها، ترتسم ملامح وافي الباسمة أمام وجهها، تردد بشوق بالغ:  
- وحشتني أوي يا وافي، أوي.

سارة سيف الدين

## الفصل الخامس والعشرون

الدنيا صندوق دنيا .. دور بعد دور  
الدكة هي .. و هي كل الديكور  
يمشي اللي شاف ويسيب لغيره مكان  
كان عربجي أو كان امبراطور  
عجبي!!

### رباعيات جاهين

سنوات عديدة مرت لتعي أنها كانت الخاسرة منذ البداية، خسرت رهانها الوحيد، لأنها لم تره كما يراه الآخرون، لم يرَ أحد وافي كما رآته، هي من حملته بين يديها حين ماتت أمهم التي ولدته وهي منهكة جسدياً فلم تتحمل مشاق الولادة وفارقت الحياة بعد أيام قليلة، فأصبح على الأخت الكبيرة أن تتحمل هذا العبء، وهي تقبلته عن طيب خاطر. ربت وافي كما تمنيت أن تفعل، وتعلقت به أيما تعلق، وظنت أن كل هذا كان كافياً، لكنه اختار من مال لها قلبه وياليتها قبلت هي الأخرى لربما تغير الكثير. وعادت لنفس الرهان مع ابنه، وها هي تنال نفس النتيجة!!

نظرت حولها لتلك الحديقة التي ستفارقها، رفعت بصرها للمنزل الذي كان لها فيه الكلمة النهائية، التقت أبصارهما، رأت فيهما الكثير من التشفي، وهل يمكنها أن تلومها؟!!

"يالاً يا عمتي"

قالها جاهين يخرجها من أفكارها، التفتت تنظر لوجهه، وكأنها تبحث عن لمحة حزن أو فقد يحملها لها، أمغادرتها هينة على الجميع هكذا؟!، حتى حين أخبرت بسام أنها ستسافر لبعض الوقت، تمنيت لو قال لا تفعلي، لكنه اكتفى بالابتسام. نادتها ميادة التي استقرت مكانها بالسيارة لتتحرك إليها، وانطلق جاهين ليوصلهما إلى المطار.

تصاحبهم نظرات تلك التي تعلقت بالشرفة تتابع المشهد بشغف، سميحة راحلة،  
وكان معدل الأكسجين في الهواء تضاعف فجأة، فأصبح التنفس أكثر راحة،  
ألهذه الدرجة جثمت تلك المرأة على أنفاسها!!  
لكنها أخيراً رحلت، لتتنفس بحرية، هواء من حقها وتشعر حين ترى سميحة  
أنها تريد أن تسلب منها هذا الحق الرباني.

فتحت ذراعيها عن آخرهما، تضحك ملء فيها، مرددة بصوت فرح:  
- أخيبيراً.

- أخيراً إيه؟!!

التفتت لنانا التي تقف خلفها ولم تشعر بها:  
- سميحة مشيت.

اقتربت تقف جوارها، تستند على سور الشرفة:

- يعني فعلاً مش هترجع تاني؟!!

- ترجع ليه، خلاص مبقاش ليها مكان هنا ولا حتى في الشركة، أنا حضرت  
اجتماع المساهمين، جاهين خلاص خد مكانها وبسام بقى المدير التنفيذي.

- طب وأنت؟!!

حدقت بها بعدم فهم، فأدرفت:

- إيه؟ ما خلاص مشيت أنا قلت أول حاجه هتفكري فيها إنك ترجعي تشتغلي  
في مالك تاني، أنت مش خريجة سياسة واقتصاد ولا أنا بيتهياي.

شخصت ببصرها مفكرة، لتبتسم ببطء قائلة:

- الله عليك، أنا إزاي مافكرتش في كده فعلاً، فكرة هاييلة.

وكزت نانا مرددة:

- الله عليك لما تفكري كويس.

- لا معلى أنا طول عمري بفكر كويس.

لوت بسمة شفتيها:

- على ماما يالا.

ضحكت نانا وكذلك هي، قائلة:

- أول لما بسام يرجع هقوله.
- تحنحت نانا، نظرت لها بسمة، فقالت:
- طيب هو ممكن أنا كمان أشتغل، بصي أنا هعمل أي حاجة، خليني دراعك اليمين أنا بتعلم بسرعة وأكد هنفك.
- عقدت بسمة ذراعيها أمامها، ترمق نانا بعينين ضيقتين:
- قولتيلي بقي، وأنا أقووول من أمتي يهكم أشتغل، اتاريك أنت كمان عايزة، ويا ترى بقي هدفك الشغل فعلاً، ولا بتتمري على حاجة تانية.
- حركت جفنيها بسرعة قائلة:
- ها!! حاجة...حاجة تانية، إزاي يعني!؟
- غمزت بسمة وهي تطلق صوتاً من بين شفتيها المزمومتين:
- ما قلنا على ماما يالا، محمد.. مmmmmmm.
- أشاحت نانا بوجهها بعيداً:
- ماظنش محمد هيهتم بيا تاني، ماشوفتيش عمل إيه لما شافني في الفرع.
- وضعت بسمة كفها على كتف نانا قائلة:
- عمل اللي حسني أنه لسه مهتم، لو ماتفرقيش معاه ماكنش اتصرف كده.
- نظرت لها نانا بأمل:
- تفتكري!؟
- عادت تهز رأسها نفيًا:
- لا ، لأ.. بلاش تخليني أعيش وهم، أنا فعلاً عايزة اشتغل علشان ألاقي حاجة مفيدة أعملها، مها اتجوزت وأنا لوحدي طول الوقت، نفسي أشتغل وأتعب وأرجع أترمي أنام ما أحسش بحاجة بدل ما بفضل صاحبة وحاسة بالوحدة، بجد يا بوسي عايزة أشتغل لنفسي مش علشان حد.
- ماشي يا نانا، والله تبقى فكرة حلوة لما كلنا نتجمع في الشغل تاني، أنا وأنت ومحمد وبسام.
- توقفت عن الكلام لتكمل نانا:

- وجاهين، رفته ولا إيه؟! بس صحيح هو لو اتجوزتي معاذ هتفضلتي شغالة  
في الشركة عادي، ولا هتروحي بقي تشتغلي مع جوزك.  
صمتت دون تعليق، وانا تراقبها، التفتت لها قائلة:  
- ماتيجي نكلم مها.

تجاوبت نانا مع عدم رغبتها في الرد على تساؤلها لتومئ لها بإيجاب.

.....

جلس خلف مكتبه الذي غاب عنه طوال الأيام الماضية، شاردًا بلامح جامدة،  
لا تحمل معاني واضحة.

زفر ينهض عن مجلسه، خرج من مكتبه واتجه لمكتبها على الفور، لم يعد  
هناك الكثير من الوقت، وهو لن يخسر جولته الأخيرة، حتى ولو بالخداع.  
دلف إليها، نظرت له بضيق:

- أهلاً، بدل ما أنت موجود ما حضرتش الاجتماع ليه؟!  
اقترب يجلس :

- معلى المرة الجاية، المهم عايزين نحدد ميعاد علشان نروح نخطب بسمة.  
استرخت في كرسيها العريض:

- فجأة كده، ده أنا قلت إنك صرفت نظر.

- لأ بس هما كانوا مشغولين، ها أقولها هنروح لهم أمتي؟!!

- أنت قلتلي هي بنت مين؟!!

رمقها بنظرة جانبية:

- وافي الشربيني، مات وهو لسه شاب.

- فعلاً، أنا ماسمعتش عنه، طب ومامتها؟!!

- ست انطوائية ومالهاش في الاجتماعيات بتاعتنا.

ضاقت عيناها وهي تحاول قراءة ملامحه، التي فقدت طبيعتها منذ ما حدث.

- طيب اديني يومين تلاتة، وهبقى أرد عليك.

وقف قائلاً:

- عموماً أخوها لسه في شهر غسل، يومين ويرجع.

لم تعقب على كلماته ليغادر مكتبها دون قول المزيد.

أمسكت هاتفها تطلب أحدهم وما إن أجاب قالت:

- عايزاك تعرفلي كل حاجة عن بسمه وافي الشربيني، أيوة من عيلة الشربيني

اللي كنا شغالين معاهم، هي ظهرت فجأة في العيلة، اعرفلي كانت فين ومين

مامتها، كل حاجة عنهم في خلال يومين مش أكثر.

أنهت الاتصال لتضع الهاتف جانبًا مرردة:

- مش مرتحالك يا ابن شاكر.

.....

خرج من الشركة وقاد سيارته مبتعدًا، وصل إلى جهته وأوقف سيارته، أغلق

عينيه ينال تنفسًا هادئًا، محاولًا ترتيب أفكاره لعلها فرصته الأخيرة. بل فرصته

الناجحة، لن يخسرها أبدًا، ليس بعد كل هذا.

ترجل من سيارته، وقف أمام البوابة يحدث رجل الأمن ببضع كلمات، ففتح له

الباب ليدخل.

وصل إلى المنزل، فتحت له الخادمة، يطلب منها أن يلتقي بالسيدة فاطمة.

أشارت له بالجلوس وصعدت توصل الخبر.

أصاب فاطمة الدهشة حين أخبرتها أن هناك من ينتظرها بالأسفل واسمه معاذ.

- هي بسمه فين؟!!

سألته فأجابت:

- فوق مع آنسة نانا، أطلع عندها.

أشارت لها فاطمة:

- لا، هو طلبني أنا بس؟!!

أومأت الخادمة لها.

- طيب هاتيلي العباية دي وساعديني علشان أنزل.

ساعدتها حتى أوصلتها عنده، وقف حتى جلست، تنظر له بترقب، سألته الخادمة

ماذا يحب أن يشرب فشكرها معتذرًا عن عدم رغبته في شيء.

جلس بدوره محاولًا الابتسام:

- إزي حضرتك؟!!

- الحمد لله.

اكتفت بهذا وانتظرت.

- بعذر إني جيت فجأة كده، بس أنا عارف إن حضرتك مابتخرجيش من البيت،  
فقلت آجي أتكلم معاك.

- خير؟!!

مرر أصابعه بين خصلات شعره مقاومًا توتر يكاد يغلبه:

- خليني الأول أقولك إن بسمة بالنسبة لي كل حاجه، أنا عمري ما حبيت ولا  
هحب حد أدها، لكن الظروف اللي حوالينا منعانا نحقق حلمنا البسيط ونتجوز،  
حتى بعد التغيير اللي حصل.

قال جملة الأخيرة وهو يدور ببصره في المنزل الذي يوحى بثناء أصحابه.  
عاد ببصره لها:

- علشان كده عايزك تساعدنا.

رمقته بلامح هادئة:

- إزاي؟!!

- حضرتك عندك شك إني بحبها أوي وهعمل المستحيل علشان أخليها أسعد  
إنسانة في الدنيا.

خفضت بصرها قائلة:

- لو على الحب بس ماكنش حد غلب.

ضاقت عيناه وقد تسرب إليه اليأس:

- بس برضو من غير الحب مش سهل نكون مبسوطين.

نظرت له:

- عايزني أساعدك إزاي؟!!

هي لن تناقش معه أفكاره عن الحب، تعلم أنه عاشق ومن هم مثله لن يفكر إلا  
بالحب.

فرك أصابعه، وعادت الأمنيات تملؤ قلبه، لو فهمت كلماته وقدرتها، سيكون اقتراب كثيرًا من مراده.

- أنا كلمت ماما علشان نيحي نخطب بسمة.

اتسعت عيناها للحظة بدهشة، قبل أن تعود لطبيعتها، وهو يقول:

- هي تعرف إنها بسمة بنت وافي الشربيني، ولما سألتني عنك قلتها إنك

منطوية ومالكيش في الاجتماعيات بتاعتهم دي، مش هي دي الحقيقة.

ارتكنت بسمة ساخرة على شفيتها وهي تومئ برأسها.

خفض بصره قائلاً برجاء:

- أنا بس عندي رجاء واحد، أرجوك اقبلية، ماما لما تيجي هتقابلك طبعًا، أنا

عندي إحساس إنها مش هتفتكر بسهولة، لأنك ماكنتيش بتتعاملني معاها كثير،

فلو حتى شبهت وقالتك إنها شافتك قبل كده.

رفع رأسه ينظر لوجهها مباشرة:

- أرجوك انكري، قوليلها لأ، قوليلها إنك كنت مسافرة ورجعت قريب،

ماتخليهاش أبدًا تقتنع إنها قابلتك قبل كده.

تغضن جبينها وارتعش كفيها.

- أنا عارف إنني بقول كلام مش مريح، بس أنت أكثر حد عارف ماما زيي، دي

ممكن تكون مؤذية، وأنا مش عايزها تتذيكم، وفي نفس الوقت مش قادر أبعد

وأتنازل عن بسمة.

خفضت بصرها عنه دون تعقيب، فأكمل هو:

- لو ماما اقتنعت إنها ماشفتكيش قبل كده مش هيكون في أي مشاكل، أنا

هتجوز بسمة بره الفيلا علشان الخدامين كمان لو شافوها كده كده مش

هيجروا يقولوا لماما وأنا هفهم بسمة تتعامل إنها ماتعرفهمش، هنعيش بعيد

عن كل ده.

تجنبت النظر نحوه، كي لا يرى ذلك الحزن الذي يتسرب إلى ملامح وجهها:

- ولو عرفت بعد جوازكم، هتعمل إيه؟!!

- ما أعتقدتس هتعرف، وحتى لو عرفت ماما بتعمل حساب المظاهر جدًا ولما تلاقي إن جوازنا تم وماحدش خد باله من حاجه، وشافوه نسب بين عيلتين كبار هتقبل بالأمر الواقع والموضوع هينتهي على كده، وفي كل الأحوال أنا لا يمكن هطلق بسمة.

صمتت وكذلك هو، حتى طال صمتها. فقال:

- حضرتك موافقة؟، إحنا بس هحاول نخبي حاجه مش هتريح حد، حاجه مش هتأثر بالعكس، هتقرب المسافات وهتساعدنا نتجوز. نظرت له فاطمة قائلة:

- مش هتأثر، مع إنها لو ظهرت هتأثر، لكن لازم، لازم تخبي النقطة السوداء اللي في حياة بنتي.

شعر بها تلوم فلوح بكفه:

- لا مش قصدي، أنا بس.... قاطعته قائلة:

- فهمت، في حاجه تاني عايز تقولها.

هز رأسه نفيًا، وقف قائلاً:

- صدقيني مش هتلاقي حد يحبها أدي.

أومأت برأسها متتهدة، شكرها كثيرًا لصبرها على سماعه، واستأذن منصرفًا. غادر بخطوات مسرعة، من الجيد أن بسمة لم تظهر، فلربما منعت حديثه مع أمها.

توقف مكانه لدخول سيارة إلى الحديقة، ترجل منها جاهين يحدق فيه بدهشة، اقترب منه بخطوات بدت عصبية:

- أنت بتعمل إيه هنا؟!!

ابتسم معاذ بهدوء مستفز:

- عادي، بزور خطيبتي.

عقد جاهين حاجبيه:

- لما تبقى رسمي ابقى قول خطيبي، وحتى لما تبقى، ماتجيش هنا إلا لو أنا أو بسام موجودين.  
أوما برأسه قائلاً:

- مافيش مشاكل، عموماً قريب هتبقى في بيتي أنا وأنتو اللي هتيجوا تزورونا.  
أنهى جملة مبتعداً، زم جاهين شفثيه يكتم رغبة في سبابه واتجه للمنزل.

وفي الداخل لا زالت فاطمة مكانها، عيناها تملؤها الحسرة، وكأن عليها أن تعيش ما بقي من عمرها متخفية لتجد ابنتها سعادتها، ولكن أحقاً في تلك الزيجة سعادتها؟، لماذا لا يمكنها أن ترى هذا؟! بل حتى لا تستطيع أن تقنع ابنتها؟! أم عليها الاستسلام والاختفاء في الظلام، لعل ابنتها تجد السعادة التي حرمت منها سنوات طوال.

أمسكت ذراعها الأيمن، فألام قلبها تزايدت في الآونة الأخيرة، ويبدو أنه ليس لديه القدرة على تحمل المزيد.

رفعت بصرها ترى دخول جاهين بوجه غاضب، اقترب منها بعد أن دار بصره وكأنه يبحث عن أحدهم:

- كويس إنك كنت معاهم، بس برضو مايجيش هنا إلا لما نكون إحنا هنا، مش دي الأصول ولا إيه؟!!

عرفت أنه لابد والتقى بمعاذ خارجاً:

- هو كان معايا أنا بس، بسمة فوق.

ضاقت عيناه للحظة، قبل أن يسبه في نفسه كما أراد، الحقير كان يستفزه فحسب.

جلس جوارها:

- اشمعنا، هي مارضيتش تقابله.

قالها ولم يستطع أن يمنع فضوله، فأخر لقاء بينهما في الحديقة لم ينته بشكل مبشر، بل تركته غاضبة وهو غادر حزيناً.

- لأ، هو طلب يقابلني أنا هي ماتعرفش.

- خير كان عايز إيه؟!!

نظرت له بطرف عينا، وتمنت لو كان هذا اهتماماً منه بابنتها العنيدة وليس مجرد فضول.

- كان بيقنعني أو افق على الجواز بس بطريقته.

عقد حاجبيه متسائلاً:

- يعني إيه بطريقته؟!!

- يعني بالطريقة اللي تريحه وتوصله للي هو عاوزه ومش مهم أي حاجة تانية، مش مهم حتى يرضيني أو مايرضنيش، ماحدثش بيعملي حساب واتعودت أعيش كده، أقول حاضر وبس.

نظر لها بضيق قائلاً:

- يعني هتوافقي، لأنك عمرك ما قلت لي مايرضكيش لأ.

نظرت له بحيرة أيهاجمها الآن أم يريد أن يمنحها إجابة، أعليها أن تسأله وتعتمد على ما يقول:

- أنت عايزني أقول لأ؟!!

وقف قائلاً بنزق:

- أنا عايزك تقولي إني إنت عايزاه، أمتي هتقولي اللي يرضيك؟! ليه دائماً بتفضلي تستسلمي وتقفي بعيد ومستتية حد تاني يحل ويربط مكانك.

زفر وهو يقف أمامها:

- عارفة يا مرات عمي لو قلت لأ لعمتي سميحة من أول مرة خدت فيها منك بسام كان إية اللي ممكن يحصل، لو فكرت تجري ورا حقت وجيت هنا ببسمة ووقفت قدام عمتي وبابا وقتلهم دي بنتكم زي ما ده ابنكم، لو دافعت عن حياتك وابنك اللي اتحرمت منه أربعة وعشرين سنة، تعرفي إن قراراتك الاستسلامية دي أثرت فينا كلنا مش فيك لوحدك، كثير أوي في حياتنا كلنا كان ممكن يتغير لو بس بطلت خوف.

خفضت بصرها، وكلمات جاهين تضرب البقية الباقية فيها.



نظرت بسمة له:

- إيه اللي حصل؟! وإيه اللي نزلها هنا؟!!

نظر لها بتردد، أعليه أن يخبرها، لكنه تراجع عن هذا قائلاً:

- أنا جيت من برة لاقيتها هنا.

رفعت رأس أمها تضمها لصدرها:

- ماما، مالك؟! ماما.

كررت نداءها بياس. قال جاهين محاولاً طمأنتها:

- أنا اتصلت بالدكتور هو ف الطريق، خلونا نرفعها على الكنبه طيب.

تحركوا معاً وكذلك الخادمة ليرفعوا جسدها عن الأرض ويضعوها على الأريكة.

نظرت بسمة للخادمة تسألها:

- هي ماما نزلت هنا ليه؟! وليه ماندهنتيش؟!!

- أستاذ جه طلب يشوفها، نزلت.

عقدت حاجبيها بدهشة:

- أستاذ مين؟!!

لم يرتح جاهين لكل هذا لكنه فضل الصمت، وقد تصاعد داخله شعور بالذنب، لم

يكن يعلم أنها متعبة هكذا، ما كان يجب أن يزيد همها بكلامه.

- معاذ، قال اسمه معاذ.

وقفت تردد بدهشة ممزوجة بغضب:

- معاذ كان هنا وكلم ماما؟!!

أومأت نونا برأسها، زمت بسمة شفيتها غضباً:

- اتجنن ده ولا إيه، وإزاي ما يقوليش، قالها إيه؟!!

هزت رأسها، فليس عندها إجابة لقد تركتها معه وعادت للمطبخ.

جثت بسمة على ركبتها تهمس في أذن أمها:

- قالك إيه يا ماما؟، ماتزعليش من حاجه، أنا مش هعمل إلا اللي يريحك،

صدقيني، ماما ردي عليا علشان خاطري.

لكن صمتها استمر وكأنها استكانت للغياب عن هذا العالم.

.....

برغم ظنه أنه اعتاد الأمر ولم يعد موجعًا، وأن كل شيء قادم هو حتمي وطبيعي ولن يحمل ألمًا، إلا أن نظرتة لتلك الورقة أعادت له الكثير. حصل على الإثبات بأنه ليس سامر شاكر بعد الآن، أصبح رسميًا وحقيقياً جداً ومؤلمًا أيضًا. نال حقيقة كونه عاش سنينًا وهمًا كبيرًا، حسنته الوحيدة أنه وجد أب كشاكر رغم أنه فقده وهو لا زال شابًا يافعًا، وأن له أخًا أحبه حقًا كمعاذ. لكن حتى هذا أصبح مؤلمًا فحب شاكر ربما كان شفقة وتعلقه بمعاذ لن يكون كما كان.

تعلق بصره بتلك الكلمات، باسمه الجديد، الذي لم يعتد عليه بعد. وكان كل شيء في حياته أصبح مختلفًا وغير مألوف. "مالك يا ابني؟!"

نظر له وبدا الحزن في نظرتة.

- خلاص يا عم حكم خدت الحكم، ما بقتش ابن شاكر، ولا ليا أي علاقة بيه أو بمعاذ.

كلماته تقطر همًا، ابتسم عبد الحكم مواسيًا:

- ليه؟، مش ابنهم صح، لكن برضو هتفضل فاكرو تدعي للراجل اللي رباك، ومعاذ مش شرط يبقى أخوك بالدم، هو أخوك وهيفضل كده طول ما انتم متمسكين ببعض، مش هتفرق كتير اسم على ورق، المهم المشاعر الطيبة والود.

وكعادته يستطيع أن يبذل حزنه ويخفف عنه الكثير، وكما ابتلاه الله في ماضيه أكرمه في حاضره ومستقبله بهذا الرجل وابنته.

ابتسم متجاوبًا معه:

- عندك حق يا عم حكم، وكفاية إن ربنا عوضني بيك، أحن أب في الدنيا.

وبرغم أنها كلمات مفرحة إلا أن ارتجافة شفتي عبد الحكم وهو يشيح ببصره بعيدًا أشعرتة أنه ربما قال شيئًا خاطئًا:

- إيه يا عم حكم، أنا ضايقتك؟!

- لا أبدأ، افكرت ابني، الله يرحمه ويسامحه.

تذكر بكلماته هذا الابن الذي لا يتحدث عنه أحد، وكل ما سمعه كان في أول لقاء له مع زينة ويذكره جيداً، كانت غاضبة وبشدة وتريد أن تعاقب معاذ على ما فعل، وارتبط هذا بموت أخيها.

- عم حكم، انتو ليه مش بتتكلموا عنه خالص، معلىش لو هضايقتك.

نظر له قائلاً بحزن واضح:

- هنقول إيه؟! الله يرحمه.

استمر فضول سامر ليسأل:

- هو مات إزاي؟!!

صمت عبد الحكم عن الرد، فشرع سامر بالخرج:

- أنا آسف، مش قصدي أضايقتك، أنا بس افكرت لما زينة كانت مضايقة مننا

أوي وحسيت أن ده بسبب أخوها من كلامك ساعتها.

ظهر شبح ابتسامة مريرة على شفتي عبد الحكم:

- فعلاً، بعد موته زينة فضلت تلوم كل اللي زيك وزي أخوك، الناس اللي معاها

فلوس كتير وشايفين إن بفلوسهم يقدرُوا يحلوا أي مشكلة وإن كل شيء ليه

تمن حتى أرواح الناس، كانت شايفاكم كلكم كده، بس سبحان الله أكيد غيرت

رأيها بسببك.

لم يعقب سامر، كلماته حملت حزناً قديماً فلم يرد أن يزيد همه.

نظر له عبد الحكم قائلاً:

- موضوع تغير اسمك هياخد وقت كتير؟!!

- المحامي قالي ممكن شهر.

- ياااه، ده كتير أوي.

- آه، للأسف، هيحاول يستعجل الموضوع على أد ما يقدر.

- ربنا معاك.

تململ سامر للحظة قبل أن يقول ما يريد:

- طب عم حكم لو ممكن نعمل خطوبة أنا وزينة، أنا محتاج أقعد معاها الفترة الجاية ونرتب كل اللي جاي سوا بما إنها هتبقى حياتها هي كمان، لحد ما أنهى كل الإجراءات ونتجوز.

صمت عبد الحكم مفكرًا، وسامر يترقب، إلى أن قال:

- طيب هو في حل أفضل، نكتب الكتاب ونأجل الجواز لحد ما تخلص كل ورقك. عقد سامر حاجبيه:

- هنكتب الكتاب بالاسم القديم ونرجع غيره؟!!

- لأ، المأذون الشرعي اللي في المنطقة أعرفه كويس وهو كمان يعرفني، هطلب منه نعمل كتب كتاب وإشهار وعقد وكل حاجة بس هنسب خانة الاسم والبطاقة بتاعتك فاضية، ومش هيوثقه إلا لما تخلص أوراقك كلها، ولما يوثقه بقى نتمم الجواز.

بدت الدهشة على وجه سامر:

- هو ده ينفع؟!!

ضحك عبد الحكم:

- هو المفروض ماينف عش، بس شرعًا الجواز صحيح، التوثيق ده علشان يضمن حق بناتنا، وأنا ضامنك وهو ضامني، والموضوع هيفضل بينا لأنه لو اتقفش هيبقى في مشكلة، وبدل محدش بلغ عنا يبقى أحنا تمام، ومافيش حد عارف موضوع تغيير اسمك ده فكل شيء هيمشي كويس، وأهي تبقى مراتك قدام الناس بس هناجل الجواز زي ما قلتلك لحد ما التوثيق يتم، ها إيه رأيك؟! ولا إنت ناوي تخلع مننا؟!!

هب من مكانه يحتضن عبد الحكم ضاحكًا:

- أخلع مين، أنا راشق هنا.. حبيبي يا عم حكم والله. شاركه الضحك قائلاً:

- خلاص الأسبوع الجاي وهنعمله هنا في البيت ونعزم حبايبنا من أهل الشارع.

- زي ما تحب يا عم حكم.

- ربنا يملككم على خير يا ابني ويفرحكم.

- أمين.

قالها بسعادة بالغة، كلما اقترب منها كلما تضاعفت سعادته أكثر.

لم يتصور أن يصل الأمر إلى حجزها بالمشفى وفي الرعاية الفائقة، تعلق بصره بتلك التي تقف في الزاوية وملامح الخوف تسيطر على ملامحها وبجوارها نانا التي لم تختلف عنها كثيرًا. فاطمة لكاتيهما أم.

يريد أن يراها هو الآخر، فليطلب منها مسامحته لم يقصد أن يؤذيها بكلماته، يجب أن يطمئن أنها ستعود للبيت سالمة. ظهر الطبيب من الداخل فأسرع له وكذلك الفتاتان.

- ها يا دكتور فافت؟!!

سأل جاهين بلهفة.

- الحمد لله، بس طبعا مرهقة وقلبها تعبان جدًا، إزاي سايبنها تاخذ الدواء كده من غير حساب.

عقدت بسمة حاجبيها:

- هي اللي بتاخده لما تتعب.

هز الطبيب رأسه بعدم رضا:

- قلبها مجهد جدًا والدوا بتاعها مبقاش بيأثر، لازم تفضل في العناية، ربنا معاها.

أراد الانصراف فأوقفته بسمة:

- أرجوك عايزه أشوفها خمس دقائق بس، لو سمحت.

- طيب خمس دقائق بس.

أشار للممرضة القريبة منه لترشدها. تبعتها على الفور، وذهب جاهين خلف الطبيب قائلًا بترقب:

- دكتور، هي الحالة صعبة أوي كده، يعني هترجع معانا البيت قريب ولا إيه؟!!

- للأسف الحالة صعبة، وهي تعبانة، ربنا معاها، هو ابنها فين؟!!

وكان لسؤاله هذا وقعه المؤلم على جاهين.

- مسافر، بس المفروض يجي بكرة.

أوما برأسه:

- طيب، الأحسن يكونوا كلهم معاها، ادعولها.

انصرف الطبيب، استند جاهين على الحائط، يفرك وجهه بكفه مرددًا:

- استر يا رب.

عاد إلى حيث ترك نانا، التي جلست وجسدها يهتز برتابة، انتظر عودة بسمة ليطمئن أكثر.

والأخيرة وقفت بجوار أمها، أمسكت كفها تحتضنه:

- سلامتك يا ماما، هتبقى كويسة إن شاء الله.

أومات لها:

- أنا كويسة ماتخافيش.

- ليه قابلتية لوحدك؟ ليه ماخلتنيش أقابله معاك؟، هو قالك إيه؟! زعلك؟!!

طالت نظرات أمها لها حتى قالت:

- أنا يا بنتي مابقيتش عارفة، أنتِ سعادتك فين، بس هدعي ربنا ينور بصيرتك

للي فيه الخير ليك، وخليك دايماً مع أخوك، هو ده سندك الحقيقي في الدنيا

دي، هو اللي بيحبك من غير مصلحة ونفسه سعادتك، خليك دايماً قريبة منه.

مالت بسمة نحوها:

- حاضر، وأنتِ كمان هتفضلي معانا، أخيراً بقينا مع بعض من غير ما حد

يضايقنا، مش ده اللي كان نفسنا فيه دايماً.

ابتسمت بقليل من قوتها، تنظر لوجه ابنتها التي مالت أكثر تقبل ناصيتها:

- ربنا يقومك بالسلامة، وصدقيني مش هعمل إلا اللي يريحك أيًا كان.

أشارت لها الممرضة بضرورة الخروج، فقبلتها مرة أخرى وخرجت.

وصلت لهما وبدا أنها تكتم رغبة بالبكاء، تماسكت كثيرًا بالداخل، كي لا تشعر

أمها بشيء.

- إيه يا بسمة، فاقت فعلاً؟ كلمتها؟!!

نظرت له بعينين قد امتلأتا بالدموع:

- أيوة، بس تعبانة، ماشوفتهاش تعبانة كده قبل كده، هو بسام مش هيجي، أنا عايزة بسام.

- احنا لو اتصلنا بيه دلوقتي هيتخض، هو كده كده طيارتهم بكرة الصبح وأنا هروح أجيبهم.

أطرقت رأسها، وقلبها يحثها على عدم الانتظار والاتصال بأخيها، لكن عقلها وافق كلام جاهين وطالبها بالصبر.

جلست بجوار نانا التي أحاطت كتفيها في الحال.

- إن شاء الله هتبقى كويسة.

أومات برأسها تدعم كلمات نانا المواسية، مرددة:

- يا رب، يا رب.

ضم قبضته بقوة، واتجه ناحية الممرضة طالبًا منها دقائق هو الآخر مع المريضة، أومات برأسها قائلة:

- خمس دقائق بس زي ما الدكتور قال.

أوما برأسه موافقًا. دلف إليها، ووعى كلمات بسمة، وجه فاطمة أضحى أكثر شحوبًا عن ذي قبل، أصوات الأجهزة الطبية حولها بدا مزعجًا له جدًا. اقترب منها مناديًا:

- مرات عمي، حمدلله عالسلامة، هتبقى كويسة إن شاء الله.

فتحت عينيها ببطء، نظرت له وحاولت الابتسام فلم تنجح.

زم جاهين شفتيه وتألّم لها:

- سامحيني، ليه ماقلتليش إنك تعبانة، ليه مازعتيش فيا وقلتيلي اسكت مش ناقصاك، أنا آسف، ماكنش قصدي أضايقك والله.

فرجت شفتيها بوهن:

- أنا... تعبانة من زمان.. ماتشيلش نفسك هم.

- أنا آسف.

لم يجد غير تلك الكلمة ليكررها، ابتسمت فاطمة هذه المرة:

- أنت طيب يا جاهين، زي بسام كده، وزى وافي كمان.... خد بالك منهم كلهم.  
عقد حاجبيه حين سمع وصيتها:

- أنت هتبقى كويسة وهترجعي البيت وهتاخدي بالك منا كلنا، وهتفرحي بولاد  
بسام، بسام اللي اتحرم منك سنين وفرح لما لقاك، أوعي تسيبيه.  
يريد أن يحثها على التمسك بالحياة وقد رأى استسلامها في كلماتها.  
- الحمد لله إني شفته، كنت فاكرة هموت قبلها، وفرحت بيه كمان، كان نفسي  
أجوزكم كلكم، حتى أنت يا جاهين.  
أوما لها مبتسمًا:

- ماشي يا ستي، شدي حيلك بس واطلعي، وأنا هسيبك تختاريلي عروستي،  
بس بلاش نانا ها، أعتقد بتحب واحد تاني، مش كل مرة بقى يا مرات عمي.  
أفلتت منها ضحكة قصيرة، وهي تنظر له بصمت.  
"يا أستاذ كفاية كده"  
أوما لها.

- أنا هخرج بقى يا مرات عمي، شدي حيلك ها، عايزين نرجع البيت قبل ما  
بسام يوصل بكرة.  
كلمات لم تكن لتقنعه هو نفسه فكيف بها وهي تشعر بقلبها الذي قارب أن يعلن  
استسلامه كصاحبه.

بقيت بسمة تجاورها نانا، لم تستطع أن تمنع نفسها في التفكير في سبب  
حضور معاذ ولقائه بأماها، ولم لم يخبرها، أي كلمات قالها لها؟  
لن تسامحه أبدًا إن سبب لها أي إهانة أو قتل من شأنها، لكنها لن تتحدث معه  
الآن فلتطمئن على أمها أولاً.

مرت الساعات المتبقية من النهار، اقترب جاهين منهما.  
- أنا بقول تروحوا البيت وهفضل قاعد هنا. الأمن هيفضل على الباب  
ماتخافوش.  
قالت بسمة سريعًا:

- أنا مش هسيب ماما، أنا ونانا هنفضل روح أنت والصبح هات بسام ومها  
وتعالوا لسه عندك طريق المطار.

صمت مفكرًا، لم يعارض كثيرًا، لكنه في الوقت ذاته لم يرد أن يتركهما  
وحدهما.

- بس هتفضلوا لوحدكم للصبح.  
قالت نانا:

- مافي ناس تانية قاعدة أهي علشان أهلهم، عادي هنا أمان، ماتقلقش روح  
أنت، مافيش داعي نفضل كلنا.

- طيب أنا هفضل فاتح تليفوني، لو احتاجتوا أي حاجة اتصلوا بيا.  
أومات بسمة برأسها وهي تنظر للباب الذي يفصلها عن أمها بترقب وقلق  
واضح.

ومع مرور الوقت غفت كلتاهما وقد استندت بسمة على كتف نانا.  
إلى أن شعرتا بمن يوقظهما، ظنتا أنه الصبح لكن الهدوء المحيط أوحى  
بالعكس، لازال الليل لم يمر.

انتبهتا للممرضة الواقفة أمامهما، وقفنا بدورهما، قالت بسمة:

- خير في حاجة، ماما عايزاني؟!  
زفرت الممرضة تقول:

- متهيألي اتصلوا بحد يجي.

عقدت نانا حاجبها وقد سقط قلبها بين قدميها:

- ليه؟! هي تعبانة?!  
- شدوا حيلكم، البقاء لله.

شهقت نانا وهي تضع كفها على فمها أما بسمة فضاقت عيناها وهي تنظر  
للممرضة التي استدارت مبتعدة، التفتت تنظر لنانا:

- هي قالت إيه?!  
تكررت شهقات نانا لتتحول إلى بكاء نظرت إلى بسمة التي تحدق في وجهها

بذهول، ضمتها إلى صدرها بقوة تبكي.



## الفصل السادس والعشرون

في يوم صحيت شاعر براحة وصفا  
الهم زال والحزن راح واختفى  
خدني العجب وسألت روحى سؤال  
أنا مت؟.. ولا وصلت للفلسفة؟

عجبي!!

رباعيات جاهين

وبرغم أن تأنيب الضمير ليس إلا معنى معنوي، إلا أن لديه القدرة على إرهاق العقل والجسم، ومع الكثير من الـ"لو" التي لا تغير من الواقع شيئاً يكاد العقل يفقد القدرة على التفكير.

أغلق عينيه زافراً، لا يقوى حتى على الغط في النوم، بل ليس لديه أي رغبة في هذا، ففضل البقاء في سيارته أمام المشفى بدلاً من العودة للمنزل، لم يرد أن يترك الفتاتين فقد تحتاجان لأي شيء والمسافة ليست قريبة.

أمسك هاتفه يحاول أن يشغل نفسه بقراءة أي أخبار، انتفض مع رنينه المفاجيء، حدق باسم بسام الذي ينير على شاشته، تأكد من الساعة وجدها الثالثة صباحاً، ليس من الطبيعي أن يحدثه بسام في هذا الوقت، هل يشعر بشيء؟!!

هز رأسه رفضاً للفكرة، لعله ساهر وأراد أن يتأكد منه عن ميعاد وصوله للمطار صباحاً خاصة أن الطائرة في السابعة صباحاً. استمر تحديقه بصمت ورفض الرد، لن يقول له شيئاً وهو بعيد هكذا فليصبر فقط حتى الصباح.

انقطع الاتصال أخيراً، فرك جاهين جبهته بيأس:

- سامحني يا بسام.

عاد الرنين ثانية، فهز رأسه بنزق، لكنه فوجئ باسم نانا.

- أيوة يا نانا في حاجة؟!  
اتسعت عيناه بذهول وهو يستمع لكلماتها المشبعة بنحيبها، فأسقط يده بجواره،  
وقد تسارعت أنفاسه قليلاً.

- ماتت!! ماتت!!

ظل يردد لها لنفسه وكأنه يريد تصديقها.

- ليه!! ليه كده...

انتبه لكلماته فأسرع مستغفراً:

- سامحني يا رب.

هز رأسه يلوم حاله:

- فوق يا جاهين مش وقته.

غادر السيارة سريعاً إلى حيث تركهما.

بسمة في أحضان نانا باكية، والأخيرة تحاول التماسك لأجلها، ورؤيتهما وقعها  
مختلف، وكان الأمر أكثر واقعية، أتصور أنها ستعود للحياة بوصوله إلى هنا!  
رأته نانا وبدا على وجهها دهشة، لقد حدثته للتو، لكنها لم تسأل.

اقترب أكثر قائلاً بلسان يحمل حزناً:

- البقاء لله.

رفعت بسمة رأسها تنظر نحوه، ثم دفنت رأسها من جديد في كتف نانا.  
تركهما ليرتب ما الذي سيتم حتى الصباح، لن يدفنها قبل وصول بسام إلى هنا.  
اتصل بمحمد وطلب منه الحضور للمشفى دون إخباره بوفاة فاطمة.

.....  
قلقه لم يخف للحظة، ترمقه مها من حين لآخر وقد فشلت كل محاولاتها  
لإلهائه فما إن تصمت يشرد مراقباً هاتفه.  
اقتربت منه قائلة:

- خلاص يا بسام رتبت كل حاجة.

نظر لها ناهضاً.

- طيب كويس، يالا علشان نعمل تشيك أوت ونطلع على المطار على طول.

سحب الحقيبتين خلفه وحملت مها حقيبة يدها وتبعته، لم يمر الكثير من الوقت،  
وصلا للمطار في انتظار رحلتها المبكرة.

حاول مرة أخرى الاتصال ببسمة فلا مجيب وكذلك جاهين، زفر بحنق:

- المفروض جاهين صحي، هو اللي هيجي ياخدنا من المطار، مايردش ليه؟!  
وانتقل توتره وقلقه لمها خاصة أنها هي الأخرى حاولت الاتصال بأختها فلم  
تجب.

- الغايب حخته معاه يا بسام إن شاء الله نلاقيه لما ننزل.

بدت لبسام أطول رحلة قضاها رغم قصر المسافة، ومع وصوله لمطار القاهرة  
الداخلي وعيناه تدور هنا وهناك بحثًا عن جاهين، إلى أن انتبه لمن يلوح له  
مبتسمًا، لكنها بدت ابتسامة مصطنعة.

أسرع إليه ومن خلفه مها تلاحقه، ضمه جاهين مرحبًا:

- وحشتني يا عريس.

عاد بسام برأسه، وجه جاهين شاحب ومتعب.

- أنت مالك في إيه؟ ومايردش على التليفون ليه؟

أشار خلفه:

- انا كنت سايب التليفون في العربية.

نظر لمها يرحب بها:

- حمدلله عالسلامة يا مها، يالا بينا.

التفت فأمسك بسام ذراعه، نظر له بتساؤل:

- جاهين هو في حاجه، ماما وبسمة كويسين؟!!

ابتلع ريقه ولم يستطع إلا أن يهرب بنظراته، اتسعت عينها بفزع من رد

فعله أما بسام فتشبت بذراعه:

- جاهين رد عليا، في إيه؟!!

قال متجنبًا النظر إليه:

- مرات عمي في المستشفى والبنات معاها يالا نروحلهم.

شهقت مها:

- أبلة بطة.

- يالا يا جماعة.

قالها جاهين يحثهما على الحركة.

صمت جاهين طوال الطريق، ومها تقاقل كي لا تبكي من أجل خاطر بسام المرتعب من أن يسأل المزيد، سيراهها بنفسه بعد قليل.

وصلوا للمشفى واندesh بسام حين تتبع جاهين في الدور الأرضي عبر ممر طويل، وزادت مخاوفه ووصلت إلى أسوأها.

تباطأت خطواته برويته نانا تقف وجوارها محمد، مطأطي الرأس والحزن بادي على وجهيهما.

اقترب جاهين منهما، رأتهن نانا فأسرعت بالدخول في الغرفة المقابلة، وعادت تتبعها بسمة التي اندفعت تحتضن أباها باكية.

تصلب جسد بسام بين ذراعي أخته.

- م..ماما.. فين.. هي.. تب..تعبانة أوي؟!!

رفعت بسمة وجهها إليه، لم تظن أنه لم يعرف بعد، وضع جاهين كفه على كتفه يضغطه برفق:

- سامحني، محبتش أقولك هناك، البقاء لله.

عادت بسمة تدفن وجهها بصدر أخيها تجهش بالبكاء. تعالت صيحات مها، ارتجفت شفاه بسام، وقد صدقت كل ظنونه التي دعا كثيرًا أن تظل وساوس شيطان.

شخص ببصره للغرفة التي غادرتها بسمة للتو.

- هي فين؟!!

قالها بصوت متهدج، حررته بسمة وهي تشير لتلك الغرفة، وبصرها متعلق بوجهه.

تحرك بينما مها تبكي بين ذراعي أختها وهي تكتم صوت بكائها.

جسدها اتشح باللون الأبيض، لا يبدو منها غير وجهها الذي بدا يغط في النوم فحسب. اقترب أكثر منادياً:

- ماما؟!!

لا يعلم لم تصور أنها ستجيبه؟! أو أن صوته سيكون جهاز الإنعاش لقلبها فيعيد له النبض، كيف لا وهو من فقدته لسنوات واستعادته للتو، أفستتركه بهذه السرعة؟.

كرر نداءه واستمر صمتها.

مال برأسه وضعه على صدرها، لا صوت لأي شيء.. لقد ماتت حقاً!!  
زم شفثيه وقد تحررت عبرات عينيه أخيراً.

- ماما، طيب كنتِ استتي، كده من غير ما أشوفك، ده أنا كان نفسي أعمل حاجات كتير أوي معاك، ده أنا قلت لمها نطلع نحج كلنا سوا، أنا وأنتِ وهي وبسمة، ماما.. ماما!!!.

أمسك جاهين بكتفيه يبعدة عنها، التفت له يدفعه:

- حرام عليكو، ماحدثش قالي ليه؟! استنيتوا لما ماتت!!  
تفاجأ جاهين بهجومه:

- يا بسام احنا مالحقناش، دي تعبت امبارح بس.

هز رأسه بعنف باكي:

- لو قلتولي كنت لحتت، كنت شفثتها، حرام عليكو.. أنا أمي ماتت مرتين.

أسرعت بسمة له تتعلق به باكية، أمسك كتفها يبعتها ينظر لوجهها:

- ليه ماقتلش، صرخت في حلمي، كلمتك كذا مرة، مش كفاية عشت معاها عمرك كله، كمان حرمتيني أبقى معاها في آخر وقت.

لم تجد بسمة ما تقوله، كل ما تريده هو التعلق به والشعور أنه بجوارها، لم يعد لها سواه.

ظهر أحدهم قائلاً:

- يا أهل الخير إكرام الميت دفنه.

نظر بسام لوجهها النائم، أسرع إليها يضمها إليه مرة أخرى، فهو يعلم أنها الأخيرة.

وصل إلى مقر الشركة وقبل أن يدخل مكتبه أخبرته السكرتيرة أن السيدة سما تريده، فأوماً لها وذهب إلى مكتب أمه.

دلف إليها، قالت:

- المفروض تيجي الصبح مش الظهر.

زفر جالسًا:

- سهرت فراحت عليا نومه، كنت عايزاني.

رمقته لحظات:

- آه، باين عليك ماتعرفش، هي مش بتكلمك على طول ولا إيه؟!!

- هي مين دي؟!!

- خطيبتك المستقبلية.

قالتها بنبرة بدت ساخرة، عقد حاجبيه محققًا بها:

- تقولي إيه؟! في إيه؟!!

- معلىش بقى تلاقيها انشغلت، حماتك تعيش أنت.

فغر فاه بغير تصديق:

- أنت بتقولي إيه؟!!

- نزلوا نعي في صفحة الشركة الصبح، والعزا في الفيلا، هتروح طبعًا.

وقف ولازال الدهشة على وجهه:

- أم بسمة ماتت!!!

لم تعلق بالمزيد، التفت هو الآخر يغادر مكتبها عائداً لمكتبه.

ألقى بجسده على كرسيه، تحدث لها بالأمس فقط، وكانت بخير، كيف ماتت؟!!

اعتدل مفكرًا.

ربما هذا هو الحل الأمثل وقد جاء من عند الله، موت فاطمة سينهي كل شيء.

لن تراها أمه أبدًا وبالتالي لن تتذكرها.

مسح وجهه بكفيه حين انتبه لما هداه تفكيره.

- ياااه يا معاذ، أنت وصلت لمرحلة وحشة أوي، أوعى تقول كده لبسمة.

علا رنين هاتفه، أمسك به يرى اسم سامر، لم يحدثه منذ عدة أيام.

- أيوة يا سامر إزيك؟!!
- أنت فين يا عم، ماصدقت خلصت مني؟!!
- لأ.. أبداً.. بس يعني...
- مالك في إيه؟!!
- أم بسمة ماتت.
- لا حول لا قوة إلا بالله، امتي ده؟!!
- النهاردة، هيعملوا العزا بليل في الفيلا، هتروح؟!!
- آه طبعا، عدي عليا بعربيتك نروح سوا، خلاص اللي كنت هقولهولك هقوله  
لما أشوفك بقي، سلام.
- أنهى الاتصال سريعاً.
- ظل يطالع هاتفه، أعليه أن يحدثها الآن، أم يجب أن يتركها حتى تهدأ لعلها في  
حالة نفسية سيئة.
- وضع الهاتف جانباً واستند برأسه على سطح المكتب زافراً.
- لم يستطع أن يمنع عقله عن التساؤل، أموت فاطمة سيقرب المسافات أم سيزيد  
الشتات بينهما؟!!

.....

مع غروب الشمس بدأ المعزون في الحضور، يجلس الرجال بالحديقة أما  
النساء ولم تكن كثر في الداخل مع الفتيات.

مها لازالت تبكي، ربما لم تجف عيناها من الدموع إلا بعض الوقت لتعود  
وتذرف العبرات من جديد. فقدان فاطمة كان قاسياً ومفاجئاً، والموت الأكثر  
إيلاماً هو غير المتوقع دائماً وهي التي حلمت أنها سيكون لها أبناء من بسام  
تداعبهم فاطمة وتغدق عليهم من حنانها الذي يفيض للجميع.

لكنها رحلت ربما عزاؤها الوحيد أنها فارقتها بعد أن جعلت لها سكناً وملاداً،  
بسام.

كم تريد أن تترك كل هذا الجمع وتأوى إليه هو فحسب لتشعر بالأمان.

نظرت لبسمة التي تجهم وجهها وتصلبت ملامحه، حتى الدمعتين المتحجرتين في عينيها لا تفارقهما ولا تجفا عنهما.

مدت يدها تحتضن كفها، تعلم الآن ليس لها إلا هما، وستحاول دومًا أن تبقى جوارها وتكون نعم الناصحة لها.

نظرت لها بسمة تحرك شفثيها وكأنها تمنحها ابتسامة مطمئنة، لكنها بدت مرتعشة وغير واضحة.

دارت بسمة ببصرها في وجوه هؤلاء النسوة اللاتي لا تعرف منهن أحدًا، هن هنا لأداء واجب العزاء في امرأة لا يعرفنها، ولن تحمل قلوبهن حزنًا عليها، فقط الفتاتان بجوراها هما اللتان تشعان بألمها.

شعرت به يقف عند الباب، ولم تكن مخطئة، ينظر لها مباشرة، عقلها يخبرها أنه مشفق عليها بالتأكيد، لكن قلبها يريد أن يمنح نظرة الحزن التي في عينيها معنى آخر، ذهب ببصره عنها يشير لإحدى السيدات لانصراف زوجها، فتبعته للخارج.

صافحه الرجل مرة أخرى داعيًا للمتوفية بحسن الثواب.

شكره واتجه للجلوس بجوار بسام، بينما محمد يساعد الآخرين، قام هو وجاهين بترتيب كل شيء، فلم تكن حالة بسام تسمح بهذا.

رفع جاهين ذراعه يحيط كتف بسام يوازره، لم يقل الكثير من الكلمات فلا شيء سيخفف ألمه، ولا شيء سيخفف شعور الذنب الذي لا زال يؤرقه.

يعلم أن لكل أجل كتاب، لكنه لم يتصور أن يكون هذا بعد كلمات أوجعت فاطمة، هو أراد أن تفيق لنفسها، أن تتوقف عن الخوف وتعيش كما يجب، لم يتخيل أنها ستكون نهايتها وليس بدايتها.

رفع رأسه لظهور شخصين عند المدخل، ولم يكن صعبًا أن يتعرف عليهما.  
"سامر ومعاذ"

وقف لاستقبالهما وكذلك بسام، تقدم سامر مصافحًا بسام ومعزيًا، ومن خلفه معاذ. وبعدها صافح جاهين:

- أنا عرفت من معاذ، البقاء لله، شدوا حيلكم.

- ونعم بالله، أنت عامل إيه دلوقتي؟!  
سأله جاهين مردفًا:

- معلى مقصر معاك في السؤال.

- ولا يهملك، أنا تمام زي ما أنت شايف أهو.

أوماً له إيجابًا، وذهب ببصره لمعاذ الذي مد يده يصافحه، وتمنى جاهين لو تجاهله، شيء ما يخبره أن هذا الشاب أيضًا سبب لفاطمة الكثير من الحزن، لكنه تغاضى عن تلك المشاعر وقبل عزاءه.

قال معاذ بتردد:

- هي كانت تعبانة؟!!

رمقه جاهين بغيظ ولم يستطع أن يمنع نفسه:

- أيوة، وتعبت أكثر بعد ما أنت مشيت ونقلناها المستشفى.

وكانت الكلمة التي لا يمكن ردها، تضرب مسامعهم جميعًا، ليجز على أسنانه ندماً على ما قال.

حلق به بسام بدهشة، وكذلك سامر، أما معاذ فقد اتسعت عيناه برعب واضح.

- هو معاذ جه لماما؟!!

سأل بسام. نظر له جاهين، ولا زال يلوم حاله، ليته سكت!!

- آه، يعني هو اتكلم معاها ومشى.

نظر سامر لأخيه وكذلك بسام وكأنه ينتظر تفسيرًا، قال معاذ بتلعثم:

- أ.. أنا كنت .. بحاول أقنعها يعني، علشان هي رافضة جوازي .. من .. من بسمه بس، ومشيت.

مط سامر شفتيه بعدم رضا قائلاً:

- طب إحنا ممكن نعزي بسمه.

لم يجب جاهين، تحرك بسام وهو يرمق جاهين قائلاً:

- اتفضلوا.

توترت أعصاب معاذ أكثر، أحقًا تعبت بعد كلامه معها؟، أكان كلامه مؤلمًا لهذا الحد؟، وهل عرفت بسمه؟! . ضغط أسنانه وهو يسب نفسه.

وصلوا لباب المنزل، أشار بسام لأخته، تحركت مع رؤيتها له، ومع اقترابها بدت الصورة أوضح، عقدت حاجبها وارتم الضيق على ملامحها، ولاحظ الجميع هذا.

بدأ سامر الكلام ليواسيها، فاكتفت بكلمة شكر، ونظرت لمعاد مطوَّلاً، لديها العديد لتسأله عنه، لكنها لا تجد أن هذا هو الوقت المناسب.

- البقاء لله يا بسمة.. ربنا معاك.

ظلت تحديق فيه فقط، داخلها غضب يتزايد، ما كان يجب أن يفعل ما فعل دون علمها، لن تغفر له لو أساء لأمها أبداً.

دارت عيناه في محجريها وكأنها لا تجد ما تستقر عليه. قالت هي:

- شكراً، ممكن تبقى تيجي تاني بعد ما أيام العزا تخلص.

حدق بها مهممًا:

- آه.. طبعاً.

التفت ينظر لسامر:

- يالا بينا إحنا.

انصرف مسرعًا وخلفه سامر، تقدمت بسمة تقف بجوار بسام يتابعان المهرول هربًا.

نظر بسام لأخته:

- أنت كنتِ معاه لما جه قابل ماما؟!!

نظرت له بدهشة لم تتصور أنه سيعرف بالأمر:

- لأ، مين قالك؟!!

نظر إلى حيث يقف جاهين يبادلها النظرات هو الآخر.

- خلاص، ادخلي.

نظرت إلى حيث اختفى معاذ مع أخيه، استدارت تعود للداخل.

قفز معاذ في سيارته ولازال يتلبسه التوتر، جلس سامر جواره فانطلق مسرعًا.

- أنت قابلت الست قتلها إيه؟!!

- هكون قلت إيه يعني؟! قتلها إني بحب بنتها أوي وهعمل المستحيل علشان أسعدها، مافيش حاجة في كل ده تزعل.
- صمت سامر يراقب ملامح أخيه المتوترة:
- أكيد، عمومًا هي كلها أعمار، الله يرحمها.
- آمين.
- تتمم بها دون المزيد من الكلمات، قال مغيرًا دفعة الحديث:
- أنت كنت عايز تقولي إيه؟!!
- والله الأجواء مش مفرحة بس خلاص إحنا حددنا كتب كتابي على زينة بعد بكرة.
- نظر له مندهشًا قبل أن يبتسم قائلاً:
- بجد، مبروك.
- هنعمله في البيت، ابقى تعالى بعد المغرب.
- هاجي طبعًا، طيب عملت إيه في الشقة والعربية؟.
- الشقة جابتي السعر اللي أنا عايزه، وخلاص هنمضي العقد قريب، العربية بقى لسه.
- عارضها بكام؟!!
- ربع مليون.
- خلاص أنا هاخذها، تحب أكتبك شيك دلوقتي.
- لم يجبه سامر فنظر له، وجده يرمقه بابتسامة ودودة هادئة، عاد يتابع الطريق، قال سامر:
- ماتقلقش، أكيد هلاقي مشتري.
- ماتعطلش نفسك، أنا كده كده هغير عربيتي، وعايز حاجة تبعك أنت، أهو أحس إنك معايا.
- ربت سامر على كتفه بامتنان، لكنه قال:
- طب وسما، مش هتسألك على الفلوس دي.
- هقولها غيرت عربيتي، مش هي دي الحقيقة.

أشارله سامر:

- خلاص اقف هنا علشان ماتدخلش الشوارع الضيقة.  
توقف بالفعل.

- ألف مبروك يا سامر، يارب تلاقي الفرحة اللي تستحقها.

- عقبالك يا عم، يتحقق حلم عمرك اللي زهقتنا بيه.

كانت مزحة لكنها لم تضحكه، فقط ابتسامة صغيرة ارتكنت على شفثيه. لوح له سامر مذكراً إياه بموعد عقد القران كي لا يتأخر.

.....

عاد الهدوء التام للمكان بانصراف الجميع، ليخلو على أهل المنزل.  
بقي بسام في الحديقة يجاوره جاهين وكأنهما ينالان بعض الراحة.  
نظر بسام لجاهين:

- أنت ماقلتليش ليه إن معاذ قابل ماما؟!!

- ما ده كان امبارح، مالحقتش.

قالها وهو يتجنب النظر له.

- هي فعلاً تعبت بعد ما هو مشي على طول؟ أنت كنت معاهم؟ قالها إيه؟!  
بتتابع الأسئلة أيقن أن بسام لن يصمت.

- جاهين رد عليا!!

- ما عرفش، أنا جيت وهو كان ماشي، افكرته كان مع بسمة، بس قابلت مرات  
عمي في الصلاة، كانت قاعدة.. وأ....

زفر وتوقف عن الكلام. حثه بسام:

- ها يا جاهين؟! كانت تعبانة، خدتوها على المستشفى ساعتها.

تمنى لو لم يقل ما قال ألم يكن هذا أفضل، أم عليه أن يخبر بسام بكل شيء لعل  
هذا الحجر الثقيل الجاثم على صدره ينزاح أخيراً.

- ماكنش باين عليها إنها تعبانة، ياريتها قالت إنها تعبانة، كنت أنا كمان سكت.  
عقد بسام حاجبيه:

- مش فاهم؟!.. سكت عن إيه؟!!

أسند مرفقيه على ركبتيه وأراح رأسه على كفيه:

- أنا اضايقت لما شفت معاذ ده، واضايقت أكثر لما قالتلي أنه عايز الجواز يتم بأي طريقة، ومش مهم أي حاجة تانية، كنت عايزها تبطل استسلام، ماكنش قصدي اضايقتها أكثر بكلامي، والله لو أعرف إنها تعبانة ماكنتش هنطق، قتلها خليك أجمد من كده، قتلها خوفك ضيع منك كثير وأثر علينا كلنا، قتلها..... ماكنتش أعرف إنه.....

انقطعت كلماته وحل محلها أنفاسه المتقطعة، جاهين بكى أخيراً بعد أن تماسك طوال اليوم ولم يبك أبداً وكأنه لم يعد يحتمل أكثر.  
شخص بسام ببصره بعيداً وقد عادت العبرات لعينيه هو الآخر.  
"آه يا أمي"

قالها بحسرة، عاشت مقهورة وماتت حزناً على حياتها كلها.  
نهض من جواره فأمسك جاهين بكفه:

- بسام، أنا والله ماكنت أقصد، أنا كلمتها في المستشقى اعتذرتلها كثير وهي سامحتني.

نظر له بسام بعينين دامعتين، قبل أن يسحب كفه مستديراً، وقف جاهين ليلحقه لكنه تسمر مكانه وكذلك بسام يحدقان في تلك التي كانت تقف خلفهما ولم يشعر بها.

تنقل بصرها بينهما بصمت، زمت شفيتها كمداً، اقترب منها بسام أحاط كتفها بذراعه:

- يالا ندخل جوه، الجو برد.

نظرت له ابتسم بحزن واضح، تحركت معه. تاركين هذا الواقف خلفهما، عاد جالساً على كرسيه بهم بالغ، وكأن الحزن في تلك العائلة لن ينتهي أبداً.

.....

استقرت الفتيات في غرفة بسمة، بعد أن تناولن القليل من اللقيمات بعد إلحاح من بسام، لعدم تناولهن أي شيء من الصباح.  
الصمت هو الغالب عليهن، إلى أن قالت بسمة:

- روي يا مها، خليك مع بسام، بلاش نسيبه لوحده، وأنا ونانا هنبات سوا.  
أيدت نانا كلام بسمة لتغادرهما مها ذاهبة إلى غرفتها الجديدة، لم تتصور أن  
أول ليلة لها بها ستحمل هذا الكم من الحزن، ويبقى دواؤها هو وجود بسام  
بها.

دلفت الغرفة بهدوء، الظلام يخيم عليها، ولولا مصابيح الحديقة المضاءة  
والقليل من ضوء القمر، ما كانت ستري خطواتها، بسام مستلقي على أريكة  
عريضة تجاور باب الشرفة.

ساكن تمامًا حتى ظنته نائمًا، اقتربت بحذر، مغلقة العينين بالفعل، وضعت كفها  
على شفيتها حين رأت دموعه لازالت تهطل على وجنتيه. لازال يبكي.  
ظلت مكانها حائرة لا تعرف ماذا تفعل؟! أعليها أن تواسيه، هي لا تجد الكلمات  
لمواساة نفسها فكيف ستفعل هذا له، هي أمها أيضًا!!

فتح عينيه ينظر لها، فغرت فاها لا تجد ما تقوله.  
اعتدل في نومته يستقر على جانبه، وفتح ذراعه لها، نظرت له لحظات قبل أن  
تلبى طلبه، استقرت جواره لكنها لم ترد أن يرى عبراتها التي تقاومها، فولته  
ظهرها ليلتصق ب صدره، ضمها هو الآخر بصمت.

لم ينبس أحدهما بكلمة، يعلمان أن لا كلمات كافية، فقط فليشعر هو بحنانها  
الذي فقده بفقد أمه، ولتشعر هي بأمانه الذي طالما منحته فاطمة لها، وكأن كل  
منهما يجد ريح فاطمة في الآخر.

وضعت هاتفها جانبًا تستعيد ما قاله متصلها منذ لحظات، لم يعرف الكثير بعد  
عن بسمة وأمها، كل ما توصل له للآن، أنهما ظهرتتا فجأة حين دخل بسام إلى  
المشفى وتم نقل كلية له من أخته، ومنذ ذلك الحين أصبحتا جزءًا من العائلة،  
ولا زال رَجُلها يحاول البحث في المشفى ليصل إلى البيانات التي سجلت حينها  
لبسمة كمريضة دخلت غرفة العمليات ليعرف أين كان سكنها في السابق، وهذا  
ما لم يصل له بعد، لكنه طمأنها أنه سيعرف قريبًا.

ويوم تحقق الأحلام جاء أخيرًا، لا زالت غير مصدقة لنفسها، ستصبح زوجته اليوم، سيكون نصفها الآخر الذي حلمت به كثيرًا، ولم تتصور في أفضل أحلامها أن يكون هو!!  
سامر.

سامر وكفى لا يعنيه ابن من هو، يكفي أنها عرفت هذا الشخص جيدًا وتدرك أي الناس هو، ذلك الذي يمكنه أن يقدم مساعدة الآخرين على نفسه، ذلك الذي رأت حرصه على غيره، بل يكفي تعلقه بأخيه رغم كل ما يحدث بينهما، ستكون بأمان معه، وهل توجد فتاة لا تبحث عن الأمان مع شريكها؟!.

ابتسمت بسعادة يشوبها الخجل، تطالع هينتها التي تروق لها كثيرًا، فستانها الوردي الذي اختارته بعناية، حجابها الأبيض ليعطها إحساسها بيوم الزفاف رغم أنها تعلم أنه فقط عقد قران، والزفاف سيؤجل.

اقتربت منها أسماء تردد بسعادة:

- أختي عروسة ، أختي عروسة.

ضحكت وهي تميل إليها تحتضنها:

- عقبال ما أشوفك أنتِ كمان أحلى عروسة، هو عمو المأذون مجاش يا سومة؟!!

- لأ لسه.

- امممممم، فاعل خير يستعجله طيب.

قالتها ضاحكة ورغم عدم فهم سومة للدعابة إلا أنها شاركت أختها الضحك. نظرت من النافذة إلى منزلهم المقابل، ابتسمت لتلك الأضواء الملونة التي علقت على المبنى لتعلم الناس بوجود مناسبة سعيدة.

التفتت إلى جاراتها من الفتيات اللاتي اتخذن صالة زينب ساحة لهن لآظهار مواهبهن بالرقص، حتى أنهن تناسين أمر العروس ليمرحن مع بعضهن. لوت زينة شفتيها:

- هما جايبين يفكوا الكبت بتاعهم هنا.

عادت تنظر من النافذة، تمنّت أن تتمكن من رؤيته، فلم تلمحه بعد، سيرتدي حلة أنيقة بكل تأكيد، سيبدو الأفضل بين الجميع. وقبل المزيد من الذهاب خلف أفكارها، جذبتها إحدى الفتيات:

- تعالي يا زينة احنا جاينين نرقص مع نفسنا.

ضحكت لتشاركهن المرح، وانضمت لهن أسماء بحركاتها الطفولية التي جعلتهن يزدادن ضحكًا.

وعلى الجانب الآخر، خرج سامر من غرفته ليجد عددًا لا بأس به من الرجال يجلسون في الصالة، وقف لحظة فهو لا يعرف أيًا منهم.

اقترب منه عبد الحكم:

- تعالي يا سامر، دول أهلنا وحبائنا كلهم.

تبعه سامر يصافح الجميع وعبد الحكم يقدمهم له، نظراتهم له حملت بعض الدهشة والبعض الآخر الغبطة، هيئة ببدلته السوداء ذات الأطراف اللامعة بأناقة، وملامح وجهه تنبئ أنه ليس بشخص عادي، هو يشبه هؤلاء الذين يروهم في التلفاز.

حتى أن شابًا صغيرًا سأله:

- هو حضرتك ممثل، حاسس إني شفتك قبل كده؟!  
ضحك سامر قائلاً:

- لا والله، ما مثلتش قبل كده.

قال الفتى بإصرار:

- بس أنت تتفع والله، جرب كده.

استمر ضحك سامر ليجذبه عبد الحكم:

- خلاص يا حمادة، سيبه في حاله.

انتهى من المصافحة وجلس في المقعد المخصص له، في انتظار حضور المأذون.

نظر لساعته، عقد حاجبيه حين تأكد أن معاذ بالفعل تأخر، أمسك هاتفه يتصل به، لكن الرنين استمر إلى أن انقطع ولا مجيب.

حدث نفسه:

"أكيد مش هتسيبني في يوم زي ده يا معاذ، أنت فين؟!!"

عاد يبادل الحضور النظر، كان محط أنظارهم بشكل واضح، خاصة أنه وحيد، لا أحد من عائلته هنا، وهل له عائلة؟! وحينما حدث عبد الحكم في الأمر، أخبره أنهم سيتحدثون قليلاً ويصمتون، ولا يجب أن يهتم بهذا.

.....

كل يوم مر عليهم أخف وطناً مما قبله، ومن رحمة الله بعباده أن الحزن يبدأ قوياً مؤلماً ثم يهدأ رويداً رويداً وتبقى الذكريات لأصحابها. وإن اختار أصحابها الصمت معظم الوقت، وكأن كل طرف يخشى أن يقول ما يحزن أو يؤلم الطرف الآخر، أما جاهين فكان كالمترقب دائماً، وكأنه ينتظر رد فعل من بسام أو بسمة لكن لا شيء. حتى أنه أوقف بسام صباح اليوم وسأله إن كان غاضباً منه اكتفى بسام بالنظر نحوه قائلاً:

- وهزعل من إيه؟! الأعمار بيد الله يا جاهين.

كلمات توحى بأنه متفهم لكن طريقة قولها آلمته، وكأنه يلومه من بين حروفها، واكتفى بهذا وذهب.

زفر بقوة وهو يجلس بالحديقة التي بقي فيها تقريباً طوال اليومين الماضيين يستقبل من يعرف بالعزاء متأخراً.

دار ببصره حين رأى بسام يخرج من المنزل، تصور أنه سيأتي إليه لكنه اتجه لسيارته، أسرع نحوه ليسأله:

- أنت رايج فين؟!!

نظر له وكأنه يفكر أجيبيه أم لا، في النهاية قال:

- رايج لماما.

- نعم!!

- رايج أزور ماما يا جاهين في حاجه!!

- آه، بس يعني الوقت هيتأخر وهتضلم وأنت هناك.

- وإيه يعني، هيجرالي إيه، أنا هناك في أمان أكثر من أي مكان تاني.  
- طيب أجي معاك.

- لأ، أنا عايز أبقى لوحدي.

أنهى كلماته وهو يستقر أمام مقود سيارته، تراجع جاهين يفسح له الطريق، انطلق في الحال مبتعداً.

عاد جاهين يجلس حيث كان، أمسك هاتفه يتصل بمحمد الذي أوكلا له الاهتمام بالعمل في غيابهما. مر بعض الوقت بعدها في هدوء قاتل. رفع عينيه لمدخل الحديقة الذي يقف أمامه أحدهم، قبض على هاتفه بقوة وقد تصلبت أصابعه.

اقترب هذا الزائر منه بهدوء، وقف أمامه قائلاً:  
- أزيك؟!!

لم يهتم جاهين بالرد ولم ينتظر هو ذلك، أردف:

- ممكن أقابل بسمة، اتصلت بيها كتير بس تليفونها مقفول على طول.  
ظل يحدجه بنظراته، قبل أن يقول:

- استنى هنا.

أوماً له بصمت. دلف جاهين للمنزل منادياً على الخادمة:

- اطلعي قولي لبسمة في ضيف مستنيها في الجنينة؛ معاذ.

أسرعت تنفذ ما طلب منها، أما هو فاختر الاختفاء بغرفة والدته، حتى استمع لخطوات نزولها على الدرج، شرع الباب ببطء، رآها تخرج إلى الحديقة تتبعها الخادمة ولكن إلى المطبخ.

خرج من الغرفة، وقرر مراقبة الوضع من خلف النافذة.

يسير بخطوات قصيرة في الحديقة على غير هدى، توقف حين رآها تقترب.

حاول الابتسام لكن ملامح وجهها الحزينة لم تسمح له.

بدت شاحبة بلامح باهتة ومنتشحة بالسواد، وقفت أمامه تنظر له.

- إزيك يا بوسي، عاملة إيه؟! قافلة تليفونك ليه؟!!

استمر صمتها، هز رأسه:

- طيب مش مهم، المهم أنتِ عاملة إيه، أحسن من الأول؟!..

دنا منها أكثر لكنها عادت خطوة للوراء فتوقف:

- تعرفي، كان نفسي أكون جنبك من أول لحظة، كان نفسي أكون أنا اللي من حقي أخذك في حضني وأطبب عليكِ مش أي حد تاني، كنت مضايق لما جيت أول يوم وحسيت أنني مجرد غريب، بس معلش إن شاء الله دي تكون آخر الأحزان، ونعدي الفترة دي وبعدها هتفرحي تاني يا بوسي، معايا. زفرت وهي تنظر للأرض، حاول الاقتراب ثانية:

- معلش، كله هيبقى أحسن، وفي الآخر هنبقى مع بعض، لما يجي الوقت المناسب، خلاص مابقاش في حاجة نخبيها، مامتك في مكان أحسن دلوقتي، واحنا نحاول نمشي موضوعنا بشكل طبيعي لما الظروف تسمح، ومافيش حاجة هتوقفنا تاني.

رفعت بصرها إليه وقد ضاقت عيناها:

- مابقاش في حاجة نخبيها!! أنت فرحان إن أمي ماتت؟!..  
اتسعت عيناها يهز رأسه بنفي:

- لأ طبعًا، ليه بتقولي كده؟! أنا ماقصدش ده أبدًا.  
ظلت تحديق فيه بنظرة لم تكن مريحة له أبدًا:

- أنت قابلتها ليه؟! قتلتها إيه؟!..

ارتجفت شفتاه للحظة، محاولًا التماسك:

- أ..أنا.. أنا بس طلبت أنها توافق على.. جوازنا، مش أنتِ قلتيلي إنها رافضة.  
رمقته بشك:

- بس كده؟! ما طلبتتش حاجة؟!..

ملامحها أثارت ريبته، لم يستطع قراءتها برغم صوتها الحزين لكن ملامح وجهها تبلدت فجأة ولم تعد تبدي أي مشاعر واضحة.  
عليه الثبات على موقفه.

- طلبت دعمها، أنها تقف معانا وتساعدنا.  
خفضت بصرها عنه ثانية.

- أنا فعلاً آسف لوفاتها، بس ده أمر الله، يمكن رحمة بيها وبيننا، علشان  
ماحدثش يتوجع، علشان ماتعملش حاجة هي مش عايزاها، علشان...  
دفعة في صدره من كفيها فاجأته لترده للخلف خطوة، بل حتى انتفض لها هذا  
الواقف خلف النافذة المغلقة والتي لم تسعفه لسماع ما يقولان فقط يراها من  
خلف الستار. وكذلك الفتاتان الواقفتان في شرفة بسمة، تراقبان ما يحدث بعد  
أن علمتا أنه ينتظرها بالحديقة.

حتى تمتت مها:

- هي بسمة ناوية على إيه؟!!

مطت نانا شفيتها:

- بسمة جابت آخرها، ده إحساسي من كلامها.

ارتسم الذهول على وجه معاذ منادياً باسمها بتساؤل. نظرت له بغضب واضح،

وبدت ملامحها سهلة القراءة أخيراً:

- اسكت، اسكت.

كررتها وهي تضغط على أسنانها. رفعت سبابتها تشير نحوه:

- أنت فعلاً ارتحت لما هي ماتت، بس أنا أمي ما ماتت، أمي عايشة فيا

ومعايا، مش همسحها من حياتي ولا هعمل اللي أنت عايزه، أنت من زمان كده

وكنت بكذب نفسي، طول الوقت شايل هم حقيقة أمي اللي شايفها تكسف، طول

الوقت بتتمنى لو تتمحي من الوجود أو تفضل في الضل، مش شايف غير

الصورة اللي راسمها لنفسك وليا وبس، وأنا زمان كنت عيلة وبفكر زيك، بس

دلوقتي لأ، أنت أناني، وأنا مش أنانية زيك.

عقد حاجبيه مع فقد القدرة على الفهم:

- بوسي أنت بتقولي إيه؟! أنت ليه مصرّة تصعبي الدنيا علينا، وربنا

بيسهالنا.

صرخت هذه المرة بصوت أعلى:

- اسكت.. بقولك اسكت.

لم يتحمل جاهين البقاء في الخلف، اقترب من الباب غير مبال بأن يراه أحد منهما، بل شعر أنهما لن ينتبها لأي أحد بحالتهما تلك. ومع وصوله للباب استمع أخيراً لصوتها الذي تحشرج مع صياحها واغتالت العبرات عينيها:  
- بيسهالهالنا!!، بتعتبر موت أمي كده، ده أنا حتى ماعرفتش أكون بارة بيها بسببك، أنا تعبت كفاية بقي، تعبت، ابعدي عني، هي مش عايزاك، وهي صح، أنا كمان مش عايزاك.

تجمدت ملامح وجهه التي شحبت فجأة مع كلماتها، اصطكت أسنانه ببعضها، وهو ينظر لها بشك مجنون:  
- إيه اللي بتقوليه ده؟! أنت اتجننت ولا إيه؟! لأ.. أنا مش هحاسبك على كلامك الغريب ده، واضح أن وفاة مامتك أثرت فيك، احنا هنتكلم بعدين. هزت رأسها بعنف:

- لأ، أنا عارفه كويس أنا بقول إيه، أنا فكرت كتير أوي، كل يوم كان بيأكدلي إننا بنبعد مش بنقرب، وأنا كنت عايشة في حلم زمان وبس. امشي يا معاذ، وماتجيش هنا تاني.

هذه المرة هو من فقد أعصابه، أمسك ذراعيها يضغطهما بقوة:  
- أنت بتقولي إيه?!

حاولت التملص من أصابعه التي تعلق بها بقوة مؤلمة:  
- سيب دراعي، بقولك سيبيني.

"سيبها"

صرخ بها جاهين الذي يقترب منهما بوجه غاضب، ظل معاذ على حاله وهو ينظر لجاهين بحنق شديد.

- وأنت مالك، دي خطيبتني أنا، هي مش رمت دبلتك في وشك.  
تصلب جاهين مكانه، يحدق في وجهه كمدًا. بينما لازالت بسمة تحاول الإفلات فصرخت:

- إيه اللي بتقوله ده?! سيبيني يا معاذ.  
نظر لها وهو يجذبها بقوة نحوه:



كانت تنظر إليه بوجه غارق في الدموع:

- خلاص يا معاذ، مبقاش ينفع، عمره ماكان هينفع وأنا اللي كنت بضحك على نفسي، أرجوك أمشي، ماتجبرنيش أكرهك.

تحرك نحوها بعصبية، فأوقفه جاهين بجسده، أراد دفعه لكن جاهين لم يتحرك زاعقًا:

- متهيالي كفاية كده.

وصلتا أمام الباب، لكن نانا أمسكت بمها لتبقيا حيث هما تراقبان فقط، خاصة هي علقت بصرها بملامح جاهين وكأنها تريد أن تقرأ أفكاره في هذه اللحظة.

لم يوله معاذ أي اهتمام، وحدثها وهو لازال يحاول دفعه وجاهين يمنعه:

- لأاا، بعد كل ده، بتبعديني، ده أنا وقفت حياتي علشانك، ده كل حاجه في

حياتي اتلخبطت علشانك، أربع سنين، كان أي حد يسمع حكايتي يضحك عليا

يقولي هو في حد كده، بتعاقبي إخلاصي ليك، حب....

دفعه جاهين بقوة أكبر ليبعده:

- ما كفاية بقى.

تقطعت أنفاسه، وهو يحدق بجاهين بعينين اتسعتا على آخرهما، عقله اجتاحه هذيان، وكأنه في حلم، بل كابوس بشع لا يعرف كيف يستيقظ منه، نظر لها فإذا

بها لازالت تبكي وقد أطرقت رأسها أرضًا، أهكذا حقًا انتهى كل شيء؟!.

- بسمة!!

ناداها ثانية ولم تنظر له حتى!!

عقد حاجبيه وقد اشتعلت براكين الغضب داخله:

- هتندمي، هتندمي.

كررها بغضب هادر.

زم جاهين شفثيه، وزادت رغبته بلکم هذا الفم الثرثار، لكن معاذ استدار مبتعدًا فجأة.

أرادت مها الإسراع لبسمة لكن نانا لازالت تمنعها، حدقت فيها بذهول:

- أنتِ ماسكاني ليه؟!!

كل ما كانت تفكر به نانا هو ما سيفعله جاهين الآن، وكأنه سينبئ بكل ما هو قادم.

التفت لتلك التي ظلت على حالها تبكي، مط شفتيه وقد تملكه شعور متضاد ما بين رغبته في رفقتها وعدم تركها وحيدة وبين أنها خسرت تلك الميزة لديه بالفعل، وفي النهاية مالت الكفة الأخرى. استدار هو الآخر عائداً للمنزل.

رفعت رأسها، ترى الصورة مشوشة غير واضحة، كلاهما يبتعد، شعرت أنها وحيدة تمامًا، لقد خسرت كل شيء وبقيت وحيدة!!

لتنخرط في المزيد من البكاء وهي تكرر نداءها لأمها.

حررت نانا مها لتسرع إلى بسمة وتبعثها هي ومر جاهين جوارهما دون أن يلتفت، وإن ظلت تنظر لملامح وجهه التي بدت صلبة تمامًا.

.....

الرؤية ضبابية تكاد تكون معدومة، مع ذلك يقود سيارته بسرعة غير عادية، يضرب مقودها مرة تلو أخرى، هذا ليس حقيقياً يريد وبشدة أن يستيقظ من هذا الكابوس المخيف، وكأن حياته التي مضت كلها بلا معنى، بل ما الداعي لعيش المزيد، هو لم يرَ في حياته أحدًا سواها، هي فقط.

بسمة!!

حبه الوحيد، عائلته الأعلى، شريكته الأقرب.

كيف يمكن أن ينتهي كل هذا بلحظة؟.

صرخ بكل ما يعتمل داخله من غضب، على أمل أن يستفيق ولا فائدة.

نفير سيارة فاجأه ليكتشف أنه يكاد يصطدم بسيارة في الاتجاه المعاكس، أدار عجلة القيادة بقوة وهو يضغط المكابح، توقفت السيارة بعد احتكاك مخيف بالأسفلت، وعدم وجود حزام الأمان لم يمنع جسمه من الاندفاع للأمام مرتطمًا بزجاج السيارة الأمامي.

استقر مكانه ثانية، وقد سكن كل شيء حوله، أنفاسه تكاد تنقطع، التفت على

ضربات على زجاج الباب الجانبي له، نظر يرى رجلين يطلبان منه فتح باب السيارة المغلق من الداخل، وأحدهما يشير إلى رأسه.

نظر في المرآه، يرى سيل الدم الذي يغادر رأسه ولم يشعر به على الإطلاق بسبب سخونة جسمه.

لم يبالي بهؤلاء الرجال، أعاد تشغيل السيارة ولم يمتنع محركها، أجبر الناس الذين التفوا حوله بالابتعاد وهو يحرك السيارة عائداً للطريق، تلاحقه نظراتهم المندهشة وبعضهم يضرب كفاً بكف.

"لو سمحتوا يا جماعة عندي عقدين تانيين أنتو كده مأخرني"

قالها المأدون بنزق، اقترب عبد الحكم من سامر:

- يا ابني الغايب حفته معاه، نتمنى بس يكون بخير، مانقدرش نأخر الراجل أكثر من كده.

نظر له سامر بصمت، قبل أن يومئ برأسه:

- ماشي، خلاص يالا.

- جهز كل حاجه أنا هنادي العروسة.

بدأ الرجل في إتمام الأوراق الرسمية، مع الحرص على تفادي ما طلبه منه عبد الحكم.

أفسح الرجال الطريق من أمام المنزل مع حضور العروس تلاحقها زغاريد جيرانها.

نظر سامر لها مبتسماً، وتناسى حزنه بعدم وجود أخيه، فلا ذنب لها في كل هذا.

وجهها غطته الحمرة بسخاء، فبدت أجمل من ذي قبل، نظرت له سريعاً بطرف عينيها.

أشار لها المأدون ضاحكاً:

- ها يا عروسة بصي كويس، ده العريس اللي قالوك عليه ولا لأ.

ضحك الجميع وهي معهم قبل أن تومئ بخجل.

- يعني تمام نبدأ؟!!

أخفت وجهها خجلاً، فقال أبوها:

- كفاية بقي كسفتلنا البنت.

عاد الجميع للضحك، وشرع المأذون في إجراءات الزواج بعد أن أمسك عبد الحكم بكف سامر ليكررا ما يقوله الرجل، حتى أعلن إتمام الزواج ليردد الجميع خلفه دعاء الزواج.

جلست زينة بجوراه، تكاد تذوب خجلاً على غير المعتاد، بل هي تخشى أن تتصرف بتهور كعادتها، ولم تنس كلمات أبيها "اركزي كده يا بنتي، نتقل هاااا"

ابتسمت وهي تتذكر تلك الكلمات.

أخرج سامر علبة حمراء أنيقة تحتوي على خاتمي الزواج مع قلادة ذهبية وسوار رقيق يتدلى منه قلب صغير.

نظرت زينة لها بدهشة، لم يخبر سامر أحدًا أنه سيحضرها اليوم وظنت أنه سيؤجلها للزفاف.

همس لها:

- يا رب يعجبوك.

تعالت الزغاريد مجددًا وهو يلبسها هداياه الذهبية، وكذلك هي ألبسته الخاتم الفضي.

- ألف مبروك يا حبيبتي.

ارتجف كفها وهي تبتلع ريقها بصعوبة، هل قالها للتو "حبيبتي!!" تمنى في هذه اللحظة أن يضمها إلى صدره، لكن مع هذا الجمع الغفير بالتأكيد لن يفعل.

تمتت لنفسها "ماتعقلي بقي"

أسرع الجميع لمصافحتها ثانية والمباركة، وانشغلوا بعد ذلك بالحلوى والمشروبات التي تم توزيعها عليهم.

وتذكر هو غياب أخيه، عاد ينظر لهاتفه، لم يحاول الاتصال حتى ليعتذر.

لاحظت زينة شروده الحزين:

- مالك؟!!

نظر لها قائلاً:

- لا أبداً، بس معاذ ماظهرش ولا حتى اتصل، بدأت أقلق.
- خير إن شاء الله، يمكن في حاجه عطلته، أكيد هيتصل.
- ابتسم لها وهي تحاول طمأنته.
- مر الوقت وبدأ المدعوون بالانصراف ليسمحوا للعروسين بقضاء بعض الوقت.
- جلست أسماء على ساق سامر تحدثه ويمازحها، عادت زينة للجلوس جواره
- بعد أن ودعت آخر المدعوات، نظرت لها أختها قائلة:
- البنات قالوا أن عمو سامر أمور أوي يا زينة، واحده قالتلي هي أختك جابته منين؟!!

كتم سامر ضحكاته، بينما ترمقها زينة بغیظ:

- جفته منين؟!!! طلعي في البخت.
- زادت ضحكات سامر، أشارت لها زينة:
- روعي يا سومة، شكك مخطوف يا حبيبتي، في عصير لسه روعي اشربي منه، وخدي الجاتوة بتاع الحاجه زينب معاك.
- تحركت أسماء بالفعل مسرعة، نظر سامر لها وقد ضاقت عيناه:
- بقي أنا طلعتك في البخت.
- أحمم، هو مش كل واحدة وبختها.
- آه صحيح، عندك حق.

قالها ضاحكاً، صمت وقد تعلق بصره بها، حتى أنها شعرت بالتوتر والمكان فارغ إلا منهما.

"بحبك.. جداً"

قالها بصوتٍ هادئٍ قلما تسمعه منه، ضمت كفيها اللتين كانتا باردتين كالصقيع برغم تلك الحرارة التي تشعر بها بالفعل، واكتفى سامر بمتابعة ردود أفعالها التي تملؤه سعادة دوماً.

"يا ستير يا رب"

التفتا لصوت عبد الحكم الذي قالها من أمام المنزل، ولم يروه بعد، وقف سامر وكذلك زينة.

ظهر عبد الحكم وهو يمسك بأحدهم، اتسعت عينا سامر بفزع حين رأى معاذ يدلف مترنحًا والدماء تغرق وجهه وثيابه، حتى زينة شهقت بهلع.

أجلسه عبد الحكم عند أقرب كرسي:

- بسرعة يا زينة، هاتي قماشه نضيفة.

جثى سامر وهو يمسك وجه أخيه:

- إيه يا معاذ؟! إيه اللي عمل فيك كده؟!!

انتبه إلى عبرات أخيه التي تملأ عينيه أيضًا:

- إيه اللي حصل اتكلم؟!!

- استني بس يا ابني.

أحضرت زينة ما طلبه أبوها، تأكد من مصدر النزيف وضغط عليه بقطعة القماش بقوة.

- أنا مش عارف محتاج غرز ولا إيه؟! اندهي للصيدلي اللي على أول الشارع يا زينة قوليله واحد متعور وبينزف في دماغه. قوم يا ابني لازم نغسل الجرح ده.

تحرك معه معاذ بضعف، وسانده سامر، غير عابئ بالدماء التي لوثت ثيابه، غسل له رأسه بمساعدة عبد الحكم، حضر الصيدلي بالفعل لفحص الجرح.

- هو ممكن يحتاج غرز أفضل؟!!

- أنا مش هروح مستشفيات.

قالها معاذ بإصرار. شرع الرجل في تنظيف الجرح وتضميده.

- هو ممكن يتعالج كده بس هيسيب علامة.

- مش مهم.

قالها معاذ بلا مبالاة، سامر يراقبه بعدم فهم، إلى أن انتهى الصيدلي مما يفعل وذهب، جلس سامر بجوار أخيه الذي أعطاه عبد الحكم عصيرًا يرتشف منه القليل لكنه رفض.

- إيه اللي حصل، إيه اللي عمل فيك كده؟!!

صمت معاذ فأعاد سامر سؤاله بعصبية، أجابه:

- ولا حاجه، خبطت راسي في إزاز العربية لما وقفت مرة واحدة.  
أنهى كلمته وهو يحاول أن يمنع نفسه من البكاء، أشار عبد الحكم لابنته كي يتركاها وحدهما.

خرجت مع أبيها للخارج لكنها رفضت الذهاب، ووقفت جواره.  
أمسك سامر بكشف أخيه:

- في إيه يا معاذ؟! عامل كده ليه؟! أكن في كارثة حصلت؟!  
لوى شفتيه متحسرًا:

- وأي كارثة؟! عمري كله مبقاش ليه أي قيمة، ببساطة سابنتي ونسيت كل  
حاجه!!

عقد سامر حاجبيه:

- هي مين دي؟!!

خفض بصره وقد بدأ في ذرف الدموع:

- اللي كانت تساوي حياتي، بسمة سابنتي يا سامر، سابنتي.  
زم سامر شفتيه وبدا عليه الغضب:

- أنت عامل في نفسك كل ده علشان بنت سابنتك؟!!  
نظر له معاذ بعدم فهم:

- وهي أي بنت، أنت لحد دلوقتي مش عارف هي كانت بالنسبالي إيه؟!  
هب سامر واقفًا:

- يا ابني كفاية بقى، ارحم نفسك، أنا عمري ما شفت كده، في حد يوقف حياته  
علشان بنت، ليببيه يعني، ما تفوووق بقى، عملت خير والله إنها سابنتك يمكن  
تفهم إن الحياة أكبر من إنك تربطها بإنسان واحد، إنك ما تخلقتش بس علشان  
تقعد تحب لي في بنت، فوووق بقى.

تعالى صراخه أكثر حتى عاد عبد الحكم وزينة للمكان سريعًا.  
وقف معاذ يحدق به بذهول، هز رأسه بيأس:

- ماحدش فاهم حاجه، ولا حاسس بيا، ماحدش.  
التفت يريد المغادرة رغم الدوار الذي يشعر به ، أمسك به سامر بقوة يوقف  
تحركه:

- سبني، عايز مني إيه؟! أنا مش عايز حد.  
جذبه سامر بقوة أكبر حتى أنه اصطدم بالكراسي المتراسة فأسقطها، صاحت  
زينة:

- براحة يا سامر.

لم يهتم بما قالت، واستمر في جذب معاذ الذي حاول التملص، إلى أن دفعه  
بقوة إلى حجرته التي يسكنها منذ دخل هذا المنزل وأغلق الباب عليه صائحًا  
من خلفه:

- خليك هنا بقى لحد ما تفوق من التخاريف بتاعتك دي، هتموت نفسك علشان  
واحدة، أنت راجل أنت!!

ضرب معاذ الباب من الداخل:

- أنت بتعمل إيه؟! خرجني من هنا!!

- لااا.

صاح سامر يرد بعنف أكبر.

ضربت زينة خديها بعجز، وضع عبد الحكم كفه على كتف سامر:

- اهدى يا بني مش كده أخوك تعبان.

تلاحقت أنفاس سامر وكأنه تذكر أنه لم يلتقطها للحظات، ولا زال معاذ يضرب  
الباب من الداخل لكن الدماء التي فقدتها لم تسعفه للمزيد، سقط على ركبتيه  
مستسلمًا للسقوط أرضًا، ولا زالت عيناه تبكيان.

هدأ كل شيء للحظات، دنت زينة من سامر:

- كفاية يا سامر، مش دي الطريقة اللي تتعامل بيها معاه.

رفع رأسه ينظر لها، أردفت:

- أنت كنت قاتلي إنه يفكر بقلبه مش بعقله، وهو مش في حالته دلوقتي، المفروض تاخده في حضنك زي ما عملت قبل كده، مش ده أخوك الصغير اللي زي ابنك.

دار ببصره للباب المغلق وقد صمت من خلفه، لقد فقد أعصابه هو الآخر لا يحب أن يراه ضعيفاً هكذا، على معاذ أن يتعلم كيف يصبح أقوى، هو لن يبقى معه إلى الأبد، فكيف سيظمن عليه وهو بهذه الحالة المتردية من الهوان والضعف.

فتح الباب برفق، لكن الباب لم يكمل منتصف الطريق وتوقف باصطدامه بجسد معاذ المستلقي أرضاً بثبات، اندفع سامر من تلك الفرجة التي سمحت له بالمرور، أمسك معاذ يرفعه رأسه عن الأرض:

- معاذ، معاذ فوق، رد عليا.

- لا حول ولا قوة إلا بالله، ده محتاج سكر ولا حاجة، هاتي العصير ده نحاول نشربهوله.

استمر سامر في مناداة أخيه بقلق بالغ، حتى تأوه معاذ وفتح عينيه ببطء. ضمه سامر لصدره بقوة:

- معلش يا معاذ، ماتزعلش مني، مش قصدي، معاذ أنا عايزك أقوى من كده، لازم تتعلم تبقى أقوى من كده.

زم معاذ شفتيه وقد عادت العبرات إلى عينيه، حرره سامر وهو يجلسه:  
- حاول تشرب ده علشان خاطري.

ارتشف بالفعل القليل، لكن سامر أصر عليه أن يشرب أكثر. ساعده حتى وضعه بالفراش.

- هو محتاج ينام شوية وهيبقى تمام إن شاء الله.  
قالها عبد الحكم، وبالفعل أغلق معاذ عينيه وعاد لسباته.  
أوماً له سامر شاكرًا:

- أنا آسف أوي على كل اللي حصل، أنا هفضل جنبه للصبح، روحوا ناموا انتو.

- لا أبدأ، ربنا يطمئنك عليه.  
خرج تتبعه زينة التي ألقت نظرة أخرى على زوجها الذي لم تهناً به بعد، يربت على رأسه أخيه وكأنه لا يشعر إلا به، أغلقت الباب خلفها. تحركت مع أبيها للخارج تتمتم:  
- صحيح، قليل البخت يلاقي...  
- بس يا زينة، دي أمثلة فيها اعتراض على قدر الله، العمر كله قدامكم، وهيعوضك إن شاء الله، هو محتاج إننا نقف معاه دلوقتي، إحنا عيلته الوحيدة. شعرت بالخرج من نفسها:  
- عندك حق يا بابا، تصبح على خير.  
رد لها التحية ملوحًا، ذهبت إلى منزل الحاجه زينب حيث ستبقى إلى أن يتم الزفاف.

.....  
استيقظت على طرقات تضرب رأسها، هذا الصداع الذي لم يفارق رأسها منذ علمت بوفاة فاطمة، وكان رأسها تلقى الصدمة كلها عنها. فتحت عينيها ببطء، وصل لأذنها صوت الطرقات لتعي أن أحدهم يطرق باب غرفتها. جلست وهي تفرك وجهها، اعتدل بسام هو الآخر.

- مين بيخبط كده؟!

زعق من مكانه:

- مين؟.

"أنا نانا"

هبت مها من على الفراش فصوت أختها لم يكن طبيعيًا، فتحت الباب سريعًا وهي تدفع خصلات شعرها المتناثر للخلف:

- ايه يا نانا في ايه؟!

هزت رأسها بتوتر:

- أنا مش لاقية بسمه، كانت نائمة جنبني ولما صحيت مالقتهاش، دورت عليها في كل حته مش في البيت خالص.



- اهدى يا بسام، يمكن خرجت الصبح بدري تغير جو وترجع على طول.  
رمقه بسام باستنكار:

- تغير جو، ده وقت تعمل فيه كده وكمان ماتخدش تليفونها، هو أنا ناقص؟!!!  
نظر جاهين لنانا:

- هي قالتك حاجه امبارح، يعني أنها ناوية تخرج أو تروح في حته.  
هزت رأسها نفيًا تردد بلوم:

- أنا مش عارفة ماخستش بيها إزاي لما قامت.

- طيب هي خدت شنطتها معاها، معاها فلوس يعني؟!!

سأل جاهين فأومأت نانا إيجابًا.

- طب ماخدتش تليفونها ليه؟!!

قالها بسام بنفس العصبية. رد جاهين:

- أكيد هترجع بعد شوية، مافيش داعي للقلق.

كلمات قالها لكنه من داخله كان ينتفض قلقًا، لا يعلم لمَ عادت ذكريات اختطافها  
تحوم برأسه.

دلفوا إلى المنزل، يجلس كل منهم في جانب بينما جلست مها بجوار بسام تربت  
على كتفه، تخفف من توتره المفرط هذا، وكأن وفاة فاطمة جعلته أكثر حساسية  
فيما يخص بسمة.

مر المزيد من الوقت ولا فائدة.

- هي ممكن تكون راحت تقابل معاذ مثلاً؟!!

قالها جاهين بشك، لا يستطيع أن يمنع نفسه في التفكير بذلك الشاب، لربما  
شعرت بالندم وذهبت له.

قالت نانا بنفي حاد:

- لأ طبعًا، هي قالتلي خلاص كده، هي فكرت كتير في موضوع معاذ ده، وموت  
أبلة بطة كان النهاية بالنسبة لها، مش ممكن تكون راحتله.

أمسكت مها بذراع بسام:

- مايمكن عملت زيك وراحت تزور أبلة بطة؟!!

كان الاقتراح الأفضل للجميع، أمسك جاهين الهاتف، يتصل بحارس المقابر الذي أجابة سريعًا، سأله إذا حضر أحد للزيارة حتى الآن، أخبره عن زيارة بسام بالأمس فقط، ولم يأت أحد غيره.

- متأكد؟!

- أيوة يا باشا.

- طيب لو أي حد جه، كلمني على طول.

أغلق الهاتف زافرًا:

- مش هناك.

هب بسام واقفًا، وقد فقد ما تبقى له من أعصاب:

- لأ أنا مش هفضل قاعد كده لحد ما أختي كمان تروح مني، أنا هخرج أدور عليها.

- هتدور فين بس؟!

سألت مها بقلق، فأجاب:

- أي حته؟! ممكن تكون لسه قريبة.

لم يستطع أحد أن يمنعه، حتى أنه خرج بملابسه البيتيه، قفز إلى السيارة، وانطلق بها في الحال.

زفر جاهين وهو ينظر لنانا:

- افتكري يا نانا، كانت بتتكلم عن أي مكان عايزة تروحه، أي حد عايزة

تشوفه؟!

- هي نامت متأخر زي، عيبت كثير جدًا لحد ما تعبت، وكلامها كله كان عن

أبلة بطة وأيام زمان، وحياتنا القديمة، لما كنا بنتلم على طبلية ناكل فول

وطعمية بس كنا مبسوطين وبنضحك، ده كان كلامها، كانت بتتمنى ترجع لهنالك

تا...

قطعت كلماتها مفكرة ويبدو أن ما شغل تفكيرها هو ما وصل لجاهين أيضًا،

قال:

- يعني ممكن تكون هناك؟!

- ممكن جدًا، أحنأ مافكرناش في كده من الأول ليه؟!  
أسرع يصعد الدرج قائلاً:

- انا هغير بسرعه وهروح على هناك لو لاقتها هكلمكم.  
جلست مها والقلق بادي على ملامحها بعكس نانا التي هدأت قليلاً:  
- أكيد هتكون هناك، بسمة مش مجنونة علشان تأذي نفسها، أكيد هتكون هناك.

رددتها تطمئن نفسها القلقة.

.....

دلف الغرفة وجده لازال على حاله، اقترب منه أكثر يحاول إيقاظه للاطمئنان.  
- معاذ، اصحى يا معاذ.  
فتح عينيه يحدق بأخيه، أدار جسده يوليه ظهره وكأنه يرغب بمزيد من النوم،  
جلس سامر جواره.

- كفاية نوم، قوم كل حاجه، جسمك لسه تعبان من الدم اللي نزفه.  
لم يمنحه أي رد، زفر سامر قائلاً:

- معاذ اسمعني كويس، أنا في لحظة كنت زيك، يوم ما أحلام قابلتني علشان  
تقولي كل شيء انتهى، حسيت الدنيا خلاص هتقف، لأن أفكار مستقبلي كلها  
كانت معاها، كنت بروح الشغل أعمل اللي عليا وخلص من غير أي دافع  
واضح، لحد ما اتعودت واتأقلمت وساعتها عرفت أخلق لنفسي أهداف جديدة.  
وضع كفه على ذراع معاذ:

- الحياة كبيرة أوي يا معاذ، وممكن تحقق فيها كتير، ماينفعش تفضل معلقها  
بإنسان واحد، أي إنسان في الدنيا ممكن في لحظة مايكونش معنا والحياة  
هتستمر، أنت لازم تكون أقوى من كده، أنا مش عايز أشوفك كده تاني، دور  
على نفسك يا معاذ، نفسك اللي المفروض تعيش ليها وتحقق ذاتك، أكيد هتلاقي  
حاجه تتمسك بيها وتخليك تكمل.

ضم معاذ قبضتيه بقوة، لم تخف على سامر. مد سامر يده يمسك بقبضته تلك:

- القوة دي بطل توجهها لتدمير نفسك، مافيش حد بيتخلق ضعيف، احنا اللي بنختار، إن كان هي قدرت تبعد عنك وتكمل حياتها، أنت كمان تقدر تكمل.  
"كفاية.. كفاية"

رددتها معاذ بصوت مكتوم. صمت سامر بالفعل، لكنه لم يرحل، ظل جواره يمسك بقبضته، كأنه يقول "سأبقى معك".

.....

وصل إلى المبنى لاهثًا، من الجيد أن ذاكرته أسعفته للمجيء إلى هنا، ليس ممن ينسون الطرق بسهولة.

صعد الدرج على عجل إلى أن وصل لنهايته. السكون يحيط المكان، إلا من ضوضاء الشارع وصوت أصحاب المحلات ولعب الصبيان.

دار ببصره في الساحة الخالية إلا من أثاث قليل متهاك، الغرفتان كما هما بابهما مغلق. هل ستكون بالداخل؟! تحرك ببطء إلى الغرفة التي التقاها أمامها سابقًا، لكنه توقف حين انتبه إلى ذلك الكرسي الكبير وذراع تتدلى منه. عقد حاجبيه يقترب بخطوات حذرة.

فغر فاه حين رآها، رأسها ملقى بإهمال انحسر حجابها عنه، غطت خصلات شعرها نصف وجهها، مغلقة العينين، وجهها شاحب وتنفسها لا يشعر به، هيئتها بدت مفزعة.

انهالت الهواجس على رأسه، أمسك ذراعيها يهزها بقوة:  
- بسمة.. بسمة!!

انتفضت من نومها العميق فزعة، تحديق فيه بذهول، ثبت كل شيء للحظة، فحررها متراجعًا، أدار رأسه عنها، تلملم حجابها على رأسها، أما هو فقد أغلق عينيه يتنفس الصعداء، لقد ارتعب ظنًا أنها قد فارقت الحياة، استمر يلتقط أنفاسه. متممًا بصوت مسموع:

- أنتِ نائمة كده ليه؟!!

لم تمنحه أي رد، التفت ينظر لها، أطرقت رأسها لا تنتظر نحوه، نال شهيقًا فزفيرًا قويًا، أمسك هاتفه يتصل ببسام، الذي أجابه سريعًا:

- أيوة يا بسام، لقتها، في البيت القديم، لأ كويسة، روح أنت وأنا هجيبها واجي، العنوان يتوه مش هتعرف تيجي بالوصف، أحنا جايين أهو روح أنت وطمّن البنات هناك.

أنهى الاتصال، قائلاً:

- يالاعلشان نروح.

استمر صمتها وعدم تجاوبها معه، تركها وتحرك في المكان، المجيء إلى هنا أعاد له هو أيضاً الكثير من الذكريات.

- أنا لسه فاكّر كويس أول يوم شفتك فيه هنا، لو أي حد قالي على كل اللي ممكن يحصل بعد كده كنت أكيد قتلته بتخرف.

توقف ينظر لها لكن ملامحها لم تكن واضحة له:

- أنت جيت هنا ليه؟! علشان تفكري حاجة خايفة تنسيها، ولا بتتمني كله يرجع زي ما كان هنا زي ما قلت لنانا.

اقترّب منها، استند على السور الذي تجلس أمامه على كرسيها. لاحظ تلك الدموع التي تغادر عينيها بصمت، أبعد بصره عنها، فهو لا يجيد التعامل في تلك المواقف كثيراً.

- تعرفي لو حصل وماعرفتناش، ماكنتيش هتشوفي بسام أبداً. وبما إن الأعمار لا بتتقدم ولا بتتاخر.

جثى على ركبتيه ينظر لها مباشرة، لكنها لم تنظر نحوه:

- في لحظة زي دي لو عرفت إن ليك توأم، مش كنت هتحسي ربنا بيعوضك، أكيد مافيش حاجة زي الأم، وكمان مافيش أوحش من أنك تبقي لوحدك في الدنيا، فليه بتختاري تبقي لوحدك يا بنت عمي!.

نظرت له مع كلمته الأخيرة، فحاول الابتسام قائلاً:

- نقطة ومن أول السطر، أنا جاهين يحيى الشربيني، ابن عمك، وعلى فكرة ليك

أخ توأم زي القمر، أكيد هتحبيه، وهو متجوز جديد على فكرة، بنت طيبة

وجدعة اسمها مها، ليها أخت شعنونة شوية بس جدعة برضو اسمها نانا. تسربت ابتسامة حزينة على شفتيها.

- هي دي عيلتك يا بسمة، أنتِ مش لوحدك، يالا بينا بقى علشان تقابلهم،  
علشان مرات عمي تبقى مطمئة إنها مش سيياك لوحدك.  
وقف يتجه إلى بداية الدرج، التفت لها قائلاً:  
- يالا يا بنت عمي.

تهدت وهي تسمعه يقولها ثانية، لم تفهم لم يصر على تكرارها، أريد أن  
يخبرها إن خسرت كخاطب فسيبقى ابن عم. مسحت وجهها بكفيها. لن تنكر أن  
كلماته لمست نفسها الحزينة، هي عادت وتمنت لو أن كل شيء عاد كما كان،  
لو أن أمها هنا على أريكتها المفضلة تضحك على ضحكاتهن أو تصرخ فيهن  
حين يتكاسلن عن التنظيف، لكنها لم تجد شيئاً غير غبار كثيف، ورائحة  
الأتربة، ومزيد من الذكريات الموجودة في عقلها بالفعل.

نهضت عن مكانها ببطء، لم يبق لها سواهم بالفعل، بسام وتلك العائلة التي  
حلمت بيها دوماً ونالتها مؤخراً وسط العديد من المشاكل والمنغصات، وها قد  
ذهبت أمها ونالت راحتها الأبدية، فهل ستجد هي أيضاً أي راحة في تلك الحياة  
بعدها.

نظرت له، يبتسم لها بود، التفت يهبط الدرج يحثها على تتبعه، وهذا ما حدث  
إلى أن استقرت جواره بالسيارة، لم يتبادلا المزيد من الكلمات، إلى أن وصلا  
للمنزل، دخل بالسيارة إلى الحديقة، بسام ومها ونانا يجلسون فيها بانتظارهم،  
وقفوا فور رؤيتهم للسيارة.

- خلينا نقلب الصفحة ونقطة ومن أول السطر زي ما قلت، ده بيتك يا بسمة،  
ودي عيلتك اللي عايزاك وبتحبك.

قالها جاهين لتغادر السيارة وأول من أسرع لها كان بسام:

- كده يا بسمة، ما تختفيش كده تاني أبداً فاهمة.

اقتربت منه تلقي برأسها على صدره وهي تضمه إليها:

- آسفة.

ربت على ظهرها برفق، وقد هدأ قلبه أخيراً برويتها بخير.

- خلاص مالناش غير بعض يا بسمة، ماتبعديش عني تاني.

- حاضر.

قالتها وهي لا زالت بين ذراعيه، والآخرون يراقبون المشهد بحزن واطمئنان في الوقت ذاته.

سارة سيف الدين

## الخاتمة

بعد مرور عام وبضعة أشهر.

أشرقت الشمس مع زقزقة العصافير التي اتخذت من الأشجار عشًا لها في موسم الربيع، ولكن لم تكن هي وحدها المنبه الطبيعي الجديد للعائلة، بل أضيف له صوت البكاء الذي يبدأ في ساعة مبكرة من اليوم. وضع الوسادة على رأسه لتخفيف الصوت الذي لا يعرف من أين يأتي بتلك القدرة المذهلة في اختراق الحوائط والأبواب، وكالعادة لا فائدة.

اعتدل في فراشه زافرًا:

- الرحمة يا ناالس.

فرك رأسه مغادرًا الفراش لا سبيل للنوم ثانية. نال حمامه الصباحي، وارتدى ثيابه استعدادًا للذهاب للشركة، نزل إلى الأسفل مناديًا:

- نونا هاتلي قهوتي في الجنية.

خرج إلى الحديقة ومع صوت بكاء الرضيعة تصور أنه سيجد الجميع، لكنه لم يرَ غير بسمة التي تهددها لإسكاتها، اقترب منهما، رفرفت ذراعيها بسعادة وقد تركت البكاء في الحال مرددة بصوتها الطفولي وما يمكنها من نطق "جا..جا"

ضحك على الفور، استدارت بسمة تبتسم هي الأخرى:

- لما هو جاجا اللي هيسكتك، ما كانوا سابوك مع جاجا وريحوني.

التقط أذرعها المرفوعة له يلقي بها في الهواء كعادته معها بينما تضحك هي بسرور بالغ، أعاد الأمر مرة بعد مرة وضحكاتهما تكاد تنقطع حتى قالت بسمة مشفقة عليها:

- كفاية هتفطس من الضحك.

توقف بالفعل يجلس على المقعد المقابل:

- هي بتحب كده، صح يا طمطم.

ضحكت كأنها تؤيده:

- أمال أمها وأبوها فين؟!!

- مها بدأت امتحانات، وبسام وصلها وهيستناها تخلص ويرجعوا سوا.  
أوما لها واستمر في مداعبة الرضيعة حتى أحضرت الخادمة قهوته.  
لوت بسمة شفتيها:

- أنت مش هترجع تفطر زي الناس قهوة وبس على الصبح.  
رفع بصره يحدق بها بصمت، حتى أشاحت ببصرها بعيدًا مغيرة الحديث:  
- نانا راحت الشركة، علشان أقعد أنا مع فاطمة، لما يرجعوا هحصلها أنا  
وبسام.

- تمام.

قالها وهو يرتشف من قهوته وفاطمة الصغيرة تراقبه كعادتها.  
راقبتهم بسمة مبتسمة، لا زال ذلك الرابط بينه وبين فاطمة الصغيرة يثير  
دهشتها، ربما هذا الرابط الذي خلق بينهما حين مولدها، فلقد ولدت ضعيفة جدًا  
وكذلك أمها خرجت من الولادة بحالة سيئة، وبسام كان حائرًا بين الاطمئنان  
على تلك التي تصارع الموت في حاضنة الأطفال، وزوجته التي لا تخشى على  
نفسها أكثر من خشيتها على المولودة. فكان جاهين هو من تولى الاهتمام بتلك  
الرضيعة معها، قضى الكثير من الوقت بعد العمل جوارها فقط، بل كان يصر  
على أن يطعمها بدلًا من الممرضات إذا ما غابت بسمة لأي سبب، وبقت في  
الحاضنة شهرًا كاملًا، حتى استقبلها حال خروجها عائداً بها للمنزل، فتكونت  
بينها تلك العلاقة الخاصة وكان الرضيعة تتذكره.

انتهى من قهوته سريعًا. وقف يعطي الرضيعة لبسمة:

- أنا هسبق، سلاام يا طمطم، أشوفك بليل.

اتجه بخطواته الهادئة لسيارته، تلاحقه نظرات بسمة لكنها استدارت سريعًا  
حين شعرت أنه سينتبه لها مع ركوبه السيارة، حتى انطلق بها.  
زفرت وهي تداعب الصغيرة:

- جاجا بيحبك أكثر من أي حد في البيت ده.

ابتسمت بحزن واضح، وعقلها يعود ويسبح في ذكريات مضت لا تتفك تذكرها  
دومًا، وتشعر أنها هي فقط التي تستعيدها، فجاهين منذ وفاة أمها وهو يبدو  
طبيعيًا وكأن ما مضى لم يعد له وجود، ينفذ ما قاله لها حين أعادها للمنزل.  
"خلينا نقلب الصفحة ونقطة بقى ومن أول السطر، ده بيتك يا بسمة، ودي  
عيلتك اللي عايزاكِ وبتحبك"

وبقي جاهين يتصرف كابن عمها فقط، لم تشعر في أي لحظة بشيء مختلف.  
تهدت وهي تغادر مكانها:

- يالا يا طمطم علشان تاكلي، أحسن تفتحي السرينة تاني، وجاجا مشي مين  
هيسكتك.

عادت للمنزل الذي شهد في الآونة الأخيرة أفضل لحظات هدوئه واستقراره، لا  
مشاكل لا عراق لا منغصات، الأمور استقرت يومًا تلو الآخر، دخلت بسمة  
للشركة وكذلك نانا، نجحتا في التعلم بشكل كبير وأثبتتا نفسيهما فيما وكل  
إليهما، أما مها فاخترت أن تكمل تعليمها كي لا تبقى الطرف الأضعف في تلك  
العائلة، وبسام شجعها على هذا كثيرًا، واختارت دراسة الآداب لحبها في اللغة  
العربية.

وعاشت عائلة الشربيني بالفعل كعائلة واحدة، لا يعكرها غير خلافات بسيطة  
تحدث في أي أسرة، وسرعان ما تعود الأمور لنصابها.

بعد يوم عمل مثمر، جلست بسمة ونانا ومعهما محمد لمراجعة بعض  
الحسابات، وعليها الآن أن تفعل ما تفعله دومًا وهو مقاومة رغبتها بالنظر  
إليه، لتتلقى تجاهله كالعادة، فتزداد حسرة قلبها التي ظلت تصاحبها طوال  
الفترة الماضية، لقد تبدلت كثيرًا وظنت أن هذا سيعيده، لكن محمد لم يعد أبدًا،  
يعاملها كزميلة عمل، وعليها تحمل المزيد والمزيد ناهيك عن الغيرة التي  
تتلبسها حين تلاحظ تقرب أي فتاة منه، لكنه دومًا لا يستجيب مما يزيد حيرتها،  
ما الذي يمنعه من الارتباط حتى الآن، فليفعل لتتوقف عن التأمل للأبد، أليس  
وقوع البلاء أفضل من انتظاره؟.

- على فكرة في عريس موسطني أكلمك؟!  
قالها رفعت بصرها له، لكنه كان ينظر لبسمة التي رفعت أحد حاجبيها:  
- والله، وده مين بسلامته؟!!

- المهندس عمرو.

ابتسمت بسخرية لتقول نانا:

- ده وصولي وانتهازي وبتاع مصلحته وكل الناس هنا عارفه كده.  
نظر لها لحظات ليقول:

- اممممم، وأنت أحسن من يعرف يميز الوصوليين والانتهازيين، صح؟!  
كلماته تبدو للغريب مديح للقدرة على الحكم على الآخرين لكنها كانت سيّاطاً  
آلمت روحها قبل قلبها، هي تعرف جيداً مقصده من تلك الكلمات، تلبسها  
الصمت وقد احمر وجهها بالفعل، نهضت هاربة من أمامه، أطرق رأسه، شعر  
أنه بالغ في كلماته، زفرت بسمة بضيق:

- في إيه يا محمد، أنت هتفضل تعاقبها لحد أمتي؟! مش ممكن يعني حد غلط  
غلطة وتاب عنها بفضل فكره ونذله بيها طول عمره.

- أنا ماكنش قصدي.

- محمد، أنت عايز إيه من نانا بالظبط، ساعات تعاملها كويس وترجع تعاملها  
وحش، وأنت عارف كويس إنها لسه عندها أمل فيك، واللي بيحصل ده مش  
عاجبني، فكر كويس أنت عايز إيه من نانا، علشان هي كمان تقطع الأمل  
خالص وتشوف حياتها، وعلى فكرة اتقدملها عرسان فعلاً وهي رفضت،  
فمتفكرش أنها هتفضل مستنيك.

كلماتها كانت عصبية وغازبية كثيراً، زفر بحنق، نهض هو الآخر، أوقفته  
قائلة:

- قول للبشمهندس عمرو يشوف مصلحته مع حد غيري.

التفت مغادراً، هزت رأسها بضيق، بدت عصبية أكثر من اللازم، للحظة ظنت  
أنها تهاجم شخصاً آخر، شخص لم تتصور أن تنمو تلك المشاعر داخلها نحوه  
من جديد، بقاؤها معه في العمل، رؤيتها له يومياً، معرفته بشكل آخر وسط

العمل وإتقانه لهذا، حقاً رأيت جاهين بشكلٍ مختلف، فتسربت الآمال لها من جديد، وهي تستعيد ذكريات ما مضى، برغم كل ما فيه من عقبات وخلافات، لكنه عبر عن حبه لها يوماً، وتآلم لخسارتها وهي تعلم هذا جيداً، فأصبحت تأمل أن يجد قلبها حباً يأوي إليه عنده هو، أمنية ستبقى داخلها وربما تزول بمرور الوقت كما زال الكثير من داخلها، ألم تستطع أن تنسى معاذ بالفعل؟، ألم تنطفئ شذوة الحب بينهما حتى وهو أمامها؟، فهل عليها الآن الانتظار ليحدث المثل مع تلك المشاعر التي نمت داخلها تجاه جاهين؟.

ضربت رأسها بكفها:

- فوقي بقي أنتِ كمان، حكايتك دي خلصت من زمان عايزة تفتحها تاني ليه؟!!

تحرك بعصبية ومن داخله هو غاضب من نفسه، لم يصر على معاقبتها طوال الوقت، لم يريد لها أن تتآلم كما تآلم هو من قبل؟! يعلم أنها تغيرت، يرى هذا جلياً في كل تصرفاتها منذ لحقت بالعمل، وهو الذي خشي أن تعود لسابق عهدا فتلقي شباكها على من هم أفضل وأغنى، لكنها على العكس تضع الحدود بينها وبين الجميع، نانا عادت نادرة كما كانت في الماضي.

انتبه لتلك التي تجلس في ركنٍ قصي في المكان الوحيد المفتوح بهذا الدور، جسدها ينتفض بوضوح، تبكي!!

ضم قبضته بقوة، أعليه أن يعتذر الآن؟!!

تقدم بحذر إلى أن أصبح خلفها.

- أنا آسف، ماكنش قصدي.

قالها بصدق، هو حقاً نادم، لم تلتفت له أو تبدي أي رد فعل، لم يجد المزيد

ليقله، أراد التحرك فقالت:

- أنت عايز إيه؟!!

كلماتها اختلطت ببكائها، التفتت تقف وتنظر نحوه:

- أعمل إيه يعني علشان تعرف إني اتعذبت كثير طول الفترة اللي فاتت، أنا  
بحاول أنسى الأيام دي، ليه مصر تبين إني وحشة أوي كده، خلاص فهمت،  
أنت بقيت بتكرهني، ليه عايزني أكره نفسي.

أشاح ببصره عنها، قائلاً:

- أنا مابكرهكيش، ولا عايزك تكرهي نفسك، وبقولك أنا آسف أهو ومكانش  
قصدي.

رمقته لحظات لتقول:

- أنا اسمي إيه؟!!

عقد حاجبيه مندهشاً من السؤال، هز كتفيه قائلاً:

- يعني إيه اسمك إيه... نانا.

زمت شفيتها، تهز رأسها بيأس، تحركت مسرعة وحين أراد إيقافها أشارت له:

- خلاص، فهمت.

قلب كفه بعدم فهم متمماً:

- فهمت إيه?!!

ظل مكانه لا يعي ما الذي حدث للتو.

.....

استلقى على فراشه، أمسك جهازه اللوحي يجري تلك المحادثة اليومية مع أمه،

فتح تطبيق الاتصال المرئي، حتى ظهر وجه أمه له، اتسعت بسمته في الحال:

- ماما، عاملة إيه?!!

- الحمد لله يا حبيبي أنت عامل إيه?!! يالا قولي بسرعة إيه رأيك?!!

زفر وهو يدير عينيه يمينا ويساراً:

- رأيي في إيه يا ست الكل?!!

- جاالاهين، مش ممكن كده، بسام أصغر منك بتمن سنين وبنته هتكمل سنة

قريب، هتتجوز أمتي بس?!!

- وهو يعني أنا هتجوز بالطريقة دي?!!

- يا سلام، ما أنا لما نزلت أجازة خلتيك تقابل بنتين زي القمر وبرضو طنشت،  
أعمل إيه تاني؟!!

- يا ماما ماليش مزاج أتجوز، أول ما يجيلي مزاج والله هقولك على طول.  
بدا الضيق على وجهها:

- أنت لسه بتفكر فيها?!!

- هي مين دي?!!

- اللي عقدتك من بنات حوا.

تنهد بصمت، ابتسم دون تعليق، هزت ميادة رأسها بنزق:

- بص بقى يا جاهين، ماهو قعدتك دي مش عجباني، وهي مصيرها تتجوز  
وتروح بيتها.

عقد حاجبيه حين قالتها، ولكن أليس هذا حقيقياً؟! حتماً ستتزوج يوماً، لن تبقى  
بقية حياتها هكذا.

- جاهين أنت سامعني?!!

- ها.

- يا ابني، لو في نفسك حاجة ناحيتها لسه ما تقطع عرق وتسيح دمه  
وخلصني، يا تعرف في أمل ليكم مع بعض وتتجوزها وتريحني، يا تتأكد أنه  
مستحيل يكون في حاجة بينكم وتعيش حياتك، أنت اللي قافل الباب على نفسك  
لأنك مش محدد قرارك النهائي أكنك لسه بتفكر، علشان خاطري يا جاهين، أنا  
عايزة أظمن عليك بقى.

مط شفتيه يحرك رأسه:

- حاضر يا ماما، ولو إني كويس يعني بس حاضر هريحك، اديني بس شوية  
وقت.

- ربنا يهديك يا ابني ويظمني عليك، أسيبك تنام بقى.

- بوسيلي نوح كتبير ولوجي كمان لأحسن تزعل.

- اتجوز أنت بس وهنطلك كلنا.

ضحكت لترسل له قبلاتها، قبل أن ينقطع الاتصال، وضع الجهاز جواره، يحدق في سقف غرفته، للأسف أمه على حق، هو لم يتخذ قراره بعد، تصور أن قراره بأن يكون لها ابن عم و فقط كافي، لكن ما يحدث غير ذلك، لا زال يذكر مشاعره لها جيداً، ألا يكفي ما أصابه اليوم حين أخبره محمد أن عمرو طلبها، وكيف استشاط غضباً من هذا لولا أن محمد أخبره أنها رفضت في الحال، ربما لأن عمرو ليس ما تتمنى، فكيف إذا جاء من تتمنى، أستقبل!! زفر بحنق واعتدل قاعدًا، لا زال قلبه رغم ذلك يتذكر ألم تركها له، وهو ليس لديه أي استعداد لتكرار تلك التجربة المريرة، فليبق كل شيء كما هو. دفن وجهه بين كفيه يفركهما بحنق:  
- أنت عايز إيه يا جاهين، عايز إيه!؟

.....

انتفض من الفراش مع صراخها الذي أفزعته.

- أأأه، أنا باين هولد!!

زفر بحنق وهو ينظر لها:

- يا زينة ارحميني، أنت في الخامس هتولدي إزاي دلوقتي!؟

هزت رأسها وكأنها تستفيق من حلم:

- أومال أنا كنت بحلم ولا إيه!؟

ألقي بجسده ثانية على الفراش:

- عندي شغل الصبح، حرام عليك تالت مرة تصحيني!!

- يا سلام، وأنا أعمل إيه يعني، مش بكون حاسه بنفسي، لازم تقدر إني حامل لأول مرة.

- وهما كلهم بيعملوا كده!؟

- ما عرفش بقي كل واحدة وظروفها.

زفر باستسلام:

- طيب يا زينة، نامي يا حبيبتي، تصبحي على خير.

تمتمت بنزق وهي تمسح على بطنها المنتفخ:

- شايف أبوك بيعمل فيا إيه؟!!

مط شفتيه ولف رأسه ناحيتها:

- زينة.

نظرت له بضيق. فابتسم قائلاً:

- بحبك.

حدقت فيه لحظات قبل أن تقاوم ابتسامة تريد التسرب إلى شفتيها:

- أيوة يا أخويا، الكلمة اللي بتحب تضحك بيها عليا.

استدار ليدفن وجهه بالوسادة:

- وبتتجج كل مرة يا زينة تصبني على خير.

لم تعارض فهو على الحق، فكلمة الحب منه حلم تمنته طويلاً وحين تحقق

أصبحت الكلمة الأعلى على قلبها، استمرت تمسد بطنها قائلة:

- أنت لسه عايز تسميه معاذ.

همهم إيجاباً دون تعليق.

- ماشي موافقة.

اعتدل فجأة قائلاً:

- بجد يا زينة، أنا افكرتك هتفضلي ترفضني، وتخليني بقى أسميه من وراك

ويمشي باسمين في البيت وما نخلصش.

لوح بكفها:

- بس المرة الجاية أنا اللي هسمي ماليش دعوة.

مال يقبلها بين عينيها:

- زي ما تحبي.

وضع رأسه على بطنها:

- سمعت، هيبقى اسمك معاذ، ويارب أشوفك زيه.

- لأااااا.

انتفض مع صراخها:

- يبقى زي أبوه معلش، معاذ ده حكايته حكاية.

ضحك على رد فعلها، رفع رأسها ليضعها على ذراعها واستلقى جوارها:  
- طيب يطلع جدع زي أمه، ما عنديش مانع.

تبادلًا النظر بصمت وإن علت وجهها ابتسامًا، قبل أن يزفر:

- يا زينة عندي شغل الصبح بقي، تصبحي على خير.

أغلق عينيه لتضحك هي، استمرت في تأمل ملامحه كما تفعل كل ليلة، تريد لطفلها أن يكون نسخة مصغرة منه، يشبهه في كل شيء، وتعلم أنه سيكون هكذا.

راقبه بسام كثيرًا فاليوم بدا شاردًا أكثر من اللازم، بل وحتى نظراته التي يسترقها من حين لآخر ناحية بسمة.

اقترب بسام منه يسحب كرسيًا ويجلس جواره:

- مالك النهاردة يا جاجا؟!

ابتسم جاهين فبسام أصبح يلعبه بلقب ابنته الصغيرة.  
هز رأسه:

- لا أبدًا مفيش.

- أشك.

نظر له جاهين قائلًا:

- أنت عرفت إن عمرو اتقدم لبسمة.

- آه، بسمة قالتلي، هي مابتخبيش عليا حاجه، بس رفضته، وأنا بفكر أنقله من هنا يروح مكتب أحسن من مكاتبنا، في كتير اشتكوا من أسلوبه.

- لا بلاش، هيفتكر نقلناه علشان اتقدملها، بدل شغله كويس سيبه، وأنا هكلمه في موضوع أسلوبه ده.

- ماشي، اللي تشوفه.

- تفتكر رفضته علشان موضوع أسلوبه ده؟!

- أكيد، لولا شغله النضيف كان مشي من زمان.

- يعني لو كان أسلوبه كويس كانت هتوافق؟!

رمقه بسام لحظات، قبل أن يعتدل ناظرًا لوجهه:

- في ايه يا جاهين؟! إيه الأسئلة دي؟!!

زفر جاهين يبادلله النظرات:

- تفتكر يا بسام، لو جربنا تاني أنا وهي ممكن نجح.

صمت بسام محاولاً الفهم، وما إن استوعب معنى الكلمات حتى أطلق صيحة قوية:

- أنت بتتكلم جد.

أمسك جاهين بذراعه:

- بس يا عم هتفضحنا، وطي صوتك.

- ما احنا لوحدنا احنا معانا حد.

- برضو

- ماشي، خلاص سكت، لأ سكت إيه، أنت بتتكلم جد؟!!

لوى جاهين شفتيه:

- أومال بهزر، أنا بس مش عارف، أنت أكيد فاهم إن العيلة مش حمل خبطة

زي دي تاني، والدنيا دلوقتي هادية ومستقرة، مش عايز آخذ خطوة تقلبها

تاني على دماغنا.

- يا أخي استبشر خير، المرة دي هتكمل على خير.

- اشمعنا!!

- بص يا جاهين، المرة اللي فاتت كان حواليتها مشاكل كتير ده غير إننا احنا

اللي زينا عليها لحد ما وافقت، المرة دي مختلفة، بسمة عرفتك كويس وأنت

كمان، واحنا متأكدين أنها لا بتحب حد ولا مشغولة بحد، يعني تمام، تسألها

وتسيبها تفكر كويس، وما فيش حد فينا هيتكلم ولا هيفتح بؤه ولا حتى أنت

تاني، لحد ماهي تاخذ القرار، وأنا متأكد إنها هتوافق.

ضرب جاهين كفا بكف:

- أيوة يعني متأكد بمناسبة إيه؟!!

هز كتفيه بلامبالاة:

- مش عارف، أختي بقى وأقدر أحس بيها، كلامها عنك بقى مختلف، ومتأكد إن نظرتها ليك كمان بقت مختلفة، ثم أنت مستقل بنفسك ليه، ده أي بنت تتمناك.

- يا ربي، ماما اللي قاعدة قدامي، يا أخويا ماهو نفس البني آدم ده خد صابونة قبل كده.

ضحك بسام على كلماته:

- قلتك كانت ظروف مختلفة، وعدى عليها وقت خلاص، خلينا في النهاردة، المهم إنك لسه بتفكر أنا فعلاً مبسوط أوي، حلمي مش مستحيل وممكن يتحقق، أنا مش مصدق نفسي.

استمرت ضحكاته، ابتسم جاهين، ينظر له بصمت، ليس لديه ذات الثقة، بل هو في الحقيقة خائف!!

خائف من أن تفقد تلك العائلة الهدوء الذي عاشته على مدار عام وأكثر، يعلم أن هذه المرة ربما تكون القاضية، أم عليه أن يتصرف مع الأمر كعرض وطلب، قبول ورفض وينتهي عند هذا الحد. ربت بسام على كتفه، وكأنه يشجعه. أنا متفائل.

قالها بسام بسرور واضح، مال عليه قائلاً:

- أقولك، وسّط طمطم، بسمة مش بترفضها طلب.

أقلت ضحكة قصيرة من شفثيه، فليكن لقد فكر في الأمر كثيرًا عليه بالفعل أن يضع حدًا لكل هذا، على الأقل لن يندم بعد ذلك.

.....  
انتهت امتحاناتها أخيرًا وانتهت معها حالة الطوارئ عن المنزل والتي كان أساسها رعاية فاطمة الصغيرة من قبل الكل لتتمكن أمها من الاستذكار. ضمت طفلتها إليها بشوق حقيقي:

- والله وحشتيني أوي.

رمقها بسام بغيظ:

- وأنا، ما وحشتكيش، ده أنتِ رببتلنا الرعب لحد ما خلصتِ.  
ضحكت وهي تهدهد طفلتها:

- وحشتني طبعًا.

مال ناحيتها غامزًا:

- وإيه الدليل؟!!

وكزته لتبعده:

- بس يا بسام إحنا في الجنينة.

- بسيطة.

أخذ فاطمة وتحرك مسرعًا:

- بسمة خليها معاك أحسن باين مها مصدعة من طول الامتحانات.

حملت بسمة الطفلة تردد:

- نعم يا أخويا، الصبر يا رب، حد يلاقي دلع ولا يدلعش؟!!

أجابتها نانا بسخرية:

- ده حتى يبقى افتري.

ضحكتا معًا. ولم يهتم بسام بهما، عاد لهما قائلاً:

- يالا بقى تعالي علشان الدوا بتاع الصداع فوق.

- يالهوري يا بسام إيه اللي بتعمله ده؟!!

- ياستي ما حدش واخذ باله من حاجه، حد دريان مين عدى من جنبه امبارح.

تبعته وهو يجذبها وهي تحاول أن تبدو طبيعية قدر استطاعتها، نظرت لبسمة

ونانا وجدتهما بالفعل لا تعيرها أي انتباه، بل كانتا تتحدثان لبعضهما.

- بقولك يا نانا، ماتعمليلنا الرز بلبن بتاعك بالمناسبة السعيدة دي، وحشنا والله

وأهو نتعشى بيه.

- أه والله فكرة، هروح أجهزه.

ذهبت نانا وبقيت بسمة والصغيرة معًا، مرت لحظات أخرى وظهرت سيارة

جاهين تستقبله فاطمة كعادتها، لكنه نظر لها مبتسمًا في هدوء ثم لوح لها

واختفى في المنزل. توجهت الصغيرة للحظة، قبل أن تعاود اللعب بدميتها

الصغيرة. ولم يكن حال بسمه مختلفاً، تلاحظ تغيره منذ عدة أيام، يتجنبها طوال الوقت ولا تعرف السبب، ما الجديد الذي حدث ليتعامل معها هكذا؟! نظرت للصغيرة قائلة:

- هو جاجا ماله يا طمطم؟!!

ولم تمنحها الصغيرة أي رد فقط ابتسمت ظناً منها أن بسمه تلاعبها وعادت لدميتها.

أعليها أن تسأله إن أخطأت في شيء دون انتباه منها.

هزت رأسها رفضاً لهذا؟! لم عليها أن تفعل؟!!

"أحم"

قالها من خلفها فالتفتت له، تحرك يجلس أمامها، ضحكت الصغيرة في الحال. "جاجا"

رفعت ذراعيها له، فمد يديه يحملها، أجلسها على ركبتيه لتكون في مواجهته هو ويرى وجهها، وتجنب النظر لبسمه تماماً. انتبهت بسمه لتلك اللعبة الصغيرة التي يحملها معه، خطر لعقلها لعلها هدية منه لها لانتهاء الامتحانات.

ساد الصمت لحظات قبل أن يقول:

- طمطم، أنا عايزة أقولك حاجة ووصلها لعمتك.

عقدت بسمه حاجبيها وهي ترمقه بحذر، أما هو فاستمر وكأنه بالفعل يتحدث لصغيرة تفهمه وتعي ما يقول.

- أنا مش عايز أندم على حاجه، وفي نفس الوقت مش عايز أخسر كل حاجه، قوليلها الكلام ده بيني وبينها وأنت الوسيط.

زفر للحظة وقد بدأ التوتر يتسرب له. وبسمه تلتزم الصمت تستمع له فقط، وإن ضمت قبضتها بتوتر.

- الفترة اللي فاتت كانت بداية لينا كلنا، وأنت يا طمطم كنت أحلى هدية جاتلنا، لدرجة إني نفسي أبقى أب لبنت حلوة زيك، بس مش شايف أم ليها غيرها...  
عمتك.

اتسعت عينا بسمة وهي تضع كفها على فمها، تكتم أي شهقات تريد الفرار منه.

- بس مش عارف ده ممكن ولا مستحيل.

ارتسم حزن على وجهه رأته بسهولة:

- أنا بحب العيلة دي أوي يا طمطم، ومش عايز حاجه تعكرها، مش عايز آخذ خطوة ممكن تقلب الدنيا علينا تاني، فإيه رأيك تسألها، لو ممكن نخوض التجربة تاني مع بعض، بس المرة دي الموافقة يعني جواز على طول، يعني تكمل على الخطوة والمرة، يعني ماتسبنيش تاني، يا أما ترفض، وأشوف حياتي وتشوف هي حياتها.

أدارت بسمة وجهها بعيدًا تخفي تلك العبرات التي لا تعلم لم تقفز إلى عينيها. أمسك تلك العلبة الحمراء، حاول وضعها بين كفي الصغيرة حتى تمسكت بها تنظر لها وكأنها تكتشفها:

- الهدية دي بتاعتها، جبتهاها من زمان، سواء وافقت أو رفضت أنا عايزها تاخذها، حتى لو هترفض ومش هتحتفظ بيها، بس أنا لازم أسلمهاها وهي تعمل فيها إالي هي عايزاه، علشان تبقى آخر حاجه كنت متمسك بيها بيني وبينها، وأعرف إن خلاص مبقاش ينفع. وقف ولازالت بسمة تدير وجهها عنه، وضع الصغيرة على ساقها وذهب، دلف إلى المنزل دون أن يلتفت.

لكنه في الحقيقة أسرع الخطى يختفي خلف النافذة ينظر نحوها، فضوله يدفعه لرؤية رد فعلها.

رفعت بسمة كفها تمسح عينيها، تزيح عنهما الدموع. أمسكت بالعلبة التي كانت الصغيرة تعضعضها بين ثناياها السفلى والوحيدة التي تملكها بما يناسب عمرها.

ارتجفت أصابعها وهي تفتحها، فغرت فاما تنظر لتلك القارورة الزجاجية الصغيرة، التي تحوي داخلها وردة حمراء ورقية صممت بعناية، يتدلى منها قلب صغير كتب عليه بالانجليزية "صنع بالحب"

ارتجفت شفتها، تحدق فيها بغير تصديق، هي تشبه هدية بسام لمها، ولكن من المستحيل أن يكون اشتراها لها في نفس الوقت، متى اشتراها، قال منذ زمن، فمذ متى إذا؟!

أخرجت القارورة بحرص، لتقبض عليها بأصابعها، تتسلل الابتسامة إلى وجهها ابتسامة تحولت إلى ضحكات متتالية وهي تضم الرضیعة إليها بقوة، وضحكاتها تزداد.

ضحكات لم يفهم سببها هذا الواقف خلف النافذة، عقد حاجبيه مع نوبة الضحك تلك:

- هي بتضحك كده ليه؟ هو أنا قلت نكته؟! يا جدعان ماتشوفولنا كتالوج للكائنات دي.

ابتسم هو الآخر مع استمرارها بالضحك، فعلى الأقل هذا يدل على سعادتها وليس شيء آخر.

دار على عقبه يصعد إلى غرفته، وقد ارتاح كثيراً لما فعل، لن يندم بعد ذلك على شيء، أيًا كان الرد يعلم كيف سيتصرف حيال الأمر. تقلب في فراشه كثيراً، نهض عنه زافراً نظر للساعة التي تجاوزت منتصف الليل بقليل:

- لأبقى، هو أنا هفضل كده لحد ما ترد ولا إيه؟! اهدى يا صاحبي ومتأفورش. نظر إلى كتابه المفضل والذي لم يقرأ فيه منذ مدة.

أمسك به وقرر النزول للحديقة، ربما هواء الليل يعينه على النوم. فور خروجه سمع بكاء فاطمة المتقطع وهو المعتاد منها ليلاً. ابتسم وعاد أدراجه يطرق باب غرفة بسام:

- هاتوها أنا صاحي.

لحظات قصيرة فتح بسام الباب على الفور:

- ربنا ما يحرمانك يا جاجا.

التقطها منه قائلاً:

- المهم واكله وشاربه ومغيرة وكله.

- كله تمام يا باشا، أنا بقى عاليز أنا.

- نام يا أخويا.

أغلق الباب في التو، هز جاهين رأسه ضاحكًا.

- ولا يهملك، تعالي أنا هونسك.

فركت عينيها ووضعت رأسها على كتفه تستمر في عضضة لعبتها المفضلة.

وصل للحديقة، جلس في مكانه المفضل ووضع الصغيرة على رجليه لتستند

على صدره بظهرها، فتح الكتاب أمامها قائلاً:

- دي بقى يا ستي رباعيات جاهين، ها تحبي أقرأك إيه بقى منها، هما كتير

على فكرة.

شرعت الصغيرة تضرب الصفحات بكفها الصغير لاهية.

- استر يا رب، اوعي تدمريلي كتابي المفضل.

حاول أن يبعد الكتاب عن كفيها كي لا تمزق منه شيئاً، وصل لأذنه تنبيه رسالة

على هاتفه.

أغلق الكتاب وتركها تضرب عليه بحرية، أمسك الهاتف، يجد رسالة من بسمة

على تطبيق الواتس آب.

رفع رأسه تلقائياً لشرفتها، رآها تنظر له بوجه هادئ الملامح، فتح الرسالة

ليقرأ.

"طمطم، قولي لعمو عمتمو موافقة"

ابتسم في الحال وعاد لها ببصره لكنها كانت اختفت بالداخل، اتسعت بسمته

أكثر وهو يقرأها مرة تلو أخرى. ودقات قلبه تتسارع، وسعادته تتزايد، وهو

الذي ظن أنه لن يكون بمثل تلك الفرحة.

ضم الصغيرة إليه ضاحكًا، بينما تردد الصغيرة اسمه مشيرة إلى المنزل تريد

العودة:

"جاجة"

حملها وهو يقذفها في الهواء كما تحب، مرة وأخرى حتى ضحكت بسعادة،

احتضنها برفق متمماً:

- يا عيون جاجا.

ومن خلف ستائر شرفتها رأته، وسعادتها لا تقل عن سعادته.  
زفرت وكأنها تنهي سباقاً عاشته طويلاً، أحقاً ستنال الراحة والفرحة التي  
تمنتها دوماً، زواج هادئ ورجل محب، وعائلة تحاوطها في كل أوقاتها.  
استندت على الحائط تعاودها الذكريات.

معاذ

تلك الذكرى روضتها لتبقى في الخلف، تلك المشاعر التي تغيرت كثيراً وربما  
كانت للتغير حتى لو تزوجته، في النهاية هي راضية الآن، وتتمنى له أيضاً أن  
يجد الحياة التي يستحقها دون منغصات أو مشاكل.

فتح المظروف الأنيق ليقرأ دعوة الزفاف، يحدق فيها بصمت، مالت برأسها  
لترأها هي الأخرى، وفهمت لما حل عليه الصمت هكذا.  
جاهين سيتزوج بالفتاة التي تعلق بها أخوه طوال عمره.  
نظرت له قائلة:

- ما هي أكيد كانت هتتجوز.

- أكيد، ربنا يهنيهم.

- هتقوله؟!؟

- لأ طبعاً، هو خلاص متأقلم مع حياته دلوقتي.

مد يده يلتقط تلك المجلة فاخرة الطباعة والتي استقرت صورة معاذ على غلافها  
تحاوطها كلمات كتبت بالانجليزية.

ابتسم سامر بسعادة وفخر:

- كنت عارف إنه لو ركز في شغله وفي حياته هينجح.

رن هاتفه، اتسعت ابتسامته حين عرف من المتصل:

- معاذ، عامل يا حبيبي وحشتني.

- أنت أكثر يا سامر، وصلتك المجلة.

- في ايدي أهي، برافو عليك، باين عملت شغل حلو في التسويق العقاري الأمريكي، علشان ينزلوا صورتك على أشهر مجلاتهم في المجال ده، أنا فخور بيك بجد.

- تلميذك يا أستاذ.

- بالعكس، ده شغلك وتعبك أنت، ثم أنا ماكنش ليا أوي في التسويق العقاري ده، المهم هتيجي أجازة امتي، حاول ترتب نفسك على ميعاد ولادة زينة علشان تشوف معاذ الصغير.

صمت معاذ للحظة، قائلاً بتأثر:

- أنت بجد هتسميه معاذ؟!!

- طبعاً على اسمك.

انتفض على صياح زينة جواره:

- بس أنا هسميه على اسم معاذ ابن جبل.

قالتها وهي تفر من أمامه، رمقها لحظات ووصل له ضحك معاذ:

- مراتك دي نكته.

ابتسم بدوره:

- آه ما أنا عايش معاها على طول.

استمر ضحك معاذ، ذهب سامر ببصره لتلك الدعوة، من الأفضل ألا يخبره

بشيء.

- طب يا بطل مش هنفرح بيك قريب؟!!

- يووووه، ما كفاية عليا ماما، آخر ما زهقت قتلتها والله هتجوز واحدة ترضيك

بس على الأقل سيبيني أنا اختار، كل شوية بتوريني بنات وبتعرفني على

أبهاتهم، تعبت.

صمت سامر ولم يعلق.

- سامر، أنت لسه بتكره ماما؟!!

- لا أبداً، بصراحة ولا بكرهها ولا بحبها، لسه فاكر أنها كانت أم ليا ولو صورياً

لسنين طويلة، وعموماً أنا مرتاح في حياتي حالياً ومش ناقصني حاجه.

- طب وأهلك مادورتنش عليهم.
  - لأ، ومش ناوي، أنا أهلي معايا هنا، زينة وأبوها وأختها، وابني اللي لسه ماشفتوش، مش عايز حاجه تانية.
  - ربنا يخليهملك.
  - عقبالك كده لما تلاقي عيلتك الصغيرة أنت كمان.
  - شكرًا يا سامر، هبقى أكلمك تاني سلام.
  - سلام يا حبيبي.
- ارتسمت ملامح الراحة والسرور على وجهه، وهو يعاود النظر لصورة أخيه التي التقطت بعناية مما أظهر وسامته وأناقته. لم يعد يشعر بالقلق عليه، معاذ عثر على نفسه، وقدّر ما يجب أن يعيش لأجله، وهذا يكفي.

وهناك في تلك الأرض الأشهر بين الناس، الولايات المتحدة الأمريكية، وقف أمام نافذته المفضلة، حيث تقبع شقته في أعلى ناطحة سحاب استطاع أن يجدها، هنا يشعر أنه أبعد ما يكون عن الجميع، دس الهاتف في جيبه مبتسمًا، سيبقى سامر الشخص الوحيد الذي يضحك معه من قلبه.

فلولاه لربما فقد عقله أو حياته، ففي أحلك لحظات الظلمة التي شعر بها حين تركته بسمة، ظل جواره، حتى حين أفاق وأراد العودة لبسمة منعه وبشدة.

"خلاص يا معاذ، عايز ترجع لبنت قالتلك في وشك مش عايزاك، مبقاش ينفع، حافظ على كرامتك قدام نفسك حتى"

كلمات في وقتها لم تعن له الكثير، فكل ما كان يفكر فيه هو بسمة، وكيف يمكن أن يخسرها هكذا، وحين حاول الاتصال بها من هاتفه ظل هاتفها مغلقًا ولم يعمل ثانية، وكأنها تقطع أي اتصال محتمل بينهما، اختنق قلبه حينها حتى ظن أنه سيموت، لكن الغريب أنه لم يموت، لا زال حيًا كما هو، ظل يجلس وحيدًا يصاحبه سامر معظم الوقت خوفًا عليه، يحدثه كثيرًا ليأخذه لعالم آخر دون الذي يفكر فيه، ومر الوقت ونجح سامر، ربما نجح في أن يعود معاذ للحياة بشكل

مختلف، لكن لم ينجح أحد أن يعيد لقلبه ما فقده، معاذ فقد أي معنى للحب وما يمكن أن يقدمه له، ولا يعلم حتى كيف سيحقق أمنية أمه وأخيه بالزواج، أعليه أن يختار أي فتاة ويتعلم كيف يعيش معها، هو اختار أن يحب نفسه وعمله لأول مرة، وتقدم فيه بشكل جيد وأغرق نفسه في العمل أكثر وأكثر حتى أنه قلما يجد الوقت ليفكر فيها أو فيما أصابه بعدها.

زفر ملتفتًا إلى مكتبه فتح درجه ليلتقط علبة صغيرة، نظر داخلها، لا زال يحتفظ به، ولا يعلم متى سيقدر التخلص منه. أمسك بالخاتم الفضي بأنامله، ليس لديه أي رغبة في أن يضعه بإصبعه، هو فقط ينظر له لبعض الوقت، لا يعلم أيريد أن يجبر نفسه على كرهها، أم يذكر نفسه بأنه قادر على المواصلة دونها. ضم قبضته على الخاتم بقوة.

وصلت رسالة إلى هاتفه فتحها، وجد صورة رسالة من أمه، نظر فيها اتسعت عيناه للحظة، دعوة زفاف جاهين وبسمة، زم شفثيه محددًا في الاسمين، دفع الهاتف جانبًا.

لقد اختارته هو في النهاية!!

وقف وعاد لنافذته، فتحها يلفح وجهه الهواء البارد، نظر للخاتم ثانية، ثم قذف به بكل قوة من النافذة.

وقف يلهث وكأنه كان بسباق، سينساها، حتمًا سينجح.

بدأ حفل الزفاف الذي كلفه الكثير، فرييس مجلس إدارة شركة الشربيني، أراد لزفافه أن يكون مميزًا، رغم أن بسمة أرادت زفافًا هادئًا لكنه رفض هذا تمامًا. حضر الزفاف الكثير من رجال الأعمال سواء في نفس مجالهم أو مجالات أخرى، العديد من الشخصيات التي تعرف عليها خلال عمله كعملاء للشركة. جلس العروسان لالتقاط الصور التذكارية مع المدعوين، مها ونانا ظلتا بالقرب من بسمة، ففستانها الضخم كان ثقيلًا ومعيقًا للحركة جدًا حتى أنها زفرت:

- منك لله يا نانا، أنتِ السبب في الفستان المعقرب ده.

وكزتها نانا:

- حسني ملافظك ده فرحك في فندق خمس نجوم، وده الفستان اللي يليق  
بالمكان، مش شايقة الستات مبخلقينه ازاي؟!
- يالا أحسن، يبخلقوا في الفستان أحسن ما يبخلقوا فيا.  
ضحكت نانا على كلماتها، لتحتضن كتفها:
- ألف مبروك يا بووسي.
- عقبالك يا نانا.
- آمين.

قالتها بغير حماسة، وكأنها فقدت الرغبة في شيء كهذا.  
اقتربت ميادة ولوجي وسميحة، وقف جاهين لتضمه أمه إلى صدرها تضحك  
بسعادة رغم التماح عينيها بالعبرات.

- أخيراً يا حبيبي فرحت بيك.  
ربت على ظهرها:
- ربنا ما يحرمني منك يا ماما.  
التفتت تحتضن بسمة:
- خدي بالك منه، أنتِ واخدة أغلى حاجة عندي.
- أحممم، أو مال أنا إيه، كيس جوافة.  
تعالت ضحكاتهم لتضربها أمها:
- بس يا بنت.
- باركت لوجي لأخيها وبسمة قائلة للأخيرة:
- أنا لسه ماعرفتكيش كويس وماقعدتش معاك كثير بس حاسه إننا ممكن نكون  
أصحاب.
- ابتسمت بسمة:
- أكيد.

دنت سميحة منهما. تجمدت ملامح بسمة، فهي لا تستطيع أن تحمل لتلك المرأة  
أي مشاعر طيبة، احتضنت جاهين مباركة، رد عليها بود كما هو معتاد معها،  
التفتت لبسمة التي اكتفت بأن تمد لها يديها، صافحتها بتوتر واضح:

- مبروك يا بسمة.
- اكتفت بأن تومئ برأسها فقط، لتسحب سميحة من أمامهما، جلس جاهين ينظر لها، فقالت:
- مش هقدر أثق فيها تاني أبدًا.
- عندك حق، ومش هلومك.
- نظرت له بامتنان:
- هي هتفضل هنا؟.
- لأ، هتسافر تاني مع لوجي ونوح، ماما اللي هتقعد معنا شوية.
- زفرت براحة حقيقية، فمهما مر من أيام لن تتقبل تلك المرأة كجزء من عائلتها أبدًا.
- وصل محمد مع بسام للعروسين لأخذ صورة معًا.
- قال محمد ضاحكًا:
- ألف مبروك يا عرايس، منورين المكان والله.
- هز جاهين رأسه:
- أنت داخل قهوة يا ابني، يالا اخلص.
- ضحك الجميع على تعليق جاهين رفع محمد أحد حاجبيه:
- آسف، كان المفروض أقول، congratulations
- استمر ضحكهم، حتى أخذوا أماكنهم في الصورة، التي التقطت سريعًا ليتحركوا.
- مر جوار نانا قائلاً:
- عقبالك.. يا نادرة.
- تسمرت مكانها للحظة قبل أن ترفع بصرها إليه بعينين متسعيتين:
- أنت قلت إيه؟!!
- ابتسم في هدوء:
- أنا ماكنتش واخد بالي لما سألتيني المرة اللي فاتت... يا نادرة.
- فغرت فاهها لتضع كفيها على شفتيها، ابتسم أكثر وهو يلتفت تاركًا إياها خلفه.
- "نادرة" هل عادت له نادرة كما كانت فعلاً؟!!

"نانا"

التفتت لنداء مها وأسرعت إليها، ولا زالت سعادة وجهها توهي بالكثير، لكن لم ينتبه أحد لهذا، فالجو العام مفرح على كل حال.

تم دعوة الجميع لتناول طعام العشاء الذي كان على أفضل ما يكون، جلس العروسان على منضدة خاصة وبعيدًا عن الزحام ليتناولوا عشاءهما. ويبدو أن جاهين كان جائعًا فلقد شرع في التهام الأكل على الفور، رمقته بسمة بدهشة قبل أن تضحك:

- الحمد لله إن ماحدث شايف، يقولوا إيه؟! مابتكلش؟! ابتلع ما في فمه:

- هو العرسان المفروض مايجوعوش، أنا ماكلتش حاجه من الصبح.  
- الله يرحمك يا رومانسية.

تمتت زافرة وهي تقلب في طبقها، فهي لم تشعر بالجوع على الإطلاق، ناهيك عن توترها من قرب انتهاء الليلة. وضع شوكتة جانبًا ينظر لها، تتابع ببصرها انشغال الكل بالطعام، حتى لوت شفتيها:

- هو كله جاي ياكل هنا؟!!

- ياستي اعتبريه صدقه أهي تجوز على الكل والأكل دايمًا ليه ثوابه.  
عادت ببصرها له، وجدته ينظر لها بابتسامة هادئة ونظرة عين أصابتها بالارتباك:

- بطلت أكل ليه؟!!

- يوووه، آكل، تقولي إيه ده!! أبطل، تقولي بطلت ليه؟!!

- خلاص يا سيدي أسفيين.

مد يده يمسك بكفها الذي على المنضدة يجذبها نحوه:

- أما بقى عن الرومانسية، فده مش مكانها، استني لما نبقى لوحدنا، وهوريك الرومانسية شكلها إيه.

جذبت كفها بسرعة من أثر لمسات أنامله عليها.

- أنا من رأي تاكلي، لأن لما نروح عندنا أربع ساعات قبل ميعاد الطائرة،  
ومش هتاكلي فيهم.

قالها وهو يرفع أحد حاجبيه، ابتلعت ريقها بصعوبة، وعادت تنظر لطبقها  
تحاول الأكل والهرب منه في نفس الوقت.

لنتسع بسمته أكثر، من اللحظات القليلة التي رأى فيها بسمة خجولة، وكان  
الخجل رداء يليق بالفتاة ويزيدها جمالاً، فهي الفعل بدت أجمل في حالتها تلك.  
حتى أنه استمر في أكله دون أن يرفع بصره عنها، أما هي فظلت تنظر لطبقها  
حتى شعرت أن رقبتها ستؤلمها.

ولكن هذا لم يمنع قلبها من الفرح، فرحت لأن الجميع معها وافتقدت كثيراً  
وجود أمها، لكنها كانت سعيدة أنها في النهاية فعلت أمراً كانت لتحبه أمها  
كثيراً. فهي أكثر المدافعين عن هذا الشاب حتى في أسوأ حالاته.

مرت الليلة وعاد الجميع لسكنه، ركبت بسمة سيارة جاهين التي يقودها بنفسه  
بينما يلحقه بسام ومحمد بسيارتين أخرتين تقل بقية الأسرة.

كان الطريق هادئاً والهواء يضرب وجهها بأريحية، ابتسمت وهي تتابع  
الطريق، شعرت بكفه يمتد ليمسك بكفها لتتشابك أصابعهما، نظرت له، يتابع  
الطريق بحرص وملامحه تشي بالفرح.

- ماقتليش، أنت جبت الهدية اللي شبه بتاعة بسام دي أمتي؟!  
ارتكنت بسمة على شفتيه:

- من قبل خطوبة بسام، هو اللي قلدني على فكرة، لأ هو انتبه لها زيي، واضح  
إن ذوقنا واحد.

- أنا أسفة يا جاهين.

منحها نظرة سريعة قبل أن يعاود الاهتمام بطريقه:

- أسفة على إيه؟!!

- على كل حاجة عملتها وضايقتك، على كل لحظة ضيعتها من عمرنا كان ممكن  
نكون فيها سوا.

اكتفى بضغط كفها بين أصابعه.

- وشكرًا.

عقد حاجبيه قبل أن يقول ضاحكًا:

- شكرًا على إيه؟!!

احتضنت كفه بيدها الأخرى:

- إنك ماسبتنيش، وفضلت معايا، إنك لسه بتحبني.

وضعت رأسها على كتفه، وتذكرت كلمات قالتها لها أمها مرة.

"الرجل اللي تختاريه هو اللي يحسسك بالأمان، مش بالحب وبس"

اتسعت ابتسامتها، أغلقت عينيها تضم ذراع زوجها لها، حمدت ربها أنها لم

تفقد الفرصة في الحصول على رجل كهذا، وستعمل على الحفاظ على هذه

النعمة ما حيت.

**تمت بحمد الله**

**22 / 1 / 2019**

**تحياتي**

**سارة سيف الدين**

**Nobian sara**

**FB/ <https://www.facebook.com/nobian.sara>**